

نور العينين ببيان أمثال الوحيين

تأليف

أبي اليمان عدنان بن حسين المصقري

عفا الله عنه

تقديم فضيلة الشيخ

أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري

رعاه الله

مكتبة دار الحديث
تنزانيا

حَقُوقُ الطَّبَعِ مَحْفُوظَةٌ
الطَّبَعَةُ الْأُولَى

2016 / 1437

مَكْتَبَةُ دَارِ الْحَدِيثِ
تنزانيا

مسجد الألباني
دار السلام
تنزانيا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة شيخنا المحدث العلامة
يحيى بن علي الحجوري

حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الأول والآخِر والظاهر والباطن، أمد من شاء من عباده بمعرفة الحق من الباطل بدلائل الحجج والأشباه والنظائر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم تبلى السرائر.

أما بعد:

فقد قرأت كثيراً من كتاب «نور العينين ببيان أمثال الوحيين» لأخينا الفاضل الشيخ عدنان المصقري حفظه الله فرأيت البحث:

- اشتمل نصفه الأول على ذكر أمثلة القرآن الكريم مع ذكر تفسيرها وتيسير فقهها؛

- واشتمل نصفه الأخير على ذكر أمثلة كثير من صحاح السنة مع نقل شروحها.

فصار الكتاب المذكور بذلك مفيداً فائدة عظيمة، جزى الله مؤلفه خيراً ونفع

به.

كتبه/ يحيى بن علي الحجوري

في جماد الثاني 1429 هـ

فما حث الله على العلم به ومدح العالمين به وأكثر من ذكره في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ هو المثل الذي يقرب المعنى ويفهم المراد ويؤكد المطلوب، وهو من المطلوب فهمه واستنباط الفوائد منه.

فعلم الأمثال من علم العربية المهم.

وبعض الأشياء لا تعرف إلا بمثالها، كالقيراطين لما سأل الصحابة رسول الله ﷺ عنها قال: مثل الجبلين العظيمين.

وقد ذكر بعض الفقهاء أن معنى قول الله تعالى: ﴿مِنهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكَيْبِ وَأُخْرٌ مُمْتَشِهَةٌ﴾ [آل عمران: 7].

لأن المحكمات الأمر والنهي والمتشابهات القصص والأمثال.

قلت: وهو بعيد، والصواب أن المتشابهات ما اشتبه علينا علمه سواء مما علمه العلماء أو مما لم يعلموه ك﴿آل﴾ و﴿آل﴾...، والمحكم ما كان معلوماً بيناً. وقد خاطب رسول الله ﷺ ربه ودعاه بمثال كقوله ﷺ: «اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف».

وكقوله: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم».

وقد نقل ابن جحر [في (2/ 48) من «الفتح»] عن إمام الحرمين أنه قال: «إن الأحكام لا تؤخذ من الأحاديث التي تأتي لضرب الأمثال».

قلت: والصواب خلافه، فإن العلماء قديماً وحديثاً لا يزالون يستنبطون الأحكام والفوائد من أحاديث الأمثال، وليست من وضع البشر وإنما هي من

رسول حكيم ﴿ وَمَا يَطُوقُ عَنِ الْهُوَىٰ ۚ ﴿٣﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم].

تنبيهٌ: ويذكر علماء البلاغة في أول مباحث علم البيان أن المثل يعد من أعلى البلاغة وأدواتها:

- أدوات الأمثال: مثل - ك - كمثال.

قال أبو عبيد [كما في «المزهر» (1/153)]: «الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعاوض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكنائية غير تصريح، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وقد ضربها النبي ﷺ، وتمثل بها هو ومن بعده من السلف».

وقال الفارابي [في «ديوان الأدب»]: «المثل ما تراضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتدلوه فيما بينهم، وفاهوا به في السراء والضراء، واستدروا به الممتنع من الدر، ووصلوا به إلى المطالب القصية، وتفرجوا به عن الكرب والمكربة، وهو من أبلغ الحكمة، لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة، أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة» اهـ.

قاعدة: الأمثال لا تغير، بل تجري كما جاءت؛ قال ابن دريد في الجمهرة وابن خالويه: كانت نساء الأعراب يؤخذن الرجال بخزرة، يقلن: يا قبلة اقبله ويا كراب كربه أعيذه بالينجلب. هكذا جاء الكلام وإن كان ملحوناً، لأن العرب تجري الأمثال على ما جاءت، ولا تستعمل فيها الإعراب. [انظر «المزهر» (1/154)].

والمراد بالمثل هنا: الحكم التي تقاس عليها الأشياء.

وقال ابن قتيبة: «المثل الشبه في أصل اللغة، ثم قد يصير بمعنى صورة الشيء وصفته، يقال: مثلت لك كذا أي: صورته ووصفته».

قال ابن القيم رحمته الله [كما في «شرح الأمثال» (ص / 9)]: «أمثال القرآن لا يعقلها إلا العالمون، وإنما شبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر». وفهم الأمثال يعين على قوة الإيثار والتوحيد.

ولذا قال القرطبي رحمته الله [في تفسيره (23 / 14)] عند قول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الروم]: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ الآية، فيجب أن يقولوا: ليس عبيدنا شركاءنا فيما رزقنا. فيقال لهم: فكيف يتصور أن تنزهوا نفوسكم عن مشاركة عبيدكم وتجعلوا عبيدي شركائي في خلقي؟ فهذا حكم فاسد وقلة نظر وعمى قلب، فإذا بطلت الشركة بين العبيد وساداتهم فيما يملكه السادة، والخلق كلهم عبيد لله تعالى، فيبطل أن يكون شيء من العالم شريكا لله تعالى في شيء من أفعاله، فلم يبقى إلا أنه واحد يستحيل أن يكون له شريك؛ إذ الشركة تقتضي المعاونة، ونحن مفتقرون إلى معاونة بعضنا بعضا بالمال والعمل، والتقديم الأزلي منزه عن ذلك جل وعز، وهذه المسألة أفضل للطالب من حفظ ديوان كامل في الفقه لأن جميع العبادات البدنية لا تصح إلا بتصحيح هذه المسألة في القلب فافهم ذلك» اهـ.

قال ابن القيم رحمه الله [في «مفتاح دار السعادة» (61/1)] بعد أن ذكر المثل في سورة الرعد: «فهذا بعض ما في هذا المثل العظيم من العبر والعلم، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ [العنكبوت].».

قال الشوكاني رحمه الله [في «فتح القدير» (42/1)]: «وقد تقرر عند علماء البلاغة أن لضرب الأمثال شأنًا عظيمًا في إبراز خفيات المعاني، ورفع أستار محجبات الدقائق، ولهذا استكثر الله من ذلك في كتابه العزيز، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من ذلك في مخاطباته، ومواعظه.».

وقال الشوكاني رحمه الله [في «فتح القدير» (262/5)]: «﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ﴾ [الفرقان: 9]، ليتوصلوا بها إلى تكذيبك، والأمثال هي: الأقوال النادرة.».

قلت: ومعنى الأمثال هنا الحكم.

وقال رحمه الله [في «فتح القدير» (223/5)]: «﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ﴾ أي: يبين الأشياء بأشباهاها، ونظائرهما تقريباً لها إلى الأفهام وتسهيلاً لإدراكها، لأن إبراز المعقول في هيئة المحسوس، وتصويره بصورته يزيده وضوحاً وبيانا ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣٥﴾ [النور]، لا يغيب عنه شيء من الأشياء معقولاً كان أو محسوساً، ظاهراً، أو باطناً.».

وقال رحمه الله [في «فتح القدير» (144/4)]: «وفي ضرب الأمثال زيادة تذكير

وتفهم وتصوير للمعاني».

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ

فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ [آل عمران].

وكقوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ

حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾

[آل عمران].

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ

عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ [إبراهيم].

أو الكاف كقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ المنفوشِ ﴿٥﴾

[القارعة].

أو بدونها وهذا غير موجود في الوحيين إلا نادراً كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلُهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ [الأنعام].

قال ابن كثير رحمته الله: «وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾

أي: مثلهم في جهلهم وقلة علمهم وعدم فهمهم كمثل أصم - وهو الذي لا

يسمع - أبكم - وهو الذي لا يتكلم - وهو مع هذا في ظلام لا يبصر، فكيف

يهتدي مثل هذا إلى الطريق، أو يخرج مما هو فيه؟ كما قال تعالى ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ

الَّذِي أَسْتَوَقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بِيضِكُمْ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ [البقرة].

قلت: ولا مانع أن يكون هذا حقيقة وليس بمثل. كقول الله: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ [يونس].

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ ﴿٨١﴾ [النمل].

وقول الله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمَىٰ وَمَنْ كَانَتْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٤٠﴾ [الزخرف].

وهو نادر كقولهم: ليلى قمر، أي كالقمر.

وعلى الضارب للأمثال أن لا يتكلم بمثل إلا وقد علم مطابقتها للواقع ويتحرى فيه الصدق وحصول المشابهة بين المثل والممثل له والمثل به.

وأركان المثل أربعة:

1- المشابهة.

2- المشبه به.

3- أداة التشبيه.

4- وجه الشبه.

فلا بد من وقوع الأول والثاني، وإذا حذفت الأداة يسمى مرسلًا، وإن حذفت

وجه الشبه يسمى مجملاً.

وبعض الأشياء لا يوافقها مثل ولا يماثلها شيء، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [في «صحيح مسلم» (814)] عَنْ عُقَبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أَنْزَلَتْ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرِ مِثْلُهُنَّ قَطُّ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ».

تنبؤ: الكاف تأتي بمعنى التمثيل والتشبيه، ولم أر للذين كتبوا في الأمثال ذكر ذلك مع أنها من الباب قطعاً.

كقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «العائد في هبته كالكلب يقيه ثم يعود في قيئه»، مع أنه قد رواها جماعة بلفظ: «مثل العائد في هبته كالكلب يقيه ثم يعود في قيئه».

كما روى مسلم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (1622) فَقَالَ حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدِ الْأَيْلِيِّ، وَأَخْبَدُ بْنُ عَيْسَى، قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو وَهُوَ ابْنُ الْحَارِثِ، عَنْ بُكَيْرٍ، أَنَّهُ سَمِعَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّمَا مِثْلُ الَّذِي يَتَصَدَّقُ بِصَدَقَةٍ، ثُمَّ يَعُودُ فِي صَدَقَتِهِ، كَمِثْلِ الْكَلْبِ يَقِيءُ، ثُمَّ يَأْكُلُ قَيْئَهُ».

وروي باللفظ السابق، فما الفرق بين مثل الذي يعمل كذا ككذا.. وبين قوله: الذي يعمل كذا ككذا؟؟.

وإني كنت أحب العلم بمعاني الأمثال من تفاسير وشروح العلماء عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (٤٣) ﴿العنكبوت﴾، فرأيت أن أجمعها في بحث مستقل، فعزمت على ذلك بتوفيق الله

فجمعت أمثال القرآن ومررت على صحيح البخاري ومسلم والصحيح المسند والسلسلة الصحيحة للألباني $\text{رحمتهما الله تعالى}$ جميعاً، فجمعت ما رأيته في الباب، وقد كنت شرحت تلك الأمثال، ثم رغبت عن كثرة الحواشي خشية الإطالة، فعمدت إلى الاختصار، واكتفيت بأن أضفت كلام المفسرين والشراح والعلماء على الآية، أو الحديث، لكون سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين ومن سار على سيرهم أعلم بكتاب الله وبسنة رسوله $\text{صلى الله عليه وسلم}$ منا بل وأفهم منا وأحكم منا $\text{رحمتهما الله تعالى}$ ، وأرجو أنه لم يسبقني أحد إلى مثل هذا العمل في الباب الذي أسأل الله أن ينفعني به والمسلمين وأن يوفقنا وجميع المسلمين إلى كل خير وبر، والحمد لله رب العالمين. ونسأل الله أن يعيننا على العلم بالحق وفهمه والعمل به.

ذكر بعض الكتب في الباب ومن كتب في باب الأمثال التشبيهية والحكمية:

- كتاب الأمثال في القرآن الكريم، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي.
- كتاب الأمثال في القرآن الكريم، لابن القيم الجوزية، جمع غيره.
- الأمثال القرآنية القياسية، للجربوع.
- كتاب مجمع الأمثال، للميداني.
- كتاب الأمثال، للمفضل الضبي.
- كتاب الأمثال، لمؤرج السدوسي.
- كتاب فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، لأبي عبيد البكري.
- كتاب أمثال العرب، للمفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي.
- كتاب أمثال الحديث، لأبي الشيخ الأصبهاني.

- كتاب أمثال الحديث المروية عن النبي ﷺ، لأبي الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي.
- كتاب الأمثال في الحديث النبوي، لأبي محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان.
- كتاب الأمثال من الكتاب والسنة، لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي.
- أمثال كتاب مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري.
- الأمثال النبوية، للعلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ ذَكَرَ فِي تَرْجُمَتِهِ.
- كتاب المستقصى في أمثال العرب، للزخشي؛ واحذر منه فإنه معتزلي جلد.
- كتاب جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري.
- كتاب الأمثال، لأبي عبيد بن سلام.
- كتاب زهر الأكم في الأمثال والحكم، للآليوسي.



كلمة شكر

وقبل الشروع في الموضوع أحمد الله ربي Δ وأشكره الذي وفقني للسنة والتمسك بها والذي منّ علينا بطلب العلم، والحمد لله الذي جعل لنا علماء على المنهج الصحيح، وأشكر كذلك شيخنا الوالد الناصح الأمين، والقوال بالحق الغيور على دين الله Δ أبا عبد الرحمن يحيى الحجوري جزاه الله خيرًا، على بذله جهده في العلم والدعوة وجهاد البدع وأهلها، وكذلك والدنا المعلم للجميع المربي على الحق أبا عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي رحمته الله وأسكنه أعلى وأفضل جناته، وأشكر أيضًا والداي العزيزين اللذين بذلا جهدهما في طلبي للعلم، ورباني على السنة وبغض البدعة، ودفعاني لطلب العلم، وأشكر أخي العزيز أبا زكرياء عبد الحكيم بن حسين المصقري على جهده في الكتابة على الجهاز، فجزاهم الله خيرًا وكل من أعان على الخير ونشره.

والحمد لله رب العالمين.

وتم في (30 ربيع الثاني 1429هـ).



الفصل الأول: أمثال القرآن كتاب الله الكريم

باب بيان قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ

الْإِنْسَانُ أَكْثَرِ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [٥٤] [الكهف]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (48 / 18): «ولقد مثلنا في هذا القرآن للناس من كل مثل، ووعظناهم فيه من كل عظة، واحتججنا عليهم فيه بكل حجة ليتذكروا فينبوا، ويعتبروا فيتعظوا، وينزجروا عما هم عليه مقيمون من الشرك بالله وعبادة الأوثان.

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرِ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ يقول: وكان الإنسان أكثر شيء مراء وخصومة، لا ينيب لحق، ولا ينزجر لموعظة.

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرِ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ قال: الجدل: الخصومة».

وقال ابن كثير رحمته الله (5 / 171): «يقول تعالى: ولقد بينا للناس في هذا القرآن، ووضحنا لهم الأمور، وفصلناها، كيلا يضلوا عن الحق، ويخرجوا عن طريق الهدى. ومع هذا البيان وهذا الفرقان، الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة والمعارضة للحق بالباطل، إلا من هدى الله وبصره لطريق النجاة.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، أخبرني علي بن الحسين، أن حسين بن علي أخبره، أن علي بن أبي طالب أخبره، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقة وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة، فقال: «ألا تصليان؟». فقلت: يا رسول

الله، إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا. فانصرف حين قلت ذلك، ولم يرجع إلي شيئاً، ثم سمعته وهو موّل يضرب فخذة، ويقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ أخرجاه في الصحيحين».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ﴾

﴿أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء] ٨٩

وقال ابن جرير الطبري رحمته الله (548 / 17): «يقول ذكره: ولقد بينا للناس في هذا القرآن من كل مثل، احتجاجاً بذلك كله عليهم، وتذكيراً لهم، وتنبيهاً على الحق ليتبعوه ويعملوا به.

﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ يقول: فأبى أكثر الناس إلا جحوداً للحق، وإنكاراً لحجج الله وأدلتها».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَشِيعًا﴾

﴿مُتَّصِدًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر] ٢١

[الحشر]

قال ابن جرير الطبري (300 / 23): «وقوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾

لَرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُتَّصِدًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ يقول جل ثناؤه: لو أنزلنا هذا القرآن على جبل، وهو حجر، لرأيته يا محمد يا خاشعاً؛ يقول: متذللاً متصدداً من خشية الله على قساوته، حذراً من أن لا يؤدي حق الله المفترض عليه في تعظيم القرآن.

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ يقول تعالى ذكره: وهذه الأشياء نشبهها

للناس، وذلك تعريفه جل ثناؤه إياهم أن الجبال أشد تعظيماً لحقه منهم مع قساوتها وصلابتها.

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾ يقول: يضرب الله لهم هذه الأمثال ليتفكروا فيها، فينبوا، وينقادوا للحق».

وقال ابن كثير رحمته الله: (8 / 78): «يقول تعالى معظماً لأمر القرآن، ومبيناً علو قدره، وأنه ينبغي وأن تخشع له القلوب، وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد والوعيد الأكيد: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُتَّصِدًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أي: فإن كان الجبل في غلظته وقساوته، لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه، لخشع وتصدع من خوف الله، Δ ، فكيف يليق بكم أيها البشر ألا تلين قلوبكم وتخشع، وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه؟ ولهذا قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾».

قال العوفي: عن ابن عباس في قوله: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَشِيعًا﴾ إلى آخرها، يقول: لو أني أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه، لتصدع وخشع من ثقله، ومن خشية الله. فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع. ثم قال: كذلك يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون. وكذا قال قتادة، وابن جرير.

وقد ثبت في الحديث المتواتر: أن رسول الله صلوات الله عليه لما عمل له المنبر، وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد، فلما وضع المنبر أول ما وضع،

وجاء النبي ﷺ ليخطب فجاوز الجذع إلى نحو المنبر، فعند ذلك حَنَّ الجذع وجعل يئن كما يئن الصبي الذي يُسَكَّن، لما كان يُسَمَع من الذكر والوحي عنده. ففي بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصري بعد إيراده: «فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى رسول الله ﷺ من الجذع». وهكذا هذه الآية الكريمة، إذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله وفهمته، لحشعت وتصدعت من خشيته فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم؟ وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ [الآية [الرعد: 31]]. وقد تقدم أن معنى ذلك: أي لكان هذا القرآن. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْفَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 74].

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا

إِلَّا الْعٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ [العنكبوت]

قال الحافظ ابن كثير (6/ 279): «ثم قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعٰلِمُونَ﴾ أي: وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه».

وقال ابن جرير الطبري (20/ 39): «وقوله: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا

لِلنَّاسِ﴾ يقول تعالى ذكره: وهذه الأمثال، وهي الأشباه والنظائر، ﴿نَضْرِبُهَا

لِلنَّاسِ﴾ يقول: نمثلها ونسبها ونحتج بها للناس، كما قال الأعشى:

هَلْ تَذْكُرُ الْعَهْدَ مِنْ تَنْمَصَ إِذْ تَضْرِبُ لِي قَاعِدًا بِهَا مَثَلًا

﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما يعقل أنه أصيب بهذه

الأمثال التي نضربها للناس منهم الصواب والحق فيما ضربت له مثلاً ﴿إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ بالله وآياته.

وقال البغوي (6 / 243): ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ﴾ الأشباه والمثل: كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالأول، يريد: أمثال القرآن التي شبه بها أحوال كفار هذه الأمة بأحوال كفار الأمم المتقدمة، ﴿نَضْرِبُهَا﴾ نبيها، ﴿لِلنَّاسِ﴾ قال مقاتل: لكفار مكة، ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ أي: ما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله.

قال الشوكاني رحمته الله (5 / 443): ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ أي هذا المثل، وغيره من الأمثال التي في القرآن نضربها للناس تشبيهاً لهم، وتقريباً لما بعد من أفهامهم ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا﴾ أي يفهمها ويتعقل الأمر الذي ضربناها لأجله ﴿إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ بالله الراسخون في العلم المتدبرون المتفكرون لما يتلى عليهم وما يشاهدونه.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَرَّأْنَا تَبِيرًا﴾

[الفرقان] ﴿٣٩﴾

وقال الطبري رحمته الله: (19 / 272): «وقوله: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ الْأَمْثَلُ﴾ يقول

تعالى ذكره: وكل هذه الأمم التي أهلكتها التي سمينها لكم أو لم نسمها ضربنا له الأمثال يقول: مثلنا له الأمثال ونبناها على حججنا عليها، وأعذرنا إليها بالعبر والمواعظ، فلم نهلك أمة إلا بعد الإبلاغ إليهم في المعذرة».

وقال ابن كثير رحمه الله (6/ 112): ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ أي: بينا لهم الحجج، ووضحنا لهم الأدلة كما قال قتادة: أزحنا عنهم الأعذار ﴿وَكُلًّا تَبَرْنَا تَنْبِيرًا﴾ أي: أهلكتنا إهلاكاً، كقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: 17].

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ

سَبِيلًا﴾ [الإسراء]

ومعنى الأمثال هنا الأشباه والتشبيه بما لا يليق.

قال الطبري رحمه الله (17/ 462): «يقول تعالى ذكره: انظر يا محمد بعين قلبك فاعتبر كيف مثلوا لك الأمثال، وشبهوا لك الأشباه، بقولهم: هو مسحور، وهو شاعر، وهو مجنون».

﴿فَضَلُّوا﴾ يقول: فجاروا عن قصد السبيل بقليلهم ما قالوا.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ يقول: فلا يهتدون لطريق الحق لضلالهم عنه وبُعدهم منه، وأن الله قد خذلهم عن إصابته، فهم لا يقدرُونَ على المَخْرَجِ مما هم فيه من كفرهم بتوقفهم إلى الإيمان به.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي

نجيح، عن مجاهد؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ قال: مخرجا، الوليد بن المغيرة وأصحابه أيضا.

وقال السعدي رحمته الله (459): «قال تعالى: ﴿أَنْظُرْ﴾ متعجبا ﴿كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ التي هي أضل الأمثال وأبعدها عن الصواب ﴿فَضَلُّوا﴾ في ذلك أو فصارت سببا لضلالتهم لأنهم بنوا عليها أمرهم والمبني على فاسد أفسد منه.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أي: لا يهتدون أي اهتداء فنصيبيهم الضلال المحض والظلم الصرف».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنْ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا

تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ [النحل]

قال ابن كثير رحمته الله (588 / 4): «يقول تعالى إخبارا عن المشركين الذين عبدوا معه غيره، مع أنه هو المنعم المتفضل الخالق الرازق وحده لا شريك له، ومع هذا يعبدون من دونه من الأصنام والأنداد والأوثان ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا﴾ أي: لا يقدر على إنزال مطر ولا إنبات زرع ولا شجر، ولا يملكون ذلك، أي: ليس لهم ذلك ولا يقدرون عليه لو أرادوه، ولهذا قال تعالى ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ أي: لا تجعلوا له أندادا وأشباها وأمثالا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: أنه يعلم ويشهد أنه لا إله إلا الله وأنتم

بجهلكم تشركون به غيره».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكِنٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ

وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ ﴿٤٥﴾ [إبراهيم]

قال الطبري رحمته الله: (37 / 17): «يقول تعالى ذكره: وسكتتم في الدنيا في

مساكن الذين كفروا بالله، فظلموا بذلك أنفسهم من الأمم التي كانت قبلكم.

﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ يقول: وعلمتم كيف أهلكناهم حين

عتوا على ربهم وتمادوا في طغيانهم وكفرهم.

﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ يقول: ومثلنا لكم فيما كنتم عليه من الشرك بالله

مقيمين الأشباه، فلم تنبوا ولم تتوبوا من كفركم، فالآن تسألون التأخير للتوبة

حين نزل بكم ما قد نزل بكم من العذاب، إن ذلك غير كائن».

وقال ابن كثير (4 / 516): ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكِنٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ

وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ أي: قد رأيتم

وبلغكم ما أحللنا بالأمم المكذبة قبلكم، ومع هذا لم يكن لكم فيهم معتبر، ولم

يكن فيما أوقعنا بهم مزدجر لكم ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْنُذُرُ﴾ ﴿٥﴾

[القمر]».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [الفتح]

مثل الله تعالى محمداً رسوله Γ - بأبي هو وأمي - ومن معه من أصحابه المؤمنين رضوان الله عليهم أجمعين فقال: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ أي علاماتهم. وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ أي صفتهم فالمثل هنا الصفة، كما قاله الشوكاني رحمه الله.

والسيما في الآية قيل: العلامة في الجبهة، وقيل الصفرة، وقيل الوضاعة وهو الصواب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ﴾ قيل هذا المثل في التوراة والإنجيل وقيل في الإنجيل فقط على أن الواو استثنائية وهو الصواب.

﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ أي طرفه.

﴿فَفَازَرَهُ﴾ أي قواه وشده، قيل الشطأ قوي الزرع وقيل الزرع قوي الشطأ.

وقوله: ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ أي صار الزرع غليظاً.

﴿فَأَسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ﴾ أي فاستقام على أعواده، والسوق جمع ساق.

وقوله: ﴿يُعْجِبُ الزَّرْعَ لِيَغِيظَ...﴾ أي يعجب الزارع هذا لقوله.

وقوله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ أي جعلهم الله كهذه الصفة ليغيب بهم الكفار.

[انظر «تفسير الشوكاني»].

وقال: وهذا مثل ضربه الله لأصحاب النبي ﷺ وأنهم يكونون في الابتداء قليلاً ثم يزدادون ويكثرون كالزراع، فإنه يكون في الابتداء قليلاً حالاً بعد حال حتى يغلظ ساقه.

ويدل لهذا المعنى حديث أبي سفيان، وقول هرقل لهم: «قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ. قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخِطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لَا».

قلت: فالمثل الأول في الآية صفة، والثاني مثل على استمرار رسول الله في أصحابه في الدعوة وتدرجهم في الشدة والقوة، ففيه إشارة إلى عدم التعجل والتأني وأن أهل الحق يزدادون ويشتدون في الحق إلى يوم القيامة.

وقال ابن كثير رحمته الله (7/360): «يخبر تعالى عن محمد صلوات الله عليه، أنه رسوله حقاً بلا شك ولا ريب، فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾، وهذا مبتدأ وخبر، وهو مشتمل على كل وصف جميل، ثم ثنى بالثناء على أصحابه فقال: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، كما قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 54] وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم

شديداً عنيفاً على الكفار، رحيماً براً بالأخيار، غضوباً عبوساً في وجه الكافر، ضحوكاً بشوشاً في وجه أخيه المؤمن، كما قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَلْبًا وَيَلُوكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: 123]، وقال النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».

وقال مالك، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: «والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا». وصدقوا في ذلك، فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ، وقد نوه الله بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾.

ثم قال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ، فَفَازَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾: ﴿أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ أي: فراخه، ﴿فَافَازَرَهُ﴾ أي: شده ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ أي: شب وطال، ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ أي: فكذلك أصحاب محمد ﷺ آزره وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطاء مع الزرع، ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾.

ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في رواية عنه - بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة، قال: لأنهم يغيطونهم، ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية. ووافق طائفة من العلماء على ذلك. والأحاديث في فضائل الصحابة والنهي عن التعرض لهم بمساةة كثيرة، ويكفيهم ثناء الله عليهم، ورضاه عنهم.

قال السعدي رحمته الله (1 / 795): «يخبر تعالى عن رسوله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المهاجرين والأنصار، أنهم بأكمل الصفات، وأجل الأحوال، وأنهم ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ أي: جادون ومجتهدون في عداوتهم، وساعون في ذلك بغاية جهدهم، فلم يروا منهم إلا الغلظة والشدة، فلذلك ذل أعداؤهم لهم، وانكسروا، وقهرهم المسلمون، ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: متحابون متراحمون متعاطفون، كالجسد الواحد، يجب أحدهم لأخيه ما يجب لنفسه، هذه معاملتهم مع الخلق، وأما معاملتهم مع الخالق فإنك ﴿تَرَبُّهُمْ رُكْعًا سَجْدًا﴾ أي: وصفهم كثرة الصلاة، التي أجل أركانها الركوع والسجود.

﴿يَبْتَغُونَ﴾ بتلك العبادة ﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ أي: هذا مقصودهم بلوغ رضا ربهم، والوصول إلى ثوابه.

﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ أي: قد أثرت العبادة - من كثرتها وحسنها - في وجوههم، حتى استنارت، لما استنارت بالصلاة بواطنهم، استنارت [بالجلال] ظواهرهم.

﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ أي: هذا وصفهم الذي وصفهم الله به، مذكور بالتوراة هكذا.

وأما مثلهم في الإنجيل، فإنهم موصوفون بوصف آخر، وأنهم في كمالهم وتعاونهم ﴿كَزَّرَعٍ أَخْرَجَ شَطْهَهُ فَفَازَرَهُ﴾ أي: أخرج فراخه، فوازرته فراخه في الشباب والاستواء.

﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ ذلك الزرع أي: قوي وغلظ ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ﴾ جمع ساق، ﴿يُعْجِبُ الزَّرْعَ﴾ من كماله واستوائه، وحسنه واعتداله، كذلك الصحابة رضي الله عنهم، هم كالزرع في نفعهم للخلق واحتياج الناس إليهم، فقوة إيمانهم وأعمالهم بمنزلة قوة عروق الزرع وسوقه، وكون الصغير والمتأخر إسلامه، قد لحق الكبير السابق ووازره وعاونه على ما هو عليه، من إقامة دين الله والدعوة إليه، كالزرع الذي أخرج شطأه، فأزره فاستغلظ، ولهذا قال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾ حين يرون اجتماعهم وشدتهم على دينهم، وحين يتصادمون هم وهم في معارك النزال، ومعامع القتال.

﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ فالصحابه رضي الله عنهم، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، قد جمع الله لهم بين المغفرة، التي من لوازمها وقاية شرور الدنيا والآخرة، والأجر العظيم في الدنيا والآخرة.

ولنسق قصة الحديدية بطولها، كما ساقها الإمام شمس الدين ابن القيم في «الهدى النبوي» فإن فيها إعانة على فهم هذه السورة، وتكلم على معانيها وأسرارها، قال رحمته الله تعالى:

- فصل في قصة الحديدية:

قال نافع: كانت سنة ست في ذي القعدة، وهذا هو الصحيح، وهو قول الزهري، وقتادة، وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق وغيرهم.

وقال هشام بن عروة، عن أبيه: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديدية في رمضان،

وكانت في شوال، وهذا وهم، وإنما كانت غزاة الفتح في رمضان. قال أبو الأسود عن عروة: إنها كانت في ذي القعدة على الصواب».

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (22 / 260): «يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [الفتح: 28]، الذي أرسل رسوله محمدا صلوات الله عليه بالبيان الواضح، ودين الحق، وهو الإسلام؛ الذي أرسله داعيا خلقه إليه.

﴿يُظْهِرُهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الفتح: 28]، يقول: ليبطل به الملل كلها، حتى لا يكون دين سواه، وذلك كان كذلك حتى ينزل عيسى ابن مريم، فيقتل الدجال، فحينئذ تبطل الأديان كلها، غير دين الله الذي بعث به محمدا صلوات الله عليه، ويظهر الإسلام على الأديان كلها».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ

الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ [النحل]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (17 / 229): «وهذا خبر من الله جل ثناؤه أن قوله: ﴿وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨]، والآية التي بعدها مثل ضربه الله لهؤلاء المشركين الذين جعلوا لله البنات، فبين بقوله: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ﴾ أنه مثل.

وعنى بقوله جل ثناؤه: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ للذين لا يصدقون بالمعاد والثواب والعقاب من المشركين، ﴿مَثَلُ السَّوِّءِ﴾ وهو القبيح من المثل، وما يسوء من ضرب له ذلك المثل.

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ يقول: والله المثل الأعلى، وهو الأفضل والأطيب، والأحسن، والأجمل، وذلك التوحيد والإذعان له بأنه لا إله غيره».

وقال ابن كثير رحمه الله (4/ 578): «كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الزخرف]، وقال هاهنا: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾ أي: النقص إنما ينسب إليهم، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ أي: الكمال المطلق من كل وجه، وهو منسوب إليه، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [آت]

الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ

شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾ [الحج]

ضرب الله تعالى مثلاً هنا وأمرنا باستماعه، ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ [٧٣].

قال ابن كثير رحمه الله (5/ 453): «يقول تعالى منبها على حقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ﴾ أي: لما يعبد الجاهلون بالله المشركون به، ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ أي: أنصتوا وتفهموا، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ أي: لو اجتمع جميع ما تعبدون من

الأصنام والأنداد على أن يقدروا».

وقال ابن جرير الطبري رحمته الله (685 / 18): «يقول تعالى ذكره: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ جعل لله مثل وذكر.

ومعنى ﴿صُزِبَ﴾ في هذا الموضع: جعل من قولهم: ضرب السلطان على الناس البعث، بمعنى: جعل عليهم. وضرب الجزية على النصارى، بمعنى جعل ذلك عليهم؛ والمثل: الشبه، يقول جل ثناؤه: جعل لي شبه أيها الناس، يعني بالشبه والمثل: الآلهة، يقول: جعل لي المشركون والأصنام شبيها، فعبدوها معي، وأشركوها في عبادتي. فاستمعوا له: يقول: فاستمعوا حال ما مثلوه وجعلوه لي في عبادتهم إياه شبيها وصفته.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ يقول: إن جميع ما تعبدون من دون الله من الآلهة والأصنام لو جمعت لم يخلقوا ذبابا في صغره وقلته، لأنها لا تقدر على ذلك ولا تطيقه، ولو اجتمع لخلقها جميعها. والذباب واحد، وجمعه في القلة أذبة وفي الكثير ذبان غراب، يجمع في القلة أغربة، وفي الكثرة غرابان.

وقوله: ﴿وَإِنْ يَسْأَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ يقول: وإن يسلب الآلهة والأوثان الذباب شيئا مما عليها من طيب وما أشبهه من شيء ﴿لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾: يقول: لا تقدر الآلهة أن تستنقذ ذلك منه.

وقال ابن جرير الطبري رحمته الله (685 / 18): «واختلف في معنى قوله: ﴿ضَعُفَكَ الظَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ فقال بعضهم: عني بالطالب: الآلهة،

وبالمطلوب: الذباب.

- ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حجاج، عن ابن جريج، قال ابن عباس، في قوله: ﴿ضَعْفُ الطَّالِبِ﴾ قال: آهتهم. ﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾: الذباب.

وكان بعضهم يقول: معنى ذلك: ﴿ضَعْفُ الطَّالِبِ﴾ من بني آدم إلى الصنم حاجته، ﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾ إليه الصنم أن يعطي سائله من بني آدم ما سأله، يقول: ضعف عن ذلك وعجز.

والصواب من القول في ذلك عندنا ما ذكرته عن ابن عباس من أن معناه: وعجز الطالب وهو الآلهة أن تستنقذ من الذباب ما سلبها إياه، وهو الطيب وما أشبهه؛ والمطلوب: الذباب.

وإنما قلت هذا القول أولى بتأويل ذلك، لأن ذلك في سياق الخبر عن الآلهة والذباب، فأن يكون ذلك خبرا عما هو به متصل أشبه من أن يكون خبرا، عما هو عنه منقطع، وإنما أخبر جل ثناؤه عن الآلهة بما أخبر به عنها في هذه الآية من ضعفها ومهانتها، تقريرا منه بذلك عبدتها من مشركي قريش، يقول تعالى ذكره: كيف يجعل مثل في العبادة ويشرك فيها معي ما لا قدرة له على خلق ذباب، وإن أخذ له الذباب فسلبه شيئا عليه لم يقدر أن يمتنع منه ولا يتنصر، وأنا الخالق ما في السماوات والأرض ومالكٌ جميع ذلك والمحيي من أردت، والمميت ما أردت ومن أردت، إن فاعل ذلك لا شك أنه في غاية الجهل.»

قال ابن القيم رحمه الله [كما في «شرح الأمثال» (ص 46)]: «قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ



﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج]، حقيق كل عبد أن يستمع لهذا المثل ويتدبره حق تدبره فإنه يقطع موارد الشرك من قلبه، وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده وإعدام ما يضره.

والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق ذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقها، فكيف ما هو أكبر منه؟ ولا يقدر على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئاً مما عليهم من طيب ونحوه فيستنقذونه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوان، ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إياه، فلا أعجز من هذه الآلهة ولا أضعف منها؛ فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله تعالى؟

وهذا المثل من أبلغ ما أنزل الله سبحانه في بطلان الشرك وتجهيل أهله وتقبيح عقولهم والشهادة على أن الشياطين قد تتلاعب بهم أعظم من تلاعب الصبيان بالكرة، حيث أعطوا الإلهية التي من بعض لوازمها القدرة على جميع المقدورات والإحاطة بجميع المعلومات والغنى عن جميع المخلوقات وأن يعتمد إلى الرب في جميع الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات وإجابة الدعوات، فأعطوها صوراً وتمائيل تمتنع عليها القدرة على مخلوقات الآلهة الحق وأذلها وأصغرها

وأحقرها ولو اجتمعوا لذلك وتعاونوا عليه، وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء ألهتهم أن هذا الخلق الأقل الأذل العاجز الضعيف لو اختطف منهم شيئاً واستلبه فاجتمعوا على أن يستنقذوه منه لعجزوا عن ذلك ولم يقدرُوا عليه.

ثم سوى بين العابد والمعبود في الضعف والعجز بقوله: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ قيل: الطالب العابد والمطلوب المعبود فهو عاجز متعلق بعاجز، وقيل: هو تسوية بين السالب والمسلوب وهو تسوية بين الإله والذباب في الضعف والعجز، وعلى هذا فالطالب الإله الباطل والمطلوب الذباب يطلب منه ما استنقذه منه، وقيل الطالب الذباب والمطلوب الآلهة فالذباب يطلب منه ما يأخذه مما عليه، والصحيح أن اللفظ يتناول الجميع فضعف العابد والمعبود والمستلب والمستلب، فمن جعل هذا الآلهة مع القوي العزيز، فما قدره حق قدره ولا عرفه حق معرفته ولا عظمه حق عظمته.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا

خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

وهذا مثل عظيم القدر والمنفعة مثل الله تعالى الذي يشرك بالله ويعلق قلبه بغيره ويتخذ الوسائط بينه وبين الله أنه كالذي يخر من السماء وهذا المثل فيه أمور:

- كونه هالك لا محالة.
- كونه في أشد الخوف والرعب.
- كونه لا نصير له من دون الله.

- فكذلك المشرك هالك لا محالة.
- وهو في أشد الخوف والرعب.
- ومن ذا الذي ينصره من دون الله تعالى.
- بخلاف الموحد فإنه ناج بإذن الله ومهتد بهداية الله ومنصور بنصرة الله وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً.

ولذا قال ابن جرير الطبري (ج 18 / ص 620): «يقول تعالى ذكره: اجتنبوا أيها الناس عبادة الأوثان، وقول الشرك، مستقيمين لله على إخلاص التوحيد له، وإفراد الطاعة والعبادة له خالصاً دون الأوثان والأصنام، غير مشركين به شيئاً من دونه، فإنه من يُشرك بالله شيئاً من دونه، فمثله في بعده من الهدى وإصابة الحق وهلاكه وذهابه عن ربه، مثل من خرّ من السماء فتخطفه الطير فهلك، أو هوت به الرياح في مكان سحيق، يعني من بعيد، من قولهم: أبعد الله وأسحقه، وفيه لغتان: أسحقته الرياح وسحقته، ومنه قيل للنخلة الطويلة: نخلة سحوق؛ ومنه قول الشاعر:

كَانَتْ لَنَا جَارَةٌ فَازْعَجَهَا قَاذُورَةٌ تَسْحُقُ النَّوَى قُدَمَا

ويروى: تسحق: يقول: فهكذا مثل المشرك بالله في بعده من ربه ومن إصابة الحق، كبُعد هذا الواقع من السماء إلى الأرض، أو كهلاك من اختطفته الطير منهم في الهواء.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة:

﴿فَكَانَ خَرٌّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ قال: هذا مثل ضربه الله لمن أشرك بالله في بعده من

الهدى وهلاكه ﴿فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾.

وقال: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ قال: بعيد).

وقال البغوي (5/ 383): ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾ مخلصين له، ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ قال قتادة: كانوا في الشرك يحجون، ويحرمون البنات والأمهات والأخوات، وكانوا يسمون حنفاء، فنزلت: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ أي: حجاجا لله مسلمين موحدين، يعني: من أشرك لا يكون حنيفا.

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾ أي: سقط، ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ إلى الأرض، ﴿فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ أي: تستلبه الطير وتذهب به، والخطف والاختطاف: تناول الشيء بسرعة. وقرأ أهل المدينة: فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء، أي: يتخطفه، ﴿أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ﴾ أي: تميل وتذهب به، ﴿فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾.

قال السعدي رحمته الله (538): ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ ﴿فمثله﴾ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ﴿أي: سقط منها﴾ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ ﴿بسرعة﴾ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿أي: بعيد، كذلك المشرك، فالإيمان بمنزلة السماء، محفوظة مرفوعة.

ومن ترك الإيمان، بمنزلة الساقط من السماء، عرضة للآفات والبلبات، فإما أن

تخطفه الطير فتقطعه أعضاء، كذلك المشرك إذا ترك الاعتصام بالإيمان تخطفته الشياطين من كل جانب، ومزقوه، وأذهبوا عليه دينه ودنياه».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِنْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾

[النحل] ﴿٧١﴾

وهذا المثل للمشرك بالله كالمثل الذي ذكره الله في سورة الروم، ومعناه أن المرء لا يرضى بأن يكون ماله عند عبده المملوك والكل عبد لله، فكيف يصرف العبادة لغير الله تعالى.

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (251 / 17): «يقول تعالى ذكره: ﴿وَاللَّهُ﴾ أيها الناس ﴿فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ الذي رزقكم في الدنيا، فما الذين فضلهم الله على غيرهم بما رزقهم.

﴿بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ يقول: بمشركي مماليتكم فيما رزقهم من الأموال والأزواج.

﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ يقول: حتى يستووا هم في ذلك وعبيدهم، يقول تعالى ذكره: فهم لا يرضون بأن يكونوا هم ومماليتكم فيما رزقتهم سواء، وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني، وهذا مثل ضربه الله تعالى ذكره للمشركين بالله. وقيل: إنما عنى بذلك الذين قالوا: إن المسيح ابن الله من النصارى.

وقوله: ﴿أَفَبِعِنْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أفبنعمة الله التي أنعمها

على هؤلاء المشركين من الرزق الذي رزقهم في الدنيا يجحدون بإشراكهم غير الله من خلقه في، سلطانه وملكه؟

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل».

وقال ابن كثير رحمته الله (4/ 585): «بين تعالى للمشركين جهلهم وكفرهم فيما زعموه لله من الشركاء، وهم يعترفون أنها عبيد له، كما كانوا يقولون في تليياتهم في حجهم: «لييك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك». فقال تعالى منكرًا عليهم: إنكم لا ترضون أن تساوا وعبيدكم فيما رزقناكم، فكيف يرضى هو تعالى بمساواة عبيده له في الإلهية والتعظيم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الروم: 28]».

وقال ابن كثير رحمته الله (4/ 586): «وقال مجاهد في هذه الآية: هذا مثل الآلهة الباطلة. وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله، فهل منكم من أحد شارك مملوكه في زوجته وفي فراشه، فتعدلون بالله خلقه وعباده؟ فإن لم ترض لنفسك هذا، فالله أحق أن ينزهه منك».

وقوله: ﴿أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ أي: أنهم جعلوا الله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا، فجحدوا نعمته وأشركوا معه غيره.

وعن الحسن البصري قال: كتب عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، هذه الرسالة إلى أبي موسى الأشعري: واقنع برزقك من الدنيا، فإن الرحمن فضل بعض عباده على

بعض في الرزق، بل يبتلي به كلا فيبتلي من بسط له، كيف شكره الله وأداؤه الحق الذي افترض عليه فيما رزقه وخوله؟ رواه ابن أبي حاتم.

قال الشنقيطي [في «أضواء البيان» (3/40)]: «أظهر التفسيرات في هذه الآية الكريمة: أن الله ضرب فيها مثلاً للكفار، بأنه فضل بعض الناس على بعض في الرزق، ومن ذلك تفضيله المالكين على المملوكين في الرزق، وأن المالكين لا يرضون لأنفسهم ان يكون المملوكون شركاءهم فيما رزقهم الله من الأموال والنساء وجميع نعم الله. ومع هذا يجعلون الأصنام شركاء لله في المملوكون شركاءهم فيما رزقهم الله من الأموال والنساء وجميع نعم الله. ومع هذا يجعلون الأصنام شركاء لله في حقه على خلقه، الذي هو إخلاص العبادة له وحده، اي إذا كنتم لا ترضون بإشراك عبيدكم معكم في أموالكم ونسائكم فكيف تشركون معي في سلطاني؟!»

ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الروم: 28] الآية. ويؤيده أن «ما» في وقوله: ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ نافية. أي ليسوا برادي رزقهم عليهم حتى يسووهم مع أنفسهم» اهـ.

فإذا كانوا يكرهون هذا لأنفسهم، فكيف يشركون الأوثان مع الله في عبادته! مع اعترافهم بأنها ملكه، كما كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك.

وهذا الآية الكريمة نص صريح في إبطال مذهب الاشتراكية القائل: بأنه لا يكون أحد أفضل من أحد في الرزق، والله في تفضيل بعضهم على بعض في الرزق حكمة. قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: 32] الآية، وقال: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: 26]، وقال: ﴿عَلَى الْمَوْسَى قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ﴾ [البقرة: 236] إلى غير ذلك من الآيات.

وفي معنى هذا الآية الكريمة قولان آخران:

أحدهما: أن معناها أنه جعلكم متفاوتين في الرزق. فرزقكم أفضل مما رزق مما ليحكم وهو بشر مثلكم وإخوانكم. فكان ينبغي أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم، حتى تساووا في الملبس والمطعم. كما ثبت عن النبي ﷺ: أنه أمر مالكي العبيد «أن يطعموهم مما يطعمون، ويكسوهم مما يلبسون». وعلى هذا القول فقوله تعالى: ﴿فَمَا لَئِيكَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ ﴿لوم لهم، وتقريع على ذلك.

القول الثاني: أن معنى الآية أنه X هو رازق المالكين والمملوكين جميعاً. فهم في رزقه سواء، فلا يحسبن المالكون أنهم يريدون على مما ليكهم شيئاً من الرزق، فإنما ذلك رزق الله يجريه لهم على أيديهم. والقول الأول هو الأظهر وعليه جمهور العلماء، ويدل له القرآن كما بينا. والعلم عند الله تعالى.

وقال الشوكاني رحمه الله [في «فتح القدير» (4/241)]: «وقيل: معنى الآية: أن الله

سبحانه أعطى الموالي أفضل مما أعطى ممالئكم، بدليل قوله: ﴿فَمَا الَّذِينَ فَضَّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: فما الذين فضلهم الله بسعة الرزق على غيرهم برادي رزقهم الذي رزقهم الله إياه على ما ملكت أيانهم من الممالئ ﴿فَهُمْ﴾ أي: المالكون والممالئ ﴿فِيهِ﴾ أي: في الرزق ﴿سَوَاءٌ﴾ أي: لا يردونه عليهم بحيث يساؤونهم، فالفاء على هذا للدلالة على أن التساوي مترتب على التراد، أي: لا يردونه عليهم رداً مستتبعا للتساوي، وإنما يردون عليهم منه شيئاً يسيراً، وهذا مثل ضربه الله سبحانه بعبدة الأصنام، أي: إذا لم يكونوا عبيدكم معكم سواء، ولا ترضون بذلك، فكيف تجعلون عبيدي معي سواءاً.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَا

مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ

كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الروم: 28]

وهذا مثل عظيم لسخافة عقول المتعلقين بغير الله الذين يعبدون معه غيره، قال قتادة قوله: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ قال: مثل ضربه الله لمن عدل به شيئاً من خلقه، يقول: أكان أحدكم مشاركا مملوكه في فراشه وزوجته؟! فكذلكم الله لا يرضى أن يعدل به أحد من خلقه.

روى ابن جرير بسند صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ

أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ

سَوَاءٌ ﴿﴾ قال: هل تجد أحدا يجعل عبده هكذا في ماله، فكيف تعتمد أنت وأنت تشهد أنهم عبيدي وخالقي، وتجعل لهم نصيبا في عبادتي، كيف يكون هذا؟ قال: وهذا مثل ضربه الله لهم، وقرأ: ﴿كَذَلِكَ نَفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾



واختلف المفسرون في معنى تخافونهم كخيفتكم.

فعن ابن عباس أن يرثوكم كما يرث بعضهم بعضا؛ ولكن سنده فيه ضعف. وقيل: أي تخافون أن يقاسموكم الأموال، وهو مروى عن أبي مجلز وصوبه ابن جرير وبه قال ابن كثير.

قال ابن جرير الطبري (50 / 21): «يقول تعالى ذكره: مثل لكم أيها القوم ربكم مثلا من أنفسكم، ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يقول: من مماليتكم من شركاء، فيما رزقناكم من مال، فأنتم فيه سواء وهم. يقول: فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آهتكم التي تعبدونها لي شركاء في عبادتكم إياي، وأنتم وهم عبيدي ومماليكي، وأنا مالك جميعكم».

وقال القرطبي رحمته الله [في تفسيره (23 / 14)]: «فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ ثم قال: ﴿مَنْ شُرَكَاءَ﴾، ثم قال: ﴿مَنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ ف ﴿مَنْ﴾ الأولى للابتداء، كأنه قال: أخذ مثلا وانتزعه من أقرب شي منكم وهي أنفسكم. والثانية للتبعيض، والثالثة زائدة لتأكيد الاستفهام.

والآية نزلت في كفار قريش، كانوا يقولون في التلبية: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك، قاله سعيد بن جبير.

وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله للمشركين، والمعنى: هل يرضى أحدكم أن يكون مملوكه في ماله ونفسه مثله، فإذا لم ترضوا بهذا لأنفسكم فكيف جعلتم الله شركاء.

الثانية: قال بعض العلماء: هذه الآية أصل في الشركة بين المخلوقين لافتقار بعضهم إلى بعض ونفيها عن الله سبحانه، وذلك أنه لما قال Δ : ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ الآية، فيجب أن يقولوا: ليس عبيدنا شركاءنا فيما رزقتنا! فيقال لهم: فكيف يتصور أن تنزهوا نفوسكم عن مشاركة عبيدكم وتجعلوا عبيدي شركائي في خلقي، فهذا حكم فاسد وقلة نظر وعمى قلب!

فإذا بطلت الشركة بين العبيد وساداتهم فيما يملكه السادة والخلق كلهم عبيد لله تعالى فيبطل أن يكون شي من العالم شريكا لله تعالى في شي من أفعاله، فلم يبق إلا أنه واحد يستحيل أن يكون له شريك، إذ الشركة تقتضي المعاونة، ونحن مفتقرون إلى معاونة بعضنا بعضا بالمال والعمل، والقديم الأزلي منزه عن ذلك Δ . وهذه المسألة أفضل للطالب من حفظ ديوان كامل في الفقه، لأن جميع العبادات البدنية لا تصح إلا بتصحيح هذه المسألة في القلب، فافهم ذلك» انتهى كلامه رحمته الله .

قال ابن القيم رحمته الله [كما في «شرح الأمثال» (ص 20)]: «قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ

لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ وهذا دليل قياسي احتج الله سبحانه به على المشركين حيث جعلوا له من عبيده وملكه شركاء فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها من نفوسهم ولا يحتاجون فيها إلى غيرهم.

ومن أبلغ الحجاج أن يأخذ الإنسان من نفسه ويحتج عليه بما هو في نفسه مقرر عندهم معلوم لها، فقال: ﴿هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ عبيدكم وإمائكم﴾ ﴿شُرَكَاءَ﴾ في المال والأهل، أي هل يشاركم عبيدكم في أموالكم وأهلكم فأنتم وهم في ذلك سواء تخافون أن يقاسموكم أموالكم ويشاطروكم إياها، ويستأثرون ببعضها عليكم كما يخاف الشريك شريكه.

وقال ابن عباس: «تخافون أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا»، والمعنى هل يرضى أحد منكم أن يكون عبده شريكه في ماله وأهله حتى يساويه في التصرف في ذلك فهو يخاف أن ينفرد في ماله بأمر يتصرف فيه كما يخاف غيره من الشركاء والأحرار، فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم فلم عدلتم بي من خلقي من هو مملوك لي فإن كان هذا الحكم باطلا في فطركم وعقولكم مع أنه جائز عليكم ممكن في حقكم إذ ليس عبيدكم ملكا لكم حقيقة وإنما هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم وأنتم وهم عبادي؛ فكيف تستجيزون مثل هذا الحكم في حقي مع أن من جعلتموهم لي شركاء عبيدي وملكي وخالقي فهكذا يكون تفصيل الآيات لأولي العقول».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِمَّا رَزَقْنَا حَسَنًا فَيُهِنُّ قَلْبَهُ مِنَ السِّرِّ وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِيَنَّ اللَّهُ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل].

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (260/17): «يقول تعالى ذكره: وشبهه لكم شبها أيها الناس للكافر من عبده، والمؤمن به منهم. فأما مثل الكافر: فإنه لا يعمل بطاعة الله، ولا يأتي خيرا، ولا ينفق في شيء من سبيل الله ماله لغلبة خذلان الله عليه، كالعبد المملوك، الذي لا يقدر على شيء فينفقه. وأما المؤمن بالله فإنه يعمل بطاعة الله، وينفق في سبيله ماله كالحر الذي آتاه الله مالا ﴿فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾، يقول: بعلم من الناس وغير علم.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَنَّ اللَّهُ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول هل يستوي العبد الذي لا يملك شيئا ولا يقدر عليه، وهذا الحر الذي قد رزقه الله رزقا حسنا فهو ينفق كما وصف، فكذلك لا يستوي الكافر العامل بمعاصي الله المخالف أمره، والمؤمن العامل بطاعته.

قال ابن القيم رحمته الله [كما في «شرح الأمثال» (ص 21)]: «قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِمَّا رَزَقْنَا حَسَنًا فَيُهِنُّ قَلْبَهُ مِنَ السِّرِّ وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِيَنَّ اللَّهُ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾. قال ابن عباس: «وهو مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر»، ومثل المؤمن في الخير الذي عنده ثم

رزقه منه رزقا حسنا فهو ينفق منه على نفسه وعلى غيره سرا وجهرا والكفار بمنزلة عبد مملوك عاجز لا يقدر على شيء لأنه لا خير عنده فهل يستوي الرجلان عند أحد من العقلاء؟

والقول الأول أشبه بالمراد، فإنه أظهر في بطلان الشرك وأوضح عند المخاطب وأعظم في إقامة الحجة وأقرب نسبا بقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٧٣) فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ [النحل].

ثم قال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ﴾ ومن لوازم هذا المثل وأحكامه: أن يكون المؤمن الموحد كمن رزقه منه رزقا حسنا والكافر المشرك كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، فهذا مما نبه عليه المثل وأرشد إليه، فذكره ابن عباس منبها على إرادته لأن الآية اختصت به فتأمله فإنك تجده كثيرا في كلام ابن عباس وغيره من السلف في فهم القرآن، فيظن الظان أن ذلك معنى الآية التي لا معنى لها غيره فيحكيه قوله.

فصل: وأما المثل الثاني: فهو مثل ضربه الله سبحانه لنفسه ولما يعبدون من دونه أيضا، فالصنم الذي يعبدون من دونه بمنزلة رجل أبكم لا يعقل ولا ينطق بل هو أبكم القلب واللسان قد عدم النطق القلبي واللساني ومع هذا فهو عاجز لا يقدر على شيء البتة، ومع هذا فأينما أرسلته لا يأتيك بخير ولا يقضي لك حاجة؛ والله سبحانه حي قادر متكلم ﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٧٦) وهذا وصف له بغاية الكمال والحمد، فإن أمره بالعدل وهو الحق يتضمن أنه سبحانه

عالم به معلم له راض به أمر لعباده به محب لأهله لا يأمر بسواه، بل ينزه عن ضده الذي هو الجور والظلم والسفه والباطل، بل أمره وشرعه عدل كله، وأهل العدل هم أولياؤه وأحباؤه وهم المجاوروه فيه عن يمينه على منابر من نور.

وأمره بالعدل يتناول الأمر الشرعي الديني والأمر القدري الكوني وكلاهما عدل لا جور فيه بوجه ما كما في الحديث الصحيح: «اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك»؛ فقضاؤه هو أمره الكوني: فإنما أمره إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون فلا يأمر إلا بحق وعدل، وقضاؤه وقدره القائم به حق وعدل وإن كان في المقضي المقدر ما هو جور وظلم فإن القضاء غير المقضي والقدر غير المقدر.

ثم أخبر سبحانه أنه ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وهذا نظير قول شعيب O: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود]، فقوله: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيهَا﴾ نظير قوله: «ناصيتي بيدك»، وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ نظير قوله: «عدل في قضاؤك» فالأول ملكه والثاني حمده، فهو على حق في أقواله وأفعاله فلا يقضي على العبد ما يكون ظلماً له به ولا يأخذه بغير ذنبه وينقصه من حسناته شيئاً، ولا يحمل عليه من سيئات غير التي لم يعملها ولم يتسبب إليها شيئاً ولا يؤاخذ أحداً بذنب غيره ولا يفعل قط ما لا يحمد عليه ويثنى به عليه ويكون له فيه العواقب الحميدة والغايات المطلوبة فإن كونه على صراط مستقيم يأبى ذلك كله.

قال محمد بن جرير الطبري: «وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يقول إن ربي

على طريق الحق يجازي المحسن من خلقه بإحسانه والمسيء بإساءته لا يظلم أحدا منهم شيئا ولا يقبل منهم إلا الإسلام والإيمان. ثم حكى عن مجاهد من طريق شبل عن ابن أبي نجيح عنه: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال: الحق وكذلك رواه ابن جريج عنه وقالت فرقة: هي مثل قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَادِ﴾ [الفجر]، وهذا اختلاف عبارة فإن كونه بالمرصاد هو مجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وقالت فرقة: في الكلام حذف تقديره: إن ربي يحثكم على صراط مستقيم ويحضكم عليه، وهؤلاء إن أرادوا أن هذا معنى الآية التي أريد بها فليس كما زعموا ولا دليل على هذا المقدر.

وقد فرق سبحانه بين كونه أمرا بالعدل وبين كونه على صراط مستقيم وإن أرادوا أن حثه على الصراط المستقيم من جملة على صراط مستقيم فقد أصابوا، وقالت فرقة أخرى معنى كونه على صراط مستقيم أن مرد العباد والأمور كلها إلى الله لا يفوته شيء منها، وهؤلاء إن أرادوا أن هذا معنى الآية فليس كذلك وإن أرادوا أن هذا من لوازم كونه على صراط مستقيم ومن مقتضاه وموجبه فهو حق، وقالت فرقة أخرى: معناه كل شيء تحت قدرته وقهره وفي ملكه وقبضته وهذا وإن كان حقا فليس هو معنى الآية وقد فرق شعيب O بين قوله: ﴿مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ وبين قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فهما معنيان مستقلان فالقول قول مجاهد وهو قول أئمة التفسير ولا تحتمل العربية غيره إلا على استكراه، قال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز:

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم

وقد قال تعالى: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣٩) [الأنعام]، وإذا كان الله تعالى هو الذي جعل رسله عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم على الصراط المستقيم في أقوالهم وأفعالهم فهو سبحانه أحق أن يكون على صراط مستقيم في قوله وفعله وإن كان صراط الرسل وأتباعهم هو موافقة أمره فصراطه الذي هو سبحانه عليه هو ما يقتضيه حمده وكماله ومجده من قول الحق وفعله وبالله التوفيق».

قال ابن كثير رحمته الله (4/ 588): «يقول تعالى إخباراً عن المشركين الذين عبدوا معه غيره، مع أنه هو المنعم المتفضل الخالق الرازق وحده لا شريك له، ومع هذا يعبدون من دونه من الأصنام والأنداد والأوثان ﴿مَا لَكُمْ لَهْمٌ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا﴾ أي: لا يقدر على إنزال مطر ولا إنبات زرع ولا شجر، ولا يملكون ذلك، أي: ليس لهم ذلك ولا يقدر على لو أرادوه، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ أي: لا تجعلوا له أنداداً وأشباها وأمثالاً ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أنه يعلم ويشهد أنه لا إله إلا الله وأنتم بجهلكم تشركون به غيره.

وقوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

قال العوفي، عن ابن عباس: هذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن: وكذا قال قتادة، واختاره ابن جرير.

والعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء مثل الكافر والمرزوق الرزق الحسن، فهو ينفق منه سرا وجهرا، هو المؤمن.

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: هو مثل مضروب للوثن وللحق تعالى، فهل يستوي هذا وهذا؟

ولما كان الفرق ما بينها وبيننا واضحا ظاهرا لا يجمله إلا كل غبي، قال [الله] تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥)، [ثم قال الله تعالى] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٧٦).

قال مجاهد: وهذا أيضا المراد به الوثن والحق تعالى، يعني: أن الوثن أبكم لا يتكلم ولا ينطق بخير ولا بشيء، ولا يقدر على شيء بالكلية، فلا مقال، ولا فعال، وهو مع هذا ﴿كَلٌّ﴾ أي: عيال وكلفة على مولاه، ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُ﴾ أي: يبعثه ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ ولا ينجح مسعاه ﴿هَلْ يَسْتَوِي﴾ من هذه صفاته، ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ أي: بالقسط، فقاله حق وفعاله مستقيمة ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وبهذا قال السدي، وقتادة وعطاء الخراساني. واختار هذا القول ابن جرير.

قال الشوكاني رحمه الله [في «فتح القدير» (4/245)]: «قوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ لما

قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ أي: بالمعلومات التي من جملتها كيف يضرب الأمثال، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْمُونَ﴾ (٧٤). علمهم سبحانه كيف تضرب الأمثال، فقال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ أي: ذكر شيئاً يستدلُّ به على تباين الحال بين جناب الخالق سبحانه، وبين ما جعلوه شريكاً له من الأصنام.

ثم ذكر ذلك فقال: ﴿عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ والمثل في الحقيقة هي حالة للعبد عارضة له، وهي المملوكية والعجز عن التصرف، فقوله: ﴿عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ تفسير للمثل وبدل منه، ووصفه بكونه مملوكاً؛ لأن العبد والحرّ مشتركان في كون كل واحد منهما عبد الله سبحانه. ووصفه بكونه لا يقدر على شيء؛ لأن المكاتب والمأذون يقدران على بعض التصرفات. فهذا الوصف لتمييزه عنهما ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ﴾، «من» هي الموصولة، وهي معطوفة على ﴿عَبْدًا﴾ أي: والذي رزقناه ﴿مِنَّا﴾ أي: من جهتنا ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ من الأحرار الذين يملكون الأموال ويتصرفون بها كيف شاءوا، والمراد بكون الرزق حسناً: أنه مما يحسن في عيون الناس، لكونه رزقاً كثيراً مشتملاً على أشياء مستحسنة نفيسة تروق الناظرين إليها. والفاء في قوله: ﴿فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ﴾ لترتيب الإنفاق على الرزق، أي: ينفق منه في وجوه الخير ويصرف منه إلى أنواع البرّ والمعروف، وانتصاب ﴿سِرًّا وَجَهْرًا﴾ على الحال، أي: ينفق منه في حال السرّ وحال الجهر.

والمراد: بيان عموم الإنفاق للأوقات، وتقديم السرّ على الجهر مشعر بفضيلته عليه، وأن الثواب فيه أكثر. وقيل: إن «من» في ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ﴾ موصوفة، كأنه

قيل: وحرّاً رزقناه، ليطابق عبداً.

﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ أي: الحرّ والعبد الموصوفان بالصفات المتقدّمة، وجمع الضمير لمكان من، لأنه اسم مبهم يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث. وقيل: إنه أريد بالعبد والموصول الذي هو عبارة عن الحرّ الجنس؛ أي من اتصف بتلك الأوصاف من الجنسين، والاستفهام للإنكار، أي: هل يستوي العبيد والأحرار الموصوفون بتلك الصفات مع كون كلا الفريقين مخلوقين لله سبحانه من جملة البشر، ومن المعلوم أنهم لا يستوون عندهم، فكيف يجعلون لله سبحانه شركاء لا يملكون لهم ضرراً ولا نفعاً، ويجعلونهم مستحقين للعبادة مع الله سبحانه؟

وحاصل المعنى: أنه كما لا يستوي عندكم عبد مملوك لا يقدر من أمره على شيء ورجل حرّ قد رزقه الله رزقاً حسناً، فهو ينفق منه، كذلك لا يستوي الربّ الخالق الرازق، والجمادات من الأصنام التي تعبدونها، وهي لا تبصر ولا تسمع ولا تضرّ ولا تنفع. وقيل: المراد بالعبد المملوك في الآية: هو الكافر المحروم من طاعة الله وعبوديته، والآخر: هو المؤمن. والغرض: أنهما لا يستويان في الرتبة والشرف، وقيل: العبد: هو الصنم.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أََعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ

أَسْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ

الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ [إبراهيم].

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (552/16): «قال أبو جعفر: اختلف أهل

العربية في رافع ﴿مَثَلُ﴾.

فقال بعض نحويي البصرة: إنما هو كأنه قال: ومما نقص عليكم مثل الذين

كفروا، ثم أقبل يفسر، كما قال: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ [الرعد: 35]، وهذا كثير.

وقال بعض نحويي الكوفيين: إنما المثل للأعمال، ولكن العرب تقدم الأسماء،

لأنها أعراف، ثم تأتي بالخبر الذي تخبر عنه مع صاحبه. ومعنى الكلام: مثل أعمال

الذين كفروا بربهم كرماد، كما قيل: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ

وَجُوهَهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: 60]، ومعنى الكلام: ويوم القيامة ترى وجوه الذين

كذبوا على الله مسودة. قال: ولو خفض «الأعمال» جاز، كما قال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ

الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ الآية [البقرة: 217]، وقوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ

الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الرعد: 35].

قال ابن كثير رحمته الله (486/4): «هذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفار

الذين عبدوا مع الله غيره، وكذبوا رسله، وبنوا أعمالهم على غير أساس صحيح؛

فانهارت وعدموها أحوج ما كانوا إليها، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا

بِرَبِّهِمْ أََعْمَالُهُمْ﴾ أي: مثل أعمال الذين كفروا يوم القيامة إذا طلبوا ثوابها من الله

تعالى؛ لأنهم كانوا يحسبون أنهم على شيء، فلم يجدوا شيئاً، ولا ألفوا حاصلًا إلا كما يتحصّل من الرماد إذا اشتدت به الريح العاصفة.

﴿ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ أي: ذي ريح عاصفة قوية، فلا [يقدرّون على شيء من أعمالهم التي كسبوها في الدنيا إلا كما] يقدرّون على جمع هذا الرماد في هذا اليوم، كما قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان: 23]، وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ ﴾ [آل عمران: 117]، وقال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: 264].

وقال في هذه الآية: ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَلُ الْبَعِيدُ ﴾ أي: سعيهم وعملهم على غير أساس ولا استقامة حتى فقدوا ثوابهم أحوج ما هم إليه، ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَلُ الْبَعِيدُ ﴾.

قال ابن القيم رحمه الله [كما في «شرح الأمثال» (ص 34)]: «قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ ۖ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَلُ الْبَعِيدُ ﴾» فشبّه تعالى أعمال الكفار في بطلانها وعدم الانتفاع بها برماد مرت عليه ريح شديدة في يوم عاصف، فشبّه سبحانه أعمالهم في حيوطها وذهابها باطلا كالهباء المنثور لكونها على غير أساس

من الإيمان والإحسان وكونها لغير الله Δ وعلى غير أمره برماد طيرته الريح العاصف فلا يقدر صاحبه على شيء منه وقت شدة حاجته إليه، فلذلك: ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾: لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شيء فلا يرون لها أثرا من ثواب ولا فائدة نافعة، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه موافقا لشرعه، والأعمال أربعة فواحد مقبول وثلاثة مردودة، فالمقبول: الخالص الصواب، فالخالص أن يكون لله لا لغيره، والصواب أن يكون مما شرعه على لسان رسوله ﷺ، والثلاثة مردودة: ما خالف ذلك.

وفي تشبيهها بالرماد سر بديع وذلك للتشابه الذي بين أعمالهم وبين الرماد في التي هي خالصة لوجهه من أعمالهم نعيما وروحا فأثرت النار في أعمال أولئك حتى جعلتها رمادا فهم وما يعبدون من دون الله وقود النار».

وقال السعدي رحمته الله (1/ 424): «يخبر تعالى عن أعمال الكفار التي عملوها: إما أن المراد بها الأعمال التي عملوها لله، بأنها في ذهابها وبطلانها واضمحلالها كاضمحلال الرماد، الذي هو أدق الأشياء وأخفها، إذا اشتدت به الريح في يوم عاصف شديد الهبوب، فإنه لا يبقى منه شيئا، ولا يقدر منه على شيء يذهب ويضمحل، فكذلك أعمال الكفار ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ ولا على مثقال ذرة منه لأنه مبني على الكفر والتكذيب.

﴿ذَلِكَ هُوَ الصَّلَاةُ الْبَعِيدُ﴾ حيث بطل سعيهم واضمححل عملهم، وإما أن المراد بذلك أعمال الكفار التي عملوها ليكيدوا بها الحق، فإنهم يسعون ويكدحون في ذلك ومكرهم عائد عليهم ولن يضروا الله ورسوله وجنده وما معهم من الحق

شيئا».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُمُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلْمَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمْتُمْ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رِثْمًا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ

[النور] ﴿٤٠﴾

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (195 / 19): «وهذا مثل ضرب به الله لأعمال أهل الكفر به، فقال: والذين جحدوا توحيد ربهم وكذبوا بهذا القرآن، وبمن جاء به مثل أعمالهم التي عملوها ﴿كسراب﴾ يقول: مثل سراب، والسراب ما لصق بالأرض، وذلك يكون نصف النهار، وحين يشتد الحرّ والآل، ما كان كالماء بين السماء والأرض، وذلك يكون أول النهار، يرفع كل شيء ضحى.

وقوله: ﴿بِقِيعَةٍ﴾ وهي جمع قاع، كالجيرة جمع جار، والقاع: ما انبسط من الأرض واتسع، وفيه يكون السراب. وقوله: ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ يقول: يظن العطشان من الناس السراب ماء ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ﴾ والهاء من ذكر السراب، والمعنى: حتى إذا جاء الظمآن السراب ملتصقا ماء، يستغيث به من عطشه ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ يقول: لم يجد السراب شيئا، فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التي عملوها في غرور، يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه، كما حسب الظمآن الذي رأى السراب فظنه ماء يرويه من ظمئه، حتى إذا هلك وصار إلى الحاجة إلى

عمله الذي كان يرى أنه نافع عند الله، لم يجده ينفعه شيئاً؛ لأنه كان عمله على كفر بالله، ووجد الله، هذا الكافر عند هلاكه بالمرصاد، فوفاه يوم القيامة حساب أعماله التي عملها في الدنيا، وجازاه بها جزاءه الذي يستحقه عليه منه.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ فإن لم يكن السراب شيئاً، فعلام أدخلت الهاء في قوله: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَهُ﴾؟ قيل: إنه شيء يرى من بعيد كالضباب، الذي يرى كثيفا من بعيد، والهباء، فإذا قرب منه المرء، رقق وصار كالهواء. وقد يحتمل أن يكون معناه حتى إذا جاء موضع السراب؛ لم يجد السراب شيئاً، فاكتمى بذكر السراب من ذكر موضعه.

﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يقول: والله سريع حسابه؛ لأنه تعالى ذكره لا يحتاج إلى عقد أصابع، ولا حفظ بقلب، ولكنه عالم بذلك كله قبل أن يعمل العبد، ومن بعد ما عمله.

قال ابن القيم رحمته الله [كما في «شرح الأمثال» (ص 15)]: «قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٣٩) أَوْ كَظُلْمَةٍ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدَهُ لَمْ يَكْدِرْنَهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ (٤٠) ذكر سبحانه للكافرين مثلين: مثلا بالسراب ومثلا بالظلمات المتركمة، وذلك لأن المعرضين عن الهدى والحق نوعان:

أحدهما: من يظن أنه على شيء فيتبين له عند انكشاف الحقائق خلاف ما كان يظنه، وهذه حال أهل الجهل وأهل البدع والأهواء الذين يظنون أنهم على هدى

وعلم، فإذا انكشفت الحقائق تبين لهم أنهم لم يكونوا على شيء وأن عقائدهم وأعمالهم التي ترتبت عليها كانت كسراب يرى في أعين الناظرين ماء ولا حقيقة له؛ وهكذا الأعمال التي لغير الله Δ وعلى غير أمره يحسبها العامل نافعة له وليست كذلك.

وهذه هي الأعمال التي قال الله Δ فيها: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان]، وتأمل جعل الله سبحانه السراب بالقيعة: وهي الأرض الخالية القفر من البناء والشجر والنبات والعالم فمحل السراب أرض قفر لا شيء بها والسراب لا حقيقة له، وذلك مطابق لأعمالهم وقلوبهم التي أقفرت من الإيمان والهدى.

وتأمل ما تحت قوله: ﴿ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ﴾ و ﴿ الظَّمْآنُ ﴾ الذي اشتد عطشه فرأى السراب فظنه ماء فتبعه فلم يجده شيئاً بل خانه أحوج ما كان إليه فكذلك هؤلاء لما كانت أعمالهم على غير طاعة الرسل عليهم الصلاة والسلام ولغير الله جعلت كالسراب، فرفعت لهم أظماً ما كانوا إليها فلم يجدوا شيئاً ووجدوا الله سبحانه ثم فجازاهم بأعمالهم ووفاهم حسابهم.

وفي الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث التجلي يوم القيامة: «ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها السراب فيقال لليهود: وما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد عزيراً ابن الله فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا. فيقال: اشربوا فيتساقطون في جهنم ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله. فيقال:

كذبتهم ما كان لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ فيقولون: أن تسقينا. فيقال لهم: اشربوا فيتساقطون» وذكر الحديث.

وهذه حال كل صاحب باطل فإنه يخونه باطله أحوج ما كان إليه، فإن الباطل لا حقيقة له وهو كاسمه باطل، فإذا كان الاعتقاد غير مطابق ولا حق كان متعلقه باطلًا، وكذلك إذا كانت غاية العمل باطلة كالعمل لغير الله Δ أو على غير أمره بطل العمل ببطلان غايته وتضرر عامله ببطلانه وبحصول ضد ما كان يؤمله فلم يذهب عليه عمله واعتقاده لا له ولا عليه بل صار معذبا بفوات نفعه وبحصول ضد النفع، فلهذا قال تعالى: ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابًا ۖ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فهذا مثل الضال الذي يحسب أنه على هدى.

فصل: النوع الثاني أصحاب مثل الظلمات المتراكمة: وهم الذين عرفوا الحق والهدى وآثروا عليه ظلمات الباطل والضلال فتراكمت عليه ظلمة الطبع وظلمة النفوس وظلمة الجهل حيث لم يعلموا بعلمهم فصاروا جاهلين، وظلمة اتباع الغي والهوى فحالم كحال من كان في بحر لحي لا ساحل له وقد غشيه موج ومن فوق ذلك الموج موج ومن فوقه سحب مظلم فهو في ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة السحاب؛ وهذا نظير ما هو فيه من الظلمات التي لم يخرجها الله منها إلى نور الإيمان.

وهذان المثالان: بالسراب الذي ظنه مادة الحياة وهو الماء، والظلمات المضادة للنور، نظير المثليين اللذين ضربهما للمنافقين والمؤمنين وهما: المثل المائي، والمثل الناري، وجعل حظ المؤمنين منها الحياة والإشراق وحظ المنافقين منها الظلمة

المضادة للنور والموت المضاد للحياة، فكذلك الكفار في هذين المثلين حظهم من الماء السراب الذي يغرر الناظر فيه ولا حقيقة له وحظهم الظلمات المتراكمة؛ وهذا يجوز أن يكون المراد به حال كل طائفة من طوائف الكفار، وأنهم عدموا مادة الحياة والإضاءة بإعراضهم عن الوحي، فيكون المثالن صفتين لموصوف واحد.

ويجوز أن يكون المراد به تنوع أحوال الكفار وأن أصحاب المثل الأول هم الذين عملوا على غير علم ولا بصيرة بل على جهل وحسن ظن بالأسلاف فكانوا يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وأصحاب المثل الثاني هم الذين استحبوا الضلالة على الهدى وآثروا الباطل على الحق وعموا عنه بعد إذ أبصروه وجحدوه بعد أن عرفوه فهذا حال المغضوب عليهم والأول حال الضالين؛ وحال الطائفتين مخالف لحال المنعم عليهم المذكورين في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور].

فتضمنت الآيات أوصاف الفرق الثلاثة المنعم عليهم وهم أهل النور، والضالين وهم أصحاب السراب، والمغضوب عليهم وهم أهل الظلمات المتراكمة، والله أعلم.

فالمثل الأول من المثلين لأصحاب العمل الباطل الذي لا ينفع، فأولئك أصحاب العمل الباطل وهؤلاء أصحاب العمل الذي لا ينفع والاعتقادات الباطلة وكلاهما مضاد للهدى ودين الحق، ولهذا مثل حال الفريق الثاني في تلاطم

أمواج الشكوك والشبهات والعلوم الفاسدة في قلوبهم بتلاطم أمواج البحر فيه وأنها أمواج متراكمة من فوقها سحب مظلم.

وهكذا أمواج الشكوك والشبه في قلوبهم المظلمة التي قد تراكمت عليها سحب الغي والهوى والباطل فليتدبر اللبيب أحوال الفريقين وليطابق بينهما وبين المثليين يعرف عظمة القرآن وجلاله وأنه تنزيل من حكيم حميد.

وأخبر سبحانه أن الموجب لذلك أنه لم يجعل لهم نورا بل تركهم على الظلمة التي خلقوا فيها، فلم يخرجهم منها إلى النور فإنه سبحانه ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور.

وفي المسند من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله خلق خلقه في ظلمة وألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل».

فلذلك أقول جف القلم على علم الله، فالله سبحانه خلق الخلق في ظلمة فمن أراد هدايته جعل له نورا وجوديا يحيى به قلبه وروحه كما يحيى بدنه بالروح التي ينفخها فيه، فهي حياتان حياة البدن بالروح وحياة الروح والقلب بالنور، ولهذا سمى الله الوحي روحا لتوقف الحياة الحقيقية عليه كما قال تعالى: ﴿يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [النحل: 2]، وقال: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [غافر: 15]، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: 52]، فجعل وحيه روحا ونورا فمن لم يحيه بهذا الروح فهو ميت ومن لم يجعل له نورا

منه فهو في الظلمات ماله من نور».

قال ابن كثير رحمه الله (6 / 70): «هذان مثلان ضربهما الله تعالى لنوعي الكفار، كما ضرب للمنافقين في أول «البقرة» مثلين نارياً ومائياً، وكما ضرب لما يقر في القلوب من الهدى والعلم في سورة «الرعد» مثلين مائياً ونارياً، وقد تكلمنا على كل منها في موضعه بما أغنى عن إعادته، والله الحمد والمنة.

والقيعة: جمع قاع، كجار وجيرة. والقاع أيضاً: واحد القيعان، كما يقال: جار وجيران. وهي: الأرض المستوية المتسعة المنبسطة، وفيه يكون السراب، وإنما يكون ذلك بعد نصف النهار. وأما الآل فإنها يكون أول النهار، يرى كأنه ماء بين السماء والأرض، فإذا رأى السراب من هو محتاج إلى الماء، حسبه ماءً فقصده ليشرب منه، فلما انتهى إليه ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾، فكذلك الكافر يحسب أنه قد عمل عملاً وأنه قد حصل شيئاً، فإذا وافى الله يوم القيامة وحاسبه عليها، ونوقش على أفعاله، لم يجد له شيئاً بالكلية قد قبل، إما لعدم الإخلاص، وإما لعدم سلوك الشرع، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: 23].

وقال هاهنا: ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ وهذا المثل مثال لذوي الجهل المركب. فأما أصحاب الجهل البسيط، وهم الطماطم الأغشام المقلدون لأئمة الكفر، الصم البكم الذين لا يعقلون، فمثلهم كما قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾: قال قتادة: وهو العميق. ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ ۖ مَوْجٌ مِّنْ

فَوْقَهُ سَحَابٌ ظَلَمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِرْهَا ﴿﴾ أي: لم يقارب رؤيتها من شدة الظلام، فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذي لا يدري أين يذهب، ولا [هو] يعرف حال من يقوده، بل كما يقال في المثل للجاهل: أين تذهب؟ قال: معهم. قيل: فإلى أين يذهبون؟ قال: لا أدري».

قال السعدي رحمته الله (1/ 569): «هذان مثلان، ضربهما الله لأعمال الكفار في بطلانها وذهابها سدى وتحسر عامليها منها فقال: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ببرهم وكذبوا رسله ﴿ أَعْمَلْتُمْ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ ﴾ أي: بقاع، لا شجر فيه ولا نبت.

﴿ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ﴾ شديد العطش، الذي يتوهم ما لا يتوهم غيره، بسبب ما معه من العطش، وهذا حسبان باطل، فيقصد له ليزيل ظمأه، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ فندم ندما شديداً، وازداد ما به من الظمأ، بسبب انقطاع رجائه، كذلك أعمال الكفار، بمنزلة السراب، ترى ويظنها الجاهل الذي لا يدري الأمور، أعمالاً نافعة، فيغيره صورتها، ويخلبه خيالها، ويحسبها هو أيضاً أعمالاً نافعة لهواه، وهو أيضاً محتاج إليها بل مضطر إليها، كاحتياج الظمآن للماء، حتى إذ قدم على أعماله يوم الجزاء، وجدها ضائعة، ولم يجدها شيئاً، والحال إنه لم يذهب، لاله ولا عليه، بل ﴿ وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابًا ﴾ لم يخف عليه من عمله نكير ولا قطمير، ولن يعدم منه قليلاً ولا كثيراً، ﴿ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ فلا يستبطئ الجاهلون ذلك الوعد، فإنه لا بد من إتيانه، ومثلها الله بالسراب الذي بقية، أي: لا شجر فيه ولا نبات، وهذا مثال لقلوبهم، لا خير فيها ولا بر، فتزكو فيها الأعمال وذلك للسبب المانع، وهو الكفر.

والمثل الثاني، لبطلان أعمال الكفار ﴿كَظَلَمْتِ فِي بَحْرٍ لِيَجِيَّ﴾ بعيد قعره، طويل مداه ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، سَحَابٌ ظَلَمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظلمة البحر اللجج، ثم فوقه ظلمة الأمواج المتركمة، ثم فوق ذلك، ظلمة السحب المدهمة، ثم فوق ذلك ظلمة الليل البهيم، فاشتدت الظلمة جدا، بحيث أن الكائن في تلك الحال ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْفُؤَهُ لَمْ يَكَدْ يَرِنُّهَا﴾ مع قربها إليه، فكيف بغيرها، كذلك الكفار، تراكت على قلوبهم الظلمات، ظلمة الطبيعة، التي لا خير فيها، وفوقها ظلمة الكفر، وفوق ذلك، ظلمة الجهل، وفوق ذلك، ظلمة الأعمال الصادرة عما ذكر، فبقوا في الظلمة متحيرين، وفي غمرتهم يعمهون، وعن الصراط المستقيم مدبرين، وفي طرق الغي والضلال يترددون، وهذا لأن الله تعالى خذلمهم، فلم يعطهم من نوره، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ لأن نفسه ظالمة جاهلة، فليس فيها من الخير والنور، إلا ما أعطها مولاها، ومنحها رها. يحتمل أن هذين المثالين، لأعمال جميع الكفار، كل منهما، منطبق عليها، وعددهما لتعدد الأوصاف، ويحتمل أن كل مثال، لطائفة وفرقة. فالأول، للمتبوعين، والثاني، للتابعين، والله أعلم.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ

كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ

كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿[العنكبوت: 41]

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ (ج 20 / ص 38): «يقول تعالى ذكره: مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم إليها في

ضعف احتيالهم، وقبح رواياتهم، وسوء اختيارهم لأنفسهم، ﴿كَمَثَلِ
 الْعَنْكَبُوتِ﴾ في ضعفها، وقلة احتيالها لنفسها، ﴿اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ لنفسها، كما
 يكنها، فلم يغن عنها شيئاً عند حاجتها إليه، فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن
 عنهم حين نزل بهم أمر الله، وحلّ بهم سخطه أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون
 الله شيئاً، ولم يدفعوا عنهم ما أحلّ الله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم.

قال ابن القيم رحمته الله [كما في «شرح الأمثال» (ص 13)]: «قوله تعالى: ﴿مَثَلُ
 الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾ فذكر سبحانه أنهم
 ضعفاء وأن الذين اتخذوهم أولياء أضعف منهم، فهم في ضعفهم وما قصدوه من
 اتخاذ الأولياء كالعنكبوت اتخذت بيتاً وهو أوهن البيوت وأضعفها، وتحت هذا
 المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حيث اتخذوا من دون الله أولياء فلم
 يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفاً كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
 ءَالِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾
 [مريم]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
 نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُخَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [يس].

وقال بعد أن ذكر هلاك الأمم المشركين: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
 فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُهُمْ غَيْرَ
 تَنْبِيهِ ﴿١٠١﴾﴾ [هود]، فهذه أربعة مواضع في القرآن تدل على أن من اتخذ من دون
 الله ولياً يتعزز به ويتكثر به ويستنصر به لم يحصل له به إلا ضد مقصوده، وفي
 القرآن أكثر من ذلك، وهذا من أحسن الأمثال وأدلها على بطلان الشرك وخسارة

صاحبه وحصوله على ضد مقصوده.

فإن قيل فهم يعلمون أن أوهن البيوت بيت العنكبوت فكيف نفى عنهم علم ذلك بقوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

فالجواب: أنه سبحانه لم ينف عنهم علمهم بوهن بيت العنكبوت، وإنما نفى عنهم علمهم بأن اتخاذهم أولياء من دونه كالعنكبوت اتخذت بيتا، فلو علموا ذلك لما فعلوه، ولكن ظنوا أن اتخاذهم الأولياء من دونه يفيدهم عزا وقوة فكان الأمر بخلاف ما ظنوا.

قال ابن كثير رحمته الله (ج 6 / ص 279): «هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، يرجون نصرهم ورزقهم، ويتمسكون بهم في الشدائد، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه فليس في أيدي هؤلاء من ألفتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت، فإنه لا يجدي عنه شيئا، فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء، وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله، وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع فإنه مستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، لقوتها وثباتها.

ثم قال تعالى متوعدا لمن عبد غيره وأشرك به: إنه تعالى يعلم ما هم عليه من الأعمال، ويعلم ما يشركون به من الأنداد، وسيجزئهم وصفهم إنه حكيم عليهم.

ثم قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾

أي: وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتصلعون منه.

قال الشوكاني في فتح القدير (ج 5 / ص 443): «قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يوالونهم، ويتكلمون عليهم في حاجاتهم من دون الله سواء كانوا من الجماد أو الحيوان، ومن الأحياء أو من الأموات ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ فَإِنَّ بَيْتَهَا لَا يَغْنِي عَنْهَا شَيْئًا لَا فِي حَرٍّ وَلَا قَرٍّ وَلَا مَطَرٍ، كَذَلِكَ مَا اتَّخَذُوهُ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُهُمْ بِوَجْهِ مَنْ وَجَّهَ النِّفْعَ، وَلَا يَغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا. قال الفراء: هو مثل ضربه الله لمن اتخذ من دونه آلهة لا تنفعه ولا تضرّه، كما أن بيت العنكبوت لا يقيها حرّاً، ولا برداً.

قال: ولا يحسن الوقف على العنكبوت؛ لأنه لما قصد بالتشبيه لبيتها الذي لا يقيها من شيء شبهت الآلهة التي لا تنفع ولا تضرّ به، وقد جوّز الوقف على العنكبوت الأخص، وغلطه ابن الأنباري قال: لأن اتخذت صلة للعنكبوت كأنه قال: كمثل العنكبوت التي ﴿اتَّخَذَتْ﴾ بيتاً، فلا يحسن الوقف على الصلة دون الموصول. والعنكبوت تقع على الواحد، والجمع والمذكر والمؤنث، وتجمع على عنكب وعنكبوتات، وهي: الدويبة الصغيرة التي تنسج نسجاً رقيقاً. وقد يقال لها: عكنبات، ومنه قول الشاعر:

كأنها يسقط من لغامها بيت عكنبات على زمامها

﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾ لا بيت أضعف منه مما يتخذه الهوام بيتاً، ولا يدانيه في الوهي والوهن شيء من ذلك ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أن اتخذهم الأولياء من دون الله كاتخاذ العنكبوت بيتاً، أو لو كانوا يعلمون شيئاً

من العلم لعلمو بهذا ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ما استفهامية، أو نافية، أو موصولة، ومن للتبعية أو مزيدة للتوكيد. وقيل: إن هذه الجملة على إضمار القول، أي قل للكافرين: إن الله يعلم أي شيء يدعون من دونه.

وحرّم أبو علي الفارسي بأنها استفهامية، وعلى تقدير النفي كأنه قيل: إن الله يعلم أنكم لا تدعون من دونه من شيء، يعني: ما تدعونه ليس بشيء، وعلى تقدير الموصولة: إن الله يعلم الذين تدعونهم من دونه، ويجوز أن تكون «ما» مصدرية، و﴿ مِنْ شَيْءٍ ﴾ عبارة عن المصدر. قرأ عاصم وأبو عمرو ويعقوب: «يدعون» بالتحية. واختار هذه القراءة أبو عبيد لذكر الأمم قبل هذه الآية. وقرأ الباقون بالفوقية على الخطاب ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ الغالب المصدر أفعاله على غاية الإحكام والإتقان.

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ﴾ أي هذا المثل، وغيره من الأمثال التي في القرآن نضربها للناس تنبيهاً لهم، وتقريباً لما بعد من أفهامهم ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا ﴾ أي يفهمها ويتعقل الأمر الذي ضربناها لأجله ﴿ إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ بالله الراسخون في العلم المتدبرون المتفكرون لما يتلى عليهم وما يشاهدونه.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٧) ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٢٨) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ [الزمر]

قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (7 / 96): «يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: بينا للناس فيه بضرب الأمثال، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، فإن المثل يقرب المعنى إلى الأذهان، كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [الروم: 28] أي: تعلمونه من أنفسكم، وقال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43].

وقوله: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أي: هو قرآن بلسان عربي مبين، لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس، بل هو بيان ووضوح وبرهان، وإنما جعله الله [Δ] كذلك، وأنزله بذلك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: يحذرون ما فيه من الوعيد، ويعملون بما فيه من الوعد.

ثم قال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾ أي: يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ أي: خالصا لرجل، لا يملكه أحد غيره، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ أي: لا يستوي هذا وهذا. كذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله، والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له. فأين هذا من هذا؟

قال ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد: هذه الآية ضربت مثلاً للمشرك والمخلص، ولما كان هذا المثل ظاهراً بيننا جلياً، قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: على إقامة الحجة عليهم، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: فلهذا يشركون بالله.

قال ابن القيم رحمه الله [كما في «شرح الأمثال» (ص 54)]: «هذا مثل ضرب به الله سبحانه للمشرك والموحد، فالمشرك بمنزلة عبد تملكه جماعة مشتركين في خدمته لا يمكنه رضاهم أجمعين، والموحد لما كان يعبد الله وحده فمثله كمثل عبد رجل واحد قد سلم له وعلم مقاصده وعرف الطريق إلى رضاه فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه بل هو سالم لمالكه من غير منازع فيه مع رافة مالكه به ورحمته له وشفقته عليه وإحسانه إليه وتوليته بمصالحه فهل يستوي هذان العبدان، وهذا منه أبلغ الأمثال فإن الخالص لمالك واحد مستحق من معونته وإحسانه والتفاته إليه وقيامه بمصالحه ما لا يستحقه صاحب الشركاء المتشاكسين، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾».

قال البغوي رحمه الله (ج 7/ ص 118): «قال الكسائي: نصب رجلاً لأنه تفسير للمثل، ﴿فِيهِ شُرَكَاءٌ مُتَشَكِّسُونَ﴾ متنازعون مختلفون سيئة أخلاقهم، يقال: رجل شكس شرس، إذا كان سيء الخلق، مخالفاً للناس، لا يرضى بالإنصاف، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ قرأ أهل مكة والبصرة: «سالماً» بالألف أي: خالصاً له لا شريك ولا منازع له فيه، وقرأ الآخرون: «سلماً» بفتح اللام من غير ألف، وهو الذي لا ينازع فيه من قولهم: هو لك سلم، أي: مسلم لا منازع لك فيه. ﴿هَلْ

يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴿٥٠﴾ هذا مثل ضربه الله ﷻ للكافر الذي يعبد آلهة شتى، والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد، وهذا استفهام إنكار أي: لا يستويان، ثم قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: لله الحمد كله دون غيره من المعبودين. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه والمراد بالأكثر الكل».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٤٩﴾ كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾

﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ [المدثر]

قال ابن القيم رحمته الله [كما في «شرح الأمثال» (ص 26)]: «قوله تعالى في تشبيهه من أعرض عن كلامه وتدبره: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٤٩﴾ كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴿٥١﴾ شبههم في إعراضهم ونفورهم عن القرآن بحمر رأت الأسد والرماة ففرت منه، وهذا من بدیع التمثيل فإن القوم من جهلهم بما بعث الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم كالحمر فهي لا تعقل شيئاً فإذا سمعت صوت الأسد أو الرامي نفرت منه أشد النفور وهذا غاية الدم لهؤلاء فإنهم نفروا عن الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم كنفور الحمر عما يهلكها ويعقرها.

وتحت المستنفرة معنى أبلغ من النافرة فإنها لشدة نفورها قد استنفر بعضها بعضاً وحضه على النفور فإن في الاستفعال من الطلب قدراً زائداً على الفعل المجرد فكأنها تواصلت بالنفور وتواطأت عليه، ومن قرأها بفتح الفاء فالمعنى: أن القسورة استنفرها وحملها على النفور بآسسه وشدته».

قال ابن كثير رحمته الله (ج 8 / ص 273): «ثم قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ

مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ ﴿٤٩﴾ أي: فما هؤلاء الكفرة الذين قبلك مما تدعوهم إليه وتذكرهم به معرضين، ﴿كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ أي: كأنهم في نفارهم عن الحق، وإعراضهم عنه حمر من حمر الوحش إذا فرت ممن يريد صيدها من أسد، قاله أبو هريرة، وابن عباس -في رواية- عنه وزيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن. أو: رام، وهو رواية عن ابن عباس، وهو قول الجمهور.

قال البغوي رَحِمَهُ اللهُ (ج 8 / ص 274): ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ مواضع القرآن ﴿مُعْرِضِينَ﴾ نصب على الحال، وقيل صاروا معرضين. ﴿كَانَتْهُمْ حُمْرٌ﴾ جمع حمار ﴿مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ قرأ أهل المدينة والشام بفتح الفاء، وقرأ الباقون بكسرها، فمن قرأ بالفتح فمعناها منفرة مذعورة، ومن قرأ بالكسر فمعناها نافرة، يقال: نفر واستنفر بمعنى واحد، كما يقال عجب واستعجب. ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ قال مجاهد وقتادة والضحاك: «القسورة»: الرماة، لا واحد لها من لفظها، وهي رواية عطاء عن ابن عباس، وقال سعيد بن جبیر: هم القناص وهي رواية عطية عن ابن عباس.

وقال زيد بن أسلم: [هم] رجال أقوياء، وكل ضخم شديد عند العرب: قسور وقسورة. وعن أبي المتوكل قال: هي لغط القوم وأصواتهم. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: هي حبال الصيادين.

وقال أبو هريرة: هي الأسد، وهو قول عطاء والكلبي، وذلك أن الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت، كذلك هؤلاء المشركين إذا سمعوا النبي ﷺ

يقرأ القرآن هربوا منه.

قال عكرمة: هي ظلمة الليل، ويقال لسواد أول الليل قسورة. ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ
أَمْرٍ مِنْهُمْ أَنْ يُوَفِّيَ صُحُفًا مُنْشَرَةً﴾ قال المفسرون: إن كفار قريش قالوا لرسول الله
ﷺ ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله أنك لرسوله تؤمر فيه
باتباعك.

قال الكلبي: إن المشركين قالوا: يا محمد بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان
يصبح مكتوبا عند رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك، و«الصحف» الكتب،
وهي جمع الصحيفة، و«منشرة» منشورة.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ

بَشْيءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ وَمَا دَعَا الْكُفْرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾﴾

[الرعد]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (399 / 16): «وقوله: ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بَشْيءٍ﴾
يقول: لا تجيب هذه الآلهة التي يدعوها هؤلاء المشركون آلهة بشيء يريدونه من
نفع أو دفع ضرر.

﴿إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ﴾، يقول: لا ينفع داعي الآلهة دعاؤه إياها إلا كما ينفع
باسط كفيه إلى الماء بسطه إياهما إليه من غير أن يرفعه إليه في إناء، ولكن ليرتفع
إليه بدعائه إياه وإشارته إليه وقبضه عليه.

والعرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلا بالقابض على الماء.

قال بعضهم:

فإني وإياكم وشوقاً إليكم كقابض ماءٍ لم تسقه أنامله».

وقال ابن كثير رحمته الله (4 / 445): «**وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ**» ❀ أي: ومثل الذين

يعبدون آلهة غير الله ❀ **كَبَسِطِ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ** ❀ قال علي بن أبي طالب: كمثل الذي يتناول الماء من طرف البئر بيده، وهو لا يناله أبداً بيده، فكيف يبلغ فاه؟.

وقال مجاهد: ❀ **كَبَسِطِ كَفَيْهِ** ❀ يدعو الماء بلسانه، ويشير إليه [بيده] فلا يأتيه أبداً.

وقيل: المراد كقابض يده على الماء، فإنه لا يحكم منه على شيء، كما قال الشاعر:

فإني وإياكم وشوقاً إليكم كقابض ماءٍ لم تسقه أنامله

وقال الآخر:

فأصبحت ممّا كان بيني وبينها من الودّ مثل القابض الماء باليد

ومعنى الكلام: أن هذا الذي يبسط يده إلى الماء، إما قابضاً وإما متناولاً له من بعد، كما أنه لا ينتفع بالماء الذي لم يصل إلى فيه، الذي جعله محلاً للشرب، فكذلك هؤلاء المشركون الذين يعبدون مع الله إلهاً غيره، لا ينتفعون بهم أبداً في الدنيا ولا في الآخرة؛ ولهذا قال: ❀ **وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ** ❀.

قال السعدي رحمته الله (1 / 415): «**لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ**» ❀ أي: لمن يدعوها

ويعبدها بشيء قليل ولا كثير لا من أمور الدنيا ولا من أمور الآخرة ﴿إِلَّا كَبَسِطِ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ﴾ الذي لا تناله كفاه لبعده، ﴿لِيَبْلُغَ﴾ يبسط كفيه إلى الماء ﴿فَاهُ﴾ فإنه عطشان ومن شدة عطشه يتناول بيده، ويبسطها إلى الماء الممتنع وصولها إليه، فلا يصل إليه.

كذلك الكفار الذين يدعون معه آلهة لا يستجيبون لهم بشيء ولا ينفعونهم في أشد الأوقات إليهم حاجة لأنهم فقراء كما أن من دعوهم فقراء، لا يملكون مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير.

﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ لبطلان ما يدعون من دون الله، فبطلت عباداتهم ودعائهم؛ لأن الوسيلة تبطل لبطلان غايتها، ولما كان الله تعالى هو الملك الحق المبين، كانت عبادته حقًا متصلة النفع لصاحبها في الدنيا والآخرة.

وتشبيه دعاء الكافرين لغير الله بالذي يبسط كفيه إلى الماء ليلبغ فاه من أحسن الأمثلة؛ فإن ذلك تشبيه بأمر محال، فكما أن هذا محال، فالمشبه به محال، والتعليق على المحال من أبلغ ما يكون في نفي الشيء.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ

إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ [البقرة]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (3/308): «قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك. فقال بعضهم: معنى ذلك: مثل الكافر في قلة فهمه عن الله ما يتلى عليه في كتابه، وسوء قبوله لما يدعى إليه من توحيد الله ويوعظ به مثل البهيمة التي تسمع الصوت إذا نعق بها، ولا تعقل ما يقال لها. قال أبو جعفر:

ومعنى قائل هذا القول - في تأويلهم ما تأولوا، على ما حكيت عنهم -: ومثل وعظ الذين كفروا وواعظهم، كمثل نعق الناعق بغنمه ونعيقه بها. فأضيف «المثل» إلى الذين كفروا، وترك ذكر «الوعظ والواعظ»، لدلالة الكلام على ذلك. كما يقال: «إذا لقيت فلاناً فعظمه تعظيم السلطان»، يراد به: كما تعظم السلطان، وكما قال الشاعر:

فلست مسلماً ما دمت حياً على زيدٍ بتسليم الأمير

يراد به: كما يسلم على الأمير.

وقد يجتمل أن يكون المعنى -على هذا التأويل الذي تأوله هؤلاء-: ومثل الذين كفروا في قلة فهمهم عن الله وعن رسوله، كمثل المنعوق به من البهائم، الذي لا يفقه من الأمر والنهي غير الصوت. وذلك أنه لو قيل له: «اعتلف، أورد الماء»، لم يدر ما يقال له غير الصوت الذي يسمعه من قائله. فكذلك الكافر، مثله في قلة فهمه لما يؤمر به وينهى عنه - بسوء تدبره إياه وقلة نظره وفكره فيه - مثل هذا المنعوق به فيما أمر به ونهى عنه. فيكون المعنى للمنعوق به، والكلام خارج على الناعق، كما قال نابغة بني ذبيان:

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعلي في ذي المطارة عاقل

والمعنى: حتى ما تزيد مخافة الوعل على مخافتي.

وقال آخرون: معنى ذلك: ومثل الذين كفروا في دعائهم آهتهم وأوثانهم التي لا تسمع ولا تعقل، كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً، وذلك الصدى

الذي يسمع صوته، ولا يفهم به عنه الناقق شيئاً.

قال أبو جعفر: وأولى التأويل عندي بالآية، التأويل الأول الذي قاله ابن عباس ومن وافقه عليه. وهو أن معنى الآية: ومثل وعظ الكافر وواعظه، كمثل الناقق بغنمه ونعيقه، فإنه يسمع نعيقه ولا يعقل كلامه، على ما قد بينا قبل.

فأما وجه جواز حذف «وعظ» اكتفاء بالمثل منه، فقد أتينا على البيان عنه في قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: 17]، وفي غيره من نظائره من الآيات، بما فيه الكفاية عن إعادته.

وإنما اخترنا هذا التأويل، لأن هذه الآية نزلت في اليهود، وإياهم عنى الله تعالى ذكره بها، ولم تكن اليهود أهل أوثان يعبدونها، ولا أهل أصنام يعظمونها ويرجون نفعها أو دفع ضررها.

وقال ابن كثير رحمته الله (480/1): «ثم ضرب لهم تعالى مثلاً كما قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾ [النحل: 60] فقال: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: فيما هم فيه من الغي والضلال والجهل كاللدواب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها، بل إذا نعق بها راعيها، أي: دعاها إلى ما يرشدها، لا تفقه ما يقول ولا تفهمه، بل إنما تسمع صوته فقط.

وقيل: إنما هذا مثل ضرب لهم في دعائهم الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل شيئاً، اختاره ابن جرير، والأول أولى؛ لأن الأصنام لا تسمع شيئاً ولا تعقله ولا تبصره، ولا بطش لها ولا حياة فيها. وقوله: ﴿صُمُّكُمْ عُمَى﴾ أي: صم عن

سَمِعَ الْحَقُّ، بِكُمْ لَا يَتَفَوَّهُونَ بِهِ، عَمِيٌّ عَنْ رُؤْيَا طَرِيقِهِ وَمَسْلَكِهِ ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أَي: لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَفْهَمُونَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّْوا وَبُكِّمُوا فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلِّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: 39].

وقال ابن القيم رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّوا بِكُمْ عَمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٧١)».

فتضمن هذا المثل ناعقا أي مصوتا بالغنم وغيرها ومنعوقا ثني به وهو الدواب فقيل: الناعق العابد وهو الداعي للصنم، والصنم هو المنعوق به المدعو، وإن حال الكافر في دعائه كحال من ينطق بما لا يسمعه. هذا قول طائفة منهم عبد الرحمن بن زيد وغيره، واستشكل صاحب الكشاف وجماعة معه هذا القول وقالوا: قوله: ﴿إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ لا يساعد عليه لأن الأصنام لا تسمع دعاء ولا نداء، وقد أجب عن هذا الإشكال بثلاثة أجوبة:

أحدها: أن زائدة، والمعنى بما لا يسمع دعاء ونداء، قالوا: وقد ذكر الأصمعي في قول الشاعر: «جراجيح به لا تنفعك إلا مناخة».

أي متنفك مناخة، وهذا جواب فاسد فإن ﴿إِلَّا﴾ لا تزداد في الكلام.

الجواب الثاني: أن التشبيه وقع في مطلق الدعاء لا في خصوصيات المدعو.

الجواب الثالث: أن المعنى أن مثل هؤلاء في دعائهم آلهتهم التي لا تفقه دعاءهم هذا كمثل الناعق بغنمه فلا ينتفع بنعقته ثم شيئا غير أنه في دعاء ونداء

وكذا المشرك ليس له من دعائه وعبادته إلا العناء، وقيل: المعنى ومثل الذين كفروا كالبهائم التي لا تفقه مما يقول الراعي أكثر من الصوت، فالراعي هو داعي الكفار والكفار هم البهائم المنعوق بها.

قال سيويه: المعنى ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به؛ وعلى قوله فيكون المعنى ومثل الذين كفروا وداعيتهم كمثل الغنم والناعق بها ذلك أن تجعل هذا من التشبيه المركب وأن تجعله من التشبيه المفرق، فإن جعلته من المركب كان تشبيها للكفار في عدم فقههم وانتفاعهم بالغنم التي ينطق بها الراعي فلا تفقه من قوله شيئا غير الصوت المجرد الذي هو الدعاء والنداء، وإن جعلته من التشبيه المفرق فالذين كفروا بمنزلة البهائم، ودعاؤهم إلى الطريق والهدى بمنزلة النعيق، وإدراكهم مجرد الدعاء والنداء كإدراك البهائم مجرد صوت الناعق والله أعلم».

قال السعدي رحمته الله (81/1): «لما بين تعالى عدم انقيادهم لما جاءت به الرسل، وردهم لذلك بالتقليد، علم من ذلك أنهم غير قابلين للحق، ولا مستجيبين له، بل كان معلوما لكل أحد أنهم لن يزولوا عن عنادهم، أخبر تعالى، أن مثلهم عند دعاء الداعي لهم إلى الإيمان كمثل البهائم التي ينطق لها راعيها، وليس لها علم بما يقول راعيها ومنادياها، فهم يسمعون مجرد الصوت، الذي تقوم به عليهم الحجة، ولكنهم لا يفقهونه فقها ينفعهم، فلهذا كانوا صما لا يسمعون الحق سماع فهم وقبول، عميا لا ينظرون نظر اعتبار، بكما فلا ينطقون بما فيه خير لهم».

والسبب الموجب لذلك كله، أنه ليس لهم عقل صحيح، بل هم أسفه السفهاء،

وأجهل الجهلاء.

فهل يستريب العاقل، أن من دعي إلى الرشاد، وزيد عن الفساد، ونهي عن اقتحام العذاب، وأمر بما فيه صلاحه وفلاحه، وفوزه، ونعيمه فعصى الناصح، وتولى عن أمر ربه، واقتحم النار على بصيرة، واتبع الباطل، ونبذ الحق؛ أن هذا ليس له مسكة من عقل، وأنه لو اتصف بالمكر والخديعة والدهاء، فإنه من أسفه السفهاء».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أْذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ

أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٨﴾ [الأعراف]

مثل الله Δ بالأنعام الذين لا يعقلون كلامه وكلام رسوله ﷺ ولا يبصرون الحق ولا يسمعون وإن كانوا يبصرون الدنيا ويسمعون ما فيها، لكن ليس ذلك المراد فيهم في هذه الدنيا بل المراد هو القبول للحق فمثلهم بالأنعام لكونهم شابهوها في الأكل والشرب والمعيشة الدنيوية، بل جعلهم الله أضل منها لكونها لم تقصر في شيء مما خلقت له بل إنها تسبح الله وتخضع له سبحانه وأما هؤلاء فتمردوا عما خلقوا له: فقال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾.

قال ابن كثير رحمه الله (3/ 514): «وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ أي: هؤلاء الذين لا يسمعون الحق ولا يعون ولا يبصرون الهدى، كالأنعام السارحة التي لا تنتفع بهذه الحواس منها إلا في الذي يعيشها من ظاهر الحياة الدنيا كما قال تعالى:

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّكُمْ عُمَى ﴾ [البقرة: 171] أي: ومثلهم - في حال دعائهم إلى الإيثار - كمثل الأنعام إذا دعاها راعيها لا تسمع إلا صوته، ولا تفقه ما يقول؛ ولهذا قال في هؤلاء: ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ أي: من الدواب؛ لأن الدواب قد تستجيب مع ذلك لراعيها إذا أفس بها، وإن لم تفقه كلامه، بخلاف هؤلاء؛ ولأن الدواب تفقه ما خلقت له إما بطبعها وإما بتسخيرها، بخلاف الكافر فإنه إنما خلق ليعبد الله ويوحده، فكفر بالله وأشرك به؛ ولهذا من أطاع الله من البشر كان أشرف من مثله من الملائكة في معاده، ومن كفر به من البشر، كانت الدواب أتم منه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾.

قال ابن القيم رحمه الله [كما في «شرح الأمثال» (ص 19)]: «قوله تعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان]، فشبّه أكثر الناس بالأنعام والجامع بين النوعين التساوي في عدم قبول الهدى والانقياد له، وجعل الأكثرين أضل سبيلا من الأنعام لأن البهيمة يهديها سائقها فتتهدي وتتبع الطريق فلا تحيد عنها يمينا ولا شمالا، والأكثرون يدعونهم الرسل ويهدونهم السبيل فلا يستجيبون ولا يهتدون ولا يفرقون بين ما يضرهم وبين ما ينفعهم، والأنعام تفرق بين ما يضرها من النبات والطريق فتجتنبه وما ينفعها فتؤثره، والله تعالى لم يخلق للأنعام قلوبا تعقل بها ولا ألسنة تنطق بها وأعطى ذلك لهؤلاء ثم لم يتفعلوا بما جعل لهم من العقول والقلوب والألسنة والأسماع والأبصار فهم أضل من البهائم فإن من لا يهتدي إلى الرشد وإلى

الطريق مع الدليل له أضل وأسوأ حالا ممن لا يهتدي حيث لا دليل معه».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ

﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا

مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا

إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ

تَنْهَوْا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أِنْ أَدَّيْتُمْ بَل

أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقَوْمِ اتَّبِعُوا

الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْتَلِكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَالِيَ لَأَعبُدُ الَّذِي

فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِن يَرِدْني الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُعْنِي

عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي ءَأَمَنْتُ

بِرَبِّي كُمْ فَأَسْمِعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي

وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ [يس]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (20 / 499): «يقول تعالى ذكره: ومثل يا محمد

لمشركي قومك مثلاً أصحاب القرية، ذكر أنها أنطاكية، ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾

اختلف أهل العلم في هؤلاء الرسل، وفيمن كان أرسلهم إلى أصحاب القرية؛

فقال بعضهم: كانوا رسل عيسى ابن مريم، وعيسى الذي أرسلهم إليهم».

وقال ابن كثير رحمته الله (6 / 568): «يقول تعالى: واضرب - يا محمد - لقومك

الذين كذبوك ﴿مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾».

وقال الشوكاني رحمه الله [في «فتح القدير» (6/155)]: «قوله: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ قد تقدّم الكلام على نظير هذا في سورة البقرة، وسورة النمل، والمعنى: اضرب لأجلهم مثلاً، أو اضرب لأجل نفسك أصحاب القرية مثلاً، أي: مثلهم عند نفسك بأصحاب القرية، فعلى الأوّل لما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: 3] وقال: ﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا﴾ [يس: 6].

قال: قل لهم: ما أنا بدعا من الرسل، فإن قبلي بقليل جاء أصحاب القرية مرسلون، وأنذروهم بما أنذرتكم، وذكروا التوحيد، وخوفوا بالقيامة، وبشروا بنعيم دار الإقامة. وعلى الثاني لما قال: إن الإنذار لا ينفع من أضله الله، وكتب عليه أنه لا يؤمن، قال للنبي صلى الله عليه وآله: اضرب لنفسك، ولقومك مثلاً: أي: مثل لهم عند نفسك مثلاً بأصحاب القرية حيث جاءهم ثلاثة رسل، ولم يؤمنوا، وصبر الرسل على الإيذاء، وأنت جئت إليهم واحداً، وقومك أكثر من قوم الثلاثة، فإنهم جاءوا إلى أهل القرية، وأنت بعثتكم إلى الناس كافة.

والمعنى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾: أي: اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية، فترك المثل، وأقيم أصحاب القرية مقامه في الإعراب. وقيل: لا حاجة إلى الإضمار، بل المعنى: اجعل أصحاب القرية لهم مثلاً على أن يكون ﴿مَثَلًا﴾ و ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ مفعولين لا ضرب، أو يكون أصحاب القرية بدلاً من مثلاً».

قال الألوسي رحمه الله (16/438): «﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ إما عطف على ما قبله عطف القصة على القصة وأما عطف على مقدر أي فأنذرهم

واضرب لهم الخ، وضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة بأخرى مثلها كما في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتَ نُوْحٍ﴾ [التحريم: 10] الآية وأخرى في ذكر حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد إلى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم] في وجه أي بينا لكم أحوالاً بديعة هي في الغرابة كالأمثال. فالمعنى على الأول اجعل أصحاب القرية مثلاً لهؤلاء في الغلو في الكفر والإصرار على التكذيب أي طبق حالهم بحالهم على أن ﴿مَثَلًا﴾ مفعول ثان لا ضرب و﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ مفعول الأول آخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه، وعلى الثاني اذكر وبين لهم قصة هي في الغرابة كالمثل، وقوله سبحانه: ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ بتقدير مضاف أي مثل أصحاب القرية وهذا المضاف بدل كل من كل أو عطف بيان له على القول بجواز اختلافهما تعريفاً وتنكيراً، وجوز أن يكون المقدر مفعولاً وهذا حالاً.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ

تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (6/467): «قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه: إن شبه عيسى في خلقي إياه من غير فعل فأخبر به، يا محمد، الوفد من نصارى نجران عندي، كسبه آدم الذي خلقتة من تراب ثم قلت له: «كن»، فكان من غير فعل ولا ذكر ولا أنثى. يقول: فليس خلقي عيسى من أمه من غير فعل، بأعجب من خلقي آدم من غير ذكر ولا أنثى، وأمري إذ أمرته أن يكون فكان لحمًا. يقول: فكذلك خلقي عيسى: أمرته أن يكون فكان».

وقال ابن كثير رحمته الله (2/ 49): «يقول تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ﴾ في قدرة الله تعالى حيث خلقه من غير أب ﴿كَمَثَلِ آدَمَ﴾ فإن الله تعالى خلقه من غير أب ولا أم، بل ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ والذي خلق آدم قادر على خلق عيسى بطريق الأولى والأخرى، وإن جاز ادعاء البنوة في عيسى بكونه مخلوقاً من غير أب، فجواز ذلك في آدم بالطريق الأولى، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل، فدعواها في عيسى أشد بطلاناً وأظهر فساداً. ولكن الرب، Δ ، أراد أن يظهر قدرته لخلقه، حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى؛ وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى، ولهذا قال تعالى في سورة مريم: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ [مريم: 21].».

قال الشوكاني رحمته الله [في «فتح القدير» (1/ 474)]: «تشبيه عيسى بآدم في كونه مخلوقاً من غير أب كآدم، ولا يقدر في التشبيه اشتغال المشبه به على زيادة، وهو كونه لا أم له: كما أنه لا أب له، فذلك أمر خارج عن الأمر المراد بالتشبيه، وإن كان المشبه به أشد غرابة من المشبه، وأعظم عجباً، وأغرب أسلوباً. وقوله: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ جملة مفسرة لما أبهم في المثل، أي: أن آدم لم يكن له أب، ولا أم، بل خلقه الله من تراب. وفي ذلك دفع لإنكار من أنكروا خلق عيسى من غير أب مع اعترافه بأن آدم خلق من غير أب، وأم. قوله: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: كن بشراً، فكان بشراً. وقوله: ﴿فَيَكُونُ﴾ حكاية حال ماضية، وقد تقدم تفسير هذا.».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ

وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [هود]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (291 / 15): «قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: مثل فريق الكفر والإيمان كمثل الأعمى الذي لا يرى بعينه شيئاً، والأصم الذي لا يسمع شيئاً، فكذلك فريق الكفر لا يبصر الحق فيتبعه ويعمل به، لشغله بكفره بالله، وغلبة خذلان الله عليه، لا يسمع داعي الله إلى الرشاد، فيجيبه إلى الهدى فيهتدي به، فهو مقيمٌ في ضلالته، يتردد في حيرته. والسميع والبصير فذلك فريق الإيمان، أبصر حجج الله، وأقر بها دلت عليه من توحيد الله، والبراءة من الآلهة والأنداد، ونبوة الأنبياء (H)، وسمع داعي الله فأجابه وعمل بطاعة الله».

وقال ابن كثير رحمته الله (4 / 315): «لما ذكر تعالى حال الأشقياء ثنى بذكر السعداء، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فأمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الأعمال الصالحة قولاً وفعلاً من الإتيان بالطاعات وترك المنكرات، وبهذا ورثوا الجنات، المشتملة على الغرف العاليات، والسرر المصفوفات، والقطوف الدانيات، والفرش المرتفعات، والحسان الخيرات، والفواكه المتنوعات، والمآكل المشتهيات والمشارب المستلذات، والنظر إلى خالق الأرض والسموات، وهم في ذلك خالدون، لا يموتون ولا يهرمون ولا يمرضون، وينامون ولا يتغطون، ولا يبصقون ولا يتمخضون، إن هو إلا رشح مسك يعرقون».

ثم ضرب [الله] تعالى مثل الكافرين والمؤمنين، فقال: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ أي:

الذين وصفهم أولاً بالشقاء والمؤمنين السعداء، فأولئك كالأعمى والأصم، وهؤلاء كالبصير والسميع. فالكافر أعمى عن وجه الحق في الدنيا، وفي الآخرة لا يهتدي إلى خير ولا يعرفه، أصم عن سماع الحجج، فلا يسمع ما ينتفع به، ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: 23]، وأما المؤمن ففطن ذكي لبيب، بصير بالحق، يميز بينه وبين الباطل، فيتبع الخير ويترك الشر، سميع للحجة، يفرق بينها وبين الشبهة، فلا يروج عليه باطل، فهل يستوي هذا وهذا.

﴿أَفَلَا نَذَكَّرُونَ﴾ أفلا تعتبرون وتفرقون بين هؤلاء وهؤلاء، كما قال في الآية الأخرى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: 20]، وقال ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر].

قال ابن القيم رحمته الله [كما في «شرح الأمثال» (ص 13)]: «قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْبَرِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا نَذَكَّرُونَ﴾ فإنه E ذكر الكفار ووصفهم بأنهم ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون، ثم ذكر المؤمنين ووصفهم بالإيمان والعمل الصالح والإخبارات إلى ربهم فوصفهم بعبودية الظاهر وبالباطن.

جعل أحد الفريقين كالأعمى والأصم من حيث كان قلبه أعمى عن رؤية الحق أصم عن سماعه، فشبهت بمن بصره أعمى عن رؤية أحق الأشياء وسمعه أصم عن سماع الأصوات؛ والفريق الآخر بصير القلب سميعه كبصير العين وسميع الأذن فتضمنت الآية قياسين وتمثيلين للفريقين، ثم نفى التسوية عن الفريقين بقوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا

مِصْبَاحٌ مِّصْبَاحٌ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ

يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ [النور].

يضرب لنا مثل الإيمان والنور الذي بقلب المؤمن الذي هو من الله.

فيقول تعالى ذكره: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: قال ابن جرير: «أي هادي

السموات والأرض».

وقوله تعالى: ﴿مِثْلُ نُورِهِ﴾: أي يشبه نوره: والضمير في نوره قيل عائد إلى الله

أي نور الله وقيل نو المؤمن ولا تنافي فالمراد النور الذي في قلب المؤمن وهو من الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿كَمِشْكُوتٍ﴾: وهو موضع الفتيلة: روي عن مجاهد وابن عباس

ورجحه ابن كثير وقبله ابن جرير. وقيل: المشكاة النافذة، روي عن سعد بن

عياض وعطية عن ابن عمر.

وقوله تعالى: ﴿فِيهَا مَصْبَاحٌ﴾: وهو الذبالة التي تضيء، قاله ابن كثير. وقال ابن جرير: وهو السراج، وهما بمعنى.

وقوله تعالى: ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾: أي النور في زجاجة صافية لذا قال: ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ أي كأنها كوكب مضيء في صفاتها وضيائها.

وقوله تعالى: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ﴾: أن هذا النور ستمد نوره من زيت زيتون، ﴿شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ﴾: وهي زيت الزيتون.

وقوله تعالى: ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: قيل هذه الشجرة لا يسترها شيء، فالشمس عليها صباح مساء تطلع عليها وتغرب. فمعناه لا شرقية فقط ولا غربية فقط، وهو قول عكرمة وابن زيد ورجحه ابن جرير وابن كثير.

وقيل: أنها وسط الشجر لا شرقية ولا غربية. روي عن ابن عباس، وقيل: معناه أنها ليست في الأرض لا شرقية ولا غربية، روي عن الحسن والصواب الأول.

وقوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾: أي الزيت يكاد يضيء بدون نار فكيف والنار تضيء منه.

وقوله تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾: أي نور الزيت على نور النار.

وقوله تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾: أي هدايته والقرآن والإسلام، وكلها أقوالها متقاربة.

وتأويل المثل على قول من قال: قلب المؤمن، فشبه قلب المؤمن وما هو مفطور عليه من الهدى وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو مفطور عليه بالقنديل من الزجاج الشفاف الجوهري، وما يستهدي به من القرآن والشرع بالزيت الجيد الصافي المشرف المعتدل الذي لا كدر فيه ولا انحراف. والمصباح هو الإيمان والنور الذي في صدره وصدرة كالزجاجة. قاله ابن جرير.

﴿كَأَنَّهُا كَوْكَبٌ﴾: أي في صفاتها، وأنها تصف صدره بالنقاء من كل ريب وشك... إلخ.

وقوله تعالى: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أي أن هذا القرآن من عند الله، وأنه كلام، فجعل مثله ومثل كونه من عنده مثل المصباح الذي يوقد من الشجرة، وقيل: ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا يهودي ولا نصراني، والصواب أنه النور في قوته واستمداده من عند الله أقوى ما يكون لا ينقطع عنه كما في معنى المثل.

وقوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾: أي حجج الله تعالى ذكره على خلقه تكاد من بيانها ووضوحها تضيء لمن فكر فيها ونظر أو أعرض عنها ولها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ أي ولو لم يزلها الله بياناً ووضوحاً بإنزاله هذه القرآن إليهم دالاً لهم على توحيده فكيف إذا نبههم وذكرهم بآياته فزادهم به حجة إلى حجة عليهم قبل ذلك، فذلك بيان من الله ونور على بيان والنور الذي كان قد وضعه لهم قبل نزوله.

وقوله تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾: قيل تأويله نور القرآن يضيء بعضه بعضاً؛ قاله زيد بن أسلم. ورجح ابن جرير أنه نور النار على الزيت؛ قول مجاهد فمعناه عنده هذا القرآن نور على نور: الحجج والبيان الذي قد نصبه لهم قبل مجيء القرآن.

وقوله تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾: أي للقرآن من يشاء.

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: أي علیم بالأمثال اللائقة للمعاني المطابقة للمثل به، وعلیم بمن يستحق نوره.

فوائد المثل:

- رحمة الله بعباده وضرَب الأمثال لهم تقريباً للمراد وتفهيماً لهم.
- أن الله هو المنفرد بهداية من شاء إلى نوره.
- أن الله تعالى نور السموات والأرض وما نورهما إلا من نوره، ولو كشف الحجاب لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره.
- أن المؤمن كالمصباح في علمه وهداه وتوحيده يضيء لنفسه وللآخرين، ولا يتم هذا المثل إلا لمن نفع غيره بعد انتفاعه كما هو معلوم.
- أن هداية المؤمن وزيادة نوره من القرآن علماً وفهماً وفقهاً وعملاً، ومن اهتدى بغير القرآن فهو من أهل الضلال.
- أن المؤمن يكاد يضيء لغيره ولو لم يزد علمه بالوحي فكيف لو وقع النور على النور.
- أن نور القرآن مستمد من الله وبركته من الله دائماً وأبداً لا ينقطع عنه الخير والبركة لقوله: ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾.

— أن نور المؤمن ينجيه في الدنيا من الظلمات، كما قال تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: 257].

— وينجيه في الآخرة من ظلمات الموقف والحساب والصراط، والله المستعان.
— أن الهداية تطلب من الله.

— وأعظمها - أي الهداية - ما في هذه الآية: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ فمن اهتدى إلى القرآن فهي خير هداية والنعم كلها دون هذه النعمة.

— ضرب الله الأمثال للناس بعلمه وحكمته.

— علم الله لمن يستحق الهداية وعلمه بحقيقة الأمثال.

— أن نور القرآن والعلم يؤخذ ويلقى في البيوت التي أذن الله أن ترفع.

— أن المؤمن لا يشغله تجارته ولا يبيعه عن نور الله له وهدايته.

نسأل الله من فضله فهذا مختصر معنى هذا المثل العظيم.

وإليك بيان هذا المثل من كلام أهل العلم:

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (177/19): «يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هادي من في السماوات والأرض، فهم بنوره إلى الحق

يهتدون، وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: الله مدبر السماوات والأرض.

وقال آخرون: بل عنى بذلك النور الضياء. وقالوا: معنى ذلك: ضياء

السماوات والأرض.

وقال آخرون: بل عني بالنور: محمد ﷺ، وقالوا: الهاء التي قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ عائدة على اسم الله.

وقال آخرون: بل عني بذلك: هدي الله وبيانه، وهو القرآن، قالوا: والهاء من ذكر الله. قالوا: ومعنى الكلام: الله هادي أهل السماوات والأرض بآياته المبينات، وهي النور الذي استنار به السماوات والأرض مثل هداه وآياته التي هدى بها خلقه، ووعظهم بها في قلوب المؤمنين كمشكاة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: مثل نور الله، وقالوا: يعني بالنور: الطاعة.

وقوله: ﴿كَمِشْكُورٍ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى المشكاة والمصباح، وما المراد بذلك، وبالزجاجة، فقال بعضهم: المشكاة كل كوة لا منفذ لها، وقالوا: هذا مثل ضربه الله لقلب محمد ﷺ.

قوله: ﴿كَمِشْكُورٍ﴾ يقول: موضع الفتيلة.

وقال: آخرون عني بالمشكاة: صدر المؤمن، وبالمصباح: القرآن والإيمان، وبالزجاجة: قلبه.

قوله: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قال: هي شجرة لا يفيء عليها ظل شرق ولا ظل غرب، ضاحية، ذلك أصفى للزيت ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾.

وقال آخرون: هو مثل للمؤمن، غير أن المصباح وما فيه مثل لفؤاده، والمشكاة مثل لجوفه.

قوله: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ يعني: إيمان المؤمن وعمله.

وقال آخرون: بل ذلك مثل للقرآن في قلب المؤمن.

وقال: آخرون: المشكاة القنديل.

وقال آخرون: المشكاة الحديد الذي يعلق به القنديل.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به، فقال: مثل نور الله الذي أنار به لعباده سبيل الرشاد، الذي أنزله إليهم فآمنوا به وصدقوا بما فيه في قلوب المؤمنين مثل مشكاة، وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة، وذلك هو نظير الكوة التي تكون في الحيطان التي لا منفذ لها، وإنما جعل ذلك العمود مشكاة؛ لأنه غير نافذ، وهو أجوف مفتوح الأعلى، فهو كالقوة التي في الحائط التي لا تنفذ، ثم قال: ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ وهو السراج، وجعل السراج وهو المصباح مثلاً لما في قلب المؤمن من القرآن والآيات المبينات، ثم قال: ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ يعني: أن السراج الذي في المشكاة: في القنديل، وهو الزجاج، وذلك مثل للقرآن، يقول: القرآن الذي في قلب المؤمن الذي أنار الله قلبه في صدره، ثم مثل الصدر في خلوصه من الكفر بالله والشك فيه، واستنارته بنور القرآن، واستضاءته بآيات ربه المبينات، ومواعظه فيها بالكوكب الدرّي، فقال: ﴿الزُّجَاجَةُ﴾ وذلك صدر المؤمن الذي فيه قلبه ﴿كَانَهَا كَوْكَبٌ دَرِّيٌّ﴾.

وقال آخرون: ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا.

وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك، قول من قال: إنها شرقية غربية، وقال: ومعنى الكلام: ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالعشيّ دون الغداة، ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب، فهي شرقية غربية.

وإنما قلنا ذلك أولى بمعنى الكلام؛ لأن الله إنما وصف الزيت الذي يوقد على هذا المصباح بالصفاء والجودة، فإذا كان شجره شرقياً غربياً، كان زيته لا شك أجود وأصفى وأضوأ.

وقوله: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ يقول تعالى ذكره: يكاد زيت هذه الزيتوننة يضيء من صفائه وحسن ضيائه ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ يقول: فكيف إذا مسته النار.

وإنما أريد بقوله: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ﴾ أن هذا القرآن من عند الله، وأنه كلامه، فجعل مثله ومثل كونه من عنده، مثل المصباح الذي يوقد من الشجرة المباركة، التي وصفها جل ثناؤه في هذه الآية. وعنى بقوله: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾: أن حجج الله تعالى ذكره على خلقه تكاد من بيانها ووضوحها تضيء لمن فكر فيها ونظر أو أعرض عنها ولها، ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ يقول: ولو لم يزلها الله بيانا ووضوحا بإنزاله هذا القرآن إليهم؛ منها لهم على توحيده، فكيف إذا نبههم به وذكرهم بآياته، فزادهم به حجة إلى حججه عليهم قبل ذلك، فذلك بيان من الله ونور على البيان، والنور الذي كان قد وضعه لهم ونصبه قبل نزوله.

وقوله: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ يعني: النار على هذا الزيت الذي كاد يضيء ولو لم تمسه النار.

وقوله: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ يقول تعالى ذكره: يوفق الله لاتباع نوره، وهو هذا القرآن، من يشاء من عباده. وقوله: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ﴾ يقول: ويمثل الله الأمثال والأشباه للناس، كما مثل لهم مثل هذا القرآن في قلب المؤمن بالمصباح في المشكاة، وسائر ما في هذه الآية من الأمثال.

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يقول: والله يضرب الأمثال، وغيرها من الأشياء كلها، ذو علم.

وقال ابن كثير رحمه الله (57/6): «وقال ابن جرير: حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرقي، حدثنا وهب بن راشد، عن فرقد، عن أنس بن مالك قال: إن إلهي يقول: نوري هداي. واختار هذا القول ابن جرير، رحمه الله.

وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب في قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال: هو المؤمن الذي جعل [الله] الإيمان والقرآن في صدره، فضرب الله مثله فقال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فبدأ بنور نفسه، ثم ذكر نور المؤمن فقال: مثل نور من آمن به. قال: فكان أبي بن كعب يقرؤها: «مثل نور من آمن به فهو المؤمن جعل الإيمان والقرآن في صدره».

وهكذا قال سعيد بن جبير، وقيس بن سعد، عن ابن عباس أنه قرأها كذلك: «نور من آمن بالله».

وقرأ بعضهم: «الله نور السموات والأرض».

وعن الضحاك: «الله نور السموات والأرض».

وقال السدي في قوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: فنوره أضاءت السموات والأرض.

وفي الحديث الذي رواه محمد بن إسحاق في السيرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال في دعائه يوم آذاه أهل الطائف: «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحل بي غضبك أو ينزل بي سخطك، لك العتبي حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

قلت: الحديث ضعفه الشيخ الألباني في «الجامع الصغير وزيادته» (311/1) وقال: «ضعيف»؛ انظر حديث رقم: (1182) في «ضعيف الجامع».

وفي الصحيحين، عن ابن عباس: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يقول: «اللهم لك الحمد، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن» الحديث.

وعن ابن مسعود، رضي عنه، قال: إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، نور العرش من نور وجهه.

وقوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ في هذا الضمير قولان:

أحدهما: أنه عائد إلى الله، Δ ، أي: مثل هداه في قلب المؤمن، قاله ابن عباس

﴿كَمَشْكُورٍ﴾.

والثاني: أن الضمير عائد إلى المؤمن الذي دل عليه سياق الكلام: تقديره: مثل نور المؤمن الذي في قلبه، كمشكاة. فشبّه قلب المؤمن وما هو مفطور عليه من

الهدى، وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو مفطور عليه، كما قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَتِهِ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ [هود: 17]، فشبّه قلب المؤمن في صفائه في نفسه بالقنديل من الزجاج الشفاف الجوهري، وما يستهديه من القرآن والشعر بالزيت الجيد الصافي المشرق المعتدل، الذي لا كدر فيه ولا انحراف.

فقوله: ﴿ كَمِشْكُوفٍ ﴾: قال ابن عباس، ومجاهد، ومحمد بن كعب، وغير واحد: هو موضع الفتيلة من القنديل. هذا هو المشهور؛ ولهذا قال بعده: ﴿ فِيهَا مَصْبَاحٌ ﴾، وهو الذبالة التي تضيء.

وقال العوفي، عن ابن عباس [في] قوله: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ ﴾ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مَصْبَاحٌ: وذلك أن اليهود قالوا لمحمد ﷺ: كيف يخلص نور الله من دون السماء؟ فضرب الله مثل ذلك لنوره، فقال: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ ﴾ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مَصْبَاحٌ. والمشكاة: كوة في البيت. قال: وهو مثل ضربه الله لطاعته. فسمّى الله طاعته نورًا، ثم سماها أنواعا شتى.

وقال ابن أبي نجیح، عن مجاهد: الكوة بلغة الحبشة. وزاد غيره فقال: المشكاة: الكوة التي لا منفذ لها. وعن مجاهد: المشكاة: الحدائد التي يعلق بها القنديل.

والقول الأول أولى، وهو: أن المشكاة هي موضع الفتيلة من القنديل؛ ولهذا قال: ﴿ فِيهَا مَصْبَاحٌ ﴾ وهو النور الذي في الذبالة.

قال أبي بن كعب: المصباح: النور، وهو القرآن والإيمان الذي في صدره.

وقال السدي: هو السراج.

﴿الْصَّبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ أي: هذا الضوء مشرق في زجاجة صافية.

قال أبي بن كعب وغير واحد: وهي نظير قلب المؤمن. ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾: قرأ بعضهم بضم الدال من غير همزة، من الدرّ، أي: كأنها كوكب من درّ. وقرأ آخرون: «درّيء» و«درّيء» بكسر الدال وضمها مع الهمز، من الدرء وهو الدفع؛ وذلك أن النجم إذا رمي به يكون أشدّ استنارة من سائر الأحوال، والعرب تسمي ما لا يعرف من الكواكب دراريّ.

قال أبي بن كعب: كوكب مضيء. وقال قتادة: مضيء ميين ضخم. ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ﴾ أي: يستمد من زيت زيتون شجرة مباركة ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ بدل أو عطف بيان ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أي: ليست في شرقي بقعتها فلا تصل إليها الشمس من أول النهار، ولا في غربيها فيتقلّص عنها الفياء قبل الغروب، بل هي في مكان وسط، تفرعه الشمس من أول النهار إلى آخره، فيجيء زيتها معتدلا صافيا مشرقا.

وقال مجاهد في قوله: ﴿زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قال: ليست بشرقية، لا تصيبها الشمس إذا غربت، ولا غربية لا تصيبها الشمس إذا طلعت، [ولكنها شرقية وغربية، تصيبها إذا طلعت] وإذا غربت.

وقال سعيد بن جبير في قوله: ﴿زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ كَأَنَّ زَيْتَهَا يُضِيءُ﴾ قال: هو أجود الزيت. قال: إذا طلعت الشمس أصابتها من صوب المشرق، فإذا أخذت في الغروب أصابتها الشمس، فالشمس تصيبها بالغداة والعشيّ، فتلك لا

تعد شرقية ولا غربية.

وقال السدي [في] قوله: ﴿زَيْتُونَةٌ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ يقول: ليست بشرقية يحوزها.

المشرق، ولا غربية يحوزها المغرب دون المشرق، ولكنها على رأس جبل، أو في صحراء، تصيبها الشمس النهار كله.

وقيل: المراد بقوله: ﴿زَيْتُونَةٌ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أنها في وسط الشجر، وليست بادية للمشرق ولا للمغرب.

وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، في قول الله تعالى: ﴿زَيْتُونَةٌ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قال: فهي خضراء ناعمة، لا تصيبها الشمس على أي حال كانت، لا إذا طلعت ولا إذا غربت. قال: فكذلك هذا المؤمن، قد أجير من أن يصيبه شيء من الفتن، وقد ابتلي بها فيثبته الله فيها، فهو بين أربع خلال: إن قال صدق، وإن حكم عدل، وإن ابتلي صبر، وإن أعطي شكر، فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الأموات.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا مسدد قال: حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿زَيْتُونَةٌ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قال: هي وسط الشجر، لا تصيبها الشمس شرقا ولا غربا.

وقال عطية العوفي: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قال: هي شجرة في موضع من الشجر، يرى ظل ثمرها في ورقها، وهذه من الشجر لا تطلع عليها الشمس ولا

تغرب.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عمار، حدثنا عبد الرحمن الدشتكي، حدثنا عمرو بن أبي قيس، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، (رضي الله عنهما)، في قوله تعالى: ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ ليست شرقية ليس فيها غرب، ولا غربية ليس فيها شرق، ولكنها شرقية غربية.

وقال محمد بن كعب القرظي: ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ قال: هي القبلية.

وقال زيد بن أسلم: ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ قال: الشام.

وقال الحسن البصري: لو كانت هذه الشجرة في الأرض لكانت شرقية أو غربية، ولكنه مثل ضربه الله لنوره.

وقال الضحاک، عن ابن عباس: ﴿تُوَقَّدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ﴾ قال: رجل

صالح ﴿زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ قال: لا يهودي ولا نصراني.

وأولى هذه الأقوال القول الأول، وهو أنها في مستوى من الأرض، في مكان فسيح بارز ظاهر ضاح للشمس، تفرعه من أول النهار إلى آخره، ليكون ذلك أصفى لزيبتها وأطف، كما قال غير واحد ممن تقدم؛ ولهذا قال: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَكَوَلَمْ تَمَسَّهُ نَارٌ﴾ قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني: لضوء إشراق الزيت.

وقوله: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ قال العوفي، عن ابن عباس: يعني بذلك إيمان العبد

وعمله.

وقال مجاهد، والسدي: يعني نور النار ونور الزيت.

وقال أبي بن كعب: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ فهو يتقلب في خمسة من النور، فكلامه نور، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلى النور يوم القيامة إلى الجنة.

وقال شمر بن عطية: جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فقال: حدثني عن قول الله: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾.

قال: يكاد محمد يبين للناس، وإن لم يتكلم، أنه نبي، كما يكاد ذلك الزيت أن يضيء.

وقوله: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ أي: يرشد الله إلى هدايته من يختاره.

وقال ابن الجوزي [في «زاد المسير» (4/446)]: «قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: هادي أهل السموات والأرض، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال أنس بن مالك، وبيان هذا أن النور في اللغة: الضياء، وهو الذي تصل به الأبصار إلى مبصراتها، فورد النور مضافاً إلى الله تعالى، لأنه هو الذي يهدي المؤمنين ويبيّن لهم ما يهتدون به، والخلائق بنوره يهتدون.

والثاني: مدبر السموات والأرض، قاله مجاهد، والزجاج. وقرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكل، وابن السميّع: ﴿اللَّهُ نُورٌ﴾ بفتح النون والواو وتشديدها ونصب الراء ﴿السَّمَوَاتِ﴾ بالخفض ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بالنصب.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورٍ﴾ في هاء الكناية أربعة أقوال:

أحدها: أنها ترجع إلى الله Δ، قال ابن عباس: مثل هداه في قلب المؤمن.

والثاني: أنها ترجع إلى المؤمن، فتقديره: مثل نور المؤمن، قاله أبي ابن كعب.

وكان أبي وابن مسعود يقرآن: ﴿مَثَلُ نُورٍ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾.

والثالث: أنها ترجع إلى محمد ﷺ، قاله كعب.

والرابع: أنها ترجع إلى القرآن، قاله سفيان.

فأما المشكاة، ففيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها في موضع الفتيلة من القنديل الذي هو كالأنبوب، والمصباح:

الضوء، قاله ابن عباس.

والثاني: أنها القنديل، والمصباح: الفتيلة، قاله مجاهد.

والثالث: أنها الكوة التي لا منفذ لها، والمصباح: السراج، قاله كعب، وكذلك

قال الفراء: المشكاة: الكوة التي ليست بنافذة. وقال ابن قتيبة: المشكاة: الكوة

بلسان الحبشة. وقال الزجاج: هي من كلام العرب، والمصباح: السراج وإنما ذكر

الزجاج، لأن النور في الزجاج أشد ضوءاً منه في غيره. وقرأ أبو رجاء

العطاردي، وابن أبي عبلة: ﴿فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ﴾ بفتح الزاي فيهما. وقرأ معاذ

القاري، وعاصم الجحدري، وابن يعمر: بكسر الزاي فيهما، قال بعض أهل

المعاني: معنى الآية: كمثل مصباح في مشكاة، فهو من المقلوب.

فأما الدرّي، فقرأ أبو عمرو، والكسائي، وأبان عن عاصم ﴿دَرِيٌّ﴾ بكسر

الذال وتخفيف الياء ممدوداً مهموزاً. قال ابن قتيبة: المعنى على هذا: إنه من الكواكب الدراريء، وهي اللاتي يدرأن عليك، أي: يطلعن. وقال الزجاج: هو مأخوذ من درأ يدرأ: إذا اندفع منقضاً، فتضاعف نوره، يقال: تدارأ الرجلان: إذا تدافعا. وروى المفضل عن عاصم كسر الذال وتشديد الياء من غير همز ولا مد، وهي قراءة عبد الله بن عمر، والزهري. وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿دُرِّيٌّ﴾ بضم الذال وكسر الراء وتشديد الياء من غير مد ولا همز، وقرأ عثمان بن عفان، وابن عباس، وعاصم، الجحدري: ﴿دُرِّيٌّ﴾ بفتح الذال وكسر الراء ممدوداً مهموزاً، وقرأ أبي ابن كعب، وسعيد بن المسيب، وقتادة: بفتح الذال وتشديد الراء والياء من غير مد ولا همز. وقرأ ابن مسعود، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، وابن يعمر: بفتح الذال وكسر الراء مهموزاً مقصوراً.

قوله تعالى: ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها بين الشجر، فهي خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس، قاله أبي ابن كعب، ورواه سعيد بن جبير عن ابن عباس.

والثاني: أنها في الصحراء لا يظلمها جبل ولا كهف، ولا يوارىها شيء، فهو أجود لزيتها، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والزجاج.

والثالث: أنها من شجر الجنة، لا من شجرة الدنيا، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهُ يُمْصِيءُ﴾ أي: يكاد من صفائه يضيء قبل أن تصيبه النار

بأن يوقد به. ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ قال مجاهد: النار على الزيت. وقال ابن السائب: المصباح نور، والزجاجة نور. وقال أبو سليمان الدمشقي: نور النار، ونور الزيت، ونور الزجاجة، ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: لنور القرآن.

والثاني: لنور الإيمان.

والثالث: لنور محمد ﷺ.

والرابع: لدينه الإسلام.

ثم قال ﷺ: «فأما وجه هذا المثل، ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه شبه نور محمد ﷺ بالمصباح النير؛ فالمشكاة جوف رسول الله ﷺ، والمصباح النور الذي في قلبه، والزجاجة قلبه، فهو من شجرة مباركة، وهو إبراهيم ؑ، سماه شجرة مباركة، لأن أكثر الأنبياء من صلبه.

﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ لا يهودي ولا نصراني، يكاد محمد ﷺ يتبين للناس أنه نبيٌ ولو لم يتكلم. وقال القرظي: المشكاة: إبراهيم، والزجاجة: إسماعيل، والمصباح: محمد، صلى الله عليه وعليهم وسلّم. وقال الضحاك: شبه عبد المطلب بالمشكاة، وعبد الله بالزجاجة، ومحمدًا ﷺ بالمصباح.

والثاني: أنه شبه نور الإيمان في قلب المؤمن بالمصباح، فالمشكاة: قلبه، والمصباح: نور الإيمان فيه. وقيل: المشكاة: صدره، والمصباح: القرآن والإيمان اللذان في صدره، والزجاجة: قلبه، فكانه مما فيه من القرآن والإيمان كوكب مضيء

توقّد من شجرة، وهي الإخلاص، فمثل الإخلاص عنده كشجرة لا تصيبها الشمس، فكذلك هذا المؤمن قد احترس من أن تصيبه الفتنة، فإن أعطي شكر، وإن ابتلي صبر، وإن قال صدق، وإن حكم عدل، فقلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم ازداد هدئاً على هدئٍ كما يكاد هذا الزيت يضيء قبل أن تمسّه النار، فإذا مسّته اشتد نوره، فالمؤمن كلامه نور، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلى نور يوم القيامة.

والثالث: أنه شبه القرآن بالمصباح يستضاء به ولا ينقص، والزجاجة: قلب المؤمن، والمشكاة: لسانه وفمه، والشجرة المباركة: شجرة الوحي، تكاد حجج القرآن تتضح وإن لم تقرأ. وقيل: تكاد حجج الله تضيء لمن فكر فيها وتدبرها ولو لم ينزل القرآن، ﴿تُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ أي: القرآن نور من الله خلقه مع ما قد قام لهم من الدلائل والأعلام قبل نزول القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ أي: ويبين الله الأشباه للناس تقريباً إلى الأفهام وتسهيلاً لسبل الإدراك.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾

كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يَشِدُّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا

يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ [إبراهيم]

يضرب مثلاً برحمته سبحانه لتوحيده والإيمان به، ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾، قيل: لا إله إلا الله، وقيل: الإيمان بالله، وهذا أعم وأشمل.

وقوله تعالى: ﴿كَشَجَرٍ طَيِّبَةٍ﴾ قيل: شجرة: النخلة، وهو الأصوب للحديث الصحيح عن بن عمر ولما ثبت عن أنس من قوله، وقيل: شجرة في الجنة.

ومعنى ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ أي: في الأرض، ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي في العلو توّتي أكلها كل حين قيل كل ستة أشهر، وقيل كل سنة، وقيل غدوة وعشية وهذا هو الأقرب، ومعناه أنها توّتي أكلها غدوة وعشية في أيام نضجها.

وهذا مثل عظيم وتأويله أن المؤمن ﴿كَشَجَرٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾، وَمَنْ تَوَحَّيْدِهِ ثَابِتٌ كَامِلٌ لَا يَتَزَعَّزَعُ، ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي وغايتها في السماء، فكذلك المؤمن أصل عمله في الأرض ويرتفع إلى السماء، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: 10].

وكذلك العمل الصالح لا يكون صالحاً حتى يكون المراد به وجه الله ومرضاته.

وتأويل ﴿تُوِّتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ أي عمل المؤمن كل حين وفي كل ساعة بإذن مولاه وتوفيقه ورحمته، والتوحيد ثمرته كل ساعة:

وكما حدثنا أبو عاصم، أنه حدثه رجل من أهل الصلاح أنه كان يجالس الشيخ

ابن باز رحمته الله، فقال له: يا شيخ أرأيت عملك من الصباح حتى المساء من عمل إلى عمل ومن درس إلى منفعة مع كبر سنك؟ فقال الشيخ ابن باز: يا بني الإخلاص لله يهون العمل ويسهله - أو نحو هذا -.

هذا مثل المنافقين الذين عرفوا الحق فأمنوا به ثم كفروا، أو عرفوه ثم أظهره وأبطنوا الكفر.

فقال ابن كثير: «يقال مثل ومثل، وقيل والجمع أمثال، قال الله: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت].»

وتقرير هذا المثل أن الله سبحانه شبههم في اشتراطهم الضلالة بالهدى وصيرورتهم بعد التبصرة إلى العمى بمن استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله...».

قلت: وفي هذا المثل من الفوائد:

أن المنافقين خطرهم أكبر من خطر الكفار والملحدين لأنهم بين أهل الحق وأمرهم خافٍ على عوام الناس.

وأن الله ذكرهم وأطال في وصفهم أكثر من الكفار فالكفار في آيتين والمنافقين في ثلاث عشرة آية.

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (ج 16 / ص 566): «وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تر، يا محمد، بعين قلبك، فتعلم كيف مثل الله مثلاً وشبهه شبيهاً ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾،

ويعني بالطيبة: الإيَّانَ به جل ثناؤه، كشجرة طَيِّبَةِ الثمرة، وترك ذكر «الثمرة» استغناء بمعرفة السَّامِعِينَ عن ذكرها بذكر «الشَّجَرَةَ». وقوله: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، يقول عز ذكره: أصل هذه الشجرة ثابتٌ في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا﴾، وهو أعلاها، ﴿فِي السَّمَاءِ﴾، يقول: مرتفع علوًّا نحو السماء. وقوله: ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، يقول: تطعم ما يؤكل منها من ثمرها كلَّ حين بأمرِ ربها ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾، يقول: ويمثِّلُ اللهُ الأمثال للناس، ويشبِّه لهم الأشباه ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، يقول: ليتذكروا حُجَّةَ اللهِ عليهم، فيعتبروا بها ويتعظوا، فينزعوا عما هم عليه من الكفر به إلى الإيَّانَ.

وقد نقل ابن جرير اختلاف أهل التأويل في المعنى بالكلمة الطيبة.

«فقال بعضهم: عني بها إيَّانُ المؤمن.

وقال آخرون: بل عني بها المؤمن نفسه.

واختلفوا في هذه «الشجرة» التي جعلت للكلمة الطيبة مثلاً.

فقال بعضهم: هي النخلة. وقال آخرون: بل هي شجرة في الجنة.

قال أبو جعفر: وأولى القولين بالصواب في ذلك قول من قال: هي «النخلة»،

لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (ج 4 / ص 493): «والظاهر من السياق: أن المؤمن مثله

كمثل شجرة، لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت من صيف أو شتاء، أو ليل أو

نهار، كذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح آناء الليل وأطراف النهار في كل وقت وحين.

﴿يَا ذِينَ رَبِّهَا﴾ أي: كاملا حسنا كثيرا طيبا، ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هذا مثل كفر الكافر، لا أصل له ولا ثبات، وشبهه بشجرة الحنظل، ويقال لها: «الشريان». [رواه شعبة، عن معاوية بن قرة، عن أنس بن مالك: أنها شجرة الحنظل].

وقوله: ﴿أَجْتُنَّتْ﴾ أي: استؤصلت ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ أي: لا أصل لها ولا ثبات، كذلك الكفر لا أصل له ولا فرع، ولا يصعد للكافر عمل، ولا يتقبل منه شيء.

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٧).

قال السعدي رحمه الله (425): ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا﴾ أي: ثمرتها ﴿كُلَّ حِينٍ يَا ذِينَ رَبِّهَا﴾ فكذلك شجرة الإيمان، أصلها ثابت في قلب المؤمن، علما واعتقادا. وفرعها من الكلم الطيب والعمل الصالح والأخلاق المرضية، والآداب الحسنة في السماء دائما يصعد إلى الله منه من الأعمال والأقوال التي تخرجها شجرة الإيمان ما ينتفع به المؤمن وينفع غيره، ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ

﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ ما أمرهم به ونهاهم عنه، فإن في ضرب الأمثال تقريبا للمعاني المعقولة من الأمثال المحسوسة، ويتبين المعنى الذي أراده الله غاية البيان، ويتضح غاية الوضوح، وهذا من رحمته وحسن تعليمه. فله أتم الحمد وأكملة وأعمه، فهذه صفة كلمة التوحيد وثباتها، في قلب المؤمن.

ثم ذكر ضدها وهي كلمة الكفر وفروعها فقال: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ المأكل والمطعم وهي: شجرة الحنظل ونحوها، ﴿أَجْتَثَّتْ﴾ هذه الشجرة ﴿مِنَ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ أي: من ثبوت فلا عروق تمسكها، ولا ثمرة صالحة، تنتجها، بل إن وجد فيها ثمرة، فهي ثمرة خبيثة، كذلك كلمة الكفر والمعاصي، ليس لها ثبوت نافع في القلب، ولا تثمر إلا كل قول خبيث وعمل خبيث يستضر به صاحبه، ولا ينتفع، فلا يصعد إلى الله منه عمل صالح ولا ينفع نفسه، ولا ينتفع به غيره.

وانظر شرح نحو هذا المثل في أقسام الحديث.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ

الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

[الجمعة] ﴿٥﴾

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (377/23): «القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ

الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥﴾»

يقول تعالى ذكره: مثل الذين أتوا التوراة من اليهود والنصارى، فحملوا العمل بها.

﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ يقول: ثم لم يعملوا بما فيها، وكذبوا بمحمد ﷺ، وقد أمروا بالإيمان به فيها واتباعه والتصديق به.

﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ يقول: كمثل الحمار يحمل على ظهره كتباً من كتب العلم، لا ينتفع بها، ولا يعقل ما فيها، فكذلك الذين أتوا التوراة التي فيها بيان أمر محمد ﷺ مثلهم إذا لم ينتفعوا بما فيها، كمثل الحمار الذي يحمل أسفاراً فيها علم، فهو لا يعقلها ولا ينتفع بها.

وقال ابن كثير رحمته الله (8/117): «يقول تعالى ذاماً لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها، فلم يعملوا بها، مثلهم في ذلك ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾، أي: كمثل الحمار إذا حمل كتباً لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملاً حسياً ولا يدري ما عليه. وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أتوه، حفظوه لفظاً ولم يفهموه ولا عملوا بمقتضاه، بل أولوه وحرفوه وبدلوه، فهم أسوأ حالاً من الحمير؛ لأن الحمار لا فهم له، وهؤلاء لهم فهم لم يستعملوها؛ ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: 179] وقال هاهنا: ﴿يَسْ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾».

قال ابن القيم رحمته الله [كما في «شرح الأمثال» (ص 26)]: «قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ يَسْ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ

كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿﴾ فقاس سبحانه من حملة كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهر قلب فقراه به بغير تدبر ولا تفهم ولا اتباع له ولا تحكيم له، وعمل بموجبه كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها، وحظه منها حملها على ظهره ليس إلا؛ فحظه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره.

فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به ولم يؤد حقه ولم يرعه حق رعايته.

وقال الشنقيطي [كما في «أضواء البيان» (8/252)]: «قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾، هذا مثل ضربه الله لليهود، وهو أنه شبههم بحمار، وشبه التوراة التي كلفوا العمل بها فيها بأسفار أي كتب جامعة للعلوم النافعة، وشبه تكليفهم بالتوراة: بحمل ذلك الحمار لتلك الأسفار، فكما أن الحمار لا ينتفع بتلك العلوم النافعة التي في تلك الكتب المحمولة على ظهره، فكذلك اليهود لم ينتفعوا بها في التوراة من العلوم النافعة لأنهم كلفوا باتباع محمد ﷺ وإظهار صفاته للناس فخانوا وحرفوا وبدلوا فلم ينفعهم ما في كتابهم من العلوم؛ اهـ.

فأشار الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه، إلى أن وجه الشبه عدم الانتفاع بما تحمله من التوراة وهم يعلمون ما فيها من رسالة محمد ﷺ، وقد أوضح الله تعالى هذا في موضع آخر في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 146]، فقد

جحدوا رسالة محمد ﷺ وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فلم ينفعهم علمهم به؛ وهذه الآية أشد ما ينبغي الحذر منها، وخاصة لطلاب العلم وحملته، كما قال تعالى: ﴿يَسْ مَثَلُ الْقَوْمِ﴾ أي تشبيهم في هذا المثل بهذا الحيوان المعروف».

قال الجامع: وقد سبق للشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه الكلام على هذا المثل في عدة مواضع من الأضواء، منها في الجزء الثاني عند قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ [الأعراف: 176] الآية.

ومنها في الجزء الثالث عند قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أََعْمَأُ كَرَمَادٍ﴾ [إبراهيم: 18] الآية.

ومنها في الجزء الرابع عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ﴾ [الكهف: 54] في سورة الكهف بما فيه الكفاية.

والذي ينبغي التنبيه عليه هو أن أكثر المفسرين يجعله من قبيل التشبيه المفرد، وأن وجه الشبه فيه مفرد وهو عدم الانتفاع بالمحمول، كالبيت الذي فيه:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

والذي يظهر والله تعالى أعلم، أنه من قبيل التشبيه التمثيلي لأن وجه الشبه مركب من مجموع كون المحمول كتباً نافعة، والحامل حمار لا علاقة له بها بخلاف ما في البيت، لأن العيش يمكن أن تنتفع بالماء لو حصلت عليه، والحمار لا ينتفع بالأسفار ولو نشرت بين عينيه، وفيه إشارة إلى أن من موجبات نقل النبوة عن بني

إسرائيل كلية أنهم وصلوا إلى حد الإياس من انتفاعهم بأمانة التبليغ والعمل، فنقلها الله إلى قوم أحق بها وبالقيام بها.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا

فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ [الأعراف].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله (259 / 13): «قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر نبيه ﷺ أن يتلو على قومه خبر رجل كان الله آتاه حججه وأدلته، وهي «الآيات».

وقد دللنا على أن معنى «الآيات»: الأدلة والأعلام، فيما مضى، بما أغنى عن إعادته. وجائز أن يكون الذي كان الله آتاه ذلك «بلعم» وجائز أن يكون أمية. وكذلك «الآيات» إن كانت بمعنى الحجة التي هي بعض كتب الله التي أنزلها على بعض أنبيائه، فتعلمها الذي ذكره الله في هذه الآية، وعناه بها؛ فجائز أن يكون الذي كان أوتيتها «بلعم» وجائز أن يكون «أمية»، لأن «أمية» كان، فيما يقال، قد قرأ من كتب أهل الكتاب.

وإن كانت بمعنى كتاب أنزله الله على من أمر نبي الله ﷺ أن يتلو على قومه نبأه أو بمعنى اسم الله الأعظم أو بمعنى النبوة، فغير جائز أن يكون معنيًا به «أمية»؛

لأن «أمية» لا تختلف الأمة في أنه لم يكن أوتي شيئاً من ذلك، ولا خبر بأيّ ذلك المراد، وأيّ الرجلين المعنيّ، يوجب الحجة، ولا في العقل دلالة على أيّ ذلك المعنيّ به من أيّ. فالصواب أن يقال فيه ما قال الله، ونقرّ بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحي من الله.

وأما قوله: ﴿فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا﴾، فإنه يعني: خرج من الآيات التي كان الله آتاها إياه، فتبرّأ منها.

وقوله: ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾، يقول: فصيرّه لنفسه تابعاً ينتهي إلى أمره في معصية الله، ويخالف أمر ربّه في معصية الشيطان وطاعة الرحمن.

قوله: ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾، يقول: فكان من الهالكين، لضلاله وخلافه أمر ربه، وطاعة الشيطان.

ثم قال ابن جرير الطبري رحمه الله (261 / 13): «القول في تأويل قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾:

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولو شئنا لرفعنا هذا الذي آتيناه آياتنا بآياتنا التي آتيناه ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾، يقول: سكن إلى الحياة الدنيا في الأرض، ومال إليها، وآثر لذتها وشهواتها على الآخرة ﴿وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾، ورفض طاعة الله وخالف أمره.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله عمّ

الخبر بقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ ، أنه لو شاء رفعه بآياته التي آتاه إياها. والرفع يعم معاني كثيرة، منها الرفع في المنزلة عنده، ومنها الرفع في شرف الدنيا ومكارمها. ومنها الرفع في الذكر الجميل والثناء الرفيع. وجائز أن يكون الله عنى كل ذلك: أنه لو شاء لرفعه، فأعطاه كل ذلك، بتوفيقه للعمل بآياته التي كان آتاه إياه. وإذا كان ذلك جائزاً، فالصواب من القول فيه أن لا يخص منه شيء، إذ كان لا دلالة على خصوصه من خبرٍ ولا عقلٍ.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: فمثل هذا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها، مثل الكلب الذي يلهث، طرده أو تركته.

ثم اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله جعل الله مثله كمثل الكلب. فقال بعضهم: مثله به في اللهث، لتركه العمل بكتاب الله وآياته التي آتاه إياه، وإعراضه عن مواظب الله التي فيها إعراض من لم يؤته الله شيئاً من ذلك. فقال جل ثناؤه فيه: إذ كان سواء أمره، وعظ بآيات الله التي آتاه إياه، أو لم يوعظ، في أنه لا يتعظ بها، ولا يترك الكفر به، فمثل الكلب الذي سواء أمره في لهثه، طرد أو لم يطرد، إذ كان لا يترك اللهث بحال.

حدثني محمد بن عمرو قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد: ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ﴾ قال: تطرده، هو مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به.

حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال: ثني حجاج قال: قال ابن جريج قال مجاهد: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ﴾ قال: تطرده بدابتك

ورجلك ﴿يَلْهَثُ﴾ ، قال: مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل بما فيه قال ابن جريج: الكلب منقطع الفؤاد، لا فؤاد له، إن حملت عليه يلهث، أو تركه يلهث. قال: مثل الذي يترك الهدى لا فؤاد له، إنما فؤاده منقطع».

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (13 / 273): «قال: أبو جعفر: وأولى التأويلين في ذلك بالصواب، وتأويل من قال: إنما هو مثل لتركه العمل بآيات الله التي آتاها إياه، وأن معناه: سواء وعظ أو لم يوعظ، في أنه لا يترك ما هو عليه من خلافه أمر ربّه، كما سواء حمل على الكلب وطرد أو ترك فلم يطرد، في أنه لا يدع الله في كلتا حالتيه.

وإنما قلنا: ذلك أولى القولين بالصواب، لدلالة قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ ، فجعل ذلك مثل المكذّبين بآياته. وقد علمنا أن الله ليس في خلقه كل مكذب كتب عليه ترك الإنابة من تكذيبه بآيات الله، وأن ذلك إنما هو مثل ضربه الله لهم، فكان معلوماً بذلك أنه للذي وصف الله صفته في هذه الآية، كما هو لسائر المكذّبين بآيات الله.

ثم قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: هذا المثل الذي ضربته لهذا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها، مثل القوم الذين كذبوا بحجبتنا وأعلامنا وأدلتنا، فسلخوا في ذلك سبيل هذا المنسلخ من آياتنا الذي آتيناه إياه، في تركه العمل بما آتيناه من ذلك».

وقال ابن القيم رحمته الله [كما في «شرح الأمثال» (ص 27)]: «قوله تعالى: ﴿وَأْتَلُ

عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾
 وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ
 تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا
 فَأَقْصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ فشبّه سبحانه من آتاه كتابه وعلمه العلم
 الذي منعه غيره فترك العمل به واتبع هواه وأثر سخط الله على رضاه ودينه على
 آخرته والمخلوق على الخالق بالكلب، الذي هو من أخبث الحيوانات وأوضعها
 قدرا وأخبثها نفسا، وهمته لا تتعدى بطنه، وأشدّها شرها وحرصا، ومن حرصه
 أنه لا يمشي إلا وخطمه في الأرض يتشمم ويتروح حرصا وشرها، ولا يزال يشم
 دبره دون سائر أجزائه، وإذا رميت له بحجر رجع إليه ليعضه من فرط نهمته،
 وهو من أمهن الحيوانات وأحملها للهوان وأرضها بالدنايا، والجيف المروحة
 أحب إليه من اللحم الطري والقدرة أحب إليه من الحلوى، وإذا ظفر بميتة تكفي
 مائة كلب لم يدع كلبا يتناول معه منه شيئا إلا هرب عليه وقهره لحرصه وبخله
 وشره، ومن عجيب أمره وحرصه أنه إذا رأى ذا هيئة رثة وثياب دنية وحال زرية
 نبحه وحمل عليه كأنه يتصور مشاركته له ومنازعتة في قوته، وإذا رأى ذا هيئة
 حسنة وثياب جميلة ورياسة وضع له خطمه بالأرض وخضع له ولم يرفع إليه
 رأسه.

وفي تشبيهه من أثر الدنيا وعاجلها على الله والدار الآخرة مع وفور علمه
 بالكلب في لهته سر بديع: وهو أن الذي حاله ما ذكره الله من انسلاخه من آياته
 واتباعه هواه إنما كان لشدة لهفه على الدنيا لانقطاع قلبه عن الله والدار الآخرة فهو
 شديد اللهف عليها، ولهفه نظير لهف الكلب الدائم في حال إزعاجه وتركه.

واللهف واللهث شقيقان وأخوان في اللفظ والمعنى؛ قال ابن جريج: «الكلب منقطع الفؤاد لا فؤاد له، ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ [الأعراف: 176]، فهو مثل الذي يترك الهدى لا فؤاد له إنما فؤاده ينقطع».

قلت: مراده بانقطاع فؤاده أنه ليس له فؤاد يحمله على الصبر وترك اللهث وهكذا الذي انسلخ من آيات الله لم يبق معه فؤاد يحمله على الصبر عن الدنيا وترك اللهف عليها. فهذا يلهف على الدنيا من قلة صبره عليها، وهذا يلهث من قلة صبره على الماء، فالكلب من أقل الحيوانات صبرا عن الماء، وإذا عطش أكل الثرى من العطش وإن كان صبر عن الجوع، وعلى كل حال فهو من أشد الحيوانات لهما يلهث قائما وقاعدا وماشيا وواقفا، ذلك لشدة حرصه فحرارة الحرص في كبده توجب له دوام اللهث، فهكذا مشبهه شدة حرارة الشهوة في قلبه توجب له دوام اللهث فإن حملت عليه بالموعظة والنصيحة فهو يلهث وإن تركته ولم تعظه فهو يلهف قال مجاهد: وذلك مثال الذي أوتى الكتاب ولم يعمل به، وقال ابن عباس: إن تحمل عليه الكلمة لم يحملها وإن تركته لم يهتد إلى الخير كالكلب إن كان رابضا لهث وإن طرد لهث.

وقال الحسن: «وهو المنافق لا يثبت على الحق دعي أو لم يدع وعظ أم لم يعظ كالكلب يلهث طرد أو ترك»، وقال عطاء: «ينبح إن حملت عليه أو لم تحمل عليه»، وقال محمد بن قتيبة: «كل شيء يلهث إنما يلهث من إعياء أو عطش ألا الكلب فإنه يلهث في حال الكلال أو حال الراحة وحال الصحة وحال المرض والعطش فضربه الله مثلا لمن كذب بآياته»، وقال ابن عطية «إن وعظته فهو ضال

وإن تركته فهو ضال كالكلب إن طردته لهث وإن تركته على حاله لهث»، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صٰمِتُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٣].

وتأمل ما في هذا المثل من الحكم والمعنى فمنها قوله: ﴿ءَاتَيْنَاهُ آيٰتِنَا﴾ فأخبر سبحانه أنه هو الذي آتاه آياته فإنها نعمة، والله هو الذي أنعم بها عليه فأضافها إلى نفسه؛ ثم قال: ﴿فَأَنسَلَخَ مِنْهَا﴾ أي خرج منها كما تنسلخ الحية من جلدها وفارقها فراق الجلد ينسلخ عن اللحم، ولم يقل فسلخناه منها لأنه هو الذي تسبب إلى انسلاخه منها باتباع هواه، ومنها قوله سبحانه: ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطٰنُ﴾ أي لحقه وأدركه كما قال تعالى في قوم فرعون: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِيْنَ﴾ [الشعراء]، فكان محفوظا محروسا بآيات الله محمي الجانب بها من الشيطان، لا ينال منه شيئا إلا على غرة وخطفة، فلما انسلك من آيات الله ظفر به الشيطان ظفر الأسد بفريسته فكان من الغاوين العاملين بخلاف علمهم الذين يعرفون الحق ويعملون بخلافه كعلماء السوء.

ومنها أنه سبحانه قال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ فأخبر سبحانه أن الرفعة عنده ليست بمجرد العلم، فإن هذا كان من العلماء، وإنما هي باتباع الحق إيثاره وقصد مرضاة الله تعالى فإن هذا كان من أعلم أهل زمانه ولم يرفعه الله بعلمه ولم ينفعه به فتعوذ بالله من علم لا ينفع، وأخبر سبحانه أنه هو الذي يرفع عبده إذا شاء بما آتاه الله من العلم وإن لم يرفعه الله فهو موضوع لا يرفع أحد به رأسا، فإن الخافض الرافع الله سبحانه خفضه ولم يرفعه.

والمعنى: ولو شئنا فضلناه وشرفناه ورفعنا قدره ومنزلته بالآيات التي آتيناها، قال ابن عباس (رضي الله عنهما): «ولو شئنا لرفعناه بعلمه بها». وقالت طائفة: الضمير في قوله: ﴿لَرَفَعْتَهُ﴾ عائد على الكفر، والمعنى، ولو شئنا لرفعناه عن الكفر بما معه من آياتنا، قال مجاهد وعطاء: «لرفعنا عنه الكفر بالإيمان وعصمناه»؛ وهذا المعنى حق والأول مراد الآية، وهذا من لوازم المراد وقد تقدم أن السلف كثيرا ما يبهون على لازم معنى الآية فيظن الظان أن ذلك هو المراد منها، وقوله: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾، قال سعيد بن جبير: «ركن إلى الأرض».

وقال مجاهد: «سكن»، وقال مقاتل: «رضي بالدنيا»، وقال أبو عبيدة: «لزمها وأبطأ والمخلد من الرجال هو الذي تبطئ مشيته ومن الدواب الذي تبقى ثناياه إلى أن تخرج رباعيته». وقال الزجاج: «خلد وأخلد»، «واحد» وأصله من الخلود وهو الدوام والبقاء يقال: فلان أخلد ولاذ بالمكان إذا أقام به. قال مالك بن نويرة: «بأبناء حي من قبائل مالك وعمرو بن يربوع أقاموا وأخلدوا».

وقوله: ﴿وَاتَّبَعَهُ هَوْنَهُ﴾ قال الكلبي: «اتبع مسافل الأمور وترك معاليها». وقال أبو روق «اختار الدنيا على الآخرة». وقال عطاء: «أراد الدنيا وأطاع شيطانه»، وقال ابن زيد: «كان هواه مع القوم» يعني الذين حاربوا موسى O وقومه. وقال يمان: «اتبع امرأته لأنها هي التي حملته على ما فعله، فإن قيل الاستدراك بـ«لكن» يقتضي أن يثبت بعدها نفي ما قبلها أو ينفي ما أثبت كما تقول: لو شئت لأعطيته لكنني لم أعطه ولو شئت لما فعلت كذا لكنني فعلته، فالاستدراك يقتضي ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ ولكننا لم نشأ، أو فلم نرفع، ولكنه أخلد فكيف استدرك بقوله:

﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ بعد قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ قيل: هذا من الكلام الملحوظ فيه المعنى المعدول فيه عن مراعاة الألفاظ إلى المعاني، وذلك أن مضمون قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ أنه لم يتعاط الأسباب التي تقتضي رفعه بالآيات من إثارة الله ومرضاته على هواه ولكنه أثر الدنيا وأخلد إلى الأرض واتبع هواه، وقال الزمخشري: المعنى ولو لم يأتنا لرفعناه بها فذكر المشيئة والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه قال: ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ﴾ فاستدرك المشيئة بإخلاده الذي هو فعله فوجب أن تكون ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب أن يقال ولو شئنا لرفعناه ولكننا لم نشأ: فهذا منه شنشنة عرفها من قدرى ناف للمشيئة العامة مبعده للنجعة في جعل كلام الله معتزليا قدريا فأين قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ من قوله: «ولو لمزمها» ثم إذا كان اللزوم لها موقوفا على مشيئة الله وهو الحق بطل أصله، وقوله: إن مشيئة الله تابعة للزومه لآياته تابعة لمشيئة الله Δ فمشيئة الله سبحانه متبوعة لا تابعة؛ وقال: وسبب لا مسبب وموجب مقتضى لا مقتضى فما شاء الله وجب وجوده وما لم يشأ امتنع وجوده».

قال ابن كثير رحمته الله (3/ 511): «وقوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ﴾ اختلف المفسرون في معناه فأما على سياق ابن إسحاق، عن سالم بن أبي النضر: أن بلعاما اندلع لسانه على صدره، فتشبهه بالكلب في لهته في كلتا حالتيه إن زجر وإن ترك. وقيل: معناه: فصار مثله في ضلاله واستمراره فيه، وعدم انتفاعه بالدعاء إلى الإيمان وعدم الدعاء،

كالكلب في لهثه في حالتيه، إن حملت عليه وإن تركته، هو يلهث في الحالين، فكذاك هذا لا ينتفع بالموعظة والدعوة إلى الإيمان ولا عدمه؛ كما قال تعالى:

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:6]، ﴿أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة:80] ونحو ذلك.

وقيل: معناه: أن قلب الكافر والمنافق والضال، ضعيف فارغ من الهدى، فهو كثير الوجيب فعبر عن هذا بهذا، نقل نحوه عن الحسن البصري وغيره.

وقال الشوكاني رحمته الله [في «فتح القدير» (3/120)]: «قوله: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ أي: فصار لما انسلخ عن الآيات ولم يعمل بها منحطاً إلى أسفل رتبة، مشابهاً لأخس الحيوانات في الدناءة مماثلاً له في أقبح أوصافه، وهو أنه يلهث في كلا حالتي قصد الإنسان له وتركه. فهو لاهث سواء زجر أو ترك، طرد أو لم يطرد، شدّ عليه أو لم يشد عليه، وليس بعد هذا في الخسة والدناءة شيء، وجملة ﴿إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ في محل نصب على الحال، أي مثله كمثل الكلب حال كونه متصفاً بهذه الصفة، والمعنى: أن هذا المنسلخ عن الآيات لا يرعوى عن المعصية في جميع أحواله، سواء وعظه الواعظ، وذكره المذكر، وزجره الزاجر، أو لم يقع شيء من ذلك».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً

يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ

وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٣﴾ [النحل]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (309/17): «القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ

فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ

﴿١١٣﴾ يقول الله تعالى ذكره: ومثل الله مثلا لمكة التي سكنها أهل الشرك بالله هي

القرية التي كانت آمنة مطمئنة، وكان أمنها أن العرب كانت تتعادي، ويقتل

بعضها بعضا، ويسبي بعضها بعضا، وأهل مكة لا يغار عليهم، ولا يجاربون في

بلدهم، فذلك كان أمنا.

وقوله: ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾، يعني: قارة بأهلها، لا يحتاج أهلها إلى التجمع، كما كان

سكان البوادي يحتاجون إليها.

﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ يقول: يأتي أهلها معاشهم واسعة كثيرة.

وقوله: ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ يعني: من كل فجّ من فجاج هذه القرية، ومن كل

ناحية فيها.

قال ابن كثير رحمته الله (607/4): «هذا مثل أريد به أهل مكة، فإنها كانت آمنة

مطمئنة مستقرة يتخطف الناس من حولها، ومن دخلها آمن لا يخاف، كما قال

تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ الْمُدَيِّ مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا

يُجِبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ رَزَقًا مِّنْ لَّدُنَّا ﴿﴾ [القصص: 57] وهكذا قال هاهنا: ﴿يَأْتِيهَا رَزَقُهَا رَغَدًا﴾ أي: هنيئها سهلا، ﴿مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ﴾ أي: جحدت آلاء الله عليها وأعظم ذلك بعثة محمد ﷺ إليهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا يَمَعَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا وَيَبْسُوْنَ أَلْقَارًا ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم].

ولهذا بدّهم الله بحالهم الأولين خلافها، فقال: ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ أي: ألبسها وأذاقها الجوع بعد أن كان يجبي إليهم ثمرات كل شيء، ويأتيها رزقها رغداً من كل مكان، وذلك لما استعصوا على رسول الله ﷺ وأبوا إلا خلافة، فدعا عليهم بسبع كسبع يوسف، فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء لهم، فأكلوا العلهز وهو: وبر البعير، يجعل بدمه إذا نحروه.

وقال الشوكاني رحمته الله في فتح القدير (4/ 271): «قوله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ قد قدمنا أن ضرب مضمن معنى جعل، حتى تكون ﴿قَرْيَةً﴾ المفعول الأول و﴿مَثَلًا﴾ المفعول الثاني، وإنما تأخرت ﴿قَرْيَةً﴾ لئلا يقع الفصل بينها وبين صفاتها. وقدّمنا أيضاً أنه يجوز أن يكون «ضرب» على بابه غير مضمن، ويكون ﴿مَثَلًا﴾ مفعوله الأول وقرية بدلاً منه.

وقد اختلف المفسرون هل المراد بهذه القرية قرية معينة، أو المراد قرية غير معينة؟ بل كل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة؟ فذهب الأكثر إلى الأول وصرحوا بأنها مكة، وذلك لما دعا عليهم رسول الله ﷺ وقال: «اللهم اشدد

وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف»، فابتلوا بالقحط حتى أكلوا العظام، والثاني: أرجح، لأن تنكير قرية يفيد ذلك، ومكة تدخل في هذا العموم البدليّ دخولاً أولياً. وأيضاً يكون الوعيد أبلغ، والمثل أكمل، وغير مكة مثلها. وعلى فرض إرادتها، ففي المثل إنذار لغيرها من مثل عاقبتها.

ثم وصف القرية بأنها ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ غير خائفة ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾ غير منزعة، أي: لا يخاف أهلها ولا ينزعجون ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾ أي: ما يرتزق به أهلها ﴿رَغَدًا﴾ واسعاً ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ من الأمكنة التي يجلب ما فيها إليها ﴿فَكَفَرَتْ﴾ أي: كفر أهلها ﴿بِأَنْعَمِ اللَّهِ﴾ التي أنعم بها عليهم، والأنعم: جمع نعمة كالأشدّ جمع شدة. وقيل: جمع نعمى مثل بؤسى وأبؤس. وهذا الكفر منهم هو كفرهم بالله سبحانه وتكذيب رسله ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ﴾ أي: أذاق أهلها ﴿لِيَأْسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ سمي ذلك لباساً لأنه يظهر به عليهم من الهزال، وشحوبة اللون، وسوء الحال، ما هو كاللباس، فاستعير له اسمه، وأوقع عليه الإذاعة، وأصلها الذوق بالفم. ثم استعيرت لمطلق الاتصال مع إنباتها بشدة الإصابة لما فيها من اجتماع الإدراكين: إدراك اللمس، والذوق».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ،

مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (20/151): «يقول تعالى ذكره: ولو أن شجر

الأرض كلها برت أقلاماً، ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ﴾ يقول: والبحر له مداد، والهاء في

قوله: ﴿يَمُدُّهُ﴾ عائدة على البحر.

وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾ وفي هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة الظاهر عليه منه، وهو يكتب كلام الله بتلك الأقلام وبذلك المداد، لتكسرت تلك الأقلام، ولنفذ ذلك المداد، ولم تنفذ كلمات الله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علي، عن أبي رجاء، قال: سألت الحسن عن هذه الآية. ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ قال: لو جعل شجر الأرض أقلاما، وجعل البحور مدادا، وقال الله: إن من أمري كذا، ومن أمري كذا، لنفد ماء البحور، وتكسرت الأقلام».

وقال ابن كثير رحمته الله (6 / 348): «يقول تعالى مخبرا عن عظمته وكبريائه وجلاله، وأسمائه الحسنی وصفاته العلا وكلماته التامة التي لا يحيط بها أحد، ولا اطلاع لبشر على كنهها وإحصائها، كما قال سيد البشر وخاتم الرسل: «لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾ [أي: ولو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلاما، وجعل البحر مدادا ومده سبعة أبحر] معه، فكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت الأقلام، ونفد ماء البحر، ولو جاء أمثالها مددا.

وإنما ذكرت «السبعة» على وجه المبالغة، ولم يرد الحصر ولا [أن] ثم سبعة أبحر

موجودة تحيط بالعالم، كما يقوله من تلقاه من كلام الإسرائيليين التي لا تصدق ولا تكذب، بل كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفَذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: 109]، فليس المراد بقوله: ﴿بِمِثْلِهِ﴾ آخر فقط، بل بمثله ثم بمثله ثم بمثله، ثم هلم جراً؛ لأنه لا حصر لآيات الله وكلماته.

وقال الحسن البصري: لو جعل شجر الأرض أقلاماً، وجعل البحر مداداً، وقال الله: «إن من أمري كذا، ومن أمري كذا» لنفذ ما في البحور، وتكسرت الأقلام.

وقال قتادة: قال المشركون: إنما هذا كلام يوشك أن ينفذ، فقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ أي: لو كان شجر الأرض أقلاماً، ومع البحر سبعة أبحر، ما كان لتنفذ عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه.

باب بيان المثل في قول الله تعالى ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَيْسٍ وَاحِدَةً﴾

[لقمان: 28]

مثل الله تعالى بعث الناس بالنسبة إلى قوته وقوته وإرادته إلا كبعث نفس واحدة.

قال ابن جرير الطبري (ج 20 / ص 153): «يقول تعالى ذكره: ما خلقكم أيها الناس ولا بعثكم على الله إلا كخلق نفس واحدة وبعثها، وذلك أن الله لا يتعذر عليه شيء أراده، ولا يمتنع منه شيء شاءه» ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ﴾

فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ [يس]، فسواء خلق واحد وبعثه، وخلق الجميع وبعثهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يقول: كن فيكون للقليل والكثير.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ قال: يقول: إنما خلق الله الناس كلهم وبعثهم كخلق نفس واحدة وبعثها، وإنما صلح أن يقال: إلا كنفس واحدة، والمعنى: إلا كخلق نفس واحدة؛ لأن المحذوف فعل يدلّ عليه قوله: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ﴾ والعرب تفعل ذلك في المصادر، ومنه قول الله: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُعْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ والمعنى: كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت، فلم يذكر الدوران والعين لما وصفت.

قال الشوكاني [في «فتح القدير» (ج 5 / ص 495)]: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أي إلا كخلق نفس واحدة، وبعثها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (6/348): «وقوله: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أي: ما خلق جميع الناس وبعثهم يوم المعاد بالنسبة إلى قدرته

إلا كنسبة [خلق] نفس واحدة، الجميع هين عليه و ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس، ٨٢] ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [٥٠] ﴿القمرا] أي: لا يأمر بالشيء إلا مرة واحدة، فيكون ذلك الشيء لا يحتاج إلى تكرره وتوكده. ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [١٣] ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [١٤] ﴿[النازعات]﴾.

قال الشنقيطي [في «أضواء البيان» (ج 1 / ص 49)]: «في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ الآية [البقرة: 73].

أشار في هذه الآية إلى أن إحياء قتيل بني إسرائيل دليل على بعث الناس بعد الموت. لأن من أحيا نفساً واحدة بعد موتها قادر على إحياء جميع النفوس. وقد صرح بهذا في قوله: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنٍ وَاحِدَةٍ﴾.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [١٠] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخَنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِخَنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [١١] ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِذْ قَالَتْ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ [التحریم]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (23 / 497): «يقول تعالى ذكره: مثل الله مثلا للذين كفروا من الناس وسائر الخلق امرأة نوح وامرأة لوط، كانتا تحت عبدين من عبادنا، وهما نوح ولوط فخانتاهما.

ذكر أن خيانة امرأة نوح زوجها أنها كانت كافرة، وكانت تقول للناس: إنه مجنون. وأن خيانة امرأة لوط، أن لوطاً كان يسرّ الضيف، وتدلّ عليه.

وقوله: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ يقول: فلم يغن نوح ولوط عن امرأتيهما من الله لما عاقبهما على خيانتها أزواجهما شيئاً، ولم ينفعهما أن كانت أزواجهما أنبياء.

وضرب الله مثلاً للذين صدقوا الله ووحده، امرأة فرعون التي آمنت بالله ووحده، وصدقت رسوله موسى، وهي تحت عدو من أعداء الله كافر، فلم يضرّها كفر زوجها، إذ كانت مؤمنة بالله، وكان من قضاء الله في خلقه أن لا تزر وازرة وزر أخرى، وأن لكل نفس ما كسبت، إذ قالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾، فاستجاب الله لها فبنى لها بيتاً في الجنة.

وقوله: ﴿وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ وتقول: وأنقذني من عذاب فرعون، ومن أن أعمل عمله، وذلك كفره بالله.

وقوله: ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ تقول: وأخلصني وأنقذني من عمل القوم الكافرين بك، ومن عذابهم.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ يقول: التي منعت جيب درعها جبريل ؑ، وكل ما كان في الدرع من خرق أو فتق، فإنه يسمى فرجاً، وكذلك كل صدع وشق في حائط، أو فرج سقف فهو فرج.

وقوله: ﴿فَفَخَّنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ يقول: فنفخنا فيه في جيب درعها، وذلك فرجها، من روحنا من جبرئيل، وهو الروح.

قال ابن كثير رحمته الله (8/171): «ثم قال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم، أن ذلك لا يجدي عنهم شيئاً ولا ينفعهم عند الله، إن لم يكن الإيمان حاصلًا في قلوبهم، ثم ذكر المثل فقال: ﴿أَمْرَاتَ نُوحٍ وَأَمْرَاتَ لُوطٍ كَأَنَّا تَحْتِ عِبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ﴾ أي: نبين رسولين عندهما في صحبتها ليلاً ونهاراً يؤاكلانهما ويصاحبانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ أي: في الإيمان، لم يوافقاهما على الإيمان، ولا صدقاهما في الرسالة، فلم يجد ذلك كله شيئاً، ولا دفع عنها محذورا؛ ولهذا قال: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: لكفرهما، ﴿وَقِيلَ﴾ أي: للمرأتين: ﴿أَدْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ﴾ وليس المراد: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في فاحشة، بل في الدين، فإن نساء الأنبياء معصوماتٌ عن الوقوع في الفاحشة؛ لحرمة الأنبياء، كما قدمنا في سورة النور».

ثم قال ابن كثير رحمته الله في المثل الثاني (8/172): «وهذا مثلٌ ضرب به الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم، كما قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتًا﴾ [آل عمران: 28].

قال: قتادة كان فرعون أعتى أهل الأرض وأبعده فوالله ما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربه لتعلموا أن الله حكمٌ عدل، لا يؤاخذ أحداً إلا بذنبه».

قال ابن القيم رحمه الله [كما في «شرح الأمثال» (ص 55)]: «قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أُمْرَاتَ نُوحٍ وَأُمْرَاتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (١٠) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا أُمْرَاتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِجَنِّي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِجَنِّي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْإِسْلَامِ مِنَ الْأُمَّمِ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٢) ﴿ فَاشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْثَالٍ: مِثْلٌ لِلْكَافِرِ وَمِثْلِينَ لِلْمُؤْمِنِينَ:

فتضمن مثل الكفار أن الكافر يعاتب على كفره وعداوته لله تعالى ورسوله صلوات الله عليه، وأوليائه ولا ينفعه مع كفره ما كان بينه وبين المؤمنين من لحمه نسب أو وصلة صهر أو سبب من سبب الاتصال، فإن الأسباب [كلها] تنقطع يوم القيامة إلا ما كان منها متصلاً بالله وحده على أيدي رسله عليهم الصلاة والسلام فلو نفعت وصلة القرابة والمصاهرة والنكاح مع عدم الايمان لنفعت الصلة التي كانت بين نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام وامراتيهما فلما لم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل لهما ادخلا النار مع الداخلين، فقطعت الآية حينئذ طمع من ارتكب معصية الله تعالى وخالف أمره ورجا أن ينفعه صلاح غيره من قريب أو أجنبي ولو كان بينهما في الدنيا أشد الاتصال؛ فلا اتصال فوق اتصال النبوة والأبوة والزوجية، ولم يغن نوح O عن ابنه، ولا إبراهيم O عن أبيه، ولا نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام عن امرأتيهما من الله شيئاً، قال الله تعالى: ﴿لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ يَوْمَ

﴿المتحنة: 3﴾، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا
وَالْأَمْرُ يُؤَمِّدُ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار]، وقال تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ
شَيْئًا﴾ [البقرة: 48]، وقال تعالى: ﴿وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ
جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان: 33]، وهذا كله تكذيب لأطماع المشركين الباطلة أن
من تعلقوا به من دون الله من قرابة أو صهر أو نكاح أو صحبة تنفعهم يوم القيامة
أو تحيرهم ولا من عذاب الله تعالى أو تشفع لهم عند الله تعالى وهذا أصل ضلال
بني آدم وشركهم وهو الشرك الذي لا يغفره الله، وهو الذي بعث الله تعالى جميع
رسله عليهم الصلاة والسلام وأنزل جميع كتبه بإبطاله ومحاربة أهله ومعاداتهم.

فصل: وأما المثان اللذان للمؤمنين:

فأحدهما: امرأة فرعون، ووجه المثل: أن اتصال المؤمن بالكافر لا يضره شيئاً
إذا فارقه في كفره وعمله، فمعصية العاصي لا تضر المطيع شيئاً في الآخرة وإن
تضرر بها في الدنيا بسبب العقوبة التي تحل بأهل الأرض إذا أضاعوا أمر الله Δ
فتأتي عامة، فلم يضر امرأة فرعون اتصالها به وهو من أكفر الكافرين، ولم ينفع
امرأة نوح ولو ط اتصالتها بهما وهما رسولا رب العالمين.

المثل الثاني للمؤمنين: مريم التي لا زوج لها، لا مؤمن ولا كافر فذكر ثلاثة
أصناف النساء: المرأة الكافرة التي لها وصلة بالرجل الصالح والمرأة الصالحة التي
لها وصلة بالرجل الكافر والمرأة العزبة التي لا وصلة بينها وبين أحد، فالأولى لا
تنفعها وصلتها وسببها والثانية لا تضرها وصلتها وسببها، والثالثة لا يضرها عدم
الصلة شيئاً ثم في هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة فإنها

سيقت في ذكر أزواج النبي ﷺ والتحذير من تظاهرهن عليه وأنهن إن لم يطعن الله ورسوله ﷺ ويردن الدار الآخرة لم ينفعهن اتصاهن برسول الله ﷺ كما لم ينفع امرأة نوح ولوط اتصاهما بهما، ولهذا ضرب لهما في هذه السورة مثل اتصال النكاح دون القرابة، قال يحيى بن سلام: «ضرب الله المثل الأول يجذر عائشة وحفصة، ثم ضرب لهما المثل الثاني يجرضهما على التمسك بالطاعة». وفي ضرب المثل للمؤمنين - بمريم - أيضا اعتبار آخر وهو أنها لم يضرها عند الله شيئا قذف أعداء الله تعالى اليهود لها ونسبتهم إياها وابنها إلى ما برأهما الله عنه مع كونها الصديقة الكبرى المصطفاة على نساء العالمين، فلا يضر الرجل الصالح قذف الفجار والفساق فيه، وفي هذا تسلية لعائشة أم المؤمنين إن كانت السورة نزلت بعد قصة الإفك، وتوطين نفسها على ما قال فيها الكاذبون إن كانت قبلها. كما في التمثيل بامرأة نوح ولوط تحذير لها وحفصة مما اعتمدته في حق النبي ﷺ.

فتضمنت هذه الأمثال التحذير لهن، والتخويف والتحريض لهن على الطاعة والتوحيد، والتسلية وتوطين النفس لمن أودى منهن وكذب عليه، وأسرار التنزيل فوق هذا وأجل منه ولا سيما أسرار الأمثال التي لا يعقلها إلا العالمون».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْيَنْتَ وَظَرَكَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتْنَهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس]

قال ابن القيم رحمه الله [كما في «شرح الأمثال» (ص 12)]: «قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْيَنْتَ وَظَرَكَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتْنَهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾، شبه سبحانه الحياة الدنيا في أنها تتزين في عين الناظر فتروقه بزينتها وتعجبه فيميل إليها ويهاها اغترارا منه بها، حتى إذا ظن أنه مالك لها قادر عليها سلبها بغتة أحوج ما كان إليها وحيل بينه وبينها، فشبهها بالأرض الذي ينزل الغيث عليها فتعشب ويحسن نباتها ويروق منظرها للناظر فيغتر به ويظن أنه قادر عليها مالك لها، فيأتيها أمر الله فتدرك نباتها الآفة بغتة فتصبح كأن لم تكن قبل فيخيب ظنه وتصبح يدها صفرا منها؛ فهكذا حال الدنيا والواقع بها سواء، وهذا من أبلغ التشبيه والقياس.

فلما كانت الدنيا عرضة لهذه الآفات والجنة سليمة منها قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ فساها هنا دار السلام لسلامتها من هذه الآفات التي ذكرها في الدنيا، فعم بالدعوة إليها وخص بالهداية من شاء، فذلك عدله وهذا فضله».

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (55 / 15): «قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: إنما مثل ما تباهون في الدنيا وتفاحرون به من زيتها وأموالها، مع ما قد وكل بذلك من التكدير والتنغيص وزواله بالفناء والموت، كمثل ماءٍ أنزلناه من السماء، يقول: كمطر أرسلناه من السماء إلى الأرض ﴿فَأَخْنَطُ بِهِ نَبَاتَ الْأَرْضِ﴾، يقول: فنبت بذلك المطر أنواعٌ من النبات، مختلطٌ بعضها ببعض.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ يعني: ظهر حسنها وبهاؤها ﴿وَأَزْيَنْتَ﴾، يقول: وتزينت ﴿وَوَطَّأَ أَهْلُهَا﴾، يعني: أهل الأرض».

قال ابن كثير رحمته الله (4 / 260): «ضرب [تبارك و] تعالى مثلاً لزهرة الحياة الدنيا وزيتها وسرعة انقضائها وزوالها، بالنبات الذي أخرجته الله من الأرض بما أنزل من السماء من الماء، مما يأكل الناس من زرع وثمار، على اختلاف أنواعها وأصنافها، وما تأكل الأنعام من أب وقضب وغير ذلك، ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ أي: زيتها الفانية، ﴿وَأَزْيَنْتَ﴾ أي: حسنت بما خرج من رباها من زهور نضرة مختلفة الأشكال والألوان، ﴿وَوَطَّأَ أَهْلُهَا﴾ الذين زرعوها وغرسوها ﴿أَنْتُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: على جذاذها وحصادها فيناهم كذلك إذ جاءتها صاعقة، أو ريح بادرة، فأبيست أوراقها، وأتلفت ثمارها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا﴾ أي: يبسا بعد [تلك] الخضرة والنضارة، ﴿كَأَن لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ﴾ أي: كأنها ما كانت حسناء قبل ذلك.

وقال قتادة: ﴿كَأَن لَّمْ تَعْنِ﴾ كأن لم تنعم.

وهكذا الأمور بعد زوالها كأنها لم تكن؛ ولهذا جاء في الحديث يؤتى بأنعم أهل الدنيا، فيغمس في النار غمسة ثم يقال له: هل رأيت خيراً قط؟ [هل مر بك نعيم قط؟] فيقول: لا. ويؤتى بأشد الناس عذاباً في الدنيا فيغمس في النعيم غمسة، ثم يقال له: هل رأيت بؤساً قط؟ فيقول: لا. وقال تعالى إخباراً عن المهلكين: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَنِّمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ [هود: 94، 95].

ثم قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ﴾ أي: نبين الحجج والأدلة، ﴿لِقَوْمٍ يَنْفَكُرُونَ﴾ فيعتبرون بهذا المثل في زوال الدنيا من أهلها سريعاً مع اغترارهم بها، وتمكنهم بمواعيدها وتفلتتها منهم، فإن من طبعها الهرب ممن طلبها، والطلب لمن هرب منها، وقد ضرب الله مثل الحياة الدنيا بنبات الأرض، في غير ما آية من كتابه العزيز، فقال في سورة الكهف: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا﴾ [الكهف: 45]، وكذا في سورة الزمر والحديد يضرب بذلك مثل الحياة الدنيا كما».

قال ابن كثير رحمته الله (4/ 261): «وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ الآية: لما ذكر تعالى الدنيا وسرعة [عطبها و] زوالها، رغب في الجنة ودعا إليها، وسماها دار السلام أي: من الآفات، والنقائص والنكبات، فقال: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ

فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنَدِرًا ﴿٤٥﴾

[الكهف]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (30/18): «يقول عز ذكره لنبية محمد عليها السلام: واضرب حياة هؤلاء المستكبرين الذين قالوا لك: اطرده عنك هؤلاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، إذا نحن جنناك الدنيا منهم مثلاً يقول: شبيها.

﴿ كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ يقول: كمطر أنزلناه من السماء.

﴿ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ﴾ يقول: فاختلط بالماء نبات الأرض.

﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا ﴾ يقول: فأصبح نبات الأرض يابساً متفتتاً.

﴿ تَذْرُوهُ الرِّيحُ ﴾ يقول: تطيره الرياح وتفرقه، يقال منه: ذرته الريح تذروه ذرواً، وذرته ذرياً، وأذرتة تذريره إذراء».

وقال ابن كثير رحمته الله (5/161): «يقول تعالى: ﴿ وَأَضْرِبْ ﴾ يا محمد للناس

﴿ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ في زواها وفنائها وانقضائها ﴿ كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ

بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ﴾ أي: ما فيها من الحب، فشب وحسن، وعلاه الزهر والنور

والنصرة ثم بعد هذا كله ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا ﴾ يابساً ﴿ تَذْرُوهُ الرِّيحُ ﴾ أي: تفرقه

وتطرحة ذات اليمين وذات الشمال ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنَدِرًا ﴾ أي: هو قادر

على هذه الحال، وهذه الحال وكثيراً ما يضرب الله مثل الحياة الدنيا بهذا المثل كما في

سورة يونس: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ﴿ الآية [يونس: 24]، وقال في سورة الزمر: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٣﴾ [الزمر]، وقال في سورة الحديد: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ [الحديد].

وفي الحديث الصحيح: «الدنيا حلوة خضرة».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ [الحديد]

يحقر الله الدنيا ويهونها ويضرب للناس لها مثلاً لعلهم يتذكرون والله بكل شيء عليم.

فمثلها الله بالزرع المعجب للزرع لكثرة نباته وحسنه ثم يهيج فتراه مصفراً يابساً ثم يكون حطاماً.

وكذلك الدنيا ما هي إلا تكاثر وتفاخر ثم تنتهي وتزول، ويموت الناس

ويتركون ما كانوا فيه يتنافسون، وعليه يتخاصمون، ومن أجله يعرضون، فما يجبرون منها شيئاً، وإنما يجدون الأعمال المفضية، أي عذاب شديد لمن اغتر بالدنيا ومغفرة ورضوان لمن علم بها وعلم بحالها وحقيقتها، نعوذ بالله من فتنة الدنيا وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال.

وقال ابن جرير الطبري رحمته الله (23/193): «يقول تعالى ذكره: اعلموا أيها الناس إن متاع الحياة الدنيا المعجلة لكم، ما هي إلا لعب ولهو تتفكّهون به، وزينة تترينون بها، ونفاخر بينكم، يفخر بعضكم على بعض بما أولى فيها من رياشها.

﴿وَتَكَاثَرُوا فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ يقول تعالى ذكره: ويباهي بعضكم بعضاً بكثرة الأموال والأولاد.

﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم يبیس ذلك النبات.

﴿فَتَرْتَهُ مُمْصِراً﴾ بعد أن كان أخضر نضراً.

وقوله: ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ يقول تعالى ذكره: ثم يكون ذلك النبات حطاماً، يعني به: أنه يكون نباتاً يابساً متهشماً.

﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وفي الآخرة عذاب شديد للكفار.

﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ لأهل الإيمان بالله ورسوله.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿اعلموا أنما

الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌ ﴿... الآية، يقول: صار الناس إلى هذين الحرفين في الآخرة. وكان بعض أهل العربية يقول في قوله: ﴿وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ ذكر ما في الدنيا، وأنه على ما وصف، وأما الآخرة فإنها إما عذاب، وإما جنة. قال: والواو فيه وأو بمنزلة واحدة.

وقوله: ﴿وَمَا الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ يقول تعالى ذكره: وما زينة الحياة الدنيا المعجلة لكم أيها الناس، إلا متاع الغرور.

قال ابن كثير رحمته الله (8 / 24): «يقول تعالى موهناً أمر الحياة الدنيا ومحقراً لها: ﴿أَنَّمَا الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ أي: إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا، كما قال: ﴿زِينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ﴾ [آل عمران: 14].

ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ وهو: المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس، كما قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ [الشورى: 28].

وقوله: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَانِهِ﴾ أي: يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث؛ وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار، فإنهم أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها، ﴿ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾

أي: يهيج ذلك الزرع فتراه مصفرًا بعد ما كان خضرًا نضرا، ثم يكون بعد ذلك كله حطامًا، أي: يصير يبسًا متحطمًا، هكذا الحياة الدنيا تكون أولا شابة، ثم تكتهل، ثم تكون عجوزًا شوهاء، والإنسان كذلك في أول عمره وعنفوان شبابه غضا طريًا لين الأعطاف، بهي المنظر، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه وينفذ بعض قواه، ثم يكبر فيصير شيخًا كبيرًا، ضعيف القوى، قليل الحركة، يعجزه الشيء اليسير، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: 54].

ولما كان هذا المثل دالا على زوال الدنيا وانتقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حذر من أمرها ورغب فيها من الخير، فقال: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ أي: وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا: إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله ورضوان.

وقوله: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ أي: هي متاع فانٍ غارٍ لمن ركن إليه فإنه يغتر بها وتعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ولا معاد وراءها، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد].

قيل: كمتاع المسافر.

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (16 / 430): «قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: الله يوسع على من يشاء من خلقه في رزقه، فيبسط له منه لأن منهم من لا يصلحه إلا ذلك ﴿وَيَقْدِرُ﴾، يقول: ويقتر على من يشاء منهم في رزقه وعيشه، فيضيّقه عليه، لأنه لا يصلحه إلا الإقتار.

﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، يقول تعالى ذكره: وفرح هؤلاء الذين بسط لهم في الدنيا من الرزق على كفرهم بالله ومعصيتهم إياه بما بسط لهم فيها، وجهلوا ما عند الله لأهل طاعته والإيمان به في الآخرة من الكرامة والنعيم.

ثم أخبر جلّ ثناؤه عن قدر ذلك في الدنيا فيما لأهل الإيمان به عنده في الآخرة وأعلم عباده قلته، فقال: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾، يقول: وما جميع ما أعطى هؤلاء في الدنيا من السّعة وبسط لهم فيها من الرزق ورغد العيش، فيما عند الله لأهل طاعته في الآخرة ﴿إِلَّا مَتَعٌ﴾ قليل، وشيء حقير ذاهب. كما:

حدثنا الحسن بن محمد، قال، حدثنا شبابة قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿إِلَّا مَتَعٌ﴾ قال: قليل ذاهب.

حدثني المثني قال، حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، ح، قال: وحدثنا إسحاق قال: حدثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾، قال: قليل ذاهب.

وقال ابن كثير رحمته الله (ج 4 / ص 454): «كما قال: ﴿قُلْ مَتَعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ أَنْتَفَى وَلَا يُظْلَمُونَ قَلِيلًا﴾ [النساء: 77].

وقال: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى].

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع ويحيى بن سعيد قالوا حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن المستورد أخي بني فهر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم، فلينظر بم ترجع» وأشار بالسبابة. ورواه مسلم في صحيحه.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ

الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ [الرعد]

قال ابن جرير الطبري رحمه الله (408 / 16): «قال أبو جعفر: وهذا مثل ضربه الله للحق والباطل، والإيمان به والكفر.

يقول تعالى ذكره: مثل الحق في ثباته والباطل في اضمحلاله، مثل ماء أنزله الله من السماء إلى الأرض.

﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ ، يقول: فاحتملته الأودية بملئها، الكبير بكبره، والصغير بصغره.

﴿ فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ﴾ ، يقول: فاحتمل السيل الذي حدث عن ذلك الماء الذي أنزله الله من السماء، زبداً عالياً فوق السيل.

فهذا أحد مثلي الحقِّ والباطل، فالحق هو الماء الباقي الذي أنزله الله من السماء، والزبد الذي لا ينتفع به هو الباطل.

والمثل الآخر: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ﴾ يقول جل ثناؤه: ومثل آخر للحقِّ والباطل، مثل فضة أو ذهب يوقد عليها الناس في النار طلب حلية يتخذونها أو متاع، وذلك من النحاس والرصاص والحديد، يوقد عليه ليتخذ منه متاع ينتفع به.

﴿زَبْدٌ مِّثْلُهُ﴾، يقول تعالى ذكره: ومما يوقدون عليه من هذه الأشياء زبد مثله، يعني: مثل زبد السَّيل لا ينتفع به ويذهب باطلا كما لا ينتفع بزبد السَّيل ويذهب باطلا.

ورفع «الزبد» بقوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾.

ومعنى الكلام: ومما يوقدون عليه في النار زبداً مثل زبد السيل في بطول زبده، وبقاء خالص الذهب والفضة.

يقول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾، يقول: كما مثل الله مثل الإيمان والكفر، في بطول الكفر وخيبة صاحبه عند مجازاة الله، بالباقي النافع من ماء السيل وخالص الذهب والفضة، كذلك يمثل الله الحق والباطل.

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ يقول: فأما الزبد الذي علا السيل والذهب والفضة والنحاس والرصاص عند الوقود عليها، فيذهب بدفع الرياح وقذف الماء به، وتعلقه بالأشجار وجوانب الوادي.

﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ من الماء والذهب والفضة والرصاص والنحاس، فالماء يمكث في الأرض فتشربه، والذهب والفضة تمكث للناس.

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ يقول: كما مثل هذا المثل للإيمان والكفر، كذلك يمثل الأمثال».

قال ابن القيم رحمه الله [كما في «شرح الأمثال» (ص 11)]: «في شرح قوله تعالى:

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ...﴾ الآية [البقرة: 17]: وقد ذكر سبحانه المثليين

المائي والناري في سورة الرعد ولكن في حق المؤمنين فقال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ

السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ

حَلِيَةٍ أَوْ مَتَعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ

النَّاسَ فَيَمَكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ شبه الوحي الذي أنزله لحياة

القلوب والأسماع والأبصار بالماء الذي أنزله لحياة الأرض بالنبات.

وشبه القلوب بالأودية: فقلب كبير يسع علما عظيما كواد كبير يسع ماء كثيرا،

وقلب صغير إنما يسع بحسبه كالوادي الصغير. فسالت أودية بقدرها واحتملت

قلوب من الهدى والعلم بقدرها، كما أن السيل إذا خالط الأرض ومر عليها

احتملت غثاء وزبدا، فكذلك الهدى والعلم إذا خالط القلوب أثار ما فيها من

الشهوات والشبهات ليقلعها ويذهبها كما يثير الدواء وقت شربه من البدن

أخلاطه فتكرب عنه بها شاربه وهي من تمام نفع الدواء فإنه أثارها ليذهب بها فإنه

لا يجامعها ولا يساكنها، وهكذا ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾.

ثم ذكر المثل الناري فقال: ﴿وَمَا يُوقَدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ﴾ وهو الخبث الذي يخرج عند سبك الذهب والفضة والنحاس والحديد، فتخرجه النار وتميزه وتفصله عن الجوهر الذي ينتفع به فيرمى وي طرح ويذهب جفاء فكذلك الشهوات والشبهات يرميها قلب المؤمن وي طرحها ويجفوها كما ي طرح السيل والنار ذلك الزبد والغثاء والخبث، ويستقر في قرار الوادي الماء الصافي الذي يسقي منه الناس ويزرعون ويسقون أنعامهم، كذلك يستقر في قرار القلب وجذره الإيمان الخالص الصافي الذي ينفع صاحبه وينتفع به غيره.

ومن لم يفقه هذين المثلين ولم يتدبرهما ويعرف ما يراد منهما فليس من أهلها، والله الموفق.

وقال ابن كثير رحمته الله (4/ 447): «اشتملت هذه الآية الكريمة على مثلين مضروبين للحق في ثباته وبقائه، والباطل في اضمحلاله وفنائه، فقال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي: مطرا، ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ أي: أخذ كل واد بحسبه، فهذا كبير وسع كثيرا من الماء، وهذا صغير فوسع بقدره، وهو إشارة إلى القلوب وتفاوتها، فمنها ما يسع علما كثيرا، ومنها ما لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها، ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ أي: فجاء على وجه الماء الذي سال في هذه الأودية زبدٌ عال عليه، هذا مثل، وقوله: ﴿وَمَا يُوقَدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ هذا هو المثل الثاني، وهو ما يسبك في النار من ذهب أو فضة.

﴿ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ﴾ أي: ليجعل حلية أو نحاسا أو حديداً، فيجعل متاعا فإنه يعلوه زبد منه، كما يعلو ذلك زبد منه.

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ أي: إذا اجتمعا لا ثبات للباطل ولا دوام له، كما أن الزبد لا يثبت مع الماء، ولا مع الذهب ونحوه مما يسبك في النار، بل يذهب ويضمحل؛ ولهذا قال: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ أي: لا ينتفع به، بل يتفرق ويتمزق ويذهب في جانبي الوادي، ويعلق بالشجر وتنسفه الرياح. وكذلك خبث الذهب والفضة والحديد والنحاس يذهب، لا يرجع منه شيء، ولا يبقى إلا الماء وذلك الذهب ونحوه ينتفع به؛ ولهذا قال: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43].

قال بعض السلف: كنت إذا قرأت مثلاً من القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسي؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ﴿٤٣﴾.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾.

وقال ابن كثير رحمته الله (4/ 448): «هذا مثل ضربه الله، احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها، فأما الشك فلا ينفع معه العمل، وأما اليقين فينفع الله به أهله. وهو قوله: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ وهو الشك، ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ وهو اليقين، وكما يجعل الحلي في النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار؛ فكذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك.

فجعل ذاك مثل العمل الصالح يبقى لأهله، والعمل السيئ يضمحل عن

أهله، كما يذهب هذا الزبد، فكذلك الهدى والحق جاء من عند الله، فمن عمل بالحق كان له، ويبقى كما يبقى ما ينفع الناس في الأرض. وكذلك الحديد لا يستطيع أن يعمل منه سكين ولا سيف حتى يدخل في النار فتأكل خبثه، ويخرج جيده فيتففع به. كذلك يضمحل الباطل إذا كان يوم القيامة، وأقيم الناس، وعرضت الأعمال، فيزيغ الباطل ويهلك، ويتففع أهل الحق بالحق.

وكذلك روي في تفسيرها عن مجاهد، والحسن البصري، وعطاء، وقتادة، وغير واحد من السلف والخلف.

وقد ضرب الله، E، في أول سورة البقرة للمنافقين مثلين ناريا ومائيا، وهما قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ الآية [البقرة: 17]، ثم قال: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَةٌ وَّرَعْدٌ وَّرَبْقٌ﴾ الآية [البقرة: 19]. وهكذا ضرب للكافرين في سورة النور مثلين، أحدهما: قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً﴾ [النور: 39] الآية، والسراب إنما يكون في شدة الحر؛ ولهذا جاء في الصحيحين: «يقال لليهود يوم القيامة: فما تريدون؟ فيقولون: أي ربنا، عطشنا فاسقنا. فيقال: ألا تردون؟ فيردون النار فإذا هي كالسراب يحطم بعضها بعضا».

ثم قال في المثل الآخر: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَعْشَشُهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾ الآية [النور: 40]. وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضا، فكان منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكانت

منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا ورعوا وسقوا وزرعوا، وأصابت طائفة منها [أخرى] إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني ونفع به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به».

فهذا مثل مائي، وقال في الحديث الآخر الذي رواه الإمام أحمد:

حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مثلي ومثلكم، كمثلي رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي يقعن في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهنّ ويغلبهن فيقتحمن فيها». قال: «فذلكم مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلمّ عن النار [هلمّ عن النار، هلمّ] فتغلبوني فتقتحمون فيها». وأخرجاه في الصحيحين أيضاً فهذا مثل ناري. الأول للمتبعين، والثاني، للتابعين، والله أعلم».

وقال السعدي رحمه الله (1/ 415): «شبه تعالى الهدى الذي أنزله على رسوله لحياة القلوب والأرواح، بالماء الذي أنزله لحياة الأشباح، وشبه ما في الهدى من النفع العام الكثير الذي يضطر إليه العباد، بما في المطر من النفع العام الضروري، وشبه القلوب الحاملة للهدى وتفاوتها بالأودية التي تسيل فيها السيول، فواد كبير يسع ماء كثيراً، كقلب كبير يسع علماً كثيراً، وواد صغير يأخذ ماء قليلاً كقلب صغير، يسع علماً قليلاً وهكذا».

وشبه ما يكون في القلوب من الشهوات والشبهات عند وصول الحق إليها،

بالزبد الذي يعلو الماء ويعلو ما يوقد عليه النار من الحلية التي يراد تخليصها وسبكها، وأنها لا تزال فوق الماء طافية مكدرة له حتى تذهب وتضمحل، ويبقى ما ينفع الناس من الماء الصافي والحلية الخالصة.

كذلك الشبهات والشهوات لا يزال القلب يكرهها، ويجاهدها بالبراهين الصادقة، والإرادات الجازمة، حتى تذهب وتضمحل ويبقى القلب خالصا صافيا ليس فيه إلا ما ينفع الناس من العلم بالحق وإيثاره، والرغبة فيه، فالباطل يذهب ويمحقه الحق ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٨١) ﴿الإسراء﴾، وقال هنا: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ ليتضح الحق من الباطل والهدى والضلال.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله [كما في مجموع فتاوى (1/189)]: «فشبهه العلم بالماء المنزل من السماء؛ لأنَّ به حياة القلوب كما أنَّ بالماء حياة الأبدان وشبهه القلوب بالأودية لأنها محل العلم كما أنَّ الأودية محل الماء، فقلبٌ يسع علما كثيرا، ووادي يسع ماء كثيرا، وقلبٌ يسع علما قليلا، ووادي يسع ماء قليلا، وأخبر تعالى أنه يعلو على السيل من الزبد بسبب مخالطة الماء وأنه يذهب جفاء أي: يرمى به ويخفى والذي ينفع الناس يمكث في الأرض ويستقر، وكذلك القلوب تخالطها الشهوات والشبهات فإذا ترابى فيها الحق ثارت فيها تلك الشهوات والشبهات ثم تذهب جفاء ويستقر فيها الإيمان والقرآن الذي ينفع صاحبه والناس.

وقال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ فهذا المثل الآخر وهو الناري فالأول للحياة والثاني للضياء. ثم القلب للعلم كالإناء للماء، والوعاء للغسل والوادي للسيل، كما قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ

السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا ﴿الآية﴾.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِفُوتٌ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

[الحديد] ﴿١٧﴾

قول الله: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد]، هذا ليس بمثل صريح ولكن أشار المفسرون عليهم رحمة الله أن فيه إشارة وبعض مثل إلى أن القادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر سبحانه على إحياء القلوب الميتة والقلوب القاسية بعد موتها وذهاب نورها.

قال ابن كثير رحمته الله (8 / 21): «وقوله: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ فيه إشارة إلى أنه تعالى يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحيارى بعد ضللتها، ويفرّج الكروب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجذبة الهامدة بالغيث الهتان [الوابل] كذلك يهدي القلوب القاسية براهين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعد ما كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الإضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعال، وهو الحكم العدل في جميع الفعال، اللطيف الخبير الكبير المتعال».

قال الطبري في تفسيره (23 / 189): «يقول تعالى ذكره ﴿أَعْلَمُوا﴾ أيها الناس

﴿أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ﴾ الميتة التي لا تنبت شيئاً، ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يعني: بعد دثورها ودروسها، يقول: وكما نحیی هذه الأرض الميتة بعد دروسها، كذلك نهدي الإنسان الضَّالَّ عن الحقِّ إلى الحق، فنوفِّقه ونسُدُّه للإيمان حتى يصير مؤمناً من بعد كفره، ومهتدياً من بعد ضلاله.

وقوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يقول: قد بيَّنا لكم الأدلة والحجج لتعقلوا».

قال الشوكاني [في «فتح القدير» (7/154)]: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فهو قادر على أن يبعث الأجسام بعد موتها، ويلين القلوب بعد قسوتها ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ التي من جملتها هذه الآيات ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: كي تعقلوا ما تضمنته من المواعظ، وتعملوا بموجب ذلك».

قال السعدي في تفسيره (1/840): ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فإن الآيات تدل العقول على العلم بالمطالب الإلهية، والذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على أن يحيي الأموات بعد موتهم، فيجازيهم بأعمالهم، والذي أحيا الأرض بعد موتها بماء المطر قادر على أن يحيي القلوب الميتة بما أنزله من الحق على رسوله، وهذه الآية تدل على أنه لا عقل لمن لم يهتد بآيات الله و[لم] ينقد لشرائع الله».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (١٧) ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (١٨) أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْغَعِمٌ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوًا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٠) [البقرة]

قال ابن كثير رحمته الله (1/ 186): «يقال: مثل ومثل ومثيل -أيضا- والجمع أمثال، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43].»

وتقدير هذا المثل: أن الله سبحانه، شبَّههم في اشترائهم الضلالة بالهدى، وصيرورتهم بعد التبصرة إلى العمى، بمن استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله، وتأنس بها فبيننا هو كذلك إذ طفئت ناره، وصار في ظلام شديد، لا يبصر ولا يهتدي، وهو مع ذلك أصم لا يسمع، أبكم لا ينطق، أعمى لو كان ضياء لما أبصر؛ فلهذا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك، فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضًا عن الهدى، واستحبابهم الغيِّ على الرشد. وفي هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا، كما أخبر عنهم تعالى في غير هذا الموضع، والله أعلم.

وقد حكى هذا الذي قلناه فخر الدين الرازي في تفسيره عن السدي ثم قال:

والتشبيه هاهنا في غاية الصحة؛ لأنهم بإيمانهم اكتسبوا أولا نورا ثم بنفاقهم ثانياً أبطلوا ذلك النور فوقعوا في حيرة عظيمة فإنه لا حيرة أعظم من حيرة الدين.

وزعم ابن جرير أن المضروب لهم المثل هاهنا لم يؤمنوا في وقت من الأوقات، واحتج بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 8].

والصواب: أن هذا إخبار عنهم في حال نفاقهم وكفرهم، وهذا لا ينفي أنه كان حصل لهم إيمان قبل ذلك، ثم سلبوه وطبع على قلوبهم، ولم يستحضر ابن جرير، بِسْمِ اللَّهِ، هذه الآية هاهنا وهي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: 3]؛ فلهذا وجه [ابن جرير] هذا المثل بأنهم استضاؤوا بما أظهره من كلمة الإيمان، أي في الدنيا، ثم أعقبهم ظلمات يوم القيامة.

قال: وصح ضرب مثل الجماعة بالواحد، كما قال: ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: 19] أي: كدوران عيني الذي يغشى عليه من الموت، وقال تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَاكُمْ وَإِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: 28] وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: 5]، وقال بعضهم: تقدير الكلام: مثل قصتهم كقصه الذي استوقد نارا. وقال بعضهم: المستوقد واحد لجماعة معه. وقال آخرون: الذي هاهنا بمعنى الذين كما قال الشاعر:

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

قلت: وقد التفت في أثناء المثل من الواحد إلى الجمع، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (١٧) ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (١٨) وهذا أفصح في الكلام، وأبلغ في النظام، وقوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أي: ذهب عنهم ما ينفعهم، وهو النور، وأبقى لهم ما يضرهم، وهو الإحراق والدخان ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ وهو ما هم فيه من الشك والكفر والنفاق، ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ لا يهتدون إلى سبل خير ولا يعرفونها، وهم مع ذلك ﴿صُمُّ﴾ لا يسمعون خيرا ﴿بُكْمٌ﴾ لا يتكلمون بما ينفعهم ﴿عُمَىٰ﴾ في ضلالة وعاية البصيرة، كما قال تعالى: ﴿فَاتَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: 46] فهذا لا يرجعون إلى ما كانوا عليه من الهداية التي باعوها بالضلالة.

ذكر أقوال المفسرين من السلف بنحو ما ذكرناه:

قال السدي في تفسيره، عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ زعم أن ناساً دخلوا في الإسلام مقدم نبي الله ﷺ المدينة، ثم إنهم نافقوا، فكان مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة، فأوقد ناراً، فأضاءت ما حوله من قذى، أو أذى، فأبصره حتى عرف ما يتقي منه فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره، فأقبل لا

يدري ما يتقي من أذى، فكذلك المنافق: كان في ظلمة الشرك فأسلم، فعرف الحلال والحرام، و[عرف] الخير والشر، فبينما هو كذلك إذ كفر، فصار لا يعرف الحلال من الحرام، ولا الخير من الشر. وقال مجاهد: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ أما إضاءة النار فإقبالهم إلى المؤمنين، والهدى.

وقال عطاء الخرساني في قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ قال: هذا مثل المنافق، يبصر أحياناً ويعرف أحياناً، ثم يدركه عمى القلب.

وقال ابن أبي حاتم: وروي عن عكرمة، والحسن والسدي، والربيع بن أنس نحو قول عطاء الخرساني.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ إلى آخر الآية، قال: هذه صفة المنافقين. كانوا قد آمنوا حتى أضاء الإيمان في قلوبهم، كما أضاءت النار لهؤلاء الذين استوقدوا ثم كفروا فذهب الله بنورهم فانتزعه، كما ذهب بضوء هذه النار فتركهم في ظلمات لا يبصرون.

وقال العوفي، عن ابن عباس، في هذه الآية، قال: أما النور: فهو إيمانهم الذي كانوا يتكلمون به، وأما الظلمة: فهي ضلالتهم وكفرهم الذي كانوا يتكلمون به، وهم قوم كانوا على هدى، ثم نزع منهم، فعتوا بعد ذلك.

وأما قول ابن جرير فيشبه ما رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ قال: هذا مثل ضربه الله للمنافقين أنهم كانوا يعتزون بالإسلام، فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء، فلما

ماتوا سلبهم الله ذلك العزّ، كما سلب صاحب النار ضوءه.

وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ
الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ فإنها ضوء النار ما أوقدتها، فإذا خمدت ذهب نورها، وكذلك
المنافق، كلما تكلم بكلمة الإخلاص، بلا إله إلا الله، أضاء له، فإذا شك وقع في
الظلمة.

وقال الضحّاك [في قوله] ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أما نورهم فهو إيمانهم الذي
تكلّموا به.

وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا
أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ فهي لا إله إلا الله؛ أضاءت لهم فأكلوا بها وشربوا وأمّنوا في
الدنيا، ونكحوا النساء، وحقنوا دماءهم، حتى إذا ماتوا ذهب الله بنورهم وتركهم
في ظلمات لا يبصرون.

وقال سعيد، عن قتادة في هذه الآية: إن المعنى: أن المنافق تكلم بلا إله إلا الله
فأضاءت له الدنيا، فناكح بها المسلمين، وغازاهم بها، ووارثهم بها، وحقن بها دمه
وماله، فلما كان عند الموت، سلبها المنافق؛ لأنه لم يكن لها أصل في قلبه، ولا حقيقة
في عمله.

﴿وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلْمَتٍ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَتَرَكَّهُمْ فِي
ظُلْمَتٍ﴾ يقول: في عذاب إذا ماتوا.

وقال محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو سعيد بن

جبير، عن ابن عباس: ﴿وَتَرَكُوهُمْ فِي ظُلْمَتٍ﴾ أي يبصرون الحق ويقولون به، حتى إذا خرجوا من ظلمة الكفر أطفئوه بكفرهم ونفاقهم فيه، فتركهم الله في ظلمات الكفر، فهم لا يبصرون هدى، ولا يستقيمون على حق.

وقال السدي في تفسيره بسنده: ﴿وَتَرَكُوهُمْ فِي ظُلْمَتٍ﴾ فكانت الظلمة نفاقهم.

وقال الحسن البصري: ﴿وَتَرَكُوهُمْ فِي ظُلْمَتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ فذلك حين يموت المنافق، فيظلم عليه عمله عمل السوء، فلا يجد له عملا من خير عمل به يصدق به قول: لا إله إلا الله.

﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَى﴾ قال السدي بسنده: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَى﴾ فهم خرس عمي.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَى﴾ يقول: لا يسمعون الهدى ولا يبصرونه ولا يعقلونه، وكذا قال أبو العالية، وقتادة بن دعامة.

﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ قال ابن عباس: أي لا يرجعون إلى هدى، وكذلك قال الربيع بن أنس.

وقال السدي بسنده: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إلى الإسلام.

وقال قتادة: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أي لا يتوبون ولا هم يذكرون.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي

ءَادَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١١﴾ يَكَاذِبُونَ وَيَسْتَكْفِرُونَ وَهُمْ يُصِرُّونَ

أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّا اللَّهُ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾، وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى لضرب آخر من المنافقين، وهم قوم يظهر لهم الحق تارة، ويشكّون تارة أخرى، فقلوبهم في حال شكهم وكفرهم وترددهم ﴿كَصَيْبٍ﴾ والصيب: المطر، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وناس من الصحابة، وأبو العالية، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء، والأشهر هو المطر نزل من السماء في حال ظلمات، وهي الشكوك والكفر والنفاق. ﴿وَرَعْدٌ﴾ وهو ما يزعج القلوب من الخوف، فإن من شأن المنافقين الخوف الشديد والفرع، كما قال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: 4] وقال: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ بِمِنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَحْذَرُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مُدْخَلًا لَوْلُوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [التوبة].

والبرق: هو ما يلعب في قلوب هؤلاء الضرب من المنافقين في بعض الأحيان، من نور الإيمان؛ ولهذا قال: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْدِعَهُمْ فِيءًا وَإِنَّهُمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ أي: ولا يجدي عنهم حذرهم شيئاً؛ لأن الله محيط [بهم] بقدرته، وهم تحت مشيئته وإرادته، كما قال: ﴿هَلْ أُنثِقُ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البروج].

والصواعق: جمع صاعقة، وهي نار تنزل من السماء وقت الرعد الشديد، وحكى الخليل بن أحمد عن بعضهم صاعقة، وحكى بعضهم صاعقة وصعقة وصاعقة، ونقل عن الحسن البصري أنه: قرأ ﴿مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ بتقديم القاف وأنشدوا لأبي النجم:

يحكوك بالمتقولة القواطع شفق البرق عن الصواقع

قال النحاس: وهي لغة بني تميم وبعض بني ربيعة، حكى ذلك.

ثم قال: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ أي: لشدته وقوته في نفسه، وضعف بصائرهم، وعدم ثباتها للإيمان.

قال ابن القيم رحمه الله [كما في «شرح الأمثال» (ص 9)]: «قوله تعالى في حق المنافقين: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ وسلم ما حوله ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿صُمُّوا بِكُمْ عَمِيَّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْئَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ - إلى قوله - ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٠﴾. فضرب للمنافقين بحسب حالهم: مثلين: مثلاً نارياً ومثلاً مائياً لما في الماء والنار من الإضاءة والإشراق والحياة فإن النار مادة النور والماء مادة الحياة.

وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي أنزل من السماء متضمناً لحياة القلوب واستنارتها ولهذا سماه روحاً ونوراً، وجعل قابليه أحياء في النور ومن لم يرفع به رأساً أمواتاً في الظلمات.

وأخبر عن حال المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحي أنهم بمنزلة من استوقد ناراً التضيء له ويتنفع بها وهذا لأنهم دخلوا في الإسلام، فاستضاءوا به وانتفعوا به تشبيه الكفار بالمطر المصاحب للظلمة والرعد والبرق وآمنوا به وخالطوا المسلمين ولكن لما لم يكن لصحبتهم مادة من قلوبهم من نور الإسلام طغى عنهم وذهب

الله بنورهم.

ولم يقل نارهم فإن النار فيها الإضاءة والإحراق، فذهب الله بما فيها من الإضاءة وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق، وتركهم في ظلمات لا يبصرون، فهذا حال من أبصر ثم عمي وعرف ثم أنكر ودخل في الإسلام ثم فارقه بقلبه لا يرجع إليه ولهذا قال: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (١٨).

ثم ذكر حالهم بالنسبة إلى المثل المائي: فشبهم بأصحاب صيب وهو المطر الذي يصبوب أي ينزل من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق. فلضعف بصائرهم وعقولهم اشتدت عليهم زواجر القرآن ووعيده وتهديده وأوامره ونواهيته وخطابه الذي يشبه الصواعق فحالهم كحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق، فلضعفه وخوفه جعل أصبعيه في أذنيه خشية من صاعقة تصيبه، وقد شاهدنا نحن وغيرنا كثيرا من مخانيث تلاميذ الجهمية والمبتدعة إذا سمعوا شيئا من آيات الصفات وأحاديث الصفات المنافية لبدعتهم رأيتهم عنها معرضين ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ﴾ (٥٠) ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ (٥١) [المدثر]، ويقول مختهم: سدوا عنا هذا الباب، واقرأوا شيئا غير هذا. وترى قلوبهم مولية وهم يجمعون لثقل معرفة الرب سبحانه تعالى وأسمائه وصفاته على عقولهم وقلوبهم، وكذلك المشركون على اختلاف شركهم إذا جرد لهم التوحيد وتليت عليهم نصوصه المبطله لشركهم اشمأزت قلوبهم وثقل عليهم لو وجدوا السبيل إلى سد آذانهم لفعلوا، وكذلك نجد أعداء أصحاب رسول الله ﷺ ثقل ذلك عليهم جدا فأنكرته قلوبهم؛ وهذا كله شبه ظاهر ومثل محقق من إخوانهم من المنافقين في المثل الذي ضربه الله لهم

بالماء فإنهم لما تشابهت قلوبهم تشابهت أعمالهم».

وقال السعدي رحمته الله (1/ 44): «أي: مثلهم المطابق لما كانوا عليه كمثل الذي استوقد نارا، أي: كان في ظلمة عظيمة، وحاجة إلى النار شديدة فاستوقدها من غيره، ولم تكن عنده معدة، بل هي خارجة عنه، فلما أضاءت النار ما حوله، ونظر المحل الذي هو فيه، وما فيه من المخاوف وأمنها، وانتفع بتلك النار، وقرت بها عينه، وظن أنه قادر عليها، فبينما هو كذلك، إذ ذهب الله بنوره، فذهب عنه النور، وذهب معه السرور، وبقي في الظلمة العظيمة والنار المحرقة، فذهب ما فيها من الإشراق، وبقي ما فيها من الإحراق، فبقي في ظلمات متعددة: ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة المطر، والظلمة الحاصلة بعد النور، فكيف يكون حال هذا الموصوف؟

فكذلك هؤلاء المنافقون، استوقدوا نار الإيمان من المؤمنين، ولم تكن صفة لهم، فانتفعوا بها وحققت بذلك دماؤهم، وسلمت أموالهم، وحصل لهم نوع من الأمن في الدنيا، فبينما هم على ذلك إذ هجم عليهم الموت، فسلبهم الانتفاع بذلك النور، وحصل لهم كل هم وغم وعذاب، وحصل لهم ظلمة القبر، وظلمة الكفر، وظلمة النفاق، وظلم المعاصي على اختلاف أنواعها، وبعد ذلك ظلمة النار [وبئس القرار].

فلهذا قال تعالى [عنهم]: ﴿صُمُّوا﴾ أي: عن سماع الخير، ﴿بِكُمْ﴾ [أي]: عن النطق به، ﴿عُمِّي﴾ عن رؤية الحق، ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ لأنهم تركوا الحق بعد أن عرفوه، فلا يرجعون إليه، بخلاف من ترك الحق عن جهل وضلال، فإنه لا يعقل،

وهو أقرب رجوعاً منهم.

ثم قال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ يعني: أو مثلهم كصيب، أي: كصاحب صيب من السماء، وهو المطر الذي يصب، أي: ينزل بكثرة، ﴿فِيهِ ظُلُمَةٌ﴾ ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمات المطر، ﴿وَرَعْدٌ﴾ وهو الصوت الذي يسمع من السحاب، ﴿وَبَرْقٌ﴾ وهو الضوء [اللامع] المشاهد مع السحاب. ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمُ﴾ البرق في تلك الظلمات ﴿مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ أي: وقفوا.

فهكذا حال المنافقين، إذا سمعوا القرآن وأوامره ونواهيته ووعده ووعيدته، جعلوا أصابعهم في آذانهم، وأعرضوا عن أمره ونهيه ووعده ووعيدته، فيروعهم وعيده وترعجهم وعوده، فهم يعرضون عنها غاية ما يمكنهم، ويكروهونها كراهة صاحب الصيب الذي يسمع الرعد، ويجعل أصابعه في أذنيه خشية الموت، فهذا تمكن له السلامة. وأما المنافقون فأنى لهم السلامة، وهو تعالى محيط بهم، قدرة وعلماً فلا يفوتونه ولا يعجزونه، بل يحفظ عليهم أعمالهم، ويجازيهم عليها أتم الجزاء.

ولما كانوا مبتلين بالصمم، والبكم، والعمى المعنوي، ومسدودة عليهم طرق الإيمان، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ أي: الحسية، ففيه تحذير لهم وتخويف بالعقوبة الدنيوية، ليحذروا، فيرتدعوا عن بعض شرهم ونفاقهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فلا يعجزه شيء، ومن قدرته أنه إذا شاء

شيئا فعله من غير ممانع ولا معارض».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خَشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو فَاذْرَهُمْ فَتَالَهُمُ اللَّهُ أَلَمْ يُؤْفَكُونَ

[٤] [المنافقون]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (395 / 23): «يقول جل ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: وإذا رأيت هؤلاء المنافقين يا محمد تعجبك أجسامهم لاستواء خلقها وحسن صورها.

﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ يقول جل ثناؤه: وإن يتكلموا تسمع كلامهم يشبه منطقتهم منطلق الناس.

﴿كَأَنْهُمْ خَشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ يقول: كأن هؤلاء المنافقين خشب مسندة لا خير عندهم ولا فقه لهم ولا علم، وإنما هم صور بلا أحلام، وأشباح بلا عقول.

وقال ابن كثير رحمته الله (126 / 8): ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ أي: كانوا أشكالا حسنة وذوي فصاحة وألسنة، إذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم لبلاغتهم، وهم مع ذلك في غاية الضعف والخور والهلع والجزع والجبين؛ ولهذا قال: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف، يعتقدون، لجنبهم، أنه نازل بهم، كما قال تعالى: ﴿أَشْحَثَّ عَلَيْكُمْ﴾ فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلفوكم باللسنة جداد أشحثة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك

عَلَى اللَّهِ سَيْرًا ﴿ [الأحزاب: 19] فهم جهامات وصور بلا معاني. ولهذا قال: ﴿ هُمُ
الْعَدُوُّ فَأَحْذَرُهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ أي: كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكَوْنٌ ﴾ (٢٤)

[الطور]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (22 / 476): «وقد حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد،

قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكَوْنٌ ﴾ ذكر
لنا أن رجلا قال: يا نبي الله هذا الخادم، فكيف المخدوم؟ قال: «والذي نفس محمد
بيده، إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب».

وقال ابن كثير رحمته الله (7 / 435): «وقوله: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ

مَّكَوْنٌ ﴾: إخبار عن خدمهم وحشمهم في الجنة كأنهم اللؤلؤ الرطب، المكنون في
حسنهم وبهائهم ونظافتهم وحسن ملابسهم، كما قال ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ
﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ [الواقعة]».

قال ابن القيم رحمته الله [كما في «شرح الأمثال» (ص 31)]: «قوله تعالى: ﴿ يَطُوفُ

عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ أي قد خلقوا للبقاء لذلك لا يتغيرون ولا يكبرون وهم
على سن واحد أبدا، وقيل المقرطون في آذانهم والمسورون في أيديهم وأصحاب
هذا القول فسروا اللفظ ببعض لوازمه وذلك إشارة إلى التخليد على ذلك السن
فلا ينافي القولين».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَصِرَتُ الْأَطْرَفُ لَمَّا يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا

جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَإِيَاءَ الْآءِ رِيكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهِنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَإِيَاءَ الْآءِ رِيكَمَا

تَكْذِبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾

وقال ابن جرير الطبري رحمته الله (65 / 23): «يقول تعالى ذكره: كأن هؤلاء القاصرات الطرف، اللواتي هنّ في هاتين الجنتين في صفائهنّ الياقوت، الذي يرى السلك الذي فيه من ورائه، فكذلك يرى مخّ سوقهنّ من وراء أجسامهنّ، وفي حسنهنّ الياقوت والمرجان».

وقال ابن كثير رحمته الله (504 / 7): «ثم قال ينعتهن للخطاب: ﴿ كَأَنَّهِنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾، قال مجاهد، والحسن، [والسدي]، وابن زيد، وغيرهم: في صفاء الياقوت وبياض المرجان، فجعلوا المرجان هاهنا اللؤلؤ».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

أَكْثُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ [الرعد]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (469 / 16): «قال أبو جعفر: اختلف أهل العلم بكلام العرب في مرافع «المثل»، فقال بعض نحويي الكوفيين: الرافع للمثل

قوله: ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾، في المعنى، وقال: هو كما تقول: «حلية فلان، أسمر كذا وكذا» فليس «الأسمر» بمرفوع بالحلية، إنما هو ابتداءً، أي هو أسمر هو كذا. قال: ولو دخل «أن» في مثل هذا كان صواباً. قال: ومثله في الكلام: «ملك أنك كذا وأنك كذا»، وقوله: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ ﴿٢٤﴾ أَنَا ﴿عبس: 24، 25﴾ من

وجه، ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾، ومن قال: ﴿أَنَا صَبِينَا الْمَاءِ﴾، أظهر الاسم لأنه مردودٌ على «الطعام» بالخفض، ومستأنف، أي: طعامه أنا صبينا ثم فعلنا. وقال: معنى قوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾، صفات الجنة.

وقال بعض نحويي البصريين: معنى ذلك: صفة الجنة قال: ومنه قول الله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [الروم:27]، معناه: والله الصفة العليا. قال: فمعنى الكلام في قوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، أو فيها أنهار، كأنه قال: وصف الجنة صفة تجري من تحتها الأنهار، أو صفة فيها أنهار، والله أعلم.

قال: ووجه آخر كأنه إذا قيل: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾، قيل: الجنة التي وعد المتقون. قال. وكذلك قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل:30]، كأنه قال: بالله الرحمن الرحيم، والله أعلم.

قال: وقوله: ﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر:56]، في ذات الله، كأنه عندنا قيل: في الله.

قال: وكذلك قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:11]، إنما المعنى: ليس كشيء، وليس مثله شيء، لأنه لا مثل له. قال: وليس هذا كقولك للرجل: «ليس كمثلك أحد»، لأنه يجوز أن يكون له مثل، والله لا يجوز ذلك عليه. قال: ومثله قول لبيد: إلى الحول ثم اسم السلام عليكما.

قال: وفسر لنا أنه أراد: السلام عليكما.

قال ابن كثير رحمته الله (4/464): «ذكر تعالى عقاب الكفار وثواب الأبرار: فقال بعد، إخباره عن حال المشركين وما هم عليه من الكفر والشرك: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: بأيدي المؤمنين قتلا وأسرا، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ﴾ أي: المدخر [لهم] مع هذا الخزي في الدنيا، ﴿أَشَقُّ﴾ أي: من هذا بكثير، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتلاعنين: «إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة» وهو كما قال، صلوات الله وسلامه عليه، فإن عذاب الدنيا له انقضاء، وذلك دائم أبدا في نار هي بالنسبة إلى هذه سبعون ضعفا، ووثاق لا يتصور كثافته وشدته، كما قال تعالى: ﴿فِيَوْمٍ لَا يَعَذَّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٥٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٥٦﴾﴾ [الفجر] وقال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أَلْقَاوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [الفرقان].

ولهذا قرن هذا بهذا؛ فقال: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ أي: صفتها ونعتها، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: سارحة في أرجائها وجوانبها، وحيث شاء أهلها، يفجرونها تفجيرا، أي: يصرفونها كيف شاءوا وأين شاءوا، كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّرْبِ بَيْنَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد].

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ

وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأْتَاهَا بِيهٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا

يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ [التوبة]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (474 / 14): «قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره

لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تقم، يا محمد، في المسجد الذي بناه هؤلاء المنافقون، ضرارًا
وتفريقًا بين المؤمنين، وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله. ثم أقسم جل ثناؤه فقال:

﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ﴾، أنت ﴿فِيهِ﴾».

وقال ابن كثير رحمته الله (217 / 4): «يقول تعالى: لا يستوي من أسس بنيانه

على تقوى الله ورضوان، ومن بنى مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين،
وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل، فإنما بنى هؤلاء بنيانهم ﴿عَلَى شَفَا جُرْفٍ

هَارٍ﴾ أي: طرف حفيرة مثاله ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي:
لا يصلح عمل المفسدين.

قال جابر بن عبد الله: رأيت المسجد الذي بنى ضرارًا يخرج منه الدخان على

عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن جريج ذكر لنا أن رجلا حفروا فوجدوا الدخان يخرج منه. وكذا قال

قتادة.

وقال خلف بن ياسين الكوفي: رأيت مسجد المنافقين الذي ذكره الله تعالى في

القرآن، وفيه جحر يخرج منه الدخان، وهو اليوم مزبلة. رواه ابن جرير رحمته الله.

وقوله: ﴿لَا يَزَالُ بُيِّنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: شكا ونفاقا بسبب إقدامهم على هذا الصنيع الشنيع، أو رثهم نفاقا في قلوبهم، كما أشرب عابده العجل حبه.

وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: بموتهم. قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وزيد بن أسلم، والسدي، وحبيب بن أبي ثابت، والضحاك، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغير واحد من علماء السلف.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ أي: بأعمال خلقه، ﴿حَكِيمٌ﴾ في مجازاتهم عنها، من خير وشر.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، وَيَاذَنْ رَبَّهُ، وَالَّذِي خَبثَ لَا

يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيْتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ [الأعراف]

وقال ابن جرير الطبري رحمته الله (495 / 12): «قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: والبلد الطيبة تربته، العذبة مشاربه، يخرج نباته إذا أنزل الله الغيث وأرسل عليه الحيا، بإذنه، طيباً ثمره في حينه ووقته. والذي خبث فردوت تربته، وملحت مشاربه، ﴿لَا يَخْرِجُ﴾ نباته ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ يقول: إلا عسراً في شدة، كما قال الشاعر: لا تنجز الوعد إن وعدت وإن أعطيت أعطيت تافهًا نكدا».

وقال ابن كثير رحمته الله (430 / 3): «وقوله: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، وَيَاذَنْ رَبَّهُ﴾ أي: والأرض الطيبة يخرج نباتها سريعاً حسناً، كما قال: ﴿فَنَقَبَلَهَا رَبُّهَا

يَقْبُولُ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴿[آل عمران: 37].﴾

﴿وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ قال مجاهد وغيره: كالسباخ ونحوها.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في الآية: هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر.

وقال البخاري: حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا حماد بن أسامة عن بريد بن عبد الله، عن أبي بردة، عن أبي موسى، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكانت منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلاً والعشب الكثير. وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا. وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً. ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به». رواه مسلم والنسائي من طرق.

وقال السعدي رحمته الله (292 / 1): «ثم ذكر تفاوت الأراضي، التي ينزل عليها المطر، فقال: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ أي: طيب التربة والمادة، إذا نزل عليه مطر ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ﴾ الذي هو مستعد له ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ أي: بإرادة الله ومشئته، فليست الأسباب مستقلة بوجود الأشياء، حتى يأذن الله بذلك.

﴿وَالَّذِي خَبثَ﴾ من الأراضي ﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ أي: إلا نباتا خاسا لا نفع فيه ولا بركة.

﴿كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ أي: ننوعها ونبينها ونضرب فيها الأمثال ونسوقها لقوم يشكرون الله بالاعتراف بنعمه، والإقرار بها، وصرفها في مرضاة الله، فهم الذين ينتفعون بما فصل الله في كتابه من الأحكام والمطالب الإلهية، لأنهم يرونها من أكبر النعم الواصلة إليهم من ربهم، فيتلقونها مفتقرين إليها فرحين بها، فيتدبرونها ويتأملونها، فيبين لهم من معانيها بحسب استعدادهم، وهذا مثال للقلوب حين ينزل عليها الوحي الذي هو مادة الحياة، كما أن الغيث مادة الحياة، فإن القلوب الطيبة حين يجيئها الوحي، تقبله وتعلمه وتثبت بحسب طيب أصلها، وحسن عنصرها.

وأما القلوب الخبيثة التي لا خير فيها، فإذا جاءها الوحي لم يجد محلاً قابلاً بل يجدها غافلة معرضة، أو معارضة، فيكون كالطر الذي يمر على السباخ والرمال والصخور، فلا يؤثر فيها شيئاً، وهذا كقوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا...﴾ [الرعد: 17] الآيات.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ

رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقًا أَلسُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ

الشَّجَرَةِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ [الأعراف]

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله (12 / 493): «وأما قوله: ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ

الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، فإنه يقول تعالى ذكره: كما نحیی هذا البلد الميت بما نزل به من الماء الذي نزله من السحاب، فنخرج به من الشمرات بعد موته وجدوبته وقحوط أهله، كذلك نخرج الموتى من قبورهم أحياء بعد فنائهم

ودروس آثارهم ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ، يقول تعالى ذكره للمشركين به من عبدة الأصنام، المكذبين بالبعث بعد الممات، المنكرين للثواب والعقاب: ضربت لكم، أيها القوم، هذا المثل الذي ذكرت لكم: من إحياء البلد الميت بقطر المطر الذي يأتي به السحاب الذي تنشره الرياح التي وصفت صفتها، لتعتبروا فتذكروا وتعلموا أن من كان ذلك من قدرته، فيسير في قدرته إحياء الموتى بعد فنائها، وإعادتها خلقاً سوياً بعد دروسها.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

✽ ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي قوله: ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ، وكذلك تخرجون، وكذلك النشور، كما نخرج الزرع بالماء.

وقال أبو هريرة: إن الناس إذا ماتوا في النفخة الأولى، أمطر.

عليهم من ماء تحت العرش يدعى «ماء الحيوان» أربعين سنة، فينبتون كما ينبت الزرع من الماء. حتى إذا استكملت أجسادهم، نفخ فيهم الروح، ثم تلقى عليهم نومة، فينامون في قبورهم. فإذا نفخ في الصور الثانية عاشوا، وهم يجدون طعم النوم في رؤوسهم وأعينهم، كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه، فعند ذلك يقولون: ﴿يَوَيْلٌ لَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ ، فناداهم المنادي: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: 52].

حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾، قال: إذا أراد الله أن يخرج الموتى، أمطر السماء حتى تتشقق عنهم الأرض، ثم يرسل الأرواح، فتعود كل روح إلى جسدها، فكذلك يحيي الله الموتى بالمطر كإحيائه الأرض.

وقال ابن كثير رحمته الله (430/3): «وقوله: ﴿سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ أي: إلى أرض ميتة، مجدبة لا نبات فيها، كما قال تعالى: ﴿وَأَيُّهُمْ لَمْ أَلْأَرْضُ الْمَيْتَةَ أَحْيَيْتَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس:33]؛ ولهذا قال: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ أي: كما أحيينا هذه الأرض بعد موتها، كذلك نحيي الأجساد بعد صيرورتها رميماً يوم القيامة، ينزل الله، E، ماء من السماء، فتمطر الأرض أربعين يوماً، فتنبت منه الأجساد في قبورها كما ينبت الحب في الأرض. وهذا المعنى كثير في القرآن، يضرب الله مثلاً للقيامة بإحياء الأرض بعد موتها؛ ولهذا قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

قال الشنقيطي [في «أضواء البيان» (2/116)]: «قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾».

على قراءة عاصم ﴿بُشْرًا﴾ بضم الباء الموحدة، وإسكان الشين: جمع بشير، لأنها تنتشر أمام المطر مبشرة به، وهذا المعنى يوضحه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ [الروم: 46] الآية، وقوله: ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾، يعني برحمته المطر كما جاء مبيناً في غير هذا الموضع كقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ

بَعْدَ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ﴿ [الشورى: 28] الآية، وقوله: ﴿ فَأَنْظِرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [الروم: 50].

قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ الآية.

بين في هذه الآية الكريمة أنه يحمل السحاب على الريح، ثم يسوقه إلى حيث يشاء من بقاع الأرض، وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَنِيْرُ سَحَابًا فَسُقْنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ [فاطر: 9] الآية. وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ [السجدة] إلى غير ذلك من الآيات.

وقال الشوكاني رحمته الله [في «فتح القدير» (3/ 48)]: «قوله: ﴿ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى ﴾ أي مثل ذلك الإخراج، وهو إخراج الثمرات نخرج الموتى من القبور يوم حشرهم ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ أي تتذكرون، فتعلمون بعظيم قدرة الله وبديع صنعته، وأنه قادر على بعثكم كما قدر على إخراج الثمرات التي تشاهدونها».



فصل: أمثال المنفقين

وقول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣١٦﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣١٧﴾﴾ [البقرة]

يضرب الله مثلاً للذين ينفقون أموالهم بالحبّة من السنبلة.

قيل المراد بالسنابل هنا سنابل الدخن فهو الذي يكون السنبلة منه هذا العدد.

قال القرطبي: «إن سنبل الدخن يجيء في السنبلة منه أكثر من هذا العدد بضعفين وأكثر على ما شاهدنا» اهـ.

قال القرطبي: «معناه إن وجد ذلك وإلا فعلى أن يفرضه».

﴿وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: في الأضعاف أو الزيادة عليه وهذا المثل لمن أنفق أن الله يخلف للمتصدق خيراً من ماله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ [سبا]، ويضاعف في ماله الذي بقى وبيارك فيه.

قال ابن جرير الطبري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (5/ 513): «قال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني بذلك: مثل الذين ينفقون أموالهم على أنفسهم في جهاد أعداء الله بأنفسهم وأموالهم ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ من حبات الحنطة أو الشعير، أو غير ذلك من نبات الأرض التي تسنبل ريعها سنبلة بذرها زارع. فـ ﴿أَنْبَتَتْ﴾،

يعني: فأخرجت ﴿سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾، يقول: فكذلك المنفق ماله على نفسه في سبيل الله، له أجره سبعمائة ضعف على الواحد من نفقته».

قال ابن كثير رحمه الله (1/ 691): «هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، فقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال سعيد بن جبير: في طاعة الله. وقال مكحول: يعني به: الإنفاق في الجهاد، من رباط الخيل وإعداد السلاح وغير ذلك، وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس: الجهاد والحج، يضعف الدرهم فيهما إلى سبعمائة ضعف.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾.

وهذا المثل أبلغ في النفوس، من ذكر عدد السبعمائة، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله Δ ، لأصحابها، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة، وقد وردت السنة بتضعيف الحسنة إلى سبعمائة ضعف».

قال الشوكاني رحمه الله [في «فتح القدير» (1/ 385)]: «قوله: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ لا

يصح جعل هذا خبراً عن قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ لا اختلافها، فلا بد من تقدير محذوف إما في الأول أي: مثل نفقة الذين ينفقون، أو في الثاني: أي: كمثل زارع حبة، والمراد بالسبع السنابل: هي التي تخرج في ساق واحد يتشعب منه سبع شعب في كل شعبة سنبل، والحبة اسم لكل ما يزرعه ابن آدم، ومنه قول المتلمس:

آليت حبّ العراق الدّهر أطعمه وحبّ يأكله في القرية السّوس

قيل: المراد بالسنابل هنا سنابل الدخن، فهو الذي يكون في السنبله منه هذا العدد.

وقال القرطبي: إن سنبل الدّخن يجيء في السنبله منه أكثر من هذا العدد بضعفين، وأكثر على ما شاهدنا. قال ابن عطية: وقد يوجد في سنبل القمح ما فيه مائة حبة، وأما في سائر الحبوب، فأكثر، ولكن المثال، وقع بهذا القدر. وقال الطبري رحمته الله: إن قوله: ﴿فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾ معناه إن وجد ذلك، وإلا فعلى أن تفرضه. قوله: ﴿وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ يحتمل أن يكون المراد: يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء، أو يضاعف هذا العدد، فيزيد عليه أضعافه لمن يشاء، وهذا هو الراجح لما سيأتي. وقد ورد القرآن بأن الحسنة بعشر أمثالها، واقتضت هذه الآية بأن نفقة الجهاد حسنتها بسبعمئة ضعف، فيبني العام على الخاص، وهذا بناء على أن سبيل الله هو الجهاد فقط، وأما إذا كان المراد به: وجوه الخير، فيخص هذا التضعيف إلى سبعمئة بثواب النفقات، وتكون العشرة الأمثال فيما عدا ذلك».

وقال ابن القيم رحمته الله [كما في «شرح الأمثال» (ص 50)]: «قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٦) شبه سبحانه نفقة المنفق في سبيله سواء كان المراد به الجهاد أو جميع سبل الخير من كل بر بمن بذر بذرا فأنبتت كل حبة سبع سنابل، اشتملت كل سنبله على مائة حبة، والله يضاعف بحسب حال

المنفق وإيمانه وإخلاصه وإحسانه ونفع نفقته وقدرها ووقوعها موقعها، فإن ثواب الإنفاق يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الإيمان والإخلاص، والتثبت عند النفقة، وهو إخراج المال بقلب ثابت قد انشرح صدره بإخراجه وسمحت به نفسه وخرج من قلبه قبل خروجه من يده، فهو ثابت القلب عند إخراجه غير جزع ولا هلع ولا متبعه نفسه ترجف يده وفؤاده، ويتفاوت بحسب نفع الإنفاق ومصارفه بمواقعه، وبحسب طيب المنفق وذكائه.

وتحت هذا المثل من الفقه: أنه سبحانه شبه الإنفاق بالبذر، فالمنفق ماله الطيب لله لا لغيره باذر ماله في أرض زكية فمغلة بحسب بذره وطيب أرضه وتعاهد البذر بالسقي ونفي الدغل والنبات الغريب عنه.

فإذا اجتمعت هذه الأمور ولم تحرق الزرع نار ولا لحقته جائحة جاء أمثال الجبال، وكان مثله ﴿كَمْثَلِ جَنَّتِكُمْ بِرَبِّوَةٍ﴾ وهي المكان فيه نصب الشمس والرياح فتربى الأشجار هناك أتم تربية فنزل عليها من السماء مطر عظيم القطر متتابع فرواها ونماها، فأتت أكلها ضعفي ما تؤتيه غيرها بسبب ذلك الوايل.

﴿فَإِنْ لَمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾: مطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها تزكو على الطل وتنمي عليه، مع أن في ذكر نوعي الوايل والطل إشارة إلى نوعي الإنفاق الكثير والقليل، فمن الناس من يكون إنفاقه وابلا ومنهم من يكون إنفاقه طلا، والله لا يضيع مثقال ذرة.

فإن عرض لهذا العامل ما يفرق أعماله ويبطل بها حسناته كان بمنزلة رجل ﴿لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ

الْكِبْرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضِعْفًا فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴿١٨٢﴾ فإذا كان يوم استيفاء الأعمال وإحراز الأجور وجد العامل عمله قد أصابه ما أصاب صاحب هذه الجنة، فحسرتة حينئذ أشد من حسرة هذا على جنته، فهذا مثل ضربه الله سبحانه في الحسرة لسلب النعمة عند شدة الحاجة إليها مع عظم قدرها ومنفعتها، والذي ذهبت عنه قد أصابه الكبر والضعف فهو أحوج ما كان إلى نعمته، ومع هذا ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضِعْفًا﴾ لا يقدرّون على نفعه والقيام بمصالحه، بل هم في عياله فحاجته إلى نعمته حينئذ أشد ما كانت لضعفه وضعف ذريته. فكيف يكون حال هذا إذا كان له بستان عظيم فيه من جميع الفواكه والثمر، وسلطان ثمره أجل الفواكه وأنفعها وهو ثمر النخيل والأعناب، فنخله يقوم بكفايته وكفاية ذريته فأصبح يوماً وقد وجده محترقا كله كالصريم؟ فأى حسرة أعظم من حسرتة؟

قال ابن عباس: هذا مثل الذي يختم له بالفساد في آخر عمره، وقال مجاهد: هذا مثل المفرط في طاعة الله حتى يموت، وقال السري: هذا مثل للمرائي في نفقته، الذي ينفق لغير الله ينقطع عنه نفعها أحوج ما يكون إليها. وسأل عمر بن الخطاب الصحابة رضي الله عنهم يوماً عن هذه الآية فقالوا: الله أعلم. فغضب عمر وقال: قولوا نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين قال: قل يا ابن أخي ولا تحصر نفسك، قال: ضرب مثل لعمل، قال: لأي عمل؟ قال: لرجل غنى يعمل بالحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله كلها.

وقال الحسن: هذا مثل قل - والله أعلم - من يعقله من الناس شيخ ضعف جسمه وكثر صبياناه أفقر ما كان إلى جنته، وإن أحدكم والله أفقر ما يكون إلى

عمله إذا انقطعت عنه الدنيا.

فصل: فإن عرض لهذه الأعمال من الصدقات ما يبطلها من المن والأذى والرياء، فالرياء يمنع انعقادها سببا للثواب، والمن والأذى يبطل الثواب الذي كان سببا له، فمثل صاحبها وبطلان عمله ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ وهو الحجر الأملس، ﴿عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابُهُ، وَابِلٌ﴾ وهو المطر الشديد.

﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ لا شيء عليه، وتأمل أجزاء هذا المثل البليغ وانطباقها على أجزاء الممثل به تعرف عظمة القرآن وجلالته، فإن الحجر في مقابلة قلب هذا المرئي والمأن والمؤذي فقلبه في قسوته عن الإيثار والإخلاص والإحسان بمنزلة الحجر، والعمل الذي لغير الله بمنزلة التراب الذي على ذلك الحجر فقوة ما تحته وصلابته تمنعه من الثبات والنبات عند نزول الوابل، فليس له مادة متصلة بالذي يقبل الماء وينبت الكلاء، وكذلك قلب المرئي ليس له ثبات عند وابل الأمر والنهي والقضاء والقدر، فإذا نزل عليه وابل الوحي انكشف عنه ذلك التراب اليسير الذي كان عليه فبرز ما تحته حجرا صلدا لا نبات فيه، وهذا مثل ضربه الله سبحانه لعمل المرئي ونفقته لا يقدر يوم القيامة على ثواب شيء منه أحوج ما كان إليه وبالله التوفيق».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٤﴾ [البقرة]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (5/ 521): «قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: ﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، صدقوا الله ورسوله ﴿لَا يُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ﴾، يقول: لا تبطلوا أجور صدقاتكم بالمن والأذى، كما أبطل كفر الذي ينفق ماله ﴿رِثَاءَ النَّاسِ﴾، وهو مراعاة إياهم بعمله، وذلك أن ينفق ماله فيما يرى الناس في الظاهر أنه يريد الله تعالى ذكره فيحمدونه عليه، وهو غير مرید به الله ولا طالب منه الثواب، وإنما ينفقه كذلك ظاهراً.

وقال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: فمثل هذا الذي ينفق ماله رثاء الناس، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر و«الهاء» في قوله: ﴿فَمَثَلُهُ﴾ عائدة على «الذي» ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾، و«الصفوان» واحدٌ وجمعٌ، فمن جعله جمعاً فالواحدة «صفوانة»، بمنزلة «تمر وتمر» و«نخلة ونخل». ومن جعله واحداً، جمعه صفوان، و«صفي».

وقوله: ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾، يعني: على الصفوان ترابٌ ﴿فَأَصَابَهُ﴾ يعني: أصاب الصفوان ﴿وَابِلٌ﴾، وهو المطر الشديد العظيم.

وقوله: ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ يقول: فترك الواابل الصفوان صلداً.

و«الصلد» من الحجارة: الصلب الذي لا شيء عليه من نبات ولا غيره، وهو من الأرضين ما لا ينبت فيه شيء، وكذلك من الرؤوس».

وقال ابن كثير رحمه الله (1/694): «ثم قال تعالى: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءً

النَّاسِ﴾ أي: لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى، كما تبطل صدقة من رأى بها الناس، فأظهر لهم أنه يريد وجه الله وإنما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفات الجميلة، ليشكر بين الناس، أو يقال: إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية، مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

ثم ضرب تعالى مثل ذلك المرائي بإنفاقه - قال الضحاك: والذي يتبع نفقته منا أو أذى - فقال: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ وهو جمع صفوانة، ومنهم من يقول: الصفوان يستعمل مفردا أيضا، وهو الصفا، وهو الصخر الأملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابُهُ، وَابِلٌ﴾ وهو المطر الشديد ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ أي: فترك الوابل ذلك الصفوان صلداً، أي: أملس يابساً، أي: لا شيء عليه من ذلك التراب، بل قد ذهب كله، أي: وكذلك أعمال المرائين تذهب وتضمحل عند الله وإن ظهر لهم أعمال فيما يرى الناس كالتراب؛ ولهذا قال: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾^{٢٦٤} والله لا يهدي القوم الكافرين».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْطَلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة]

قال ابن كثير رحمته الله (1 / 695): «وهذا مثل المؤمنين المنفقين ﴿أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ عنهم في ذلك ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: وهم متحققون مثبتون أن الله سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء، ونظير هذا في المعنى، قوله في الحديث المتفق على صحته: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا...» أي: يؤمن أن الله شرعه، ويحتسب عند الله ثوابه.

قال الشعبي: ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: تصديقًا وبقينا. وكذا قال قتادة، وأبو صالح، وابن زيد. واختاره ابن جرير. وقال مجاهد والحسن: أي: يتثبتون أين يضعون صدقاتهم.

وقوله: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ أي: كمثل بستان بربوة. وهو عند الجمهور: المكان المرتفع المستوي من الأرض. وزاد ابن عباس والضحاك: وتجري فيه الأنهار.

قال ابن جرير: وفي الربوة ثلاث لغات هن ثلاث قراءات: بضم الراء، وبها قرأ عامة أهل المدينة والحجاز والعراق. وفتحها، وهي قراءة بعض أهل الشام والكوفة، ويقال: إنها لغة تميم. وكسر الراء، ويذكر أنها قراءة ابن عباس.

وقوله: ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ وهو المطر الشديد، كما تقدم، ﴿فَكَانَتْ أَكْطَلَهَا﴾

أي: ثمرتها ﴿ضَعْفَيْنِ﴾ أي: بالنسبة إلى غيرها من الجنان. ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ قال الضحاك: هو الرّذاذ، وهو اللين من المطر. أي: هذه الجنة بهذه الربوة لا تمحل أبدًا؛ لأنها إن لم يصبها وابل فطل، وأيا ما كان فهو كفايتها، وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبدًا، بل يتقبله الله ويكثره وينميه، كل عامل بحسبه؛ ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: لا يخفى عليه من أعمال عباده شيء.

وقال ابن جرير الطبري رحمته الله (5/530): «قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ فيصدّقون بها، ويحملون عليها في سبيل الله، ويقوون بها أهل الحاجة من الغزاة والمجاهدين في سبيل الله، وفي غير ذلك من طاعات الله، طلب مرضاته».

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (5/531): «﴿وَتَثْبِيئًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني بذلك: وتثبيتًا لهم على إنفاق ذلك في طاعة الله وتحقيقًا، من قول القائل: «ثبّت فلانًا في هذا الأمر» - إذ صححت عزمه، وحققت، وقويت فيه رأيه - «أثبته تثبيتًا»، كما قال ابن رواحة:

فثبّت الله ما آتاك من حسنٍ تثببت موسى ونصرًا كالذي نصروا

وإنما عنى الله جل وعز بذلك: أن أنفسهم كانت موقنة مصدقة بوعد الله إياها، فيما أنفقت في طاعته بغير من ولا أذى، فثببتهم في إنفاق أموالهم ابتغاء مرضاة الله، وصححت عزمهم وآراءهم، يقينًا منها بذلك، وتصديقًا بوعد الله إياها ما وعدها. ولذلك قال من قال من أهل التأويل في قوله: ﴿وَتَثْبِيئًا﴾، وتصديقًا

ومن قال منهم: وبقيناً لأن تثبتت أنفس المنفقين أموالهم ابتغاء مرضاة الله إياهم، إنما كان عن يقين منها وتصديق بوعد الله.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٦﴾ [البقرة]

قال ابن جرير الطبري رحمه الله (5/ 541): «ومعنى قوله: ﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ﴾، يجب أحدكم، ﴿أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ يعني بستاناً. ﴿مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، يعني: من تحت الجنة. ﴿لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾، و«الهاء» في قوله: ﴿لَهُ﴾ عائدة على «أحد»، و«الهاء» و«الألف» في: ﴿فِيهَا﴾ على الجنة، ﴿وَأَصَابَهُ﴾، يعني: وأصاب أحدكم ﴿الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعْفَاءُ﴾.

وإنما جعل جل ثناؤه البستان من النخيل والأعناب الذي قال جل ثناؤه لعباده المؤمنين: ﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ﴾ مثلاً لنفقة المنافق التي ينفقها رياء الناس، لا ابتغاء مرضاة الله، فالناس - بما يظهر لهم من صدقته، وإعطائه لما يعطى وعمله الظاهر - يثنون عليه ويمجدونه بعمله ذلك أيام حياته. في حسنه كحسن البستان وهي الجنة التي ضربها الله Δ لعمله مثلاً. من نخيل وأعناب، له فيها من كل الثمرات، لأن عمله ذلك الذي يعمله في الظاهر في الدنيا، له فيه من كل خير من عاجل الدنيا، يدفع به عن نفسه ودمه وماله وذريته، ويكتسب به المحمدة

وحسن الثناء عند الناس، ويأخذ به سهمه من المغنم مع أشياء كثيرة يكثر إحصاؤها، فله في ذلك من كل خير في الدنيا، كما وصف جل ثناؤه الجنة التي وصف مثلاً لعمله، بأن فيها من كل الثمرات».

وقال ابن جرير رحمته الله (5/ 543): «ثم قال جل ثناؤه: ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعْفَاءُ﴾، يعني أن صاحب الجنة أصابه الكبر ﴿وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعْفَاءُ﴾ صغاراً أطفال. ﴿فَأَصَابَهَا﴾ يعني: فأصاب الجنة ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾، يعني بذلك أن جنته تلك أحرقتها الريح التي فيها النار، في حال حاجته إليها، وضرورته إلى ثمرتها بكبره، وضعفه عن عمارتها، وفي حال صغر ولده وعجزه عن إحيائها والقيام عليها. فبقي لا شيء له، أحوج ما كان إلى جنته وثمارها، بالآفة التي أصابتها من الإعصار الذي فيه النار.

يقول: فكذلك المنفق ماله رياء الناس، أطفأ الله نوره، وأذهب بهاء عمله، وأحبط أجره حتى لقيه، وعاد إليه أحوج ما كان إلى عمله، حين لا مستعيب له، ولا إقالة من ذنوبه ولا توبة، واضمحل عمله كما احترقت الجنة التي وصف جل ثناؤه صفتها عند كبر صاحبها وطفولة ذريته أحوج ما كان إليها فبطلت منافعتها عنه.

وهذا المثل الذي ضربه الله للمنفقين أموالهم رياء الناس في هذه الآية، نظير المثل الآخر الذي ضربه لهم بقوله: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ اهـ.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ

فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ

يَظْلِمُونَ ﴿١٣٧﴾ [آل عمران]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (7/134): «قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: شبه ما ينفق الذين كفروا، أي: شبه ما يتصدق به الكافر من ماله، فيعطيه من يعطيه على وجه القربة إلى ربه وهو لوحداية الله جاحد، ولمحمد صلى الله عليه وسلم مكذب، في أن ذلك غير نافعه مع كفره، وأنه مضمحل عند حاجته إليه، ذاهب بعد الذي كان يرجو من عائدة نفعه عليه كسبه ريح فيها برد شديد، أصابت هذه الريح التي فيها البرد الشديد ﴿حَرْثَ قَوْمٍ﴾، يعني: زرع قوم قد أمّلوا إدراكه، ورجوا ريعه وعائدة نفعه ﴿ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾، يعني: أصحاب الزرع، عصوا الله، وتعدّوا حدوده ﴿فَأَهْلَكَتُهُ﴾، يعني: فأهلكت الريح التي فيها الصرّ زرعهم ذلك، بعد الذي كانوا عليه من الأمل ورجاء عائدة نفعه عليهم».

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (7/135): «يقول تعالى ذكره: فكذلك فعل الله بنفقة الكافر وصدقته في حياته، حين يلقاه، يبطل ثوابها ويخيّب رجاءه منها. وخرج المثل للنفقة، والمراد بـ«المثل» صنيع الله بالنفقة، فيبين ذلك قوله: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾، فهو كما قد بينّا في مثله قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا﴾ [البقرة: 17] وما أشبه ذلك.

قال أبو جعفر: فتأويل الكلام،: مثل إبطال الله أجر ما ينفقون في هذه الحياة

الدنيا، ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾. وإنما جاز ترك ذكر إبطال الله أجر ذلك، لدلالة آخر الكلام عليه، وهو قوله: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾.

قال ابن كثير رحمته الله (2/106): «مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ» أي: برد شديد، قاله ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير وقتادة والحسن، والضحاك، والربيع بن أنس، وغيرهم. وقال عطاء: برد وجليد. وعن ابن عباس أيضًا ومجاهد ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾ أي: نار. وهو يرجع إلى الأول، فإن البرد الشديد - سيما الجليد - يحرق الزروع والثمار، كما يحرق الشيء بالنار ﴿أَصَابَتْ حَرَّتَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ أي: أحرقتة، يعني بذلك السفحة إذا نزلت على حرث قد آن جداده أو حصاده فدمرتة وأعدمت ما فيه من ثمر أو زرع، فذهبت به وأفسدته، فعدمه صاحبه أحوج ما كان إليه. فكذلك الكفار يمحق الله ثواب أعمالهم في هذه الدنيا وثمرتها كما أذهب ثمرة هذا الحرث بذنوب صاحبه. وكذلك هؤلاء بنوها على غير أصل وعلى غير أساس ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

قال ابن القيم رحمته الله كما [في «شرح الأمثال» (ص 53)]: «في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١١٦) مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرَّتَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١١٧).

هذا مثل ضربه الله تعالى لمن أنفق ماله في غير طاعته ومرضاته، فشبّه سبحانه ما

ينفقه هؤلاء من أمواهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر لا يبتغون به وجه الله وما ينفقونه ليصدوا به عن سبيل الله واتباع رسله عليهم الصلاة والسلام بالزرع الذي زرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره، فأصابته ريح شديدة البرد جدا يحرق بردها ما يمر عليه من الزرع والثمار، فأهلكت ذلك الزرع وأبيسته.

واختلف في الصر فقيل: البرد الشديد، وقيل: النار؛ قاله ابن عباس. وقال الأنباري: وإنما وصفت النار أنها صر لتصريتها عند الالتهاب، وقيل: الصر الصوت الذي يصحب الريح من شدة هبوبها. والأقوال الثلاثة متلازمة فهو برد شديد محرق يبسه للحرث كما تحرق النار وفيه صوت شديد.

وفي قوله: ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ تنبيه على أن سبب إصابتها لحرثهم هو ظلمهم فهو الذي سلط عليهم الريح المذكورة حتى أهلكت زرعهم وأبيسته، فظلمهم هو الريح التي أهلكت أعماهم ونفقاتهم وأتلفتها.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ

﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوْنَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ [القلم]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (23/544): «وقوله: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ اختلَفَ أهل التَّأويل في الذي عني بالصريم، فقال بعضهم: عني به الليل الأسود، وقال بعضهم: معنى ذلك: فأصبحت جنتهم محترقة سوداء كسواد الليل المظلم البهيم.

* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سهل بن عسكر، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا شيخ لنا عن شيخ من كلب يقال له: سليمان عن ابن عباس، في قوله: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ قال: الصريم: الليل.

قال: وقال في ذلك أبو عمرو بن العلاء رحمته الله.

ألا بكرت وعاذلتي تلوم تهجدني وما انكشف الصريم

وقال أيضا:

تطاول ليلك الجون البهيم فما ينجاب عن صبح صريم
إذا ما قلت أفشع أو تناهى جرت من كل ناحية غيوم

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فأصبحت كأرض تدعى الصريم معروفة بهذا الاسم.

وقال ابن كثير رحمته الله (8 / 196): ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ قال ابن عباس: أي كالليل الأسود. وقال الثوري، والسدي: مثل الزرع إذا حصد، أي هشيمًا يبسًا.

وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن أحمد بن الصباح: أنبأنا بشر بن زاذان، عن عمر بن صبح عن ليث بن أبي سليم، عن عبد الرحمن بن سابط، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياكم والمعاصي، إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقًا قد كان هيء له»، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿﴾ قد حرموا خير جنتهم بذنبهم».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَنَبِّئِهِمْ أَنَّ الْمَاءَ قَسَمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِبٍ مُّحْتَضِرٌ ﴿٢٨﴾ فَادَّوَّ

صَاحِبُهُمْ فَنَعَاطَى فَعَفَّرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذْرِي ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ

الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ [القمر]

يمثل تعالى قوم ثمود بعد أن أهلكهم أنهم صاروا كهشيم المحتضر.

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (593 / 22): «وقوله: ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ

﴿٣١﴾ ، يقول تعالى ذكره: فكانوا بهلاكهم بالصيحة بعد نضارتهم أحياء، وحسنهم قبل بوارهم كيبس الشجر الذي حضرته بحظيرته بعد حسن نباته، وخضرة ورقه قبل يبسه.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ﴿كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ ، فقال بعضهم: عني بذلك: العظام المحترقة، وكأنهم وجهوا معناه إلى أنه مثل هؤلاء القوم بعد هلاكهم وبلائهم بالشيء الذي أحرقه محرق في حظيرته».

قال ابن كثير رحمته الله (480 / 7): «﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ

الْمُحْتَظِرِ﴾ أي: فبادوا عن آخرهم لم تبق منهم باقية، وخمدوا وهمدوا كما يهدم يبس الزرع والنبات. قاله غير واحد من المفسرين. والمحتظر - قال السدي -: هو المرعى بالصحراء حين يبس وتحرق ونسفته الريح.

وقال ابن زيد: كانت العرب يجعلون حظارًا على الإبل والمواشي من يبس

الشوك، فهو المراد من قوله: ﴿كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾.

وقال سعيد بن جبير: ﴿كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾: هو التراب المتناثر من الحائط. وهذا

قول غريب، والأول أقوى، والله أعلم.

قلت: الفائدة من المثل: هو قدرة الله وقوته وسخطه على من عصاه أنه جعلهم كهشيم المحتظر أي الذي لا يسوى شيئاً.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنَذِيرٌ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا

عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَانْتِهَمُ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ

عَدَابِي وَنَذِيرٌ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [القمر]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (587 / 22): «وقوله: ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَانْتِهَمُ أَعْجَازُ

نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾ يقول: تقتلع الناس ثم ترمي بهم على رؤوسهم، فتندق رقابهم، وتبين من أجسامهم».

وقال ابن كثير رحمته الله (479 / 7): «وقوله: ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَانْتِهَمُ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ﴾

وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الأبصار، ثم تنكسه على أم رأسه، فيسقط إلى الأرض، فتشلع رأسه فيبقى جثة بلا رأس؛ ولهذا قال: ﴿كَانْتِهَمُ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ﴾».

قال السعدي رحمته الله (826 / 1): «﴿كَانْتِهَمُ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ﴾ أي: كأن جثثهم

بعد هلاكهم مثل جذوع النخل الخاوي الذي أصابته الريح فسقط على الأرض، فما أهون الخلق على الله إذا عصوا أمره».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿حُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ

مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾ [القمر]

مثل الله تعالى كثرة خروج الناس من قبورهم كأنهم الجراد الكثير المنتشر. والمقصود من المثل أن الله تعالى يحشر الناس إليه أولهم وآخرهم وإنسهم وجنهم فيمشون إلى أرض المحشر كأنهم الجراد المنتشر نسأل الله معافاته ومغفرته.

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (22 / 573): ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ وهي جمع جدث، وهي القبور، وإنما وصف جل ثناؤه بالخشوع الأبصار دون سائر أجسامهم، والمراد به جميع أجسامهم، لأن أثر ذلة كل ذليل، وعزة كل عزيز، تتبين في ناظره دون سائر جسده، فلذلك خص الأبصار بوصفها بالخشوع.

وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: يخرجون من قبورهم كأنهم في انتشارهم وسعيهم إلى موقف الحساب جراد منتشر.

وقال ابن كثير رحمته الله (7 / 476): ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ وهي: القبور، ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ أي: كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب إجابة للداعي ﴿جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ في الآفاق؛ ولهذا قال: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين ﴿إِلَى الدَّاعِ﴾، لا يخالفون ولا يتأخرون.

باب بيان المثل في قول الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الفيل]

مثل الله تعالى أصحاب الفيل بعد إهلاكهم كالعصف المأكول.

والمقصود من المثل أن الله تعالى جعلهم عبرة ومثلاً لمن اعتبر، ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَاكِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت]، أنهم لما أرادوا سوءاً ببیت الله الحرام جعلهم الله عبرة وعذبهم وقتلهم شر قتلة، ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾﴾: قال مجاهد: هي شتى متتابعة مجتمعة.

و عن قتادة قال: الأبابيل: الكثيرة. فجعلهم الله كالعصف المأكول الذي قد أكل وهو التبن. قال مجاهد: ورق الحنطة. وقال ابن زيد: ورق البقل، وروي عن قتادة أنه قال: التبن.

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (24 / 615): «يعني تعالى ذكره: فجعل الله أصحاب الفيل كزرع أكلته الدواب فرائثه، فيبس وتفرقت أجزاءه؛ شبه تقطع أوصالهم بالعقوبة التي نزلت بهم، وتفرقت آراب أبدانهم بها، بتفرقت أجزاء الروث، الذي حدث عن أكل الزرع».

قال الشوكاني رحمته الله [في «فتح القدير» (8 / 62)]: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ أي: جعل الله أصحاب الفيل كورق الزرع إذا أكلته الدواب فرمت به من

أسفل، شبه تقطع أوصالهم بتفرّق أجزائه. وقيل المعنى: أنهم صاروا كورق زرع قد أكلت منه الدّواب وبقي منه بقايا، أو أكلت حبه، فبقي بدون حبه. والعصف جمع عصفة، وعصافة، وعصيفة».

باب بيان المثل في قول الله تعالى:

﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ٢﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ
كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥﴿ فَأَمَّا
مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨﴾
فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ١١﴿﴾ [القارعة]

ومعنى «الفراش المبثوث»: قال قتادة بسند صحيح إليه: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ
كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤﴾ هذا الفراش الذي رأيتم يتهافت في النار. وقال ابن
زيد بسند صحيح إليه، في قوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾،
قال: هذا شبهه الله، وكان بعض أهل العربية يقول: معنى ذلك: كغوغاء
الجراد، يركب بعضه بعضا، كذلك الناس يومئذ، يجول بعضهم في بعض.

والمراد أن يعلم الناس أنهم يوم القيامة يحشرون أولهم وآخرهم وإنسهم
وجنهم حتى يكونوا من كثرتهم كالجراد المبثوث الكثير، نسأل الله معافاته
ومغفرته.

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (574 / 24): «وقوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ
كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾، يقول تعالى ذكره: القارعة يوم يكون الناس كالفراش،

وهو الذي يتساقط في النار والسراج، ليس ببعوض ولا ذباب، ويعني بالمبثوث: المفرق».

وقال ابن جرير الطبري رحمته الله (24 / 574): «وقوله: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ يقول تعالى ذكره: ويوم تكون الجبال كالصوف المنفوش؛ والعهن: هو الألوان من الصوف».

وقال ابن كثير رحمته الله (8 / 468): «﴿الْقَارِعَةُ﴾ من أسماء يوم القيامة، كالحاقة، والطامة، والصاخة، والغاشية، وغير ذلك.

ثم قال معظمًا أمرها ومهولا لشأنها: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾؟ ثم فسر ذلك بقوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ أي: في انتشارهم وتفرقهم، وذهابهم ومجيئهم، من حيرتهم مما هم فيه، كأنهم فراش مبثوث كما قال في الآية الأخرى: ﴿كَانَهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر].

وقوله: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ يعني: قد صارت كأنها الصوف المنفوش، الذي قد شرع في الذهاب والتمزق.

قال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني، والضحاك، والسدي: «العهن» الصوف».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا

بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (542 / 18): «قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ

كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: 103]، ﴿يَوْمَ نَطْوِي

السَّمَاءَ﴾، فيوم صلة من يحزنهم.

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (543 / 18): «واختلف أهل التأويل في معنى

السجل الذي ذكره الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: هو اسم ملك من الملائكة.

وقال آخرون: السجل: رجل كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: بل هو الصحيفة التي يكتب فيها».

ثم قال ابن جرير الطبري رحمته الله (544 / 18): «وأولى الأقوال في ذلك عندنا

بالصواب قول من قال: السجل في هذا الموضع الصحيفة، لأن ذلك هو المعروف

في كلام العرب، ولا يعرف لنبينا صلى الله عليه وسلم كاتب كان اسمه السجل، ولا في الملائكة

ملك ذلك اسمه».

وقال ابن كثير رحمته الله (382 / 5): «يقول تعالى: هذا كائن يوم القيامة، ﴿يَوْمَ

نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ»

وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ»

وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ [الزمر: 67].

وقد قال البخاري: حدثنا مقدم بن محمد، حدثني عمي القاسم بن يحيى، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، عن رسول الله ﷺ، قال: «إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين، وتكون السموات بيمينه».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف]

قال ابن جرير الطبري رحمه الله (13/18): «وهذه الأقوال وإن اختلفت بها ألفاظ قائلها، فمقاربات المعنى، وذلك أن كل ما أذيب من رصاص أو ذهب أو فضة فقد انتهى حره، وأن ما أوقدت عليه من ذلك النار حتى صار كدردي الزيت، فقد انتهى أيضا حره».

وقال ابن كثير رحمه الله (5/154): «وقوله: ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ قال ابن عباس: «المهل»: ماء غليظ مثل دردي الزيت.

وقال مجاهد: هو كالدّم والقيح. وقال عكرمة: هو الشيء الذي انتهى حره: وقال آخرون: هو كل شيء أذيب.

وقال قتادة: أذاب ابن مسعود شيئاً من الذهب في أخدود، فلما انماع وأزبد قال: هذا أشبه شيء بالمهل.

وقال الضحاك: ماء جهنم أسود، وهي سوداء وأهلها سود.

وهذه الأقوال ليس شيء منها ينفي الآخر، فإن المهل يجمع هذه الأوصاف الرذيلة كلها، فهو أسود متن غليظ حار؛ ولهذا قال: ﴿يَشْوَى الْوُجُوهُ﴾ أي: من حره، إذا أراد الكافر أن يشربه وقربه من وجهه، شواه حتى يسقط جلد وجهه فيه».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿كَأَلْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ ٤٥ ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ

﴿٤٦﴾ [الدخان]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (22 / 43): «وقوله: ﴿كَأَلْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ يقول تعالى ذكره: إن شجرة الزقوم التي جعل ثمرتها طعام الكافر في جهنم، كالرصاص أو الفضة، أو ما يذاب في النار إذا أذيب بها، فتناهت حرارته، وشدت حميته في شدة السواد».

وقال ابن كثير رحمته الله (7 / 260): «وقوله: ﴿كَأَلْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ قالوا: كعكر الزيت ﴿يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ ٤٥ ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ أي: من حرارتها ورداءتها».

قال البغوي رحمته الله (7 / 236): «﴿كَأَلْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ هو دردي الزيت الأسود، ﴿يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ قرأ ابن كثير وحفص ﴿يَغْلِي﴾ بالياء، جعلوا الفعل للمهل، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الشجرة، ﴿فِي الْبُطُونِ﴾ أي بطون الكفار، ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ كالماء الحار إذا اشتد غليانه».

وقال الشوكاني رحمته الله [في «فتح القدير» (6/432)]: ﴿كَالْمُهَلِّ﴾ وهو: دردي الزيت، وعكر القطران. وقيل: هو النحاس المذاب. وقيل: كل ما يذوب في النار ﴿يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ ^(٤٥) ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ قرأ الجمهور: ﴿تغلي﴾ بالفوقية على أن الفاعل ضمير يعود إلى الشجرة، والجملة خبر ثانٍ، أو حال، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: تغلي غلياً مثل غلي الحميم، وهو: الماء الشديد الحرارة. وقرأ ابن كثير، وحفص، وابن محيصن، وورش، عن يعقوب: ﴿يَغْلِي﴾ بالتحية على أن الفاعل ضمير يعود إلى الطعام وهو: في معنى الشجرة، ولا يصح أن يكون الضمير عائداً إلى المهل؛ لأنه مشبه به، وإنما يغلي ما يشبه بالمهل، وقوله: ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ صفة مصدر محذوف، أي: غلياً كغلي الحميم.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ ^(٥) ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ ^(٦) ﴿وَنَرْنَهُ قَرِيبًا﴾

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهَلِّ﴾ ^(٨) ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ ^(٩) ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ ^(١٠)

[المعارج]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (23/604): «وقوله: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهَلِّ﴾

﴿٨﴾ يقول تعالى ذكره: يوم تكون السماء كالشيء المذاب، وقد بينت معنى المهل فيما مضى بشواهد، واختلاف المختلفين فيه، وذكرنا ما قال فيه السلف، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد،

قوله: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ قال: كعكر الزيت.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ

كَالْمُهْلِ﴾: تتحول يومئذ لونا آخر إلى الحمرة.

وقوله: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ يقول: وتكون الجبال كالصوف.

ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي

نجيح، عن مجاهد ﴿كَالْعِهْنِ﴾ قال: كالصوف.

حدثني ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله:

﴿كَالْعِهْنِ﴾ قال: كالصوف.

قال ابن كثير رحمته الله (8/ 224): «يقول تعالى: العذاب واقع بالكافرين ﴿يَوْمَ

تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وسعيد بن جبیر،

وعكرمة، والسدي، وغير واحد، كدرديّ الزيت، ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ أي:

كالصوف المنفوش، قاله مجاهد، وقتادة، والسدي. وهذه الآية كقوله تعالى:

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة].

قال الشنقيطي [في «أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن» في تفسير ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن

طَبَقٍ﴾ (9/ 121)]: «وعن ابن مسعود: أنها السماء تتغير أحوالها تتشقق بالغمام،

ثم تحمر كالمهل، إلى غير ذلك.

إشكال والجواب عليه:

ذكر الله تعالى هنا أن الجبال تكون كالعهن وفي آية أخرى ذكر أنا تكون تراباً وذكر في آيات أخر أنها تسير سيراً، وليس بين هذه الآيات تعارض وقد أوضحها الشنقيطي رحمته الله.

فقال [في «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» (ج 1 / ص 82)]: «قوله تعالى: ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيْبًا مَّهِيلًا﴾. لا يعارض قوله: ﴿وَتَكُوْنُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمُنْفُوْسِ﴾ لأن قوله وكانت الجبال كثيباً مهيلاً تشبيهه بليغ والجبال بعد طحنها المنصوص عليه بقوله وبست الجبال بسا تشبه الرمل المتهايل وتشبه أيضاً الصوف المنفوش».

وقال رحمته الله [في «أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن» (3 / ص 349)]: «وما ذكره من تسيير الجبال في هذه الآية الكريمة ذكره أيضاً في مواضع أخر، كقوله: ﴿يَوْمَ تَمُوْرُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝١ وَتَسِيْرُ الْجِبَالُ سِيْرًا ۝١٠﴾ [الطور]، وقوله: ﴿وَسِيْرَتِ الْجِبَالِ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾ [النبأ]، وقوله: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيْرَتِ﴾ [التكوير: 3]، وقوله: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمْرُمِرُ السَّحَابِ﴾ [النمل: 88] الآية.

ثم ذكر في مواضع أخر أنه X يفتتها حتى تذهب صلابتها الحجرية وتلين، فتكون في عدم صلابتها ولينها كالعهن المنفوش، وكالرمل المتهايل، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُوْنُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُوْنُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝١﴾ [المعارج]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُوْنُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوْتِ ۝٤ وَتَكُوْنُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ

﴿ ٥ ﴾ [القارعة] والعهن: الصوف. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: 14]، وقوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة] ﴿٥﴾ أي فتتت حتى صارت كالبسبية، وهي دقيق متلوت بسمن، على أشهر التفسيرات.

ثم ذكر X أنه يجعلها هباء وسراباً. قال: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ [الواقعة]، وقال: ﴿وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ ﴿٢٠﴾ [النبا]، وبين في موضع آخر أن السراب عبارة عن لا شيء. وهو قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ [النور: 39] إلى قوله: ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: 39].

وقوله: ﴿وَيَوْمَ نُسِّرُ الْجِبَالَ﴾ قرأه ابن عامر وابن كثير وأبو عمرو «تسير الجبال» بالتاء المثناة الفوقية وفتح الياء المشددة منقوله «تسير» مبنياً للمفعول. ﴿وَالْجِبَالُ﴾ بالرفع نائب فاعل، ﴿نُسِّرُ﴾ والفاعل المحذوف ضمير يعود إلى الله X. وقرأه باقي السبعة ﴿نُسِّرُ﴾ بالنون وكسر الياء المشددة مبنياً للفاعل، ﴿وَالْجِبَالُ﴾ منصوب مفعول به، والنون في قوله ﴿نُسِّرُ﴾ للتعظيم.

وقال بِسْمِ اللَّهِ [في «أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن» (4/168)]: «واعلم أنه X بين الأحوال التي تصير إليها الجبال يوم القيامة في آيات من كتابه. فبين أنه ينزعها من أماكنها. ويحملها فيدكها دكاً. وذلك في قوله: ﴿فَإِذَا نْفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَحِدَةً﴾ ﴿١٣﴾ وَجَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّنَا دَكَّةً وَحِدَةً﴾ ﴿١٤﴾ [الحاقة].»

ثم بين أنه يسيرها في الهواء بين السماء والأرض. وذلك في قوله ﴿ وَيَوْمَ يُفْخُ فِي
 الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى
 الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ
 ﴿٨٨﴾ [النمل]، وقوله: ﴿ وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ [الكهف: 47] الآية،
 وقوله: ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ ﴿٣﴾ [التكوير]، وقوله تعالى: ﴿ وَسَيَّرَ الْجِبَالَ فَكَانَتْ
 سَرَابًا ﴾ ﴿٢٠﴾ [النبأ]، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴾ ﴿١﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا
 ﴿١٠﴾ [الطور].

ثم بين أنه يفتنها ويدقها كقوله ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴾ [الواقعة] أي فتت
 حتى صارت كالبسيسة، وهي دقيق ملتوت بسمن أو نحوه على القول بذلك،
 وقوله: ﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكْنَادَكَةً وَاحِدَةً ﴾ ﴿١٤﴾ [الحاقة].

ثم بين أنه يصيرها كالرمل المتهايل، وكالعهن المنفوش؟ وذلك في قوله: ﴿ يَوْمَ
 تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا ﴾ ﴿١٤﴾ [المزمل]، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَكُونُ
 السَّمَاءُ كَالْهَلِّ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ [المعارج] في المعارج والقارعة.
 والعهن: الصوف المصبوغ.

ومنه قول زهير بن أبي سلمى في معلقته:

كأن فتات العهن في كل منزل نزلن به حب الفنا لم يحطم

ثم بين أنها تصير كالهباء المنبث في قوله: ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴾ ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً

﴿مُنْبَأًا ٦﴾ [الواقعة]، ثم بين أنها تصير سراباً، وذلك في قوله: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ١٠﴾ [النبأ]، وقد بين في موضع آخر: أن السراب لا شيء. وذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: 39] وبين أنه ينسفها نسفاً في قوله هنا: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ ﴿١٠٥﴾ [طه].

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءَ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ٣٧﴾ [الرحمن]

قال ابن جرير الطبري رحمته الله (23 / 49): «وقوله: ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءَ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ٣٧﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا انشقت السماء وتقطرت، وذلك يوم القيامة، فكان لونها لون البرذون الورد الأحمر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾: هي اليوم خضراء كما ترون، ولونها يوم القيامة لون آخر.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿كَالدِّهَانِ﴾، فقال بعضهم: معناه كالدهن صافية الحمرة مشرقة.

* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ قال: كالدهن.

ثم قال ابن جرير الطبري رحمته الله (51/23): «وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عني به الدهن في إشراق لونه، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب».

وقال ابن كثير رحمته الله (498/7): «وقوله: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ أي: تذوب كما يذوب الدردي والفضة في السبك، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها، فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفُضُونَ﴾ (٤٣) [المعارج]، وقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا لَيْسَ

﴿٤٤﴾ [ق]

قال الشنقيطي أضواء البيان (498/7): «جاء موضحاً في آيات آخر من كتاب الله كقوله تعالى ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفُضُونَ﴾ (٤٣) [المعارج] وقوله: ﴿يَسْأَلُونَ﴾ (٥١) [يس]، أي يسرعون، وقوله تعالى ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَانَهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ (٧) [مُتَّعِينَ إِلَى الدَّاعِ] [القمر: 7، 8] الآية، فقوله: ﴿مُتَّعِينَ﴾: أي مسرعين مادي أعناقهم ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَسْأَلُونَ﴾ (٥١) [يس]».

قال ابن كثير رحمته الله (230/8): «﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفُضُونَ﴾ أي: يقومون من القبور إذا دعاهم الرب، لموقف الحساب، ينهضون سرعاً كأنهم إلى نصب يوفضون».

قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك: إلى علم يسعون. وقال أبو العالية، ويحيى بن أبي كثير: إلى غاية يسعون إليها.

وقد قرأ الجمهور: «نَصَب» بفتح النون وإسكان الصاد، وهو مصدر بمعنى المنصوب. وقرأ الحسن البصري: ﴿نُصِبٍ﴾ بضم النون والصاد، وهو الصنم، أي: كأنهم في إسراعهم إلى الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى النصب إذا عاينوه يوفضون، يتدرون، أيهم يستلمه أول. وهذا مروى عن مجاهد، ويحيى بن أبي كثير، ومسلم البطين وقتادة، والضحاك، والربيع بن أنس، وأبي صالح، وعاصم بن بهدلة، وابن زيد، وغيرهم.

وقوله: ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ﴾ أي: خاضعة ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي: في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة، ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

وقال السعدي رحمته الله (ص 888): ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ أي: القبور، ﴿سِرَاعًا﴾ مجيبين لدعوة الداعي، مهطعين إليها ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ يُوفُضُونَ﴾ أي: كأنهم إلى علم] يؤمون ويسرعون أي: فلا يتمكنون من الاستعصاء للداعي، والالتواء لنداء المنادي، بل يأتون أذلاء مقهورين للقيام بين يدي رب العالمين.

قال ابن جرير الطبري في تفسير آية [ق] (22 / 383): «يقول تعالى ذكره: إنا نحن نحيي الموتى ونميت الأحياء، وإلينا مصير جميعهم يوم القيامة. ﴿تَشَقُّقُ الْأَرْضِ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ يقول جل ثناؤه وإلينا مصيرهم يوم تشقق الأرض، فالיום من صلة مصير.

وقوله: ﴿تَشَقُّقُ الْأَرْضِ عَنْهُمْ﴾ يقول: تصدّع الأرض عنهم. وقوله: ﴿سِرَاعًا﴾ ونصبت سراعاً على الحال من الهاء والميم في قوله عنهم. والمعنى: يوم تشقق الأرض عنهم فيخرجون منها سراعاً، فاكتفى بدلالة قوله: ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضِ عَنْهُمْ﴾ على ذلك من ذكره.

قوله: ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ يقول: جمعهم ذلك جمع في موقف الحساب، علينا يسير سهل.

قال ابن كثير رحمته الله (ج 7 / ص 411): «وقوله: ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضِ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾: وذلك أن الله تعالى ينزل مطراً من السماء تنبت به أجساد الخلائق في قبورها، كما ينبت الحب في الثرى بالماء، فإذا تكاملت الأجساد أمر الله إسرافيل فينفخ في الصور، وقد أودعت الأرواح في ثقب في الصور، فإذا نفخ إسرافيل فيه خرجت الأرواح تتوهج بين السماء والأرض، فيقول الله، Δ : وعزّي وجلالي، لترجعن كل روح إلى الجسد الذي كانت عمره، فترجع كل روح إلى جسدها، فتدب فيه كما يدب السم في اللديغ وتنشق الأرض عنهم، فيقومون إلى موقف الحساب سراعاً، مبادرين إلى أمر الله، Δ ، ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسْرٍ﴾ [القمر: 8]، وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِءَ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 52]، وفي صحيح مسلم عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا أول من تنشق عنه الأرض». وقوله: ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أي: تلك إعادة سهلة علينا، يسيرة لدينا، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ

﴿٥٠﴾ [القمر]، وقال تعالى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفْسٍ وَحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿٢٨﴾ [لقمان].

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ

إِثْرٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا

فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ [الحجرات]

وهذا مثل عظيم فيه تمثيل من يأكل لحوم المسلمين - لغير عذر شرعي خال من الحظوظ النفسية والمخاصمات الدنيوية - أنه كمن يأكل لحم الميت من المسلمين، وهذا في غاية الشناعة والأذى نسأل الله العافية.

قال ابن القيم رحمه الله [كما في «شرح الأمثال» (ص 33)]: «وهذا من أحسن القياس التمثيلي فإنه شبه تمزيق عرض الأخ بتمزيق لحمه، ولما كان المغتاب يمزق عرض أخيه في غيبته كان بمنزلة من يقطع لحمه في حال غيبة روحه عنه بالموت، لما كان المغتاب عاجزا عن دفعه بنفسه بكونه غائبا عن ذمه كان بمنزلة الميت الذي يقطع لحمه ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه.

ولما كان مقتضى الأخوة التراحم والتواصل والتناصر فعلق عليها المغتاب ضد مقتضاها من الدم والعيب والظعن كان ذلك نظير تقطيعه لحم أخيه، والأخوة تقتضي حفظه وصيانتة والذب عنه، ولما كان المغتاب متفكها بغيبته وذمه متحليا بذلك شبه بأكل لحم أخيه بعد تقطيعه، ولما كان المغتاب محبا لذلك معجبا به شبه بمن يجب أكل لحم أخيه ميتا، ومحبه لذلك قدر زائد على مجرد أكله، كما أن أكله قدر زائد على تمزيقه.

فتأمل هذا التشبيه والتمثيل وحسن موقعه ومطابقة المعقول فيه للمحسوس، وتأمل إخباره عنهم بكراهة أكل لحم الأخ ميتا، ووصفهم بذلك في آخر الآية، والإنكار عليهم في أولها أن يجب أحدهم ذلك، فكما أن هذا مكروه في طباعهم فكيف يحبون ما هو مثله ونظيره؟ فاحتج عليهم بما كرهوه على ما أحبوه، وشبه لهم ما يحبونه بما هو أكره شيء إليهم وهم أشد شيء نفرة عنه، فلهذا يوجب العقل والفطرة والحكمة أن يكونوا أشد شيء نفرة عما هو نظيره ومشبهه، وبالله التوفيق».

تنبیه: طعن العلماء وأهل الحديث في بعض المسلمين المبتدعة الذين يضلون الناس واجب على العلماء. وإليك بيان ذلك باختصار من كلام أئمة ثلاثة، وهم الترمذي وابن رجب والنووي، ومن أراد التوسع فلينظر إلى بيان ذلك من مصادره.

قال النووي رحمته الله [في «رياض الصالحين» (279)]: «اعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو ستة أسباب:

الأول: التظلم فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه فيقول ظلمي فلان بكذا.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر فلان يعمل كذا فازجره عنه ونحو ذلك، ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حراما.

الثالث: الاستفتاء، فيقول للمفتي ظلمي أبي أو أخي أو زوجي أو فلان بكذا

فهل له ذلك وما طريقي في الخلاص منه وتحصيل حقي ودفع الظلم ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة. ولكن الأحوط والأفضل أن يقول: ما تقول في رجل أو شخص أو زوج كان من أمره كذا فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين، ومع ذلك فالتعيين جائز كما سنذكره في حديث هند إن شاء الله تعالى.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم، وذلك من وجوه:

- منها جرح المجروحين من الرواة والشهود وذلك جائز بإجماع المسلمين بل واجب للحاجة.

- ومنها المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته أو إيداعه أو معاملته أو غير ذلك أو محاورته، ويجب على المشاور أن لا يخفي حاله بل يذكر المساويء التي فيه بنية النصيحة.

- ومنها إذا رأى متفقها يتردد إلى مبتدع أو فاسق يأخذ عنه العلم وخاف أن يتضرر المتفق بذلك فعليه نصيحته ببيان حاله بشرط أن يقصد النصيحة، وهذا مما يغلط فيه، وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد ويلبس الشيطان عليه ذلك ويخيل إليه أنه نصيحة فليتفطن لذلك.

- ومنها أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها، إما ألا يكون صالحا لها وإما بأن يكون فاسقا أو مغفلا ونحو ذلك، فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيله ويولي من يصلح، أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله ولا يغتر به وأن يسعى في أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس: أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته، كالمجاهر بشرب الخمر ومصادرة

الناس وأخذ المكس وجباية الأموال ظلما وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفا بلقب كالأعمش والأعرج والأصم والأعمى والأحول وغيرهم جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقه على جهة التنقيص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى.

فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء وأكثرها مجمع عليه ودلائلها من الأحاديث الصحيحة مشهورة فمن ذلك:

عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلا استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أئذنوا له بئس أخو العشيرة»؛ متفق عليه، احتج به البخاري في جواز غيبة أهل الفساد وأهل الريب. وعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أظن فلانا وفلانا يعرفان من ديننا شيئا»؛ رواه البخاري، قال الليث بن سعد - أحد رواة هذا الحديث -: هذان الرجلان كانا من المنافقين.

وعن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إن أبا الجهم ومعاوية خطباني. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو الجهم فلا يضع العصا عن عاتقه»؛ متفق عليه، وفي رواية لمسلم: «وأما أبو الجهم فضراب للنساء»، وهو تفسير لرواية: «لا يضع العصا عن عاتقه»؛ وقيل: معناه كثير الأسفار.

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر أصاب الناس فيه شدة، فقال عبد الله بن أبي: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى

ينفضوا، وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك. فأرسل إلى عبد الله بن أبي، فاجتهد يمينه ما فعل، فقالوا: كذب زيد رسول الله ﷺ. فوقع في نفسي مما قالوه شدة حتى أنزل الله تعالى تصديقي: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ﴾ [المنافقون: 1]، ثم دعاهم النبي ﷺ ليستغفر لهم فلووا رؤوسهم؛ متفق عليه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قالت هند امرأة أبي سفيان للنبي ﷺ: إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم. قال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف» متفق عليه.

وقال الإمام ابن رجب رحمه الله [في «شرح علل الترمذي»]: «فصل في الجرح والتعديل والتفتيش...»:

قال أبو عيسى الترمذي رحمه الله: «وقد عاب بعض من لا يفهم على أصحاب الحديث الكلام في الرجال، وقد وجدنا غير واحد من الأئمة من التابعين قد تكلموا في الرجال، منهم: الحسن البصري وطاوس، قد تكلموا في معبد الجهني، وتكلم سعيد بن جبير في طلق بن حبيب، وتكلم إبراهيم النخعي وعامر الشعبي في الحارث الأعور.

وهكذا روي عن أيوب السخيتاني، وعبد الله بن عون، وسليمان التيمي، وشعبة بن الحجاج، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والأوزاعي، وعبد الله بن المبارك، ويحيى بن سعيد القطان، ووكيع بن الجراح، وعبد الرحمن بن مهدي، وغيرهم من أهل العلم أنهم تكلموا في الرجال وضعفوا فما حملهم على ذلك عندنا

- والله أعلم - إلا النصيحة للمسلمين، لا نظن أنهم أرادوا الطعن على الناس أو الغيبة، إنما أرادوا عندنا أن يبينوا ضعف هؤلاء لكي يعرفوا، لأن بعضهم من الذين ضعفوا كتاب صاحب بدعة، وبعضهم كان متهماً في الحديث، وبعضهم كانوا أصحاب غفلة وكثرة خطأ، فأراد هؤلاء الأئمة أن يبينوا أحوالهم شفقة على الدين وتبييناً، لأن الشهادة في الدين أحق أن يثبت فيها من الشهادة في الحقوق والأموال».

قال ابن رجب: مقصود الترمذي رحمته الله أن يبين أن الكلام في الجرح والتعديل جائز قد أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها، لما فيه من تمييز ما يجب قبوله من السنن مما لا يجوز قبوله.

وقد ظن بعض من لا علم عنده أن ذلك من باب الغيبة، وليس كذلك، فإن ذكر عيب الرجل إذا كان فيه مصلحة ولو كانت خاصة كالقدح في شهادة شاهد الزور جائز بغير نزاع، فما كان فيه مصلحة عامة للمسلمين أولى.

وروى ابن أبي حاتم بإسناده عن بهز بن أسد قال: «لو أن لرجل على رجل دراهم ثم جرده أخذها منه إلا بشاهدين عدلين، فدين الله أحق أن يؤخذ فيه بالعدل».

وكذلك يجوز ذكر العيب إذا كان فيه مصلحة خاصة، كمن يستشير في نكاح أو معاملة، وقد دل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس: «أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه».

وكذلك استشار النبي صلى الله عليه وسلم علياً وأسامة في فراق أهله، لما قال أهل الإفك ما

قالوا، ولهذا كان شعبة يقول: «تعالوا حتى نغتاب في الله ساعة». يعني نذكر الجرح والتعديل. وذكر ابن المبارك رجلاً فقال: «يكذب»، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن «تغتاب!»، قال: «اسكت، إذ لم تبين كيف يعرف الحق من الباطل». وكذا روي عن ابن عُلَية أنه قال في الجرح: «إن هذا أمانة ليس بغيبة». وقال أبو زرعة الدمشقي «سمعت أبا مسهر يسأل عن الرجل يغلط ويهم ويصحف؟ فقال: بين أمره. فقلت لأبي مسهر: أترى ذلك غيبة؟ قال: لا».

وروى أحمد بن مروان المالكي ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: جاء أبو تراب النخشبي إلى أبي، فجعل أبي يقول: «فلان ضعيف وفلان ثقة»، قال أبو أيوب: «يا شيخ لا تغتب العلماء» قال: فالتفت أبي إليه قال: «ويحك! هذا نصيحة، ليس هذا غيبة».

وقال محمد بن بندار السباك الجرجاني: قلت لأحمد بن حنبل: إنه ليشتد علي أن أقول: فلان ضعيف فلان كذاب؟ قال أحمد: «إذا سكت أنت وسكت أنا فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم».

وقال إسماعيل الخطبي: ثنا عبد الله بن أحمد قلت لأبي: «ما يقول في أصحاب الحديث يأتون الشيخ لعله أن يكون مرجئاً أو شيعياً أو فيه شيء من خلاف السنة، أيسعني أن اسكت عنه أم أحذر عنه؟ فقال أبي: «إن كان يدعو إلى بدعة وهو إمام فيها ويدعو إليها، قال: نعم تحذر عنه». وقد خرج ذلك كله أبو بكر الخطيب في كتابه الكفاية، وغيره من أئمة الحفاظ، وكلام السلف في هذا يطول ذكره جداً.

وذكر الخلال عن الحسن بن علي الاسكافي قال: سألت أبا عبد الله يعني أحمد

بن حنبل عن معنى الغيبة؟ قال: «ذا لم ترد عيب الرجل»، قلت: فالرجل يقول: «فلان لم يسمع وفلان يخطئ؟» قال: «لو ترك الناس هذا لم يعرف الصحيح من غيره».

وخرّج البيهقي من طريق الحسن بن الربيع قال: قال ابن المبارك: «المعلّى بن هلال هو، إلا أنه إذا جاء الحديث يكذب» فقال له بعض الصوفية: يا أبا عبد الرحمن تغتاب، قال: اسكت إذا لم نبين كيف يعرف الحق من الباطل؟!، أو نحو هذا.

وما ذكره الترمذي رحمته الله من تكلم الحسن في معبد فقد روى مرحوم بن عبد العزيز عن أبيه وعمه سمعا الحسن يقول: «إياكم ومعبد الجهني فإنه ضال مضل».

ورواه أيضاً حماد بن زيد عن أبي طلحة عن غيلان بن جرير سمعت الحسن يقول: «لا تجالسوا معبداً، فإنه ضال مضل». وروى نعيم بن حماد.... عن طاوس أنه قال لمعبد الجهني: أنت الذي تفتري على الله عز وجل؟.

وأما تكلم سعيد بن جبير في طلق: فمن طريق حماد بن زيد عن أيوب قال: رأني سعيد بن جبير مع طلق بن حبيب فقال: «ألم أرك مع طلق! لا تجالس»، وكان طلق رجلاً صالحاً لكنه كان يرمي بالارجاء. وأما تكلم الشعبي والنخعي في الحارث الأعور: فقد ذكره مسلم في مقدمة كتابه من طريق زائدة عن منصور والمغيرة عن إبراهيم «أن الحارث اتهم». ومن طريق مغيرة عن الشعبي قال: «حدثني الحارث الأعور وكان كذاباً».

وروى أبو عيسى الترمذي رحمته الله عن يحيى بن سعيد القطان، قال: سألت سفيان الثوري، وشعبة، ومالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، عن الرجل يكون في تهمة أو ضعف أسكت أو أبين؟ قالوا: بئس.

قال ابن رجب: وقال يعقوب بن شيبة ثنا موسى بن منصور حدثني أبو سلمة الخزاعي قال: سمعت حماد بن سلمة ومالك بن أنس وشريك بن عبد الله يقولون في الرجل يحدث - أي يبتدع - : «تخبر بأمره». يعنون ضعفه من قوته، وصدقه من كذبه. قال وقال شريك: «كيف نعرف الضعيف من القوي إذا لم نخبر به».

وقال الترمذي رحمته الله: حدثنا محمد بن رافع النيسابوري ثنا محمد بن يحيى قال: قيل لأبي بكر بن عياش: «إن ناساً يجلسون ويجلس إليهم الناس ولا يستأهلون؟» قال: فقال أبو بكر: «كل من جلس الناس إليه، وصاحب السنة إذا مات أحياى الله ذكره، والمبتدع لا يذكر».

قال ابن رجب: قال ابن أبي الدنيا: نا أبو صالح المروزي سمعت رافع بن أشرس قال كان يقال: «من عقوبة الكذاب أن لا يقبل صدقه»، وأنا أقول: «من عقوبة الفاسق المبتدع أن لا تذكر محاسنه» اهـ.

وما أحسن ما سمعناه من الشيخ يحيى حفظه الله: «ما يتنكر للجرح والنصيحة إلا مجروح». والأحاديث والآثار في هذا كثيرة لا يتسع لها المقام.

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾ (٣٣) إِنَّ شَأْئُكَ سَكِنِ

الرَّيْحَ فَيُظَلِّلَنَّ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٣٣) [الشورى]، وقول

الله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾ (٢٤) فَيَأْتِيءَ الْآءَ رِيكُمَا تُكَدِّبَانِ﴾ (٢٥)

[الرحمن]

ومعناه أن السفن وهي الجوار في البحر كالأعلام وهي الجبال، فهذا من آيات الله الكونية الدالة على قدرته وعظمته E.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: (21/ 540): «يقول تعالى ذكره: ومن حجج الله أيها الناس عليكم بأنه القادر على كل ما يشاء، وأنه لا يتعذر عليه فعل شيء أراده، السفن الجارية في البحر. والجواري: جمع جارية، وهي السائرة في البحر.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ﴾ قال: السفن.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ﴾ قال: الجواري: السفن.

وقوله: ﴿كَالْأَعْلَمِ﴾ يعني كالجبال: واحدها علم؛ ومنه قول الشاعر:

كأنه علمٌ في رأسه نار

يعني: جبل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿كَأَلْعَلَمٍ﴾ قال: كالجبال.

قال ابن كثير رحمته الله: (209 / 7): «يقول تعالى: ومن آياته الدالة على قدرته وسلطانه، تسخيره البحر لتجري فيه الفلك بأمره، وهي الجواري في البحر كالأعلام، أي: كالجبال، قاله مجاهد، والحسن، والسدي، والضحاك، أي: هي في البحر كالجبال في البر».

قال السعدي رحمته الله: (759 / 1): ﴿كَأَلْعَلَمٍ﴾ وهي الجبال الكبار، التي سخر لها البحر العجاج، وحفظها من التظام الأمواج، وجعلها تحملكم وتحمل أمتعتكم الكثيرة إلى البلدان والأقطار البعيدة، وسخر لها من الأسباب ما كان معونة على ذلك».

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا

كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٍ﴾ [الصف]

وهذا فيه ندب إلى اجتماع الكلمة والتراس في القتال وفي غيره أيضًا.

قال ابن جرير الطبري (ج 23 / ص 357): «وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٍ﴾

يقول: ﴿﴾ يقول: يقاتلون في سبيل الله صفاً مصطفأً، كأنهم في اصطفاهم هنالك حيطان مبنية قد رصّ، فأحكم وأتقن، فلا يغادر منه شيئاً، وكان بعضهم يقول:

بني بالرصاص».

قال ابن كثير رحمه الله (ج 8 / ص 108): «وقال سعيد بن جبير في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقاتل العدو إلا أن يصفهم، وهذا تعليم من الله للمؤمنين. قال: وقوله: ﴿كَانَهُمْ بَيْنَهُمْ مَرَصُوصٌ﴾ ملتصق بعضه في بعض، من الصف في القتال.

وقال مقاتل بن حيان: ملتصق بعضه إلى بعض.

وقال ابن عباس: ﴿كَانَهُمْ بَيْنَهُمْ مَرَصُوصٌ﴾ مُثَبَّتٌ، لا يزول، ملتصق بعضه ببعض.

وقال قتادة: ﴿كَانَهُمْ بَيْنَهُمْ مَرَصُوصٌ﴾ ألم تر إلى صاحب البنيان، كيف لا يجب أن يختلف بنيانه؟ فكذلك الله Δ [يجب أن] لا يختلف أمره، وإن الله صف المؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم، فعليكم بأمر الله، فإنه عصمة لمن أخذ به. أورد ذلك كله ابن أبي حاتم».

وقال السعدي رحمه الله (858): «هذا حث من الله لعباده على الجهاد في سبيله وتعليم لهم كيف يصنعون وأنه ينبغي لهم] أن يصفوا في الجهاد صفا متراصا متساويا، من غير خلل يقع في الصفوف، وتكون صفوفهم على نظام وترتيب به تحصل المساواة بين المجاهدين والتعاقد وإرهاب العدو وتنشيط بعضهم بعضا، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حضر القتال، صف أصحابه، ورتبهم في مواقفهم، بحيث لا يحصل اتكال بعضهم على بعض، بل تكون كل طائفة منهم مهتمة بمركزها

وقائمة بوظيفتها، وبهذه الطريقة تتم الأعمال ويحصل الكمال».



الفصل الثاني: أمثال الأحاديث

باب مثل العلم الذي بعث به رسول الله ﷺ

قال الإمام البخاري رحمته الله (79): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ أَسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تَنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».

قال الإمام النووي رحمته الله (483 / 7): «أما معاني الحديث ومقصوده فهو تمثيل الهدى الذي جاء به ﷺ بالغيث، ومعناه أن الأرض ثلاثة أنواع، وكذلك الناس. فالنوع الأول من الأرض: ينتفع بالمطر فيحيا بعد أن كان ميتًا، وينبت الكلاء، فتنتفع بها الناس والدواب والزرع وغيرها، وكذا النوع الأول من الناس، يبلغه الهدى والعلم فيحفظه فيحيا قلبه، ويعمل به، ويعلمه غيره، فينتفع وينفع.

والنوع الثاني من الأرض: ما لا تقبل الانتفاع في نفسها، لكن فيها فائدة، وهي إمساك الماء لغيرها، فينتفع بها الناس والدواب، وكذا النوع الثاني من الناس، لهم قلوب حافظة، لكن ليست لهم أفهام ثابتة، ولا رسوخ لهم في العقل يستنبطون به المعاني والأحكام، وليس عندهم اجتهاد في الطاعة والعمل به، فهم يحفظونه حتى

يأتي طالبٌ محتاجٌ متعطّشٌ لما عندهم من العلم، أهلٌ للنّفع والانتفاع، فيأخذه منهم، فيتنفع به، فهو لاء نفعوا بما بلغهم.

والنّوع الثالث من الأرض: السّباخ التي لا تنبت ونحوها، فهي لا تنتفع بالماء، ولا تمسكه لينتفع بها غيرها، وكذا النّوع الثالث من النّاس، ليست لهم قلوب حافظة، ولا أفهام واعية، فإذا سمعوا العلم لا ينتفعون به، ولا يحفظونه لنفع غيرهم. والله أعلم.

وفي هذا الحديث أنواع من العلم منها ضرب الأمثال، ومنها فضل العلم والتّعليم وشدة الحثّ عليهما، وذمّ الإعراض عن العلم. والله أعلم.

قال أبو الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي، [في «أمثال الحديث» (ج1/ص33)]: «الغيث اسم عام للمطر يغيث الله به عباده، ويصيب به مواقع النّفع لهم، تقول منه: غيثت الأرض فهي مغيثة.

والكلأ: الحشيش، قال صاحب كتاب العين: هو اسم لرطبه ويابسه. قال: والعشب لا يكون إلا رطبا. وقال أبو زيد الأنصاري: الكلأ كله ما دام رطبا عشبه وبقله، وهو مهموز، والجمع الأكلاء ممدود، يقال: أكلاّت الأرض فهي مكلئة، وأكلاّت الأرض وأعشبت، وأكلأ المال وأعشب، والناس مكلثون ومعشبون، وقد بدأ الإكلاء والإعشاب والإبقال، فأما ذكار الكلأ فعشب وهو ما غلظ منه وعظم، والبقل ما لان منه ودق.

وهذا مثل للنبي ﷺ في إبلاغه عن الله Δ ، ودعائه إلى سبيله، وأنه بعث رحمة للعالمين ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراط مستقيم، ومثل ذلك

بالغيث الذي ينشر الله به رحمته في الأرض ويحيي به الأنعام والحرث، والذين استمعوا قوله وشاهدوا أمره في اختلاف مذاهبهم وطرائقهم ببقاع الأرض التي يختلف تربها وأماكنها، فمنها ذات الرياض المعشبة الكثيفة التي يكثر خيرها ويعم نفعها، ومنها الأماكن ذات الغياض والغدران والنقر والقلات، وغير ذلك من الأماكن التي يستنقع فيها الماء فيرد إليها الناس والأنعام، ومنها ما لا يتعلق من المطر إلا بمروره عليه، وهو مثل لمن فقه عن الله Δ وتفقه لما أمر به الرسول ﷺ فعلم وعلم وعمل، ومثل للحامل علمه إلى من هو أوعى منه، كما قال في الحديث الآخر «فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» ومثل للسامع المعرض المحروم.

والأجادب - فيما أحسب - جمع أجداب، أو يكون جمعا لأجدب، وهذا - فيما أحسب ولا أحقق - سمعت الزجاج يقول: جذبت الأرض وأجدبت إذا لم تثبت شيئا وسمعت ابن دريد يقول: أرض جذبة إذا كانت قليلة النبات».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله (1/130): «قال القرطبي وغيره: ضرب النبي ﷺ لما جاء به من الدين مثلاً بالغيث العام الذي يأتي في حال حاجتهم إليه، وكذا كان الناس قبل مبعثه، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت فكذا علوم الدين يحيي القلب الميت».

ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فمنهم العالم العامل المعلم. فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وأنبتت فنتعت غيرها. ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله أو لم يتفقه فيما جمع لكنه أداه لغيره، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع

النَّاسَ بِهِ، وَهُوَ الْمَشَارُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: «نَصَّرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا». وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُ الْعِلْمَ فَلَا يَحْفَظُهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ وَلَا يَنْقُلُهُ لِغَيْرِهِ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْأَرْضِ السَّبْخَةِ أَوْ الْمَلْسَاءِ الَّتِي لَا تَقْبَلُ الْمَاءَ أَوْ تَفْسُدُهُ عَلَى غَيْرِهَا.

وَإِنَّمَا جَمَعَ الْمَثَلُ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ الْمَحْمُودَتَيْنِ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي الْإِتِّفَاعِ بَهُمَا، وَأَفْرَدَ الطَّائِفَةَ الثَّلَاثَةَ الْمَذْمُومَةَ لِعَدَمِ النَّفْعِ بِهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ثُمَّ ظَهَرَ لِي أَنَّ فِي كُلِّ مَثَلٍ طَائِفَتَيْنِ، فَالْأَوَّلُ قَدْ أَوْضَحْنَاهُ، وَالثَّانِي الْأَوَّلَى مِنْهُ مِنْ دَخَلِ فِي الدِّينِ وَلَمْ يَسْمَعْ الْعِلْمَ أَوْ سَمِعَهُ فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ وَلَمْ يَعْلَمْهُ، وَمِثَالُهَا مِنَ الْأَرْضِ السَّبَاخِ وَأَشِيرُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا» أَي: أَعْرَضَ عَنْهُ فَلَمْ يَنْتَفِعْ لَهُ وَلَا نَفْعَ. وَالثَّانِيَةٌ مِنْهُ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِي الدِّينِ أَصْلًا، بَلْ بَلَغَهُ فَكْفَرُ بِهِ، وَمِثَالُهَا مِنَ الْأَرْضِ الصَّمَاءِ الْمَلْسَاءِ الْمُسْتَوِيَةِ الَّتِي يَمُرُّ عَلَيْهَا الْمَاءُ فَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ، وَأَشِيرُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ ﷺ: «وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ».

وَقَالَ الطَّبْيِيُّ: بَقِيَ مِنْ أَقْسَامِ النَّاسِ قِسْمَانِ:

أَحَدُهُمَا: الَّذِي انْتَفَعَ بِالْعِلْمِ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يَعْلَمْهُ غَيْرُهُ، وَالثَّانِي مَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ فِي نَفْسِهِ وَعَلَّمَهُ غَيْرُهُ. قُلْتُ: وَالْأَوَّلُ دَاخِلٌ فِي الْأَوَّلِ لِأَنَّ النَّفْعَ حَصَلَ فِي الْجُمْلَةِ وَإِنْ تَفَاوَتَ مَرَاتِبُهُ، وَكَذَلِكَ مَا تَنْبَتُهُ الْأَرْضُ، فَمِنْهُ مَا يَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِ وَمِنْهُ مَا يَصِيرُ هَشِيمًا.

وَأَمَّا الثَّانِي: فَإِنْ كَانَ عَمَلُ الْفَرَائِضِ وَأَهْمَلُ النَّوَافِلِ فَقَدْ دَخَلَ فِي الثَّانِي كَمَا قَرَّرْنَاهُ، وَإِنْ تَرَكَ الْفَرَائِضَ أَيْضًا فَهُوَ فَاسِقٌ لَا يَجُوزُ الْأَخْذُ عَنْهُ، وَلَعَلَّهُ يَدْخُلُ فِي عَمُومِ: «مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا» وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

باب مثل رسول الله ﷺ

قال الإمام مسلم رحمته الله (207): حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِي عُمَانَ، عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُخَارِقِ، وَزُهَيْرِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَا: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214]، قَالَ: انْطَلَقَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَضْمَةٍ مِنْ جَبَلٍ، فَعَلَا أَعْلَاهَا حَجْرًا، ثُمَّ نَادَى «يَا بَنِي عَبْدِ مَنْفَاهِ إِنِّي نَذِيرٌ، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَى الْعُدُوَّ، فَانْطَلَقَ يَرْبَأُ أَهْلَهُ، فَحَثِييَ أَنْ يَسْبِقُوهُ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ، يَا صَبَاحَاهُ».

قال النووي رحمته الله (352 / 1): «وَأَمَّا «الرَّضْمَةُ» فبفتح الرَّاء وإسكان الضَّاد المعجمة وبفتحها لغتان حكاهما صاحب «المطالع» وغيره؛ واقتصر صاحب «العين» والجوهريُّ والهرويُّ وغيرهم على الإسكان، وابن فارس وبعضهم على الفتح، قالوا: والرَّضْمَةُ واحدة الرِّضْمِ والرِّضَامِ وهي صخور عظام بعضها فوق بعض، وقيل هي دون الهضاب، وقال صاحب «العين» الرَّضْمَةُ: حجارة مجتمعة ليست بثابتة في الأرض كأنها منشورة.

وَأَمَّا «يَرْبَأُ» فهو بفتح الياء وإسكان الرَّاء وبعدها باء موحدة ثم همزة على وزن يقرأ، ومعناه: يحفظهم ويتطلع لهم، ويقال لفاعل ذلك «ربيئة» وهو العين والطليلة الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم العدو، ولا يكون في الغالب إلا على جبل أو شرف أو شيء مرتفع لينظر إلى بعد.

وَأَمَّا «يَهْتِفُ» فبفتح الياء وكسر التاء، ومعناه: يصيح ويصرخ، وقولهم: «يا صباحاه» كلمة يعتادونها عند وقوع أمر عظيم فيقولونها ليجتمعوا ويتأهبوا له.

والله أعلم».

باب أمثال رسول الله ﷺ وأُمَّته

قال الإمام البخاري (3534): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا سَلِيمُ بْنُ حَيَّانَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنه)، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مِثْلِي، وَمِثْلُ الْأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا، فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ: لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبَنَةِ».

قال الإمام البخاري (3535): حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ مِثْلِي وَمِثْلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قِبَلِي، كَمِثْلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعَجَّبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبَنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبَنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله [في «فتح الباري» (10/341)]: «قوله: «مِثْلِي وَمِثْلُ الْأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا». قيل: المشبه به واحد والمشبه جماعة فكيف صح التشبيه؟ وجوابه أنه جعل الأنبياء كرجلٍ واحد، لأنه لا يتم ما أراد من التشبيه إلا باعتبار الكل، وكذلك الدار لا تتم إلا باجتماع البنيان، ويحتمل أن يكون من التشبيه التمثيلي وهو أن يوجد وصف من أوصاف المشبه ويشبه بمثله من أحوال المشبه به، فكأنه شبه الأنبياء وما بعثوا به من إرشاد الناس ببيتٍ أسست قواعده ورفع بنيانه وبقي منه موضع به يتم صلاح ذلك البيت، وزعم ابن العربي أن اللبنة المشار إليها كانت في أس الدار المذكورة وأنها لولا وضعها لانقضت تلك الدار، قال: وبهذا

يتم المراد من التشبيه المذكور انتهى.

وهذا إن كان منقولاً فهو حسن وإلا فليس بلازم، نعم ظاهر السياق أن تكون اللبنة في مكان يظهر عدم الكمال في الدار بفقدتها وقد وقع في رواية همام عند مسلم «إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها» فيظهر أن المراد أنها مكملة محسنة وإلا لاستلزم أن يكون الأمر بدونها كان ناقصاً، وليس كذلك فإن شريعة كل نبي بالنسبة إليه كاملة، فالمراد هنا النظر إلى الأكمل بالنسبة إلى الشريعة المحمدية مع ما مضى من الشرائع الكاملة.

قوله: «لولا موضع اللبنة» بفتح اللام وكسر الموحدة بعدها نون وبكسر اللام وسكون الموحدة أيضاً هي القطعة من الطين تعجن وتجبيل وتعد للبناء ويقال لها ما لم تحرق لبنة، فإذا أحرقت فهي آجرة. وقوله: «موضع اللبنة» بالرفع على أنه مبتدأ وخبره محذوف أي لولا موضع اللبنة يوهم النقص لكان بناء الدار كاملاً، ويحتمل أن تكون «لولا» تحضيضية وفعلها محذوف تقديره لولا أكمل موضع اللبنة. ووقع في رواية همام عند أحمد «ألا وضعت هاهنا لبنة فيتم بنيانك». وفي الحديث ضرب الأمثال للتقريب للأفهام وفضل النبي ﷺ على سائر النبيين، وأن الله ختم به المرسلين، وأكمل به شرائع الدين.

قال النووي رحمته الله (7/488): «في الباب قوله ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي إلى قوله فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين» فيه فضيلته ﷺ، وأنه خاتم النبيين، وجواز ضرب الأمثال في العلم وغيره.

و«اللبنة» بفتح اللام وكسر الباء، ويجوز إسكان الباء مع فتح اللام وكسرها كما

في نظائرها. والله أعلم».

مثل آخر

قال الإمام البخاري (3426): حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزَّنَادِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: «مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ تَقَعُ فِي النَّارِ».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (224 / 10): «قوله: «مثلي» أي في دعائي الناس إلى الإسلام المنقذ لهم من النار ومثل ما تزين لهم أنفسهم من التماذي على الباطل «كمثل رجل» إلخ، والمراد تمثيل الجملة بالجملة لا تمثيل فرد بفرد.

قوله: «استوقد» أي أوقد، وزيادة السين والتاء للإشارة إلى أنه عالج إيقادها وسعى في تحصيل آلتها. ووقع في حديث جابر عند مسلم «مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا» زاد أحمد ومسلم من رواية همام عن أبي هريرة: «فلما أضاءت ما حوله».

قوله: «فجعل الفراش» بفتح الفاء والشين المعجمة معروف ويطلق الفراش أيضًا على غوغاء الجراد الذي يكثر ويتراكم. وقال في «المحكم» الفراش دواب مثل البعوض واحدها فراشة، وقد شبه الله تعالى الناس في المحشر بالفراش المبعوث أي في الكثرة والانتشار والإسراع إلى الداعي.

قوله: «وهذه الدواب تقع في النار» قلت: منها البرغش والبعوض، ووقع في حديث جابر: «فجعل الجنابذ والفراش» والجنابذ جمع جنبد وهو على القلب،

والمعروف الجنادب جمع جندب بفتح الدال وضمها والجيم مضمومة وقد تكسر، وهو على خلقة الجرادة يصير في الليل صرا شديداً، وقيل: إن ذكر الجراد يسمى أيضاً الجندب.

قوله: «تقع في النار» كذا فيه، وإنما هو في نسخة شعيب كما أخرجه أبو نعيم في «المستخرج»: «وهذه الدواب التي تقعن في النار تقعن فيها». قال النووي: مقصود الحديث أنه ﷺ شبه المحالفين له بالفراش وتساقطهم في نار الآخرة بتساقط الفراش في نار الدنيا مع حرصهم على الوقوع في ذلك ومنعه إياهم، والجامع بينهما اتباع الهوى وضعف التمييز وحرص كل من الطائفتين على هلاك نفسه.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: هذا مثل كثير المعاني، والمقصود أن الخلق لا يأتون ما يجرمهم إلى النار على قصد الهلكة، وإنما يأتونه على قصد المنفعة واتباع الشهوة، كما أن الفراش يقتحم النار لا ليهلك فيها بل لما يعجبه من الضياء. وقد قيل: إنها لا تبصر بحال وهو بعيد، وإنما قيل إنها تكون في ظلمة فإذا رأت الضياء اعتقدت أنها كوة يظهر منها النور فتقصده لأجل ذلك فتحترق وهي لا تشعر.

وقيل: إن ذلك لضعف بصرها فتظن أنها في بيت مظلم وأن السراج مثلاً كوة فترمي بنفسها إليه وهي من شدة طيرانها تجاوزه فتقع في الظلمة فترجع إلى أن تحترق. وقيل: إنها تتضرر بشدة النور فتقصد إطفاءه فلشدة جهلها تورط نفسها فيما لا قدرة لها عليه، ذكر مغلطاى أنه سمع بعض مشايخ الطب يقوله.

وقال الغزالي: التمثيل وقع على صورة الإكباب على الشهوات من الإنسان بإكباب الفراش على التهافت في النار، ولكن جهل الآدمي أشد من جهل الفراش؛

لأنها باغترارها بظواهر الضوء إذا احترقت انتهى عذابها في الحال، والآدمي يبقى في النار مدة طويلة أو أبدا والله المستعان».

مثل آخر

قال الإمام البخاري (126 / 20): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنِي، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعَرِيَانُ، فَالنجاة النجاء، فأطاعته طائفة فأدجوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة فصبَّحهم الجيش فاجتاحهم».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري (310 / 18): «قوله: «مثلي» بفتح الميم والمثلثة، والمثل الصفة العجيبة الشأن يوردها البليغ على سبيل التشبيه لإرادة التقريب والتفهم....»

قوله: «وإني أنا النذير العريان»، قال ابن بطال: النذير العريان رجل من خثعم حمل عليه رجل يوم ذي الخلصة فقطع يده ويد امرأته، فانصرف إلى قومه فحذرهم، فضرب به المثل في تحقيق الخبر.

قلت: وسبق إلى ذلك يعقوب ابن السكيت وغيره، وسمى الذي حمل عليه عوف بن عامر اليشكري، وأن المرأة كانت من بني كنانة. وتعقب باستبعاد تنزيل هذه القصة على لفظ الحديث؛ لأنه ليس فيها أنه كان عرياناً. وزعم ابن الكلبي أن النذير العريان امرأة من بني عامر بن كعب لما قتل المنذر بن ماء السماء أولاد أبي داود وكان جار المنذر خشيت على قومها فركبت جملاً ولحقت بهم وقالت: أنا

النذير العريان. ويقال أول من قاله أبرهة الحبشي لما أصابته الرمية بتهامه ورجع إلى اليمن، وقد سقط لحمه وذكر أبو بشر الأمدي أن زبرا بزاي ونون ساكنة ثم موحدة ابن عمرو الخثعمي كان ناكحاً في آل زبيد، فأرادوا أن يغروا قومه وخشوا أن ينذر بهم فحرسه أربعة نفر، فصادف منهم غرة فقذف ثيابه وعدا وكان من أشد الناس عدواً فأنذر قومه.

وقال غيره: الأصل فيه أن رجلاً لقي جيشاً فسلبوه وأسروه فانفلت إلى قومه فقال: إني رأيت الجيش فسلبوني، فأروه عرياناً فتحققوا صدقه، لأنهم كانوا يعرفونه ولا يتهمونه في النصيحة ولا جرت عادته بالتعري، فقطعوا بصدقه لهذه القرائن، فضرب النبي ﷺ لنفسه ولما جاء به مثلاً بذلك لما أبداه من الخوارق والمعجزات الدالة على القطع بصدقه تقريباً لأفهام المخاطبين بما يألّفونه ويعرفونه.

قلت: ويؤيده ما أخرجه الرامهرمزي في «الأمثال» وهو عند أحمد أيضاً بسندٍ جيد من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: خرج النبي ﷺ ذات يوم فنادى ثلاث مرات: «أيها الناس مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدواً أن يأتيهم فبعثوا رجلاً يترأى لهم، فبينما هم كذلك إذ أبصر العدو فأقبل لينذر قومه فخشي أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه فأهوى بثوبه أيها الناس أتيتم ثلاث مرات».

وأحسن ما فسر به الحديث من الحديث، وهذا كله يدل على أن العريان من التعري وهو المعروف في الرواية، وحكى الخطابي أن محمد بن خالد رواه بالموحدة قال: فإن كان محفوظاً فمعناه الفصيح بالإنذار لا يكنى ولا يورى، يقال رجل عريان أي فصيح اللسان.

قوله: «فالنجاء النجاء»، بالمد فيها وبمد الأولى وقصر الثانية وبالقصر فيها تخفيفاً. وهو منصوب على الإغراء، أي اطلبوا النجاء بأن تسرعوا الهرب، إشارة إلى أنهم لا يطيقون مقاومة ذلك الجيش. قال الطيبي: في كلامه أنواع من التأكيدات أحدها «بعيني»، ثانيها قوله «وإني أنا»، ثالثها قوله «العريان»، لأنه الغاية في قرب العدو، ولأنه الذي يختص في إنذاره بالصدق.

قوله: «فأطاعه طائفة» كذا فيه بالتذكير لأن المراد بعض القوم.

قوله: «فأدجوا» بهمزة قطع ثم سكون أي ساروا أول الليل أو ساروا الليل كله على الاختلاف في مدلول هذه اللفظة، وإما بالوصل والتشديد على أن المراد به سير آخر الليل فلا يناسب هذا المقام.

قوله: «على مهلهم» بفتحتين والمراد به الهيئة والسكون، وبفتح أوله وسكون ثانيه الإمهال وليس مراداً هنا، وفي رواية مسلم «على مهلتهم» بزيادة تاء تأنيث، وضبطه النووي بضم الميم وسكون الهاء وفتح اللام.

قوله: «وكذبت طائفة»، قال الطيبي: عبر في الفرقة الأولى بالطاعة وفي الثانية بالتكذيب ليؤذن بأن الطاعة مسبوقة بالتصديق ويشعر بأن التكذيب مستتبع للعصيان.

قوله: «فصبحهم الجيش»، أي أتاهم صباحاً، هذا أصله ثم كثر استعماله حتى استعمل فيمن طرق بغتة في أي وقت كان.

قوله: «فاجتاحهم»، بجيم ثم حاء مهملة أي استأصلهم من جحت الشيء أجوحه إذا استأصلته، والاسم الجائحة وهي الهلاك، وأطلقت على الآفة لأنها

مهلكة، قال الطيبي: شبه ﷺ نفسه بالرجل وإنذاره بالعذاب القريب بإنذار الرجل قومه بالجيش المصبح وشبه من أطاعه من أمته ومن عصاه بمن كذب الرجل في إنذاره ومن صدقه».

مثل آخر

قال الإمام مسلم (2284): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَتَّقِحْنَ فِيهَا، قَالَ فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ، أَنَا أَخِذْ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ فَتَغْلِبُونِي تَقْتَحِمُونَ فِيهَا».

وقال الإمام البخاري (6483): حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا أَخِذْ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري (311 / 18): «حديث أبي هريرة، جزم المزي في الأطراف، بأن البخاري ذكره في أحاديث الأنبياء ولم يذكر أنه أورده في الرقاق، فوجدته في أحاديث الأنبياء في ترجمة سليمان ل لكنه لم يذكر إلا طرفاً منه ولم أستحضره إذ ذاك في الرقاق فشرحته هناك، ثم ظفرت به هنا فأذكر الآن

من شرحه ما لم يتقدم.

قوله: «استوقد» بمعنى أوقد وهو أبلغ، والإضاءة فرط الإنارة.

قوله: «فلما أضاءت ما حوله» اختصرها المؤلف هناك ونسبتها أنا لتخريج أحمد ومسلم من طريق همام وهي في رواية شعيب كما ترى، وكأنه تبرك بلفظ الآية. ووقع في رواية مسلم «ما حولها» والضمير للنار: والأول للذي أوقد النار، وحول الشيء جانبه الذي يمكن أن ينتقل إليه، وسمي بذلك إشارة إلى الدوران، ومنه قيل للعام حولٌ.

قوله: «الفراش» جزم المازري بأنها الجنادب، وتعقبه عياض فقال الجنذب هو الصرار، قلت والحق أن الفراش اسم لنوعٍ من الطير مستقل له أجنحة أكبر من جثته، وأنواعه مختلفة في الكبر والصغر وكذا أجنحته وعطف الدواب على الفراش يشعر بأنها غير الجنادب والجراد، وأغرب ابن قتيبة فقال: الفراش ما تهافت في النار من البعوض، ومقتضاه أن بعض البعوض هو الذي يقع في النار ويسمى حينئذٍ الفراش. وقال الخليل الفراش كالبعوض وإنما شبهه به لكونه يلقي نفسه في النار لا أنه يشارك البعوض في القرص.

قوله: «وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها» القول فيه كالقول في الذي قبله، اختصره هناك فنسبته لتخريج أبي نعيم وهو في رواية شعيب كما ترى، ويدخل فيما يقع في النار البعوض والبرغش، ووقع في كلام بعض الشراح البق والمراد به البعوض.

قوله: «فجعل» في رواية الكشميهني «وجعل» ومن هذه الكلمة إلى آخر

الحديث لم يذكره المصنف هناك.

قوله: «فجعل الرجل يزعهن» بفتح التحتانية والزاي وضم العين المهملة أي يدفعهن، وفي رواية ينزعهن بزيادة نون، وعند مسلم من طريق همام عن أبي هريرة «وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحمن فيها».

قوله: «فيقتحمن فيها» أي يدخلن، وأصله القحم وهو الإقدام والوقوع في الأمور الشاقة من غير تثبت، ويطلق على رمي الشيء بغتة، واقتحم الدار هجم عليها.

قوله: «فأنا أخذ» قال النووي: روي باسم الفاعل، ويروى بصيغة المضارعة من المتكلم. قلت: هذا في رواية مسلم، والأول هو الذي وقع في البخاري، وقال الطيبي: الفاء فيه فصيحة، كأنه لما قال «مثلي ومثل الناس» إلخ أتى بها هو أهم وهو قوله «فأنا أخذ بحجزكم» ومن هذه الدقيقة التفت من الغيبة في قوله «مثل الناس» إلى الخطاب في قوله «بحجزكم» كما أن من أخذ في حديث من له بشأنه عناية وهو مشغول في شيء يورطه في الهلاك يجد لشدة حرصه على نجاته أنه حاضر عنده، وفيه إشارة إلى أن الإنسان إلى النذير أحوج منه إلى البشير؛ لأن جبلته مائلة إلى الحظ العاجل دون الحظ الآجل. وفي الحديث ما كان فيه ﷺ من الرأفة والرحمة والحرص على نجاة الأمة.

كما قال تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١٢٨)

[التوبة].

قوله: «بحجزكم» بضم المهملة وفتح الجيم بعدها زاي جمع حجرة وهي معقد

الإزار، ومن السراويل موضع التكة، ويجوز ضم الجيم في الجمع.

قوله: «عن النار» وضع المسبب موضع السبب لأن المراد أنه يمنعهم من الوقوع في المعاصي التي تكون سبباً لولوج النار.

قوله: «وأنتم» في رواية الكشميهني «وهم» وعليها شرح الكرمانى فقال: كان القياس أن يقول وأنتم، ولكنه قال وهم وفيه التفات، وفيه إشارة إلى أن من أخذ رسول الله ﷺ بحجزته لا اقتحام له فيها، قال: وفيه أيضاً احتراز عن مواجهتهم بذلك.

قلت: والرواية بلفظ «وأنتم» ثابتة تدفع هذا. ووقع في رواية مسلم «وأنتم تفلتون» بفتح أوله والفاء واللام الثقيلة وأصله تفلتون، وبضم أوله وسكون الفاء وفتح اللام ضبطوه بالوجهين وكلاهما صحيح، تقول تفلت مني وأفلت مني لمن كان بيدك فعالج الهرب منك حتى هرب، وقد تقدم بيان هذا التمثيل، وحاصله أنه شبه تهافت أصحاب الشهوات في المعاصي التي تكون سبباً في الوقوع في النار بتهاافت الفراش بالوقوع في النار اتباعاً لشهواتها، وشبه ذبه العصاة عن المعاصي بما حذرهم به وأنذرهم بذب صاحب النار الفراش عنها. وقال عياض: شبه تساقط أهل المعاصي في نار الآخرة بتساقط الفراش في نار الدنيا.

قوله: «تقحمون فيها» في رواية همام عند مسلم «فيغلبوني» النون مثقلة لأن أصله فيغلبوني، والفاء سببية، والتقدير أنا أخذ بحجزكم لأخلصكم من النار فجعلتم الغلبة مسببة عن الأخذ.

قوله: «تقحمون» بفتح المثناة والقاف والمهملة المشددة والأصل تقحمون

فحذفت إحدى التائين، قال الطيبي: تحقيق التشبيه الواقع في هذا الحديث يتوقف على معرفة معنى قوله: ﴿وَمَنْ يَنْعَدْ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة]، وذلك أن حدود الله محارمه ونواهيه كما في الحديث الصحيح «ألا إن حمى الله محارمه» ورأس المحارم حب الدنيا وزينتها واستيفاء لذتها وشهواتها، فشبّه ﷺ إظهار تلك الحدود ببياناته الشافية الكافية من الكتاب والسنة باستنقاذ الرجال من النار، وشبه فشو ذلك في مشارق الأرض ومغاربها بإضاءة تلك النار ما حول المستوقد. وشبه الناس وعدم مبالاتهم بذلك البيان والكشف، وتعليمهم حدود الله وحرصهم على استيفاء تلك اللذات والشهوات ومنعه إياهم عن ذلك بأخذ حجزهم بالفراش التي تقتحمن في النار وتغلبن المستوقد على دفعهن عن الاقتحام، كما أن المستوقد كان غرضه من فعله انتفاع الخلق به من الاستضاءة والاستدفاء وغير ذلك، والفراش لجهلها جعلته سبباً لهلاكها، فكذلك كان القصد بتلك البيانات اهتداء الأمة واجتنابها ما هو سبب هلاكهم وهم مع ذلك لجهلهم جعلوها مقتضية لترديهم. وفي قوله «أخذ بحجزكم» استعارة مثل حالة منعه الأمة عن الهلاك بحالة رجل أخذ بحجزة صاحبه الذي يكاد يهوي في مهوأة مهلكة».

مثل آخر

قال الإمام البخاري (7273): حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّمَا مِثْلِي وَمِثْلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، كَمِثْلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: يَا قَوْمِ، إِنِّي رَأَيْتُ الْجِشَّ بِعَيْنِي، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ، فَالنَّجَاءُ، فَطَاعَةُ طَائِفَةٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَذْجُوا، فَأَنْطَلَقُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَّوْا،

وَكَذَّبَتْ طَافِئَةً مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاَحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلٌ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلٌ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنْ الْحَقِّ».

قال الإمام مسلم رحمه الله (207): حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ، عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُخَارِقِ، وَزُهَيْرِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَا: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء]، قَالَ: انْطَلَقَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَضْمَةَ مِنْ جَبَلٍ، فَعَلَا أَعْلَاهَا حَجْرًا، ثُمَّ نَادَى «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافَاهُ إِنِّي نَذِيرٌ، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَى الْعُدُوَّ، فَاَنْطَلَقَ يَرْبُأُ أَهْلَهُ، فَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ، يَا صَبَاحَاهُ».

مثل حياء رسول الله ﷺ

قال الإمام البخاري (3562): حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عُتْبَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ «أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خُدْرِهَا».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (370/10): «قوله: «أشد حياء من العذراء» أي البكر، وقوله: «في خدرها» بكسر المعجمة أي في سترها، وهو من باب التميم، لأن العذراء في الخلوة يشتد حياؤها أكثر مما تكون خارجة عنه، لكون الخلوة مظنة وقوع الفعل بها، فالظاهر أن المراد تقيده بها إذا دخل عليها في خدرها لا حيث تكون منفردة فيه، ومحل وجود الحياء منه ﷺ في غير حدود الله، ولهذا قال للذي اعترف بالزنا أنكته لا يكتفي كما سيأتي بيانه في الحدود».

وأخرج البزار هذا الحديث من حديث أنس وزاد في آخره «وكان يقول الحياء خير كله» وأخرج من حديث ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يغتسل من وراء الحجرات، وما رأى أحد عورته قط، وإسناده حسن.

قال النووي رحمته الله (8/27): «قوله: «كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه».

العذراء البكر، لأن عذرتها باقية، وهي جلدة البكارة.

والخدر ستر يجعل للبكر جنب البيت.

ومعنى «عرفنا الكراهة في وجهه» أي لا يتكلم به لحيائه، بل يتغير وجهه، فنفهم نحن كراهته. وفيه فضيلة الحياء، وهو من شعب الإيمان، وهو خير كله، ولا يأتي إلا بخير، وقد سبق هذا كله في كتاب الإيمان، وشرحناه واضحاً، وهو محثوث عليه ما لم ينته إلى الضعف والنحو كما سبق».

مثله رحمته الله في الخطبة

قال الإمام مسلم رحمته الله (867): «وحدَّثني مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَبْدِ الْمُجِيدِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَانَهُ مُنْذِرٌ جَيْشٍ يَقُولُ: «صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ»، وَيَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَابَةِ، وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» ثُمَّ يَقُولُ: «أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَا لَنَا فَلِأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دِينَنَا أَوْ ضِيَاعًا فَلِيَّ»

وَعَلِيٍّ».

قال النووي رحمته الله (3/ 247): «قوله: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ اخْمَرَتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَانَهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «صَبَحَكُمْ وَمَسَاكُمْ»، وَيَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَابَةَ، وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» ثُمَّ يَقُولُ: «أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلِيٌّ». في هذا الحديث جمل من الفوائد ومهمات من القواعد، فالضمير في قوله: «يقول صباحكم ومساكم» عائد على منذر جيش. قوله رحمته الله: «بعثت أنا والساعة» روى بنصبها ورفعها والمشهور نصبها على المفعول معه، وقوله: «يقرن» هو بضم الراء على المشهور الفصيح وحكي كسرهما. وقوله: «السبابة» سميت بذلك لأنهم كانوا يشيرون بها عند السب. وقوله: «خير الهدي هدي محمد» هو بضم الهاء وفتح الدال فيها وبفتح الهاء وإسكان الدال أيضا، ضبطناه بالوجهين وكذا ذكره جماعة بالوجهين. وقال القاضي عياض: رويناه في مسلم بالضم وفي غيره بالفتح وبالفتح ذكره الهروي، وفسره الهروي على رواية الفتح بالطريق: أي أحسن الطرق طريق محمد يقال فلان حسن الهدي أي الطريقة والمذهب اهتدوا بهدي عمار؛ وأما على رواية الضم فمعناه الدلالة والإرشاد.

قال العلماء: لفظ الهدي له معنيان:

أحدهما: بمعنى الدلالة والإرشاد وهو الذي يضاف إلى الرسل والقرآن والعباد وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى]، ﴿إِنَّ هَذَا

الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [الإسراء: 9]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا
ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ [فصلت: 17]، أي بينا لهم الطريق ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ
السَّبِيلَ ﴾ [الإنسان: 3]، ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد].

والثاني: بمعنى اللطف والتوفيق والعصمة والتأييد وهو الذي تفرد الله به ومنه
قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَا كُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [القصص: 56]،
وقالت القدرية: حيث جاء الهدى فهو للبيان بناء على أصلهم الفاسد في إنكار
القدر؛ ورد عليهم أصحابنا وغيرهم من أهل الحق مثبتي القدر لله تعالى بقوله
تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس]، ففرق
بين الدعاء والهداية قوله ﷺ وكل بدعة ضلالة هذا عام مخصوص والمراد غالب
البدع قال أهل اللغة هي كل شيء عمل على غير مثال سابق.

مثل مكانة رسول الله ﷺ بين الأنبياء

قال الإمام مسلم رحمته الله (2286): حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ
بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلِي
وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يُطِيفُونَ بِهِ،
يَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا بُيْتًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا، إِلَّا هَذِهِ اللَّبَنَةُ، فَكُنْتُ أَنَا تِلْكَ اللَّبَنَةُ».

قال الإمام البخاري رحمته الله (3535): حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ
بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُيْتًا فَأَحْسَنَهُ

وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعَجَّبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبْنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ».

قال الإمام البخاري رحمته الله (3534): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا سَلِيمُ بْنُ حَيَّانَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مِثْلِي، وَمِثْلُ الْأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا، فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ: لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبْنَةِ».

قال الإمام مسلم رحمته الله (2287): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا سَلِيمُ بْنُ حَيَّانَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ، عَنْ جَابِرِ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مِثْلِي وَمِثْلُ الْأَنْبِيَاءِ، كَمِثْلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا، وَيَقُولُونَ: لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبْنَةِ» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبْنَةِ، جِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ».

قال الإمام النووي رحمته الله (488/7): «في الباب قوله صلى الله عليه وسلم: «مِثْلِي وَمِثْلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي إِلَى قَوْلِهِ فَأَنَا اللَّبْنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ» فِيهِ فَضِيلَتُهُ صلى الله عليه وسلم، وَأَنَّهُ خَاتِمُ النَّبِيِّينَ، وَجَوَازُ ضَرْبِ الْأَمْثَالِ فِي الْعِلْمِ وَغَيْرِهِ. وَ«اللَّبْنَةُ» بِفَتْحِ اللَّامِ وَكَسْرِ الْبَاءِ، وَيَجُوزُ إِسْكَانُ الْبَاءِ مَعَ فَتْحِ اللَّامِ وَكَسْرِهَا كَمَا فِي نِظَائِرِهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله (341/10): «قيل: المشبه به واحد والمشبه جماعة فكيف صح التشبيه؟ وجوابه أنه جعل الأنبياء كرجل واحد، لأنه لا يتم ما أراد من التشبيه إلا باعتبار الكل، وكذلك الدار لا تتم إلا باجتماع البنيان، ويحتمل أن يكون من التشبيه التمثيلي وهو أن يوجد وصف من أوصاف المشبه

ويشبهه بمثله من أحوال المشبه به، فكأنه شبه الأنبياء وما بعثوا به من إرشاد الناس ببيت أسست قواعده ورفع بنيانه وبقي منه موضع به يتم صلاح ذلك البيت، وزعم ابن العربي أنّ اللبنة المشار إليها كانت في أسس الدار المذكورة وأنها لولا وضعها لانقضت تلك الدار، قال: وبهذا يتم المراد من التشبيه المذكور انتهى.

وهذا إن كان منقولاً فهو حسن وإلا فليس بلازم، نعم ظاهر السياق أن تكون اللبنة في مكان يظهر عدم الكمال في الدار بفقدتها وقد وقع في رواية همام عند مسلم «إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها» فيظهر أن المراد أنها مكتملة محسنة وإلا لاستلزم أن يكون الأمر بدونها كان ناقصاً، وليس كذلك فإن شريعة كل نبي بالنسبة إليه كاملة، فالمراد هنا النظر إلى الأكمل بالنسبة إلى الشريعة المحمدية مع ما مضى من الشرائع الكاملة.

قوله: «لولا موضع اللبنة» بفتح اللام وكسر الموحدة بعدها نون وبكسر اللام وسكون الموحدة أيضاً هي القطعة من الطين تعجن وتجل وتعد للبناء ويقال لها ما لم تحرق لبنة، فإذا أحرقت فهي آجرة. وقوله: «موضع اللبنة» بالرفع على أنه مبتدأ وخبره محذوف أي لولا موضع اللبنة يوهم النقص لكان بناء الدار كاملاً، ويحتمل أن تكون «لولا» تحضيضية وفعالها محذوف تقديره لولا أكمل موضع اللبنة.

ووقع في رواية همام عند أحمد «ألا وضعت هاهنا لبنة فيتم بنيانك». وفي الحديث ضرب الأمثال للتقريب للأفهام وفضل النبي ﷺ على سائر النبيين، وأن الله ختم به المرسلين، وأكمل به شرائع الدين.

باب مثل المؤمن

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا

ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [إبراهيم].

قال الإمام البخاري رحمته الله (131): حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَهِيَ مِثْلُ الْمُسْلِمِ، حَدَّثُونِي مَا هِيَ؟» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَمَّهَا النَّخْلَةُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا بِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «هِيَ النَّخْلَةُ» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي، فَقَالَ: «لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا». ورواه مسلم (2811).

والمراد بها في الآية هي النخلة كما نقل ابن جرير في تفسيره.

قلت: وهذا تشبيه مرسل لذكر الأداة ومفصل.

ووجه تشبيهه بالنخلة من الحكمة البالغة، والبلاغة النابغة من مشكاة النبوة.

فقد قال ابن حجر: «قوله: «لا يسقط ورقها، وإنما مثل المسلم»، قال الجوهري: مثله ومثله كلمة تسوية كما يقال شبهه وشبهه بمعنى، قال: والمثل بالتحريك أيضًا ما يضرب من الأمثال. انتهى.

ووجه الشبه بين النخلة والمسلم من جهة عدم سقوط الورق ما رواه الحارث ابن أبي أسامة في هذا الحديث من وجه آخر عن ابن عمر ولفظه «قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال: إن مثل المؤمن كمثل شجرة لا تسقط لها أنملة،

أتدرون ما هي؟ قالوا: لا. قال: هي النخلة، لا تسقط لها أنملة، ولا تسقط لمؤمن دعوة». ووقع عند المصنف في الأطعمة من طريق الأعمش قال: حدثني مجاهد عن ابن عمر قال: «بينا نحن عند النبي ﷺ إذ أتى بجهار، فقال: إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم» وهذا أعم من الذي قبله، وبركة النخلة موجودة في جميع أجزائها، مستمرة في جميع أحوالها، فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعاً، ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها، حتى النوى في علف الدواب والليف في الحبال وغير ذلك مما لا يخفي، وكذلك بركة المسلم عامة في جميع الأحوال، ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته. ووقع عند المصنف في التفسير من طريق نافع عن ابن عمر قال: «كنا عند رسول الله ﷺ فقال: أخبروني بشجرة كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا ولا ولا ولا» كذا ذكر النفي ثلاث مرات على طريق الاكتفاء، فقيل في تفسيره: ولا ينقطع ثمرها ولا يعدم فيؤها ولا يبطل نفعها.

ووقع في رواية مسلم ذكر النفي مرة واحدة فظن إبراهيم بن سفيان الراوي عنه أنه متعلق بما بعده وهو قوله: «تؤتي أكلها» فاستشكله وقال: لعل «لا» زائدة ولعله «تؤتي أكلها»، وليس كما ظن، بل معمول النفي محذوف على سبيل الاكتفاء كما بيناه. وقوله: «تؤتي» ابتداء كلام على سبيل التفسير لما تقدم. ووقع عند الإسماعيلي بتقديم «تؤتي أكلها كل حين» على قوله: «لا يتحات ورقها» فسلم من الإشكال».

وقال النووي رحمته الله (9/189): «وفي هذا الحديث فوائد:

— منها استحباب إلقاء العالم المسألة على أصحابه، ليختبر أفهامهم، ويرغبهم في الفكر والاعتناء.

- وفيه: ضرب الأمثال والأشباه.
- وفيه: توقير الكبار كما فعل ابن عمر لكن إذا لم يعرف الكبار المسألة فينبغي للصغير الذي يعرفها أن يقولها.
- وفيه: سرور الإنسان بنجابة ولده، وحسن فهمه، وقول عمر رضي الله عنه: «لأن تكون قلت هي النخلة أحب إلي» أراد بذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو لابنه، ويعلم حسن فهمه ونجابته.
- وفيه: فضل النخل.

قال العلماء: وشبه النخلة بالمسلم في كثرة خيرها، ودوام ظلها، وطيب ثمرها، ووجوده على الدوام، فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى يبس، وبعد أن يبس يتخذ منه منافع كثيرة، ومن خشبها وورقها وأغصانها، فيستعمل جذوعاً وحطباً وعصياً ومخاصر وحصرًا وحبالاً وأواني وغير ذلك، ثم آخر شيء منها نواها، ويتنفع به علفاً للإبل، ثم جمال نباتها، وحسن هيئة ثمرها، فهي منافع كلها، وخير وجمال، كما أن المؤمن خير كله، من كثرة طاعاته ومكارم أخلاقه، ويواظب على صلاته وصيامه وقراءته وذكره والصدقة والصلة، وسائر الطاعات، وغير ذلك، فهذا هو الصحيح في وجه التشبيه، قيل: وجه الشبه أنه إذا قطع رأسها ماتت بخلاف باقي الشجر، وقيل: لأنها لا تحمل حتى تلقح. والله أعلم.

قوله: «فوق الناس في شجر البوادي» أي: ذهبت أفكارهم إلى أشجار البوادي، وكان كل إنسان يفسرها بنوعٍ من أنواع شجر البوادي وذهلوا عن النخلة».

وقد أخرج الشيخ عبد الرزاق العباد شرحاً لهذا المثل، ومن قبله السعدي

رحمها الله، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا.

ونكتفي بهذه الفوائد لهذا المثل العظيم من العلماء الأجلة E.

مثل المؤمنين

قال الإمام البخاري رحمه الله (6011): حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَاءُ، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطِفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى». ورواه مسلم (2586).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (ج 17 / ص 150): «قوله: «وتعاطفهم» قال ابن أبي جمرة: الذي يظهر أن التراحم والتوادد والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينها فرق لطيف، فأما التراحم فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضًا بأخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر، وأما التوادد فالمراد به التواصل الجالب المحبة كالتزاور والتهادي، وأما التعاطف فالمراد به إعانة بعضهم بعضًا كما يعطف الثوب عليه ليقويه اهـ ملخصًا. ووقع في رواية الأعمش عن الشعبي وخيثة فرقتها عن النعمان عند مسلم: «المؤمنون كرجلٍ واحدٍ إذا اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحُمى والسهر» وفي رواية خيثة اشتكى وإن اشتكى رأسه كله.

قوله: «كمثل الجسد» أي بالنسبة إلى جميع أعضائه، ووجه التشبيه فيه التوافق في التعب والراحة.

قوله: «تداعى» أي دعا بعضه بعضًا إلى المشاركة في الألم، ومنه قولهم تداعت الحيطان أي تساقطت أو كادت.

قوله: «بالسهر والحُمى» أما السهر فلأنَّ الألم يمنع النَّوم، وأما الحُمى فلأنَّ فقد النَّوم يثيرها.

وقد عرّف أهل الحذق الحُمى بأنّها حرارة غريزيّة تشتعل في القلب فتشَبّ منه في جميع البدن فتشتعل اشتعالاً يضرّ بالأفعال الطّبيعيّة.

قال القاضي عياض: فتشبيّه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيل صحيح، وفيه تقريب للفهم وإظهار للمعاني في الصّور المرثيّة، وفيه تعظيم حقوق المسلمين والحضّ على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضاً. وقال ابن أبي جرّة: شبّه النبيّ ﷺ الإيمان بالجسد وأهله بالأعضاء، لأنّ الإيمان أصل وفروعه التكاليف، فإذا أُخِلّ المرء بشيءٍ من التكاليف شأن ذلك الإخلال الأصل، وكذلك الجسد أصل كالشجرة وأعضاؤه كأغصانها، فإذا اشتكى عضو من الأعضاء اشتكت الأعضاء كلّها كالشجرة إذا ضرب غصن من أغصانها اهتزت الأغصان كلّها بالتحرك والاضطراب.

وقال الإمام مسلم رحمه الله (2586): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا زَكَرِيَاءُ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى». ورواه البخاري (6011).

قال الإمام النووي رحمه الله (395 / 8): «قوله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم» إلى آخره صريح في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاقد في غير إثم ولا مكروه. وفيه جواز التشبيه

وضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأفهام.

وهذا مثل مرسل مفصل ومبين أن المؤمنين كالبيان الذي يشد بعضه بعضا ويحتاج أعلاه إلى أساسه وأساسه إلى أعلاه ويمينه إلى شماله وشماله إلى يمينه».

مثل المؤمن كمثل القطعة من الذهب وكمثل النحلة

قال الإمام أحمد (6872): حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ مَطْرِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، قَالَ: شَكََّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ فِي الْحَوْضِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو سَبْرَةَ رَجُلٌ مِنْ صَحَابَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ: فَإِنَّ أَبَاكَ حِينَ انْطَلَقَ وَإِدَا إِلَى مُعَاوِيَةَ انْطَلَقْتَ مَعَهُ، فَلَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، فَحَدَّثَنِي مِنْ فِيهِ إِلَى فِيٍّ، حَدِيثًا سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَمْلَاهُ عَلَيَّ، وَكَتَبْتُهُ، قَالَ: فَإِنِّي أَفْسَمْتُ عَلَيْكَ لَمَا أَعْرَفْتَ هَذَا الْبِرْدُونَ حَتَّى تَأْتِنِي بِالْكِتَابِ، قَالَ: فَرَكِبْتُ الْبِرْدُونَ، فَرَكَضْتُهُ حَتَّى عَرِقَ، فَأَتَيْتُهُ بِالْكِتَابِ، فَإِذَا فِيهِ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُجَوَّنَ الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ، حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَحُّشُ، وَقَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ، وَسُوءُ الْجَوَارِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لِكَمَثَلِ الْقِطْعَةِ مِنَ الذَّهَبِ، نَفَخَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا فَلَمْ تَغَيَّرْ، وَلَمْ تَنْقُصْ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لِكَمَثَلِ النَّحْلَةِ، أَكَلَتْ طَيْبًا، وَوَضَعَتْ طَيْبًا، وَوَقَعَتْ فَلَمْ تُكْسِرْ وَلَمْ تَفْسُدْ».

قَالَ: وَقَالَ: «أَلَا وَإِنَّ لِي حَوْضًا مَا بَيْنَ نَاحِيَّتَيْهِ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ - أَوْ قَالَ: صَنْعَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ - وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِقِ مِثْلَ الْكَوَاكِبِ، هُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا».

قَالَ أَبُو سَبْرَةَ: فَأَخَذَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ الْكِتَابَ، فَجَزَعْتُ عَلَيْهِ، فَلَقِينِي يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ، فَشَكَّوتُ ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَنَا أَحْفَظُ لَهُ مِنِّي لِسُورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ، فَحَدَّثَنِي بِهِ كَمَا كَانَ فِي الْكِتَابِ، سِوَاءً.

قال عبد الرزاق [في «جامع معمر بن راشد» (20852)]: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ مَطْرِ الْوَرَّاقِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: شَكََّ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ فِي الْحَوْضِ، وَكَانَتْ فِيهِ حُرُورِيَّةٌ، فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ الْحَوْضَ الَّذِي يُذَكِّرُ، مَا أَرَاهُ شَيْئًا، قَالَ: فَقَالَ لَهُ نَاسٌ مِنْ صَحَابَتِهِ: فَإِنَّ عِنْدَكَ رَهْطًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ، فَأَرْسَلَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ مُزَيْنَةَ فَسَأَلَهُ عَنِ الْحَوْضِ، فَحَدَّثَهُ ثُمَّ قَالَ: أَرْسِلْ إِلَى أَبِي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ فَأَتَاهُ وَعَلَيْهِ ثَوْبَا حَبَرٍ، قَدْ ائْتَرَزَ بِوَاحِدٍ، وَارْتَدَى بِالْآخِرِ، قَالَ: وَكَانَ رَجُلًا لَحِيماً إِلَى الْقِصْرِ، فَلَمَّا رَأَاهُ عُبَيْدُ اللَّهِ ضَحِكَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدِيَكُمْ هَذَا لَدَحْدَاحٍ، قَالَ: فَفَهَمَهَا الشَّيْخُ، فَقَالَ: وَاعْجَبَاهُ، أَلَا أُرَانِي فِي قَوْمِي يَعُدُّونَ صَحَابَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَارًا، قَالَ: فَقَالَ لَهُ جُلَسَاءُ عُبَيْدِ اللَّهِ: إِنَّمَا أُرْسَلُ إِلَيْكَ الْأَمِيرُ لِيَسْأَلَكَ عَنِ الْحَوْضِ، هَلْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهِ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذَكِّرُهُ، فَمَنْ كَذَّبَ بِهِ فَلَا سَقَاهُ اللَّهُ مِنْهُ، قَالَ: ثُمَّ نَفَضَ رِدَاءَهُ وَانْصَرَفَ غَضْبَانًا، قَالَ: فَأَرْسَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى زَيْدِ بْنِ الْأَرْقَمِ فَسَأَلَهُ عَنِ الْحَوْضِ، فَحَدَّثَهُ حَدِيثًا مُوْتَقًا أَعْجَبَهُ، فَقَالَ: إِنَّمَا سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ حَدَّثَنِيهِ أَخِي، قَالَ: فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِي حَدِيثِ أَخِيكَ، فَقَالَ أَبُو سَبْرَةَ، رَجُلٌ مِنْ صَحَابَةِ عُبَيْدِ اللَّهِ: فَإِنَّ أَبَاكَ حِينَ انْطَلَقَ وَإِفْدًا إِلَى مُعَاوِيَةَ انْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَلَقَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ فَحَدَّثَنِي مِنْ فِيهِ إِلَى فِي حَدِيثًا سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَمْلَاهُ عَلَيَّ وَكَتَبْتُهُ، قَالَ: فَإِنِّي أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لَمَا أَعْرَقْتَ هَذَا

الرِّذْوَنَ حَتَّى تَأْتِيَنِي بِالْكِتَابِ، قَالَ: فَرَكِبْتُ الرِّذْوَانَ فَرَكَضْتُهُ حَتَّى عَرِقَ، فَأَتَيْتُهُ بِالْكِتَابِ، فَإِذَا فِيهِ هَذَا مَا حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو وَبْنُ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةَ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَحُّشُ، وَسُوءُ الْجَوَارِ، وَقَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ، وَحَتَّى يُجَوِّنَ الْأَمِيْنَ، وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ أَسْلَمَ الْمُسْلِمِينَ، لَمَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَإِنَّ أَفْضَلَ الْهَجْرَةَ لَمَنْ هَجَرَ مَا مَهَأَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْقِطْعَةِ مِنَ الذَّهَبِ نَفَخَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا فَلَمْ تَتَغَيَّرْ وَلَمْ تَنْقُصْ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ النَّخْلَةِ أَكَلَتْ طَبِيًّا وَوَضَعَتْ طَبِيًّا، وَوَقَعَتْ فَلَمْ تُكْسَرْ وَلَمْ تُفْسُدْ، أَلَا وَإِنَّ لِي حَوْضًا مَا بَيْنَ نَاحِيَّتَيْهِ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ - أَوْ قَالَ: صَنْعَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ -، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ مِثْلَ الْكُوَاكِبِ، هُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا» قَالَ أَبُو سَبْرَةَ: فَأَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ الْكِتَابَ، فَجَزَعْتُ عَلَيْهِ، فَلَقِيَنِي يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَنَا أَحْفَظُ لَهُ مِنِّْي لِسُورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَحَدَّثَنِي بِهِ كَمَا كَانَ فِي الْكِتَابِ سِوَاءً.

الحديث في «السلسلة الصحيحة» (5/ 360): أخرجه أحمد (2/ 199)

والرامهرمزي في «الأمثال» (1/ 50 - 2) وغيرهم.

مثل المؤمن والبلاء

قال الإمام البخاري (5644): حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ هَلَالِ بْنِ عَلِيٍّ، مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ

يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْحَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ كَفَأَتْهَا، فَإِذَا اعْتَدَلَتْ تَكْفَأُ بِالْبَلَاءِ، وَالْفَاجِرُ كَالْأَرْزَةِ، صَمَاءٌ مُعْتَدِلَةٌ، حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ».

قال الإمام مسلم رحمته الله (2810): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ، وَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا زَكَرِيَاءُ بْنُ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبرَاهِيمَ، حَدَّثَنِي ابْنُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْحَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، تُفِيئُهَا الرِّيحُ، تَضْرَعُهَا مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى، حَتَّى تَمِيجَ، وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ الْمُجْدِيَةِ عَلَى أَصْلِهَا، لَا يُفِيئُهَا شَيْءٌ، حَتَّى يَكُونَ أَنْجَعَهَا مَرَّةً وَاحِدَةً».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري (131/16): «قوله: «من حيث أتها الريح كفاتها» بفتح الكاف والفاء والهمز أي أمالتها، ونقل ابن التين أن منهم من رواه بغير همز ثم قال: كأنه سهل الهمز، وهو كما ظن والمعنى أمالتها.

قوله: «فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء» قال عياض: كذا فيه، وصوابه فإذا انقلبت، ثم يكون قوله: تكفأ رجوعاً إلى وصف المسلم، وكذا ذكره في التوحيد. وقال الكرماني: كان المناسب أن يقول فإذا اعتدلت تكفأ بالريح كما يتكفأ المؤمن بالبلاء، لكن الريح أيضاً بلاء بالنسبة إلى الخامة، أو لأنه لما شبه المؤمن بالخامة أثبت للمشبه به ما هو من خواص المشبه. قلت: ويحتمل أن يكون جواب «إذا» محذوفاً. والتقدير: استقامت، أي فإذا اعتدلت الريح استقامت الخامة، ويكون قوله بعد ذلك «تكفأ بالبلاء» رجوعاً إلى وصف المسلم كما قال عياض، وسياق المصنف في «باب المشيئة والإرادة» من كتاب التوحيد يؤيد ما قلت، فإنه أخرج فيه عن محمد

بن سنان عن فليح عاليًا بإسناده الذي هنا وقال فيه: «فإذا سكنت اعتدلت، وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء».

قال النووي رحمته الله (9/186): «قوله صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمن مثل الزرع لا تزال الريح تميله، ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد». وفي رواية: «مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الريح تصرعها مرة وتعدلها أخرى حتى تهيج، ومثل الكافر كمثل الأرزة المجذبة على أصلها لا يفيئها شيء حتى يكون انجعافها مرة واحدة».

أما «الخامة» فبالحاء المعجمة وتخفيف الميم، وهي: الطاقة والقصة اللينة من الزرع، وألفها منقلبة عن واو، وأما «تميلها وتفيئها» فمعنى واحد، ومعناه: تقلبها الريح يمينًا وشمالًا، ومعنى «تصرعها» تخفضها، و«تعديلها» بفتح التاء وكسر الدال، أي: ترفعها، ومعنى «تهيج» تيسس. وقوله صلى الله عليه وسلم «تستحصد» بفتح أوله وكسر الصاد ضبطناه، وكذا نقله القاضي عن رواية الأكثرين، وعن بعضهم بضم أوله وفتح الصاد على ما لم يسم فاعله، والأول أجود، أي: لا تتغير حتى تنقلع مرة واحدة كالزرع الذي انتهى يبسه.

وأما «الأرزة» فبفتح الهمزة وراء ساكنة ثم زاي، هذا هو المشهور في ضبطها، وهو المعروف في الروايات وكتب الغريب وذكر الجوهري وصاحب نهاية الغريب أنها تقال أيضًا بفتح الراء، قال في النهاية: وقال بعضهم هي «الأرزة» بالمد وكسر الراء على وزن «فاعلة» وأنكرها أبو عبيد، وقد قال أهل اللغة: الأرزة بالمد هي الثابتة، وهذا المعنى صحيح هنا، فإنكار أبي عبيد محمول على إنكار روايتها كذلك

لا إنكار لصحة معناها، قال أهل اللغة والغريب: شجر معروف يقال له: الأرزن يشبه شجر الصنوبر، بفتح الصاد يكون بالشام وبلاد الأرمن، وقيل: هو الصنوبر.

وأما «المجذبة» فبميمٍ مضمومة ثم جيم ساكنة ثم ذال معجمة مكسورة، وهي الثابتة المنتصبة، يقال منه: جذب يجذب وأجذب يجذب. والانجعاف: الانقلاع. قال العلماء: معنى الحديث أن المؤمن كثير الآلام في بدنه أو أهله أو ماله، وذلك مكفر لسيئاته، ورافع لدرجاته، وأما الكافر فقليلها، وإن وقع به شيء لم يكفر شيئاً من سيئاته، بل يأتي بها يوم القيامة كاملة.

وفي الباب ما رواه أحمد [في «مسنده» (14761)]: حَدَّثَنَا مُوسَى، وَحَسَنٌ، قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ لِهَيْعَةَ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ السُّنْبُلَةِ، تَخْرُ».

وابن لهيعة، ضعيف.

قال الشيخ الألباني: «صحيح»، انظر حديث رقم (5844) في «صحيح الجامع» (حم الضياء).

قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي «السلسلة الصحيحة» (ج 5/ ص 282): «وأخرج أحمد أيضا (3/ 349، 387 و 394 - 395) عن ابن لهيعة حدثنا أبو الزبير عن جابر به مرفوعا بلفظ: «مثل المؤمن مثل السنبلة تستقيم مرة وتخمر مرة ومثل الكافر مثل الأرزة لا تزال مستقيمة حتى تخمر ولا تشعر». وهذا سند ضعيف. إلا أنه أخرجه ابن عساكر في «التاريخ» (1/ 268 - طبع المجمع) من طريق ابن وهب أخبرني ابن لهيعة به. وحديث ابن وهب عن ابن لهيعة صحيح.

فلم يبق إلا عننة أبي الزبير. لكن أخرجه القضاعي (ق 2 / 110) من طريق أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن عطاء عن جابر مرفوعا به نحوه، وقال: «لا تزال قائمة حتى تنقر». وهذا إسناد جيد. وأما ما روى أحمد أيضا (5 / 342) من طريق إسماعيل بن أمية عن حدثه عن أم ولد أبي بن كعب عن أبي بن كعب: أنه دخل رجل على النبي ﷺ، فقال: متى عهدك بأم ملدم وهو حر بين الجلد واللحم؟ قال: إن ذلك لوجع ما أصابني قط، قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن مثل الخامة تحمر مرة، وتصفر أخرى». فهو ظاهر الضعف لجهالة أم الولد، والراوي عنها الذي لم يسم، وبه أعله الهيثمي (2 / 293).

مثل أجر القرآن

قال الإمام مسلم رحمه الله (804): حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو تَوْبَةَ وَهُوَ الرَّبِيعُ بْنُ نَافِعٍ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ يَعْنِي ابْنَ سَلَامٍ، عَنْ زَيْدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَلَامٍ، يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَأُوا الزَّهْرَاوِينَ الْبَقْرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا عَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَاتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقْرَةَ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ».

قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَّغَنِي أَنَّ الْبَطْلَةَ: السَّحْرَةُ.

قال النووي رحمه الله (3 / 159): «قوله ﷺ: «اقْرَأُوا الزَّهْرَاوِينَ الْبَقْرَةَ وَسُورَةَ

آل عمران» قالوا: سميتا الزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما. وفيه: جواز

قول سورة آل عمران وسورة النساء وسورة المائدة وشبهها، ولا كراهة في ذلك، وكرهه بعض المتقدمين وقال: إنها يقال السورة التي يذكر فيها آل عمران، والصواب الأول، وبه قال الجمهور؛ لأن المعنى معلوم.

قوله ﷺ: «فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيابتان»، قال أهل اللغة: الغمامة والغيابة، كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما. قال العلماء: المراد أن ثوابها يأتي كغمامتين.

قوله ﷺ: «أو كأنما فرقان من طير صواف». وفي الرواية الأخرى: «كأنهما حزقان من طير صافٍ» الفرقان بكسر الفاء وإسكان الراء، والحزقان بكسر الحاء المهملة وإسكان الزاي ومعناهما واحد، وهما قطيعان وجماعتان، يقال في الواحد: فرق وحزق وحزيقة أي جماعة.

* حديث آخر في الباب ضعيف:

عن عثمان مرفوعاً: «إن القرآن مثله كمثل جراب فيه مسك قد ربطت فاه، فإن فتحته فاح ريح المسك، وإن تركته كان مسكاً موضوعاً مثل القرآن إن قرأته وإلا فهو في صدرك».

قال الشيخ الألباني رحمته الله: «ضعيف»؛ انظر حديث رقم (1517) في «ضعيف الجامع». (الحكيم).

باب مثل الناس والقرآن

قال الإمام البخاري رحمته الله (5020): حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدِ أَبُو خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

قَالَ: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَالْأُتْرُجَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ، وَلَا رِيحَ لَهَا». ورواه مسلم (797).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (235 / 14): «قوله: «مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة» بضم الهمزة والراء بينهما مثناة ساكنة وآخره جيم ثقيلة، وقد تخفف. ويزاد قبلها نون ساكنة، ويقال بحذف الألف مع الوجهين فتلك أربع لغات وتبلغ مع التخفيف إلى ثمانية.

قوله: «طعمها طيب وريحها طيب» قيل خصّ صفة الإيوان بالطعم وصفة التلاوة بالريح لأنّ الإيوان ألزم للمؤمن من القرآن إذ يمكن حصول الإيوان بدون القراءة، وكذلك الطعم ألزم للجوهر من الريح فقد يذهب ريح الجوهر ويبقى طعمه، ثم قيل: الحكمة في تخصيص الأترجة بالتمثيل دون غيرها من الفاكهة التي تجمع طيب الطعم والريح كالتفاحة لأنّه يتداوى بقشرها وهو مفرح بالخاصية، ويستخرج من حبّها دهن له منافع وقيل إنّ الجنّ لا تقرب البيت الذي فيه الأترج فناسب أن يمثّل به القرآن الذي لا تقربه الشياطين، وغلاف حبه أبيض فيناسب قلب المؤمن، وفيها أيضاً من المزايا كبر جرمها وحسن منظرها وتفريح لونها ولين ملمسها، وفي أكلها مع الالتذاذ طيب نكهة ودباغ معدة وجودة هضم، ولها منافع أخرى مذكورة في المفردات.

ووقع في رواية شعبة عن قتادة كما سيأتي بعد أبواب: «المؤمن الذي يقرأ القرآن

ويعمل به» وهي زيادة مفسرة للمراد وأن التمثيل وقع بالذي يقرأ القرآن ولا يخالف ما اشتمل عليه من أمر ونهي لا مطلق التلاوة، فإن قيل لو كان كذلك لكثير التقسيم كأن يقال الذي يقرأ ويعمل وعكسه والذي يعمل ولا يقرأ وعكسه، والأقسام الأربعة ممكنة في غير المنافق، وأمّا المنافق فليس له إلا قسمان فقط لأنه لا اعتبار بعمله إذا كان نفاقه نفاق كفر، وكأنّ الجواب عن ذلك أنّ الذي حذف من التمثيل قسمان. الذي يقرأ ولا يعمل، الذي لا يعمل ولا يقرأ، وهما شبيهان بحال المنافق فيمكن تشبيه الأوّل بالرّيحانة والثاني بالحنظلة فاكتفى بذكر المنافق، والقسمان الآخران قد ذكرا.

قوله: «ولا ريح فيها» في رواية شعبة «ها».

قوله: «ومثل الفاجر الذي يقرأ» في رواية شعبة «ومثل المنافق» في الموضوعين.

قوله: «ولا ريح لها» في رواية شعبة «وريحها مرّ» واستشكلت هذه الرواية من جهة أنّ المرارة من أوصاف الطّعم فكيف يوصف بها الرّيح؟ وأجيب بأنّ ريحها لما كان كريهاً استعير له وصف المرارة، وأطلق الزركشي هنا أنّ هذه الرواية وهمّ وأنّ الصّواب ما في رواية هذا الباب «ولا ريح لها» ثمّ قال في كتاب الأطعمة لما جاء فيه «ولا ريح لها» هذا أصوب من رواية الترمذي «طعمها مرّ وريحها مرّ» ثمّ ذكر توجيهها وكأنّه ما استحضر أنّها في هذا الكتاب وتكلّم عليها فلذلك نسبها للترمذي. وفي الحديث فضيلة حاملي القرآن، وضرب المثل للتقريب للفهم، وأنّ المقصود من تلاوة القرآن العمل بما دلّ عليه».

باب مثل البيت الذي يذكر الله فيه والذي لا يذكر الله فيه

قال الإمام البخاري رحمه الله (6407): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ». ورواه مسلم (779).

قال ابن حجر (210 / 11): «هكذا وقع في جميع نسخ البخاري، وقد أخرجه مسلم عن أبي كريب وهو محمد بن العلاء شيخ البخاري فيه بسنده المذكور بلفظ «مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت» وكذا أخرجه الإسماعيلي وابن حبان في صحيحه جميعاً عن أبي يعلى عن أبي كريب، وكذا أخرجه أبو عوانة عن أحمد بن عبد الحميد والإسماعيلي أيضاً عن الحسن بن سفيان عن عبد الله بن براد، وعن القاسم ابن زكريا عن يوسف بن موسى وإبراهيم بن سعيد الجوهري وموسى بن عبد الرحمن المسروقي والقاسم بن دينار كلهم عن أبي أسامة، فتوارد هؤلاء على هذا اللفظ يدل على أنه هو الذي حدث به بريد بن عبد الله شيخ أبي أسامة، وانفراد البخاري باللفظ المذكور دون بقية أصحاب أبي كريب وأصحاب أبي أسامة يشعر بأنه رواه من حفظه أو تجوز في روايته بالمعنى الذي وقع له: وهو أن الذي يوصف بالحياة والموت حقيقة هو الساكن لا السكن، وأن إطلاق الحي والميت في وصف البيت إنما يراد به ساكن البيت، فشبه الذاكر بالحي الذي ظاهره متزين بنور الحياة وباطنه بنور المعرفة وغير الذاكر بالبيت الذي ظاهره عاطل وباطنه باطل، وقيل موقع التشبيه بالحي والميت لما في الحي من النفع لمن يؤوليه والضرر لمن يعاديه وليس ذلك في الميت».

قال النووي رحمه الله (3/130): «فيه: الندب إلى ذكر الله تعالى في البيت، وأنه لا يخلى من الذكر.

وفيه: جواز التمثيل.

وفيه: أن طول العمر في الطاعة فضيلة، وإن كان الميت ينتقل إلى خير، لأن الحي يلتحق به ويزيد عليه بما يفعله من الطاعات».

باب مثل صاحب القرآن

قال الإمام البخاري رحمه الله (5032): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَرَعَرَةَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتٍ وَكَيْتٍ، بَلْ نَسِيتُ وَأَسْتَذْكُرُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ».

قال الإمام البخاري رحمه الله (5031): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (14/252): «والحاصل تشبيهه من يتفلسف منه القرآن بالناقة التي تفلتت من عقالها وبقيت متعلقة به، كذا قال، والتحرير أن التشبيه وقع بين ثلاثة بثلاثة: فحامل القرآن شبه بصاحب الناقة، والقرآن بالناقة، والحفظ بالربط.

قال الطيبي: ليس بين القرآن والناقة مناسبة لأنه قديم وهي حادثة، لكن وقع

التشبيه في المعنى. وفي هذه الأحاديث الحض على محافظة القرآن بدوام دراسته وتكرار تلاوته، وضرب الأمثال لإيضاح المقاصد، وفي الأخير القسم عند الخبر المقطوع بصدقه مبالغة في تثبيته في صدور سامعيه.

وحكى ابن التين عن الداودي أن في حديث ابن مسعود حجة لمن قال فيمن ادعى عليه بهالٍ فأنكر وحلف ثم قامت عليه البينة فقال: كنت نسيت، أو ادعى بينة أو إبراء، أو التمس يمين المدعي أن ذلك يكون له ويعذر في ذلك، كذا قال.

قال الإمام النووي رحمته الله (3/142): «قوله: «استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيًّا من صدور الرجال من النعم بعقلها» قال أهل اللغة: التفصي: الانفصال، وهو بمعنى الرواية الأخرى أشد تفلتًا.

«النعم»: أصلها الإبل والبقر والغنم، والمراد هنا الإبل خاصة؛ لأنها التي تعقل، والعقل بضم العين والقاف، ويجوز إسكان القاف وهو كظائره، وهو جمع عقال ككتابٍ وكتب، والنعم تذكر وتؤنث.

ووقع في هذه الروايات: «بعقلها». وفي الرواية الثانية: «من عقله»، وفي الثالثة: «في عقلها»، وكله صحيح، والمراد برواية الباء «من» كما في قول الله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: 6]، على أحد القولين في معناها.

مثل القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم

قال الإمام البخاري رحمته الله (7281): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَادَةَ، أَخْبَرَنَا يَزِيدُ، حَدَّثَنَا سَلِيمُ بْنُ حَيَّانَ، وَأَتْنَى عَلَيْهِ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ، حَدَّثَنَا - أَوْ سَمِعْتُ -

جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: «جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِمَصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ المَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوْلُوها لَهُ يَفْقَهُها، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الجَنَّةُ، وَالدَّاعِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرَقٌ بَيْنَ النَّاسِ».

تَابِعَهُ قُتَيْبَةُ، عَنْ كَيْثٍ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ جَابِرٍ، خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ.

قال الحافظ [في «فتح الباري» (20/333)]: «قوله: «جاءت ملائكة» لم أقف على أسمائهم ولا أسماء بعضهم، ولكن في رواية سعيد بن أبي هلال المعلقة عقب هذا عند الترمذي أن الذي حضر في هذه القصة جبريل وميكائيل، ولفظه: «خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً فقال: إنني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي» فيحتمل أنه كان مع كل منهما غيره.

واقصر في هذه الرواية على من باشر الكلام منهم ابتداءً وجواباً، ووقع في حديث ابن مسعود عند الترمذي وحسنه وصححه ابن خزيمة: أن النبي ﷺ توسد فحذه فرقد، وكان إذا نام نفخ؛ قال فيينا أنا قاعد إذ أنا برجالٍ عليهم ثياب بيض، الله أعلم بما بهم من الجمال، فجلست طائفة منهم عند رأس رسول الله ﷺ،

وطائفة منهم عند رجليه.

قوله: «إِنَّ لصاحبكم هذا مثلاً قال فاضربوا له مثلاً» كذا للأكثر وسقط لفظ «قال» من رواية أبي ذرّ.

قوله: «فقال بعضهم إنه نائم إلى قوله يقظان» قال الرّامهرمزيّ هذا تمثيل يراد به حياة القلب وصحة خواتره، يقال رجل يقظ إذا كان ذكي القلب؛ وفي حديث ابن مسعود فقالوا بينهم: ما رأينا عبداً قطّ أوتي مثل ما أوتي هذا النبيّ، إنّ عينيه تنامان وقلبه يقظان، اضربوا له مثلاً، وفي رواية سعيد بن أبي هلال، فقال أحدهما لصاحبه اضرب له مثلاً، فقال: «اسمع سمع أذنك واعقل عقل قلبك إنّما مثلك» ونحوه في حديث ربيعة الجرشيّ عند الطّبرانيّ زاد أحمد في حديث ابن مسعود فقالوا اضربوا له مثلاً ونؤوّل أو نضرب وأؤلّوا، وفيه ليعقل قلبك.

قوله: «مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة» في حديث ابن مسعود: «مثل سيّد بنى قصرًا» وفي رواية أحمد: «بنياناً حصيناً ثمّ جعل مأدبة فدعا النّاس إلى طعامه وشرابه، فمن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرابه ومن لم يجبه عاقبه - أو قال - عذّبه»، وفي رواية أحمد: «عذّب عذاباً شديداً».

والمأدبة بسكون الهمزة وضّم الدالّ بعدها موحّدة وحكي الفتح، وقال ابن التّين: عن أبي عبد الملك الضّمّ والفتح لغتان فصيحتان، وقال الرّامهرمزيّ نحوه في حديث «القرآن مأدبة الله» قال: وقال لي أبو موسى الحامض: من قاله بالضّمّ أراد الوليمة، ومن قاله بالفتح أراد أدب الله الذي أدّب به عباده. قلت: فعلى هذا يتعيّن الضّمّ.

قوله: «وبعث داعياً» في رواية سعيد «ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه».

قوله: «فقال بعضهم أولوها له يفقهها» قيل: يؤخذ منه حجة لأهل التعبير أن التعبير إذا وقع في المنام اعتمد عليه. قال ابن بطال: قوله «أولوها له» يدل على أن الرؤيا على ما عبرت في النوم. انتهى. وفيه نظر لاحتمال الاختصاص بهذه القصة لكون الرائي النبي ﷺ والمرئي الملائكة، فلا يطرد ذلك في حق غيرهم.

قوله: «فقال بعضهم إنه نائم» هكذا وقع ثالث مرة.

قوله: «فقالوا الدار الجنة» أي الممثل بها زاد في رواية سعيد بن أبي هلال «فالله هو الملك والدار الإسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد رسول الله». وفي حديث ابن مسعود عند أحمد «أما السيد فهو رب العالمين، وأما البنيان فهو الإسلام والطعام الجنة ومحمد الداعي» فمن أتبعه كان في الجنة.

قوله: «فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله» أي لأنه رسول صاحب المأدبة فمن أجابه ودخل في دعوته أكل من المأدبة، وهو كناية عن دخول الجنة ووقع بيان ذلك في رواية سعيد ولفظه: «وأنت يا محمد رسول الله فمن أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل ما فيها».

قوله: «ومحمد فرق بين الناس» كذا لأبي ذرّ بتشديد الراء فعلاً ماضياً، ولغيره بسكون الراء والتّنين وكلاهما متّجه، قال الكرمانيّ: ليس المقصود من هذا التّمثيل تشبيه المفرد بالمفرد، بل تشبيه المركّب بالمركّب، مع قطع النّظر عن مطابقة المفردات من الطرفين انتهى، وقد وقع في غير هذه الطّريق ما يدلّ على المطابقة

المذكورة، زاد في حديث ابن مسعود «فلما استيقظ قال: سمعت ما قال هؤلاء، هل تدري من هم؟. قلت: الله ورسوله أعلم، قال: هم الملائكة، والمثل الذي ضربوا الرّحمن بنى الجنة ودعا إليها عباده» الحديث.

مثل الصراط المستقيم

قال الإمام أحمد رحمته الله (17634): حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ سَوَّارٍ أَبُو الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا لَيْثُ يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ جُبَيْرٍ، حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَيْهِ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْحَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفْتَحَةُ: حَرَامُ اللَّهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ؛ وهذا حديث صحيح.

وهذا مثل مفصل:

ومعناه: أن الله ضرب مثلاً لعباده ليفهموا صراطه المستقيم، على جنبتي الصراط سوران.

قال المناوي رحمته الله [في «فيض القدير» (5211)]: «ضرب الله تعالى مثلاً صراطاً مستقيماً» قال الطيبي: بدل من مثلاً لا على إهدار المبدل، كقوله: زيد رأيت غلامه

رجلا صالحا، إذ لولا أسقط غلامه لم يتبين.

«وعلى جنبتي» بفتح النون والباء بضبط المصنف «الصراط» أي جانبه وجنبه الوادي جانبه وناحيته وهي بفتح النون والجنبه بسكون النون الناحية، ذكره ابن الأثير.

«سوران» تشية سور قال الطيبي: سوران مبتدأ وعلى جنبتي خبره والجملة حال من صراطا.

وقوله: «فيهما أبواب» الجملة صفة لسوران، «مفتحة وعلى الأبواب ستور» جمع ستر «مرخاة» أي مسبلة.

«وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط»، وفي رواية استقيموا على الصراط «جميعا ولا تعوجوا»: أي لا تميلوا يقال عاج يعوج إذا مال عن الطريق.

«وداع يدعو عن فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال ويحك» زجر له من تلك الهمة وهي كلمة ترحم وتوجع، يقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها.

«لا تفتحه فإنك إن فتحتة تلجه» أي تدخل الباب وتقع في محارم الله، قال الطيبي: هذا يدل على أن قول أبواب مفتحة أنها مردودة غير مغلقة «فالصراط الإسلام والسوران حدود الله تعالى والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي من فوق واعظ الله في قلب كل مسلم» قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: 153] الآية.

قال الطيبي: ونظير هذا حديث «ألا إن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله في الأرض محارمه، فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه»، فالسور بمنزلة الحمى وحوها بمنزلة الباب، والستور حدود الله، الحد الفاصل بين العبد ومحارم الله، وواعظ الله هو لمة الملك في قلب المؤمن والأخرى لمة الشيطان، وإنما جعل لمة الملك التي هي واعظ الله فوق داعي القرآن لأنه إنما ينتفع به إذا كان المحل قابلا ولهذا قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة].

إنما ضرب المثل بذلك زيادة في التوضيح والتقريب ليصير المعقول محسوسا والمتخيل متحققا فإن التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعنى الممثل ورفع الحجاب عنه، وإبرازه في صورة المشاهد ليساعد فيه الوهم العقل، فإن المعنى الصرف إنما يدركه العقل مع منازعة الوهم لأن طبعه الميل إلى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهية وفشت في عبارات البلغاء وإشارات الحكماء.

قال النووي: سر هذا الحديث أنه أقام الصراط معنى للإسلام وأقام الداعي معنى للكتاب والداعي الآخر معنى للعظة في قلب كل مؤمن، فأنت على الصراط الدائم وهو الإسلام وسامع النداء القائم وهو القرآن، فإن أنت أقمتم حركاتك وسكناتك بمدبرك وخالقك بسقوط من سواه أقامك إليه به وقمت به إليه بسقوطك عنك فحينئذ يكشف لك اسمه الأعظم الذي لا يجيب من قصده به.

قال القاضي: وضرب المثل احتماله من ضرب الخاتم وأصله وقع الشيء على الشيء.

باب مثل الناس

قال الإمام البخاري رحمه الله (6498): حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّمَا النَّاسُ كَالْإِبِلِ الْمَائَةِ، لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً». ورواه مسلم (2547).

قال ابن حجر في فتح الباري (335 / 18): «قوله «إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة»، في رواية مسلم من طريق معمر عن الزهري «تجدون الناس كإبل مائة، لا تجد الرجل فيها راحلة»، فعلى أن الرواية بغير ألفٍ ولا مٍ وبغير تكاد فالمعنى لا تجد في مائة إبلٍ راحلةً تصلح للركوب، لأن الذي يصلح للركوب ينبغي أن يكون وطيباً سهلاً الانقياد، وكذا لا تجد في مائةٍ من الناس من يصلح للصحبة بأن يعاون رفيقه ويلين جانبه، والرواية بإثبات «لا تكاد» أولى لما فيها من زيادة المعنى ومطابقة الواقع، وإن كان معنى الأول يرجع إلى ذلك، ويحمل النفي المطلق على المبالغة وعلى أن النادر لا حكم له.

وقال الخطابي: العرب تقول للمائة من الإبل إبلٌ يقولون لفلانٍ إبلٌ أي مائة بعيرٍ، ولفلانٍ إبلانٍ أي مائتان. قلت: فعلى هذا فالرواية التي بغير ألفٍ ولا مٍ يكون قوله مائة تفسيراً لقوله إبل، لأن قوله كإبلٍ أي كمائة بعيرٍ، ولما كان مجرد لفظ إبلٍ ليس مشهور الاستعمال في المائة ذكر المائة توضيحاً رفعاً للإلباس، وأما على رواية البخاري فاللام للجنس.

وقال الراغب: الإبل اسم مائة بعيرٍ، فقوله كالإبل المائة المراد به عشرة آلاف

لأن التقدير كالمائة المائة انتهى. والذي يظهر على تسليم قوله لا يلزم ما قال إن المراد عشرة آلاف؛ بل المائة الثانية للتأكيد.

قال الخطابي: تأولوا هذا الحديث على وجهين:

أحدهما: أن الناس في أحكام الدين سواءً لا فضل فيها لشريفٍ على مشروفٍ ولا لرفيعٍ على وضيعٍ كالإبل المائة التي لا يكون فيها راحلةٌ وهي التي ترحل لتركب، والراحلة فاعلةٌ بمعنى مفعولةٍ أي كلها حمولةٌ تصلح للحمل ولا تصلح للرحل والركوب عليها.

والثاني: أن أكثر الناس أهل نقصٍ: وأما أهل الفضل فعددهم قليلٌ جداً، فهم بمنزلة الراحلة في الإبل الحمولة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[الأعراف].

قال أبو اليان: وهذا هو الأقرب من معانيه.

قلت: وأورد البيهقي هذا الحديث في كتاب القضاء في تسوية القاضي بين الخصمين أخذًا بالتأويل الأول، ونقل عن ابن قتيبة أن الراحلة هي النجبية المختارة من الإبل للركوب، فإذا كانت في إبلٍ عرفت، ومعنى الحديث أن الناس في النسب كالإبل المائة التي لا راحلة فيها، فهي مستويةٌ.

وقال الأزهري: الراحلة عند العرب الذكر النجيب والأنثى النجبية، والهاء في الراحلة للمبالغة. قال: وقول ابن قتيبة غلطٌ والمعنى أن الزاهد في الدنيا الكامل فيه الراغب في الآخرة قليلٌ كقلة الراحلة في الإبل.

وقال النووي. هذا أجود، وأجود منها قول آخرين إن المرضي الأحوال من الناس الكامل الأوصاف قليلٌ. قلت: هو الثاني، إلا أنه خصصه بالزاهد، والأولى تعميمه كما قال الشيخ.

وقال القرطبي: الذي يناسب التمثيل أن الرجل الجواد الذي يحمل أثقال الناس والحملات عنهم ويكشف كربهم عزيز الوجود كالراحلة في الإبل الكثيرة. وقال ابن بطال: معنى الحديث أن الناس كثيرٌ والمرضي منهم قليلٌ، وإلى هذا المعنى أوما البخاري بإدخاله في «باب رفع الأمانة» لأن من كانت هذه صفته فالاختيار عدم معاشرته. وأشار ابن بطال إلى أن المراد بالناس في الحديث من يأتي بعد القرون الثلاثة الصحابة والتابعين وتابعيهم حيث يصيرون ويخونون ولا يؤتمنون.

ونقل الكرمانى هذا عن مغلطاي ظنا منه أنه كلامه لكونه لم يعزه فقال: لا حاجة إلى هذا التخصيص، لاحتمال أن يراد أن المؤمنين قليلٌ بالنسبة للكفار والله أعلم.

قال النووي رحمته الله (8/330): «قال ابن قتيبة: الراحلة النجبية المختارة من الإبل للركوب وغيره، فهي كاملة الأوصاف فإذا كانت في إبل عرفت.

قال: ومعنى الحديث أن الناس متساوون ليس لأحدٍ منهم فضل في النسب، بل هم أشباه كالإبل المائة.

وقال الأزهرى: الراحلة عند العرب الجمل النجيب والناقة النجبية. قال: والهاء فيها للمبالغة كما يقال: رجل فهامة ونسابة. قال: والمعنى الذي ذكره ابن

قتيبة غلط، بل معنى الحديث أن الزاهد في الدنيا الكامل في الزهد فيها والرغبة في الآخرة قليل جدا كقلة الراحلة في الإبل، هذا كلام الأزهري، وهو أجود من كلام ابن قتيبة، وأجود منهما قول آخرين أن معناه المرضي الأحوال من الناس الكامل الأوصاف الحسن المنظر القوي على الأحمال والأسفار. سميت راحلة لأنها ترحل أي يجعل عليها الرحل فهي فاعلة بمعنى مفعولة كعيشة راضية أي مرضية ونظائره.

قلت: المراد بهذا أن الناس كثير عددهم ولا تجد من ترضى دينه وخلقه إلا النادر وقيل المراد بهذا - أن الناس في أحكام الدين سواء لا فضل فيها لشريف على مشروف ولا لرفيع على وضيع كالإبل المائة».

مثل آخر للناس

قال الإمام مسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (2638): حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ بَرْقَانَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، بِحَدِيثٍ يَرْفَعُهُ، قَالَ: «النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فُقُّهُوا...».

وهذا التمثيل مرسل مفصل.

قال ابن حجر في فتح الباري (10/160): «قوله: «أفعلن معادن العرب» أي أصولهم التي ينسبون إليها ويتفاخرون بها، وإنما جعلت معادن لما فيها من الاستعداد المتفاوت، أو شبههم بالمعادن لكونهم أوعية الشرف كما أن المعادن أوعية للجواهر.

قوله: «فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا» يحتمل أن يريد بقوله «خياركم» جمع خير، ويحتمل أن يريد أفعال التفضيل تقول في الواحد خير وأخير ثم القسمة رباعية، فإن الأفضل من جمع بين الشرف في الجاهلية والشرف في الإسلام وكان شرفهم في الجاهلية بالخصال المحمودة من جهة ملاءمة الطبع ومنافرتة خصوصاً بالانتساب إلى الآباء المتصفين بذلك، ثم الشرف في الإسلام بالخصال المحمودة شرعاً، ثم أرفعهم مرتبة من أضاف إلى ذلك النفقة في الدين، ومقابل ذلك من كان مشروفاً في الجاهلية واستمر مشروفاً في الإسلام فهذا أدنى المراتب؛ والقسم الثالث من شرف الإسلام وفقهه ولم يكن شريفاً في الجاهلية، ودونه من كان كذلك لكن لم يتفقه، والقسم الرابع من كان شريفاً في الجاهلية ثم صار مشروفاً في الإسلام فهذا دون الذي قبله، فإن تفقه فهو أعلى رتبة من الشريف الجاهل».

وقال بِسْمِ اللَّهِ (6/ 529): «قوله: «خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام» وجه التشبيه أن المعدن لما كان إذا استخرج ظهر ما اختفي منه ولا تتغير صفته فكذلك صفة الشرف لا تتغير في ذاتها بل من كان شريفاً في الجاهلية فهو بالنسبة إلى أهل الجاهلية رأس فإن أسلم استمر شرفه وكان أشرف ممن أسلم من المشروفين في الجاهلية، وأما قوله إذا فقهوا ففيه إشارة إلى أن الشرف الإسلامي لا يتم إلا بالتفقه في الدين، وعلى هذا فتقسم الناس أربعة أقسام مع ما يقابلها:

الأول: شريف في الجاهلية أسلم وتفقه، ويقابله مشروف في الجاهلية لم يسلم ولم يتفقه.

الثاني: شريف في الجاهلية أسلم ولم يتفقه، ويقابله مشروف في الجاهلية لم يسلم

وتفقه،

الثالث: شريف في الجاهلية لم يسلم ولم يتفقه، ويقابله مشروف في الجاهلية أسلم ثم تفقه.

الرابع: شريف في الجاهلية لم يسلم وتفقه ويقابله مشروف في الجاهلية أسلم ولم يتفقه.

فأرفع الأقسام من شرف في الجاهلية ثم أسلم وتفقه، ويليه من كان مشروفاً ثم أسلم وتفقه، ويليه من كان شريفاً في الجاهلية ثم أسلم ولم يتفقه، ويليه من كان مشروفاً ثم أسلم ولم يتفقه.

وأما من لم يسلم فلا اعتبار به سواء كان شريفاً أو مشروفاً سواء تفقه أو لم يتفقه والله أعلم. والمراد بالخيار والشرف وغير ذلك من كان متصفاً بمحاسن الأخلاق، كالكرم والعفة والحلم وغيرها، متوقياً لمساويها كالبخل والفجور والظلم وغيرها.

باب مثل المجلس الصالح والمجلس السوء

قال الإمام البخاري (5534): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بَرِيدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكَيْرِ، فَحَامِلُ الْمَسْكِ: إِمَّا أَنْ يُخْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَيْرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً».

حديث آخر:

أخرج الحاكم في المستدرک (7749) عن أنس مرفوعاً: **مَثَلُ الْجُلَيْسِ الصَّالِحِ مَثَلُ الْعَطَّارِ إِنْ لَمْ يُعْطِكَ مِنْ عَطْرِهِ - أَوْ قَالَ: إِنْ لَمْ تُصِبْ مِنْ عَطْرِهِ - أَصَابَكَ مِنْ رِيحِهِ.**

قال الشيخ الألباني رحمته الله: «صحيح»؛ انظر حديث رقم (5828) في «صحيح الجامع» ورمز له بـ(دك).

وياله من مثل عظيم للترغيب في مجالسة الصالحين والتحذير من مجالسة الأشرار، فلا بد من أثر في المجالسة فعلى المرء الحرص على مجالسة الصالحين، وأما مخالطة الناس فهي غير المجالسة، فالمخالطة قد يتخللها النصح والثبات على الدين؛ وعليه يحمل حديث ابن عمر: «**المؤمن الذي يُخالط النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي لَا يُخالطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**» الحديث.

حديث آخر في الباب ومثل القلب

قال الإمام أحمد رحمته الله (19660): **حَدَّثَنَا عَفَانُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، حَدَّثَنَا عَاصِمُ الْأَحْوَلُ، عَنْ أَبِي كَبْشَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مُوسَى يَقُولُ عَلَى الْمَنْبَرِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْجُلَيْسِ الصَّالِحِ كَمَثَلِ الْعَطَّارِ، إِنْ لَا يُحْذِكُ يَعْبَقُ بِكَ مِنْ رِيحِهِ، وَمَثَلُ الْجُلَيْسِ السَّوِّءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْكَبِيرِ».**

وقال الإمام أحمد رحمته الله (19661): **قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْقَلْبُ مِنْ تَقْلِبِهِ، إِنَّمَا مَثَلُ الْقَلْبِ كَمَثَلِ رِيْشَةٍ مُعَلَّقَةٍ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ تُقَلِّبُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ».**

أبو كبشة السدوسي البصري. قال ابن حجر: مقبول.

قال ابن أبي عاصم في كتاب السنة (227): ثنا أبو بكر، ثنا يزيد بن هارون، عن الجريري، عن غنيم بن قيس، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْقَلْبِ كَمَثَلِ رِيْشَةٍ بَارِضٍ فَلَا تَقْلُبُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ».

قال العلامة الألباني رحمه الله [في «ظلال الجنة» (ج 1 / ص 85)]: «إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات على شرط مسلم، والحديث أخرجه أحمد: ثنا يزيد قال أنا الجريري به، وله عنده إسناد آخر صحيح، وتابعه يزيد الرقاشي عن غنيم بن قيس به».

قال ابن حجر في فتح الباري (6/421): «قوله: «كمثل صاحب المسك» في رواية أبي أسامة عن بريد كما سيأتي في الذبائح «كحامل المسك» وهو أعم من أن يكون صاحبه أو لا والمجالسة بدون نصح وإنكار للمنكر يعتبر كالرضى به، نسأل الله العافية».

قوله: «وكير الحداد» بكسر الكاف بعدها تحتانية ساكنة معروف، وفي رواية أبي أسامة «كحامل المسك ونافخ الكير» وحقيقته البناء الذي يركب عليه الزق والزق هو الذي ينفخ فيه فأطلق على الزق اسم الكير مجازاً لمجاورته له، وقيل الكير هو الزق نفسه وأما البناء فاسمه الكور.

قوله: «لا يعدمك»... أي لا يعدمك إحدى الخصلتين أي لا يعدوك، تقول ليس يعدمني هذا الأمر أي ليس يعدوني...

قوله: «إما تشتريه أو تجد ريحه» في رواية أبي أسامة إما أن يحذيك وإما أن تبتاع

منه، ورواية عبد الواحد أرجح لأن الإحذاء - وهو الإعطاء - لا يتعين بخلاف الرائحة فإنها لازمة سواء وجد البيع أو لم يوجد.

قوله: «وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك» في رواية أبي أسامة «ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك» ولم يتعرض لذكر البيت وهو واضح، وفي الحديث النهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدين والدنيا، والترغيب في مجالسة من ينتفع بمجالسته فيهما، وفيه جواز بيع المسك والحكم بطهارته لأنه ﷺ مدحه ورغب فيه ففيه الرد على من كرهه وهو منقول عن الحسن البصري وعطاء وغيرهما، ثم انقرض هذا الخلاف واستقر الإجماع على طهارة المسك وجواز بيعه، وسيأتي لذلك مزيد بيان في كتاب الذبائح، ولم يترجم المصنف للحداد لأنه تقدم ذكره، وفيه ضرب المثل والعمل في الحكم بالأشبه والنظائر».

وقال النووي رحمته الله (8/468): «فيه تمثله رحمته الله المجلس الصالح بحامل المسك، والمجلس السوء بنافخ الكير».

وفيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع، ومن يغتاب الناس، أو يكثر فجره وبطالته. ونحو ذلك من الأنواع المذمومة

ومعنى: «يحذيك» يعطيك... وفيه طهارة المسك واستحبابه، وجواز بيعه، وقد أجمع العلماء على جميع هذا، ولم يخالف فيه من يعتد به، ونقل عن الشيعة نجاسته والشيعة لا يعتد بهم في الإجماع ومن الدلائل على طهارته الإجماع وهذا الحديث، وهو قوله رحمته الله: «وإما أن تبتاع منه» والنجس لا يصح بيعه. ولأنه ﷺ كان

يستعمله في بدنه ورأسه، ويصلي به، ويخبر أنه أطيب الطيب، لم يزل المسلمون على استعماله وجواز بيعه.

قال القاضي: وما روي من كراهة العمرين له فليس فيه نص منها على نجاسته، ولا صحت الرواية عنهما بالكراهة، بل صحت قسمة عمر بن الخطاب المسك على نساء المسلمين، والمعروف عن ابن عمر استعماله. والله أعلم.

باب مثل المنافق

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهمُ حُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَالَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون].

وقال الله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة].

انظر تفسير المثالين في الفصل الأول.

قال الإمام مسلم رحمه الله (2784): حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، ح وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى - وَاللَّفْظُ لَهُ - أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ يَعْنِي الثَّقَفِيَّ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَثَلُ الْمُنَافِقِ، كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعْبُرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً».

قال الإمام أحمد رحمه الله (5610): حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ عُثْمَانَ

بْنِ يَزْدَوِيهِ، عَنْ يَعْفَرَ بْنِ رُوذِيٍّ، قَالَ: سَمِعْتُ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ، وَهُوَ يَقْضُ يَقُولُ: يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الرَّابِضَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ».

قال الإمام النووي رحمته الله (9/163): «قوله رحمته الله: «مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة»؛ «العائرة»: المترددة الحائرة لا تدري لأيهما تتبع، ومعنى تعير أي: تردد وتذهب.

وقوله في الرواية الثانية: «تكر في هذه مرة وفي هذه مرة» أي: تعطف على هذه وعلى هذه، وهو نحو «تعير» وهو بكسر الكاف».

قال المناوي رحمته الله [في «فيض القدير» (8158)]: ««مثل المنافق كمثل الشاة العائرة» بعين مهملة المترددة المتحيرة. قال التوربشتي: وأكثر استعماله في الناقة، وهي التي تخرج من إبل إلى أخرى ليضربها الفحل، ثم اتسع في المواشي «بين الغنمين» أي القطيعين من الغنم.

قال في المفصل: قد يشنى الجمع على تأويل الجماعتين في الفرقتين، قال: ومنه هذا الحديث.

وقال الأندلسي في شرحه: تثنية الجمع ليس بقياس وقد يعرض في بعض المعاني ما يجوز إلى تثنيته كما في الحديث كأنه لا يمكن التعبير بمجرد الجمع فتستحق عند ذلك تثنيته.

«تعير»، في رواية أخرى «تكر إلى هذه مرة وإلى هذه مرة» أي تعطف على هذه وعلى هذه؛ «لا تدري أيهما تتبع» لأنها غريبة ليست منها، فكذا المنافق لا يستقر بالمسلمين ولا بالكافرين بل يقول لكل منهم أنا منكم.

قال الطيبي: شبه ترده بين المؤمنين والكافرين تبعاً لهواه وقصداً لأغراضه الفاسدة كتردد الشاة الطالبة للفحل فلا تستقر على حال ولذلك وصفوا في التنزيل: ﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النساء: 143].

باب مثل المنفق

قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261].

وقال الله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 264].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَأَنَّتْ أَكُلَهَا ضَعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّتْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: 265].

وانظر شرح الآيتين في القسم الأول/ شرح أمثال القرآن.

وقال الإمام البخاري (1443): وَحَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ حَدَّثَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ نُدْيِهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إِلَّا سَبَعَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ، حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ

وَتَعْفُوْا أَثْرَهُ، وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلَقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوسَّعُهَا وَلَا تَتَّسَعُ». تَابَعَهُ الْحَسَنُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ طَاوُسٍ، فِي الْجُبَّتَيْنِ. ورواه مسلم (1021).

قال ابن حجر في فتح الباري (5/49): «قال الخطابي وغيره: وهذا مثل ضربه النبي ﷺ للبخیل والمتصدق، فشبها برجلين أراد كل واحد منهما أن یلبس درعاً یستر به من سلاح عدوه، فصباها على رأسه لیلبسها، والدروع أول ما تقع على الصدر والثديين إلى أن یدخل الإنسان یدیه فی کمیها، فجعل المنفق كمن لبس درعاً سابغة فاسترسلت علیه حتى سترت جميع بدنه، وهو معنى قوله: «حتى تعفو أثره» أي: تستر جميع بدنه.

وجعل البخیل كمثل رجلٍ غلت یداه إلى عنقه، كلما أراد لبسها اجتمعت في عنقه فلزمت ترقوته، وهو معنى قوله: «قلصت» أي: تضامنت واجتمعت، والمراد أن الجواد إذا هم بالصدقة انفسح لها صدره وطابت نفسه فتوسعت في الإنفاق، والبخیل إذا حدث نفسه بالصدقة شحت نفسه فضاق صدره وانقبضت یداه ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن].

وقال المهلب: المراد أن الله یستر المنفق في الدنيا والآخرة، بخلاف البخیل فإنه یفضحه. ومعنى تعفو أثره تمحو خطایاه. وتعقبه عیاض بأن الخبر جاء على التمثیل لا على الإخبار عن كائن.

قال: وقيل هو تمثیل لنماء المال بالصدقة، والبخل بضده. وقيل تمثیل لكثرة الجود والبخل، وأن المعطي إذا أعطى انبسطت یداه بالعطاء وتعود ذلك، وإذا

أمسك صار ذلك عادة.

وقال الطيبي: قيد المشبه به بالحديد إعلامًا بأن القبض والشدة من جبلة الإنسان، وأوقع المتصدق موقع السخي لكونه جعله في مقابلة البخيل إشعارًا بأن السخاء هو ما أمر به الشارع وندب إليه من الإنفاق لا ما يتعانه المسرفون».

قال النووي في شرحه على مسلم (3/465): «وهو تمثيل لنهاء المال بالصدقة والإنفاق، والبخل بضد ذلك، وقيل: هو تمثيل لكثرة الجود والبخل، وأن المعطي إذا أعطى انبسطت يده بالعطاء وتعود ذلك، إذا أمسك صار ذلك عادة له، وقيل: معنى يمحو أثره أي يذهب بخطاياها ويمحوها».

وقيل: في البخيل «قلصت ولزمت كل حلقة مكانها» أي يحمى عليه يوم القيامة فيكوى بها، والصواب الأول، والحديث جاء على التمثيل لا على الخبر عن كائن، وقيل: ضرب المثل بهما؛ لأن المنفق يستره الله تعالى بنفقتة، ويستتر عوراته في الدنيا والآخرة كستر هذه الجنة لابسها، والبخيل كمن لبس جبة إلى ثديه فيبقى مكشوفًا بادي العورة مفتضحًا في الدنيا والآخرة. هذا آخر كلام القاضي عياض رحمته الله تعالى.

باب مثل المسلمين واليهود والنصارى

قال الإمام البخاري رحمته الله (558): حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا، يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلًا إِلَى اللَّيْلِ، فَعَمِلُوا إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ فَقَالُوا: لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى أَجْرِكَ، فَاسْتَأْجَرَ آخَرِينَ، فَقَالَ: أَكْمَلُوا بَقِيَّةَ

يَوْمِكُمْ وَلَكُمْ الَّذِي شَرَطْتُ، فَعْمَلُوا حَتَّى إِذَا كَانَ حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، قَالُوا: لَكَ مَا عَمَلْنَا، فَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا، فَعْمَلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ، وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ».

قال الإمام البخاري رحمته الله: (557): حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الأَوْسِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِبرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، عَنِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ أَبِيهِ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: «إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيهَا سَلَفَ قَبْلِكُمْ مِنَ الْأُمَّمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ، فَعْمَلُوا حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا، فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ، فَعْمَلُوا إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ عَجَزُوا، فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِيَ الْقُرْآنَ، فَعْمَلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَأَعْطِينَا قِيرَاطِينَ قِيرَاطِينَ، فَقَالَ: أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ: أَيُّ رَبَّنَا، أَعْطَيْتَ هَؤُلَاءِ قِيرَاطِينَ قِيرَاطِينَ، وَأَعْطَيْتَنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، وَنَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَمَلًا؟ قَالَ: قَالَ اللهُ Δ: هَلْ ظَلَمْتُمْ مَنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَهُوَ فَضْلِي أَوْتِيهِ مِنْ أَسَاءٍ».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله (332/2): «ومما يؤيد كون المراد كثرة العمل وقلته لا بالنسبة إلى طول الزمان وقصره، كون أهل الأخبار متفقين على أن المدة التي بين عيسى ونبينا صلى الله عليه وسلم دون المدة التي بين نبينا صلى الله عليه وسلم وقيام الساعة، لأن جمهور أهل المعرفة بالأخبار قالوا: إن مدة الفترة بين عيسى ونبينا صلى الله عليه وسلم ستائة سنة».

وثبت ذلك في صحيح البخاري عن سليمان، وقيل إنها دون ذلك حتى جاء عن بعضهم أنها مائة وخمسة وعشرون سنة، وهذه مدة المسلمين بالمشاهدة أكثر من ذلك، فلو تمسكنا بأن المراد التمثيل بطول الزمانين وقصرهما للزم أن يكون

وقت العصر أطول من وقت الظهر ولا قائل به، فدل على أن المراد كثرة العمل وقلته، والله E أعلم».

باب مثل الواقع في الشبهات

قال الإمام مسلم رحمه الله (1599): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ الْهَمْدَانِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا زَكَرِيَاءُ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: - وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعِيهِ إِلَى أُذُنَيْهِ - «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعَرِضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

قال النووي [في «شرح على مسلم» (5/469)]: «قوله ﷺ: «الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس...» إلى آخره، أجمع العلماء على عظم وقع هذا الحديث، وكثرة فوائده، وأنه أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام.

قال جماعة: هو ثلث الإسلام، وأن الإسلام يدور عليه، وعلى حديث: «الأعمال بالنية»، وحديث: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

وقال أبو داود السخيتاني: يدور على أربعة أحاديث: هذه الثلاثة، وحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، وقيل: حديث «ازهد في الدنيا

يجبك الله، وازهد ما في أيدي الناس يجبك الناس».

قال العلاء: وسبب عظم موقعه أنه ﷺ نبه فيه على إصلاح المطعم والمشرب والملبس وغيرها، وأنه ينبغي ترك المشتبهات، فإنه سبب لحماية دينه وعرضه، وحذرًا من مواقعة الشبهات، وأوضح ذلك بضرب المثل بالحمى، ثم بين أهم الأمور، وهو مراعاة القلب فقال ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة...» إلى آخره، فبين ﷺ أن بصلاح القلب يصلح باقي الجسد، وبفساده يفسد باقيه.

وأما قوله ﷺ: «الحلال بين والحرام بين» فمعناه: أن الأشياء ثلاثة أقسام: حلال بين واضح لا يخفي حله، كالخبز والفواكه والزيت والعسل والسمن ولبن مأكول اللحم وبيضه وغير ذلك من المطعومات، وكذلك الكلام والنظر والمشى وغير ذلك من التصرفات، فيها حلال بين واضح لا شك في حله.

وأما الحرام البين فكالخمر والخنزير والميتة والبول والدم المسفوح، وكذلك الزنا والكذب والغيبة والنميمة والنظر إلى الأجنبية وأشباه ذلك.

وأما المشتبهات فمعناه أنها ليست بواضحة الحل ولا الحرمة، فلهذا لا يعرفها كثير من الناس، ولا يعلمون حكمها، وأما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب أو غير ذلك، فإذا تردد الشيء بين الحل والحرمة، ولم يكن فيه نص ولا إجماع، اجتهد فيه المجتهد، فألحقه بأحدهما بالدليل الشرعي فإذا ألحقه به صار حلالاً، وقد يكون غير خال عن الاحتمال البين، فيكون الورع تركه، ويكون داخلًا في قوله ﷺ: «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه» وما لم يظهر للمجتهد فيه شيء وهو مشتبه فهل يؤخذ بحله أم بحرمة أم يتوقف، فيه

ثلاثة مذاهب، حكاها القاضي عياض وغيره، والظاهر أنها مخرجة على الخلاف المذكور في الأشياء قبل ورود الشرع، وفيه أربعة مذاهب:

الأصح: أنه لا يحكم بحل ولا حرمة ولا إباحة ولا غيرها، لأن التكليف عند أهل الحق لا يثبت إلا بالشرع.

والثاني: أن حكمها التحريم.

والثالث: الإباحة.

والرابع: التوقف. والله أعلم.

قوله ﷺ: «فقد استبرأ لدينه وعرضه» أي: حصل له البراءة لدينه من الدم الشرعي، وصان عرضه عن كلام الناس فيه.

قوله ﷺ: «إن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه» معناه: أن الملوك من العرب وغيرهم يكون لكل ملك منهم حمى يحميه عن الناس، ويمنعهم دخوله، فمن دخله أوقع به العقوبة، ومن احتاط لنفسه لا يقارب ذلك الحمى خوفاً من الوقوع فيه، والله تعالى أيضاً حمى وهي محارمه، أي: المعاصي التي حرّمها الله، كالقتل والزنا والسرقة والقذف والخمر والكذب والغيبة والنميمة، وأكل المال بالباطل، وأشباه ذلك، فكل هذا حمى الله تعالى من دخله بارتكابه شيئاً من المعاصي استحق العقوبة، ومن قاربه يوشك أن يقع فيه، فمن احتاط لنفسه لم يقاربه، ولا يتعلق بشيء يقربه من المعصية، فلا يدخل في شيء من الشبهات.

قوله ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت

فسد الجسد كله ألا وهي القلب». قال أهل اللغة: يقال: أصلح الشيء وفسد بفتح اللام والسين، وضمهما، والفتح أفصح وأشهر، والمضغة: القطعة من اللحم، سميت بذلك لأنها تمضغ في الفم لصغرهما، قالوا: المراد تصغير القلب بالنسبة إلى باقي الجسد، مع أن صلاح الجسد وفساده تابعان للقلب.

وفي هذا الحديث: تأكيد على السعي في صلاح القلب وحمايته من الفساد. واحتج بهذا الحديث على أن العقل في القلب لا في الرأس وفيه خلاف مشهور. ومذهب أصحابنا وجمهير المتكلمين أنه في القلب، وقال أبو حنيفة: هو في الدماغ، وقد يقال في الرأس، وحكوا الأول أيضًا عن الفلاسفة، والثاني عن الأطباء.

قال المازري: واحتج القائلون؛ بأنه في القلب بقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: 46]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: 37]، وبهذا الحديث، فإنه ﷺ جعل صلاح الجسد وفساده تابعًا للقلب، مع أن الدماغ من جملة الجسد، فيكون صلاحه وفساده تابعًا للقلب، فعلم أنه ليس محلاً للعقل. واحتج القائلون بأنه في الدماغ بأنه إذا فسد الدماغ فسد العقل، ويكون من فساد الدماغ الصرع في زعمهم، ولا حجة لهم في ذلك؛ لأن الله E أجرى العادة بفساد العقل عند فساد الدماغ مع أن العقل ليس فيه، ولا امتناع من ذلك.

قال المازري: لا سيما على أصولهم في الاشتراك الذي يذكرونه بين الدماغ والقلب، وهم يجعلون بين الرأس والمعدة والدماغ اشتراكًا. والله أعلم.

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله (1/82): «قوله: «كراعٍ يرعى» هكذا في جميع نسخ البخاري محذوف جواب الشرط إن أعربت «من» شرطية وقد ثبت المحذوف في رواية الدارمي عن أبي نعيم شيخ البخاري فيه فقال «ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى» ويمكن إعراب «من» في سياق البخاري موصولة فلا يكون فيه حذف، إذ التقدير والذي وقع في الشبهات مثل راعٍ يرعى، والأول أولى لثبوت المحذوف في صحيح مسلم وغيره من طريق زكريا التي أخرجه منها المؤلف، وعلى هذا فقوله «كراعٍ يرعى» جملة مستأنفة وردت على سبيل التمثيل للتنبية بالشاهد على الغائب.

و«الحمى» المحمي، أطلق المصدر على اسم المفعول. وفي اختصاص التمثيل بذلك نكتة، وهي أن ملوك العرب كانوا يحمون لمراعي مواشيهم أماكن مختصة يتوعدون من يرعى فيها بغير إذنه بالعقوبة الشديدة، فمثل لهم النبي صلى الله عليه وسلم بما هو مشهور عندهم، فالحائف من العقوبة المراقب لرضا الملك يبعد عن ذلك الحمى خشية أن تقع مواشيه في شيء منه، فبعده أسلم له ولو اشتد حذره. وغير الحائف المراقب يقرب منه ويرعى من جوانبه، فلا يأمن أن تنفرد الفاذة فتقع فيه بغير اختياره، أو يمحل المكان الذي هو فيه ويقع الخصب في الحمى فلا يملك نفسه أن يقع فيه. فالله E هو الملك حقا، وحماه محارمه.

تنبية: ادعى بعضهم أن التمثيل من كلام الشعبي، وأنه مدرج في الحديث، حكى ذلك أبو عمرو الداني، ولم أقف على دليله إلا ما وقع عند ابن الجارود والإسماعيلي من رواية ابن عون عن الشعبي، قال ابن عون في آخر الحديث: لا

أدري المثل من قول النبي ﷺ أو من قول الشعبي . قلت: وتردد ابن عون في رفعه لا يستلزم كونه مدرجاً؛ لأن الأثبات قد جزموا باتصاله ورفعته، فلا يقدر شك بعضهم فيه. وكذلك سقوط المثل من رواية بعض الرواة - كأبي فروة عن الشعبي - لا يقدر فيمن أثبتته؛ لأنهم حفاظ. ولعل هذا هو السر في حذف البخاري قوله «وقع في الحرام» ليصير ما قبل المثل مرتبطاً به فيسلم من دعوى الإدراج. ومما يقوي عدم الإدراج رواية ابن حبان الماضية، وكذا ثبوت المثل مرفوعاً في رواية ابن عباس وعمار بن ياسر أيضاً.

قوله: «ألا إن حمى الله في أرضه محارمه» سقط «في أرضه» من رواية المستملي، وثبتت الواو في قوله: «ألا وإن حمى الله» في رواية غير أبي ذر، والمراد بالمحارم فعل المنهي المحرم أو ترك المأمور الواجب، ولهذا وقع في رواية أبي فروة التعبير بالمعاصي بدل المحارم. وقوله: «ألا» للتنبيه على صحة ما بعدها، وفي إعادتها وتكريرها دليل على عظم شأن مدلولها.

قوله «مضغة» أي: قدر ما يمضغ، وعبر بها هنا عن مقدار القلب في الرؤية، وسمي القلب قلباً لتقلبه في الأمور، أو لأنه خالص ما في البدن، وخالص كل شيء قلبه، أو لأنه وضع في الجسد مقلوباً. وقوله: «إذا صلحت» و«إذا فسدت» هو بفتح عينها وتضم في المضارع، وحكى الفراء الضم في ماضي صلح، وهو يضم وفاقاً إذا صار له الصلاح هيئة لازمة لشرفٍ ونحوه، والتعبير بإذا لتحقيق الوقوع غالباً، وقد تأتي بمعنى إن كما هنا. وخص القلب بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية، وبفساده تفسد.

وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب، والحث على صلاحه، والإشارة إلى أن لطيب

الكسب أثرًا فيه. والمراد المتعلق به من الفهم الذي ركبه الله فيه. ويستدل به على أن العقل في القلب، ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: 46]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: 37]. قال المفسرون: أي: عقل. وعبر عنه بالقلب لأنه محل استقراره.

مثل القائم على حدود الله تعالى والمدّهن فيها

قال الإمام أحمد رحمته الله (18361): حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، وَالْمُدَّهِنِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فِي الْبَحْرِ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، وَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا يَصْعَدُونَ، فَيَسْتَقُونَ الْمَاءَ، فَيُصْبُونَ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا، فَقَالَ الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا: لَا نَدْعُكُمْ تَصْعَدُونَ، فَتُؤَدُّونَنَا، فَقَالَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا: فَإِنَّا نَنْقُبُهَا مِنْ أَسْفَلِهَا، فَنَسْتَقِي». قَالَ: «فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ، فَمَنْعُوهُمْ، نَجَوْا جَمِيعًا، وَإِنْ تَرَكَوهُمْ غَرِقُوا جَمِيعًا».

وقال الإمام البخاري رحمته الله (2361): حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَاءُ، قَالَ: سَمِعْتُ عَامِرًا، يَقُولُ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا حَرَقْنَا فِي نَصِينَا حَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا».

قال ابن حجر [في «فتح الباري» في شرح حديث النعمان (ج 8 / ص 213) (2489)]:

«قوله: «مثل المدهن» بضمّ أوّله وسكون المهملة وكسر الهاء بعدها نون أي المحابي بالمهملة والموحدة والمدهن والمداهن واحد، والمراد به من يرأى ويضيع الحقوق ولا يغيّر المنكر.

قوله: «الواقع فيها» كذا وقع هنا، وقد تقدّم في الشّركة من وجه آخر عن عامر وهو الشّعبيّ «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها» وهو أصوب لأنّ المدهن والواقع أي مرتكبها في الحكم واحد، والقائم مقابله. ووقع عند الإسماعيليّ في الشّركة «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها» وهذا يشمل الفرق الثلاث: وهو النّاهي عن المعصية والواقع فيها والمرائي في ذلك، ووقع عند الإسماعيليّ أيضًا هنا «مثل الواقع في حدود الله تعالى والنّاهي عنها» وهو المطابق للمثل المضروب فإنّه لم يقع فيه إلا ذكر فرقتين فقط لكن إذا كان المداهن مشتركًا في الدّم مع الواقع صارًا بمنزلة فرقة واحدة، وبيان وجود الفرق الثلاث في المثل المضروب أنّ الذين أرادوا خرق السفينة بمنزلة الواقع في حدود الله، ثمّ من عداهم إمّا منكر وهو القائم، وإمّا ساكت وهو المدهن.

وحمل ابن التّين قوله هنا «الواقع فيها» على أنّ المراد به القائم فيها واستشهد بقوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة]، أي قامت القيامة ولا يخفى ما فيه، وكأنّه غفل عمّا وقع في الشّركة من مقابلة الواقع بالقائم، وقد رواه الترمذيّ من طريق أبي معاوية عن الأعمش بلفظ «مثل القائم على حدود الله والمدهن فيها» وهو مستقيم.

وقال الكرمانيّ: قال في الشّركة «مثل القائم» وهنا «مثل المدهن» وهما نقيضان، فإنّ القائم هو الأمر بالمعروف والمدهن هو التّارك له، ثمّ أجاب بأنّه حيث قال

القائم نظر إلى جهة النَّجاة، وحيث قال المدهن نظر إلى جهة الهلاك ولا شك أن التشبيه مستقيم على الحالين. قلت: كيف يستقيم هنا الاقتصار على ذكر المدهن وهو التَّارك للأمر بالمعروف وعلى ذكر الواقع في الحد وهو العاصي وكلاهما هالك، فالذي يظهر أن الصَّواب ما تقدّم. والحاصل أن بعض الرواة ذكر المدهن والقائم وبعضهم ذكر الواقع والقائم وبعضهم جمع الثلاثة، وأمّا الجمع بين المدهن والواقع دون القائم فلا يستقيم.

قوله: «استهموا سفينة» أي اقترعوها، فأخذ كل واحد منهم سهمًا أي نصيبًا من السفينة بالقرعة بأن تكون مشتركة بينهم إمّا بالإجارة وإمّا بالملك، وإنما تقع القرعة بعد التعديل، ثم يقع التشاح في الأنصبة فتقع القرعة لفصل النزاع كما تقدّم.

قال ابن التين: وإنما يقع ذلك في السفينة ونحوها فيما إذا نزلوها معًا، أمّا لو سبق بعضهم بعضًا فالسابق أحقّ بموضعه. قلت: وهذا فيما إذا كانت مسبلة مثلاً، أمّا لو كانت مملوكة لهم مثلاً فالقرعة مشروعة إذا تنازعا والله أعلم.

قوله: «فتأذوا به» أي بالمارّ عليهم بالماء حالة السقي.

قوله: «فأخذ فأسًا» بهمزة ساكنة معروف ويؤنث.

قوله: «ينقر» بفتح أوله وسكون النون وضم القاف أي يحفر ليخرقها.

قوله: «فإن أخذوا على يديه» أي منعه من الحفر.

«أنجوه ونجّوا أنفسهم» هو تفسير للرواية الماضية في الشركة حيث قال:

«نجوا ونجوا» أي كل من الآخذين والمأخوذين، وهكذا إقامة الحدود يحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه، وإلا هلك العاصي بالمعصية والساکت بالرّضا بها.

قال المهلب وغيره: في هذا الحديث تعذيب العامّة بذنب الخاصّة، وفيه نظر لأنّ التعذيب المذكور إذا وقع في الدّنيا على من لا يستحقّه فإنّه يكفّر من ذنوب من وقع به أو يرفع من درجته. وفيه استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف، وتبيين العالم الحكم بضرب المثل، ووجوب الصّبر على أذى الجار إذا خشي وقوع ما هو أشدّ ضرراً، وأنّه ليس لصاحب السّفّل أن يحدث على صاحب العلو ما يضرّ به، وأنّه إن أحدث عليه ضرراً لزمه إصلاحه، وأنّ لصاحب العلو منعه من الضّرر. وفيه جواز قسمة العقار المتفاوت بالقرعة وإن كان فيه علو وسفل.

تمبيّه: وقع حديث النّعمان هذا في بعض النسخ مقدّمًا على حديث أمّ العلاء، وفي رواية أبي ذرّ وطائفة كما أوردته.

باب مثل المرأة

قال الإمام مسلم رحمته الله (3717): وحدثني حرمة بن يحيى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني يونس، عن ابن شهاب، حدثني ابن المسيب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن المرأة كالضلع، إذا ذهب تقيمها كسرته، وإن تركتها استمتعت بها وفيها عوج». ورواه البخاري (5184).

قال النووي رحمته الله [في شرحه على مسلم] (57/10): «قوله صلى الله عليه وسلم: «إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها

عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها»، العوج ضبطه بعضهم بفتح العين وضبطه بعضهم بكسرها ولعل الفتح أكثر، وضبطه الحافظ أبو القاسم بن عساكر وآخرون بالكسر وهو الأرجح على مقتضى ما سننقله عن أهل اللغة إن شاء الله تعالى».

وقال النووي رحمته الله (10 / 57): «وفيه دليل لما يقوله الفقهاء أو بعضهم أن حواء خلقت من ضلع آدم، قال الله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: 1]، وبين النبي صلى الله عليه وسلم أنها خلقت من ضلع وفي هذا الحديث ملاطفة النساء والإحسان إليهن والصبر على عوج أخلاقهن واحتمال ضعف عقولهن، وكرهة طلاقهن بلا سبب وأنه لا يطمع باستقامتها والله أعلم».

* شرح الحديث:

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله (14 / 476): «قوله «فإنهن خلقن من ضلع» بكسر الضاد والمعجمة وفتح اللام وقد تسكن، وكأن فيه إشارة إلى ما أخرجه ابن إسحاق في «المبتدأ» عن ابن عباس «إن حواء خلقت من ضلع آدم الأقصر الأيسر وهو نائم» وكذا أخرجه ابن أبي حازم وغيره من حديث مجاهد، وأغرب النووي فعزاه للفقهاء أو بعضهم فكان المعنى أن النساء خلقن من أصل خلق من شيء معوج، وهذا لا يخالف الحديث الماضي من تشبيه المرأة بالضلع، بل يستفاد من هذا نكتة التشبيه وأنها عوجاء مثله لكون أصلها منه، وقد تقدم شيء من ذلك في كتاب بدء الخلق.

قوله «وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه» ذكر ذلك تأكيداً للمعنى الكسر، لأن

الإقامة أمرها أظهر في الجهة العليا، أو إشارة إلى أنها خلقت من أعوج أجزاء الضلع مبالغة في إثبات هذه الصفة لهن، ويحتمل أن يكون ضرب ذلك مثلاً لأعلى المرأة لأن أعلاها رأسها، وفيه لسانها وهو الذي يحصل منه الأذى، واستعمل «أعوج» وإن كان من العيوب لأنه أفعل للصفة وأنه شاذ، وإنما يمتنع عند الالتباس بالصفة فإذا تميز عنه بالقرينة جاز البناء.

قوله: «فإن ذهبت تقيمه كسرتها» الضمير للضلع لا لأعلى الضلع، وفي الرواية التي قبله «إن أقمته كسرتها» والضمير أيضاً للضلع وهو يذكر ويؤنث، ويحتمل أن يكون للمرأة، ويؤيده قوله بعده «وإن استمتعت بها» ويحتمل أن يكون المراد بكسره الطلاق، وقد وقع ذلك صريحاً في رواية سفيان عن أبي الزناد عند مسلم «وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها».

قوله: «وإن تركته لم يزل أعوج» أي وإن لم تقمه، وقوله: «فاستوصوا» أي أوصيكم بهن خيراً فاقبلوا وصيتي فيهن واعملوا بها، قاله البيضاوي. والحامل على هذا التقدير أن الاستيحاء استفعال، وظاهره طلب الوصية وليس هو المراد، وقد تقدم له توجيهات آخر في بدء الخلق.

قوله: «بالنساء خيراً» كان فيه رمزاً إلى التقويم يرفق بحيث لا يبالغ فيه فيكسر ولا يتركه فيستمر على عوجه، وإلى هذا أشار المؤلف باتباعه بالترجمة التي بعده «باب قوا أنفسكم وأهليكم ناراً» فيؤخذ منه أن لا يتركها على الاعوجاج إذا تعدت ما طبعت عليه من النقص إلى تعاطي المعصية بمباشرتها أو ترك الواجب، وإنما المراد أن يتركها على اعوجاجها في الأمور المباحة.

وفي الحديث الندب إلى المداراة لاستمالة النفوس وتألف القلوب. وفيه سياسة النساء بأخذ العفو منهن والصبر على عوجهن، وأن من رام تقويمهن فإنه الانتفاع بهن مع أنه لا غنى للإنسان عن امرأة يسكن إليها ويستعين بها على معاشه، فكأنه قال: الاستمتاع بها لا يتم إلا بالصبر عليها.

قال أهل اللغة: العوج بالفتح في كل منتصب كالحائط والعود وشبهه، وبالكسر ما كان في بساط أو أرض أو معاش أو دين، ويقال: فلان في دينه عوج بالكسر هذا كلام أهل اللغة. قال صاحب المطالع: قال أهل اللغة: العوج بالفتح في كل شخص، وبالكسر فيما ليس بمرئي كالرأي والكلام. قال: وانفرد عنهم أبو عمرو الشيباني فقال: كلاهما بالكسر ومصدرهما بالفتح.

و«الضلع» بكسر الضاد وفتح اللام.

وفيه دليل لما يقوله الفقهاء أو بعضهم أن حواء خلقت من ضلع آدم، قال الله تعالى: ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [النساء: 1]، وبين النبي ﷺ أنها خلقت من ضلع وفي هذا الحديث ملاطفة النساء والإحسان إليهن والصبر على عوج أخلاقهن واحتمال ضعف عقولهن، وكراهة طلاقهن بلا سبب وأنه لا يطمع باستقامتها والله أعلم.

مثل الإنسان وأجله

قال الإمام البخاري (6418): حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خُطُوطًا، فَقَالَ: «هَذَا الْأَمَلُ وَهَذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الْخَطُّ الْأَقْرَبُ».

قال ابن حجر (237 / 11): «قوله: «خط النبي ﷺ خطأ مربعاً»: الخط الرسم والشكل، والمربع المستوي الزوايا.

قوله: «وخط خطأ في الوسط خارجاً منه وخط خطأً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط».

قيل هذه صفة الخط: والأول المعتمد، وسياق الحديث يتنزل عليه، فالإشارة بقوله «هذا الإنسان» إلى النقطة الداخلة، وبقوله «وهذا أجله محيط به» إلى المربع، وبقوله «وهذا الذي هو خارج أمله» إلى الخط المستطيل المنفرد، وبقوله «وهذه إلى الخطوط» وهي مذكورة على سبيل المثال لا أن المراد انحصارها في عدد معين، ويؤيده قوله في حديث أنس بعده «إذ جاءه الخط الأقرب» فإنه أشار به إلى الخط المحيط به، ولا شك أن الذي يحيط به أقرب إليه من الخارج عنه، وقوله «خطاً» بضم المعجمة والطاء الأولى للأكثر ويجوز فتح الطاء، وقوله «هذا إنسان» مبتدأ وخبر أي هذا الخط هو الإنسان على التمثيل.

قوله: «وهذه الخطط» بالضم فيها أيضاً، وفي رواية المستملي والسرخسي «وهذه الخطوط».

قوله: «الأعراض» جمع عرض بفتحتين وهو ما ينتفع به في الدنيا في الخير وفي الشر، والعرض بالسكون ضد الطويل، ويطلق على ما يقابل النقدين والمراد هنا الأول.

قوله: «نمشه» بالنون والشين المعجمة أي أصابه. واستشكلت هذه الإشارات الأربع مع أن الخطوط ثلاثة فقط وأجاب الكرمانى بأن للخط الداخل اعتبارين:

فالمقدار الداخل منه هو الإنسان والخارج أمله، والمراد بالأعراض الآفات العارضة له فإن سلم من هذا لم يسلم من هذا وإن سلم من الجميع ولم تصبه آفة من مرض أو فقد مال أو غير ذلك بغته الأجل. والحاصل أن من لم يميت بالسيف مات بالأجل. وفي الحديث إشارة إلى الحوض على قصر الأمل والاستعداد لبغته الأجل. وعبر بالنهش وهو لدغ ذات السم مبالغة في الإصابة والإهلاك.

مثل ابن آدم ومثل الموت

قال ابن أبي شيبة [في «المصنف» (34723)]: أبو الأَحْوَصِ، عَنِ سِمَاكِ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَثَلُ ابْنِ آدَمَ وَمَثَلُ الْمَوْتِ مَثَلُ رَجُلٍ كَانَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَخْلَاءٍ فَقَالَ لِأَحَدِهِمْ: مَا عِنْدَكَ؟ فَقَالَ: عِنْدِي مَالٌ فَخُذْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، وَمَا لَمْ تَأْخُذْ فَلَيْسَ لَكَ، ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ: مَا عِنْدَكَ؟ قَالَ: أَقْوَمُ عَلَيْكَ فَإِذَا مِتَّ دَفَنْتُكَ وَخَلَيْتُكَ، ثُمَّ قَالَ لِلثَّلَاثِ: مَا عِنْدَكَ؟ فَقَالَ: أَنَا مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ، قَالَ: فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَهَالَهُ، مَا أَخَذَ فَلَهُ، وَمَا لَمْ يَأْخُذْ فَلَيْسَ لَهُ، وَأَمَّا الثَّانِي فَعَشِيرَتُهُ، إِذَا مَاتَ قَامُوا عَلَيْهِ ثُمَّ خَلَوْهُ، وَأَمَّا الثَّلَاثُ فَعَمَلُهُ حَيْثُمَا دَخَلَ دَخَلَ مَعَهُ».

قال الطبراني [في «المعجم الكبير» (7075)]: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ هَارُونَ، ثنا مَرْوَانُ بْنُ جَعْفَرٍ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِبرَاهِيمَ بْنِ حُبَيْبِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ سَمُرَةَ، ثنا جَعْفَرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ سَمُرَةَ، عَنِ حُبَيْبِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ سَمُرَةَ، عَنِ أَبِيهِ، عَنِ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ (رضي الله عنه)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ لَنَا: «إِنَّ لِأَحَدِكُمْ يَوْمَ يَمُوتُ ثَلَاثَةَ أَخْلَاءٍ: مِنْهُمْ مَنْ يَمْنَعُهُ مِمَّا يَسْأَلُ، فَذَلِكَ مَالُهُ، وَمِنْهُمْ خَلِيلٌ يَنْطَلِقُ مَعَهُ حَتَّى يَلِجَ الْقَبْرَ، وَلَا يُعْطِيهِ شَيْئًا، وَلَا يَصْحَبُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَأَوْلَيْكَ قَرَابَتُهُ، وَمِنْهُمْ خَلِيلٌ يَقُولُ: أَنَا وَاللَّهِ ذَاهِبٌ

مَعَكَ حَيْثُ ذَهَبْتَ، وَلَسْتُ مُفَارِقَكَ أَبَدًا، فَذَلِكَ عَمَلُهُ، إِنْ كَانَ خَيْرًا، وَإِنْ كَانَ شَرًّا».

قال البيهقي [في «شعب الإيمان» (993)]: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي طَاهِرٍ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْبِيَّاضِ، أَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَلْمَانَ، ثنا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدٍ، ثنا أَبُو عَاصِمٍ، ثنا ابْنُ عَجَلَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ ابْنِ آدَمَ وَمَالِهِ وَعَمَلِهِ مَثَلُ رَجُلٍ لَهُ ثَلَاثَةُ أَخِلَاءَ، قَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ: أَنَا مَعَكَ مَا دُمْتَ حَيًّا، فَإِذَا مِتُّ فَلَسْتُ مِنِّي وَلَا أَنَا مِنْكَ، فَذَلِكَ مَالُهُ، وَقَالَ الْآخَرُ: أَنَا مَعَكَ، فَإِذَا بَلَغْتَ إِلَى قَبْرِكَ فَلَسْتُ مِنِّي وَلَسْتُ لَكَ، فَذَلِكَ وَلَدُهُ وَقَالَ الْآخَرُ: أَنَا مَعَكَ حَيًّا وَمَيِّتًا فَذَلِكَ عَمَلُهُ».

قال أبو داود الطيالسي [في «مسنده» (2125)]: حَدَّثَنَا عِمْرَانُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِكُلِّ إِنْسَانٍ ثَلَاثَةٌ أَخِلَاءَ، فَأَمَّا خَلِيلٌ فَيَقُولُ: مَا أَنْفَقْتَ فَلَكَ، وَمَا أَمْسَكَتَ فَلَيْسَ لَكَ، فَذَلِكَ مَالُهُ، وَأَمَّا خَلِيلٌ فَيَقُولُ: أَنَا مَعَكَ، فَإِذَا أَتَيْتَ بَابَ الْمَلِكِ تَرَكْتِكَ وَرَجَعْتُ، فَذَلِكَ أَهْلُهُ وَحَشْمُهُ، وَأَمَّا خَلِيلٌ فَيَقُولُ: أَنَا مَعَكَ حَيْثُ دَخَلْتَ وَحَيْثُ خَرَجْتَ، فَذَلِكَ عَمَلُهُ، فَيَقُولُ: إِنْ كُنْتَ لِأَهْوَنِ الثَّلَاثَةِ عَلَيَّ» أَوْ قَالَ: «عَلَيْكَ».

قال الألباني في «السلسلة» (5/628): أَخْرَجَهُ الْبِزَارُ (313): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مَرْحُومٍ وَأَحْمَدُ بْنُ جَمِيلٍ قَالَا: حَدَّثَنَا النُّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلْمَةَ عَنْ سَهَّاكِ بْنِ حَرْبٍ عَنِ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَذَكَرَهُ. قُلْتُ: وَهَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ، رِجَالُهُ ثِقَاتٌ رِجَالٌ مُسْلِمٌ عَلَى ضَعْفٍ فِي بَعْضِهِمْ، غَيْرُ شَيْخِي الْبِزَارِ، وَابْنُ جَمِيلٍ، فَهِيَ ثِقَتَانِ مُتَرَجِمَتَا لِهَمَا فِي «تَارِيخِ بَغْدَادٍ» (4/76 - 77).

والحديث أورده المنذري (4 / 100) بنحوه، وقال: «رواه الطبراني في «الكبير» بأسانيد أحدها صحيح، وفي «الأوسط» نحوه».

وزاد الهيثمي في العزو (10 / 252): البزار، وقال: «وأحد أسانيده في «الكبير» رجاله رجال الصحيح». ثم ذكره من حديث أبي هريرة نحوه وقالوا: «رواه البزار، ورواته رواة الصحيح».

ثم ذكره الهيثمي من حديث أنس، وزاد في آخره: «فيقول: إن كنت لأهون الثلاثة علي». وقال: «رواه البزار والطبراني في «الأوسط»، ورجاهما رجال الصحيح، غير عمران القطان وقد وثق وفيه خلاف». قلت: قد تابعه الحجاج عن قتادة عن أنس به.

أخرجه الحاكم (1 / 74)، وقال: «صحيح على شرطهما»، ووافقه الذهبي، وهو كما قالوا. والحجاج هذا هو ابن الحجاج الباهلي البصري الأحول. وله شاهد مفصل من حديث عائشة مرفوعا. رواه ابن أبي حاتم في «العلل» (2 / 118) من طريق عبد الله بن عبد العزيز عن الزهري عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير عنها وقال: «هذا حديث منكر من حديث الزهري، لا يشبه أن يكون حقا وعبد الله بن عبد العزيز ضعيف الحديث، عامة حديثه خطأ، لا أعلم له حديثا مستقيما».

مثل العالم الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه

قال الطبراني [في «المعجم الكبير» (1681)]: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُعَلَّى الدَّمَشْقِيُّ، وَالحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ المَعْمَرِيُّ، قَالَا: ثنا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، ثنا عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الكَلْبِيُّ،

حَدَّثَنِي الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ، عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيِّ صَاحِبِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَهُوَ إِلَى الْبَصْرَةِ حَتَّى أَتَيْنَا مَكَانًا يُقَالُ لَهُ بَيْتُ الْمُسْكِينِ، وَهُوَ مِنَ الْبَصْرَةِ مِثْلُ الثَّوِيَّةِ مِنَ الْكُوفَةِ، فَقَالَ: هَلْ كُنْتَ تُدَارِسُ أَحَدًا الْقُرْآنَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِذَا أَتَيْنَا الْبَصْرَةَ فَاتِنِي بِهِمْ فَأَتَيْتُهُ بِصَالِحِ بْنِ مُسْرِحٍ وَبِأَبِي بِلَالٍ وَنَجْدَةَ وَنَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ وَهُمْ فِي نَفْسِي يَوْمَئِذٍ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَأَنْشَأَ يُحَدِّثُنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ جُنْدُبٌ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ كَمَثَلِ السَّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيُحْرِقُ نَفْسَهُ».

طريف بن مجالد السلمي، أبو تيممة الهجيمي البصري.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: «ورجاله موثقون».

قال الشيخ الألباني رحمته الله: «صحيح»؛ انظر حديث رقم: (5831) في «صحيح الجامع».

مثل الذي يتعلم ولا يحدث بعلمه

قال الطبراني [في «المعجم الأوسط» (689)]: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ قَالَ: نَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ: نَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ هَبِيْعَةَ، عَنْ دَرَّاجِ أَبِي السَّمْحِ، عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حُجَيْرَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الَّذِي يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ، ثُمَّ لَا يُحَدِّثُ بِهِ، كَمَثَلِ الَّذِي يَكْنِزُ الْكَنْزَ، فَلَا يُنْفِقُ مِنْهُ».

لَا يُرَوَى هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ، تَفَرَّدَ بِهِ ابْنُ هَبِيْعَةَ.

وقد قال ابن عبد البر [في «جامع بيان العلم وفضله» (778)]: وَأَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ

مُحَمَّدٍ، نَا عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ، نَا الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، نَا أَبُو يَعْلَى بْنُ زُهَيْرٍ، نَا عُمَرُ بْنُ يَحْيَى

بْنِ نَافِعٍ، نَا عَيْسَى بْنُ شُعَيْبٍ، نَا رَوْحُ بْنُ الْقَاسِمِ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عِلْمٌ لَا يُقَالُ بِهِ كَنْزٌ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ».

وقال ابن عبد البر [في «جامع بيان العلم وفضله» (775)]: وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يُحْيَى، نَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، نَا أَحْمَدُ بْنُ دَاوُدَ، نَا سُحْنُونُ، نَا ابْنُ وَهْبٍ ثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُيَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُيَيْدَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «مَثَلُ عِلْمٍ لَا يُظْهِرُهُ صَاحِبُهُ كَمَثَلِ كَنْزٍ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ صَاحِبُهُ».

ثم أورده موقوفاً عن سلمان.

وقال الإمام الدارمي رحمته الله (597): أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا أَبُو شَهَابٍ قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ، عَنْ أَبِي عِيَاضٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ عِلْمٍ لَا يُتَفَعُّ بِهِ كَمَثَلِ كَنْزٍ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

وإسناده ضعيف، لضعف إبراهيم بن مسلم الهجري.

قال الشيخ الألباني رحمته الله: «صحيح»؛ انظر حديث رقم: (5835) في «صحيح الجامع».

قلت: فالحديث بمجموع طرقه حسن لغيره.

قال المناوي [في «فيض القدير» (5471)]: ««علم لا ينفق ككنز لا ينفق منه» سمي العلم علماً لكونه دلالة على الشيء وعلامة عليه ومنه ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: 61]، أي دلالة على مجيئها فمن لم ينفق بعلمه في المهمات، ولم يستعن بنوره في ظلمات الجهل والملمات، صار علمه وبالاً عليه ويلازم على تركه الإنفاق

منه على نفسه وغيره. وقد كان من دعاء المصطفى ﷺ: «أسألك علماً نافعا»، وقد أودع العالم العلم الذي هو أخص صفاته فجعله كالحازن لأنفس خزائنه، ثم هو مأذون له في الإنفاق على كل محتاج، فمن منعه من مستحقه فقد اعتدى وسلك سبيل الردى».

وقال رسول الله ﷺ (8137): «مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحدث به كمثل الذي يكتز الكنز فلا ينفق منه»، في كون كل منهما يكون وبالا على صاحبه يعذب عليه يوم القيامة، فعلى العالم أي يفيض من العلم على مستحقه لوجه الله تعالى ولا يرى نفسه عليهم منة وإن لزمته بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تتقرب إلى الله بزراعة العلوم فيها، كمن يعير أرضا ليزرع فيها لنفسه وينفعه، ولو لا المتعلم ما نال ذلك المعلم.

قال الطيبي: هذا على التشبيه نحو قولهم: النحو في الكلام كالمالح في الطعام في إصلاحه باستعماله والفساد بإهماله، لا في القلة والكثرة، فتشبيه المعلم بالكنز وارد في مجرد عموم النفع لا في أمر آخر، كيف لا والعلم يزيد بالإنفاق والكنز ينقص، والعلم باق والكنز فان.

فإن المال يفنى عن قريب وإن العلم باق لا يزال».

وقال رسول الله ﷺ (2299): «إن علماً» مما شأنه الانتفاع به «لا ينتفع به...» أي لا ينتفع به الناس أو لا ينتفع به صاحبه «ككنز لا ينفق منه في سبيل الله» في كون كل منهما وبالا على صاحبه لأن غير النافع حجة على صاحبه ولهذا استعاذ منه المصطفى ﷺ في غير ما حديث».

باب التمثيل في الدعاء

قال الإمام البخاري رحمته الله (1006): حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا مُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْجِ عِيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ: وَأَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا وَأَسْلَمُ سَأَلَهَا اللَّهُ».

قَالَ ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ: عَنْ أَبِيهِ، هَذَا كُلُّهُ فِي الصُّبْحِ. ورواه مسلم (675).

قال الإمام مسلم رحمته الله (2798): «فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ، حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةَ الدُّخَانِ مِنَ الْجُهْدِ، وَحَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله (438 / 3): «والمراد بسني يوسف ما وقع في زمانه لا من القحط في السنين السبع كما وقع في التنزيل، وقد بين ذلك في الحديث الثاني حيث قال «سبعًا كسبع يوسف» وأضيفت إليه لكونه الذي أنذر بها، أو لكونه الذي قام بأمور الناس فيها».

باب مثل الصدقة التي يمينها الله

قال الإمام البخاري رحمته الله (1410): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُنِيرٍ، سَمِعَ أَبَا النَّضْرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا، كَمَا يُرَبِّي

أَحَدُكُمْ فَلَوْهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله (1/5): «قوله: «حتى تكون مثل الجبل»، ولمسلم من طريق سعيد بن يسار عن أبي هريرة «حتى تكون أعظم من الجبل» ولا بن جرير من وجه آخر عن القاسم «حتى يوافي بها يوم القيامة وهي أعظم من أحد» يعني التمرة. وهي في رواية القاسم عند الترمذي بلفظ «حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد».

قال: وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿يَمْحُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: 276]، وفي رواية ابن جرير التصريح بأن تلاوة الآية من كلام أبي هريرة. وزاد عبد الرزاق في روايته من طريق القاسم أيضًا «فتصدقوا» والظاهر أن المراد بعظمتها أن عينها تعظم لتثقل في الميزان، ويحتمل أن يكون ذلك معبرًا به عن ثوابها».

قال الإمام مسلم رحمته الله (2389): وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرَبُّو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرِي أَحَدُكُمْ فَلَوْهُ أَوْ فَصِيلَةً».

الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه.

الفلو: المهر الصغير إذا فطم.

قال الإمام النووي رحمته الله (3/455): «وقوله صلى الله عليه وسلم: «كما يربي أحدكم فلوه أو

فصيله»، قال أهل اللغة: «الفلو» المهر سمي بذلك؛ لأنه فلي عن أمه، أي: فصل وعزل. والفصيل: ولد الناقة إذا فصل من إرضاع أمه، فعيل بمعنى مفعول، كجريح، وقتيل: بمعنى مجروح ومقتول.

وفي «الفلو» لغتان فصيحتان أفصحها وأشهرهما: فتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو، والثانية: كسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف اللام.

أمثال عظيمة في حديث الحارث الأشعري

قال الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (17800): حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا أَبُو خَلْفٍ مُوسَى بْنُ خَلْفٍ، كَانَ يُعَدُّ مِنَ الْبَدَلَاءِ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ سَلَامٍ، عَنْ جَدِّهِ مَخْطُورٍ، عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ: أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَكَأَدَّ أَنْ يُبْطِئَ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: إِنَّكَ قَدْ أَمَرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ تَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَمَا أَنْ تُبْلِغَهُنَّ، وَإِمَّا أُبْلِغَهُنَّ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَخِي، إِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ، أَوْ يُحْسَفَ بِي، قَالَ: فَجَمَعَ يَحْيَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، حَتَّى امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ، وَقُعِدَ عَلَى الشَّرْفِ، فَحَمِدَ اللَّهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَأَمُرَّكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ: أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بَوْرَقٍ، أَوْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي عَمَلَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيْكُمْ يَسْرُهُ، أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ، وَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ، فَأَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَمُرَّكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا

تَلْتَفِتُوا، وَأَمَرَكُمُ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صِرَّةٌ مِنْ مِسْكِ فِي عِصَابَةٍ، كُلُّهُمْ يَجِدُ رِيحَ الْمِسْكِ، وَإِنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطِيبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَأَمَرَكُمُ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوُّ، فَشَدُّوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ، وَقَرَّبُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْتِدِيَ نَفْسِي مِنْكُمْ، فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ، وَالكَثِيرِ، حَتَّى فَكَ نَفْسَهُ، وَأَمَرَكُمُ بِذِكْرِ اللَّهِ كَثِيرًا، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ، فَآتَى حِصْنًا حَصِينًا، فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَمَرَكُمُ بِحَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ بِالْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْهَجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ، فَقَدْ خَلَعَ رَبْقَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ، إِلَى أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جُنَا جَهَنَّمَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى؟ قَالَ: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِمَا سَأَهُمُ اللَّهُ: الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ».

وقد تضمن الحديث أربعة أمثال:

- أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، فإنَّ مثل ذلك مثل رجلٍ اشترى عبداً من خالص ماله بورقٍ أو ذهبٍ فجعل يعمل ويؤدِّي عمله إلى غير سيده فأَيْكم يسره أن يكون عبده كذلك، وإنَّ الله Δ خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً.
- وأمركم بالصيام، فإنَّ مثل ذلك كمثل رجلٍ معه صِرَّةٌ من مسكٍ في عصابةٍ كلهم يجد ريح المسك.
- وأمركم بالصَّدقة، فإنَّ مثل ذلك كمثل رجلٍ أسره العدوُّ فشَدُّوا يديه إلى

عنقه وقربوه ليضربوا عنقه فقال: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم، فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه.

- وأمركم بذكر الله كثيراً، وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره فأتى حصناً حصيناً فتحصن فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله Δ.

وقد شرح هذا الحديث بعض إخواننا، يرجع إليه.

باب مثل الذي يستشرف للمال كالذي يأكل ولا يشبع

قال الإمام البخاري رحمته الله (1465): حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ فَضَالَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ هِلَالِ بْنِ أَبِي مَيْمُونَةَ، حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه، يُحَدِّثُ: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فَقَالَ: «إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي، مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْيَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَسَكَتَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَقِيلَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَلَا يُكَلِّمُكَ؟ فَرَأَيْنَا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: فَمَسَحَ عَنْهُ الرُّحَصَاءُ، فَقَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» وَكَأَنَّهُ حَمَدُهُ، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَا يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ، وَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ أَوْ يُلِيمُ، إِلَّا أَكَلَةَ الْخَضْرَاءِ، أَكَلْتَ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ، فَثَلَطَتْ وَبَالَتْ، وَرَتَعَتْ، وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ مَا أَعْطَى مِنْهُ الْمُسْكِينَ وَالْيَتِيمَ وَابْنَ السَّبِيلِ - أَوْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم - وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذْهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَيَكُونُ شَهِيدًا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». ورواه مسلم (1052).

قال الإمام البخاري رحمته الله (1472): وَحَدَّثَنَا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ رضي عنه، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَصْرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي عنه، يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رضي عنه دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أَشْهَدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأُ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى تُوْفِيَ.

قال الإمام مسلم رحمته الله (1037): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، أَخْبَرَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بْنُ زَيْدِ الدَّمَشْقِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ الْيَحْصَبِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ، يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَأَحَادِيثَ، إِلَّا حَدِيثًا كَانَ فِي عَهْدِ عُمَرَ، فَإِنَّ عُمَرَ كَانَ يُخِيفُ النَّاسَ فِي اللَّهِ Δ».

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: «إِنَّمَا أَنَا خَازِنٌ، فَمَنْ أَعْطَيْتُهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ، فَيُبَارَكُ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَعْطَيْتُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ وَشَرِّهِ، كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ».

قال الإمام مسلم رحمته الله (1052): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ بْنُ

سَعْدٍ، ح وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ - وَتَقَارَبَا فِي اللَّفْظِ - قَالَ: حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدِ الْمُقْبِرِيِّ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، يَقُولُ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: «لَا وَاللَّهِ، مَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ، إِلَّا مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ قُلْتَ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ، أَوْ خَيْرٌ هُوَ، إِنَّ كُلَّ مَا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يَلْمُ، إِلَّا أَكَلَةَ الْخَضِرِ، أَكَلْتُ، حَتَّى إِذَا امْتَلَأَتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسُ، ثَلَطَتْ أَوْ بَالَتْ، ثُمَّ اجْتَرَّتْ، فَعَادَتْ فَأَكَلَتْ فَمَنْ يَأْخُذُ مَالًا بِحَقِّهِ يُبَارِكُ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ يَأْخُذُ مَالًا بِغَيْرِ حَقِّهِ فَمَثَلُهُ، كَمَثَلِ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ».

وفي الباب عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم.

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله (18 / 238): «قوله «كالذي يأكل ولا يشبع» زاد هلال «ويكون شهيداً عليه يوم القيامة» يحتمل أن يشهد عليه حقيقة بأن ينطقه الله تعالى، ويجوز أن يكون مجازاً، والمراد شهادة الملك الموكل به. ويؤخذ من الحديث التمثيل لثلاثة أصناف؛ لأن الماشية إذا رعت الخضر للتغذية إما أن تقتصر منه على الكفاية، وإما أن تستكثر، الأول الزهاد، والثاني إما أن يحتال على إخراج ما لو بقي لضر فإذا أخرجه زال الضر واستمر النفع، وإما أن يهمل ذلك، الأول العاملون في جميع الدنيا بما يجب من إمساك وبذل، والثاني العاملون في ذلك بخلاف ذلك.

وقال الطيبي: يؤخذ منه أربعة أصناف: فمن أكل منه أكل مستلذ مفرط منهمك حتى تنتفخ أضلاعه ولا يقلع فيسرع إليه الهلاك، ومن أكل كذلك لكنه أخذ في الاحتيال لدفع الداء بعد أن استحکم فغلبه فأهلكه، ومن أكل كذلك لكنه بادر إلى إزالة ما يضره ويحيل في دفعه حتى انهضم فيسلم، ومن أكل غير مفرط ولا منهمك وإنما اقتصر على ما يسد جوعته ويمسك ريقه، فالأول مثال الكافر، والثاني مثال العاصي الغافل عن الإقلاع والتوبة إلا عند فوتها، والثالث مثال للمخلط المبادر للتوبة حيث تكون مقبولة، والرابع مثال الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة، وبعضها لم يصرح به في الحديث وأخذه منه محتمل.

وقوله «فنعم المعونة» كالتذييل للكلام المتقدم، وفيه حذف تقديره إن عمل فيه بالحق. وفيه إشارة إلى عكسه، وهو بئس الرفيق هو لمن عمل فيه بغير الحق، وقوله «كالذي يأكل ولا يشبع» ذكر في مقابلة «فنعم المعونة هو» وقوله «ويكون شهيداً عليه» أي حجة يشهد عليه بحرصه وإسرافه وإنفاقه فيما لا يرضي الله.

وقال الزين بن المنير: في هذا الحديث وجوه من التشبيهات بديعة: أولها تشبيه المال ونموه بالنبات وظهوره، ثانيها تشبيه المنهمك في الاكتساب والأسباب بالبهايم المنهمكة في الأعشاب، وثالثها تشبيه الاستكثار منه والادخار له بالشرة في الأكل والامتلاء منه، ورابعها تشبيه الخارج من المال مع عظمته في النفوس حتى أدى إلى المبالغة في البخل به بما تطرحه البهيمة من السلاح ففيه إشارة بديعة إلى استقذاره شرعاً، وخامسها تشبيه المتقاعد عن جمعه وضمه بالشاة إذا استراحت وحطت جانبها مستقبلة عين الشمس فإنها من أحسن حالاتها سكوناً وسكينة وفيه إشارة إلى إدراكها لمصالحها، وسادسها تشبيه موت الجامع المانع

بموت البهيمة الغافلة عن دفع ما يضرها، وسابعها تشبيه المال بالصاحب الذي لا يؤمن أن ينقلب عدواً، فإن المال من شأنه أن يجرز ويشد وثاقه حبا له وذلك يقتضي منعه من مستحقه فيكون سبباً لعقاب مقتنيه، وثامنها تشبيه أخذه بغير حق بالذي يأكل ولا يشبع.

وقال الغزالي: مثل المال مثل الحية التي فيها ترياق نافع وسم نافع، فإن أصابها العارف الذي يحرز عن شرها ويعرف استخراج ترياقها كان نعمة، وإن أصابها الغبي فقد لقي البلاء المهلك. وفي الحديث جلوس الإمام على المنبر عند الموعدة في غير خطبة الجمعة ونحوها. وفيه جلوس الناس حوله والتحذير من المنافسة في الدنيا. وفيه استفهام العالم عما يشكل وطلب الدليل لدفع المعارضة.

وفيه تسمية المال خيراً، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [العاديات]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: 180]. وفيه ضرب المثل بالحكمة وإن وقع في اللفظ ذكر ما يستهجن كالبول فإن ذلك يغتفر لما يترتب على ذكره من المعاني اللائقة بالمقام.

وفيه أنه ﷺ كان ينتظر الوحي عند إرادة الجواب عما يسأل عنه، وهذا على ما ظنه الصحابة، ويجوز أن يكون سكوته ليأتي بالعبارة الوجيزة الجامعة المفهومة. وقد عد ابن دريد هذا الحديث وهو قوله «إن مما ينبت الربيع يقتل حبطاً أو يلم» من الكلام المفرد الوجيز الذي لم يسبق ﷺ إلى معناه، وكل من وقع شيء منه في كلامه فإنما أخذه منه. ويستفاد منه ترك العجلة في الجواب إذا كان يحتاج إلى التأمل.

وفيه لوم من ظن به تعنت في السؤال وحمد من أجاد فيه، ويؤيد أنه من الوحي قوله يمسح العرق فإنها كانت عادته عند نزول الوحي كما تقدم في بدء الوحي «وإن جبينه ليتفصد عرقاً».

وفيه تفضيل الغني على الفقير، ولا حجة فيه لأنه يمكن التمسك به لمن لم يرجح أحدهما على الآخر. والعجب أن النووي قال: فيه حجة لمن رجح الغني على الفقير، وكان قبل ذلك شرح قوله «لا يأتي الخير إلا بالخير» على أن المراد أن الخير الحقيقي لا يأتي إلا بالخير، لكن هذه الزهرة ليست خيراً حقيقياً لما فيها من الفتنة والمنافسة والاشتغال عن كمال الإقبال على الآخرة.

قلت: فعلى هذا يكون حجة لمن يفضل الفقر على الغنى والتحقيق أن لا حجة فيه لأحد القولين. وفيه الحض على إعطاء المسكين واليتيم وابن السبيل. وفيه أن المكتسب للمال من غير حله لا يبارك له فيه لتشبيهه بالذي يأكل ولا يشبع.

وفيه ذم الإسراف وكثرة الأكل والنهم فيه، وأن اكتساب المال من غير حله وكذا إمساكه عن إخراج الحق منه سبب لمحقه فيصير غير مبارك كما قال تعالى: ﴿يَمْحُوقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَتِ﴾.

قال الإمام النووي رحمته الله (3/486): «قوله رحمته الله: «إن هذا المال خضرة حلوة» شبهه في الرغبة فيه والميل إليه وحرص النفوس عليه بالفاكهة الخضراء الحلوة المستلذة، فإن الأخضر مرغوب فيه على انفراده، والحلو كذلك على انفراده فاجتماعهما أشد.

وفيه إشارة إلى عدم بقاءه؛ لأن الخضراوات لا تبقى ولا تتراد للبقاء. والله أعلم.

قوله ﷺ: «فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع» قال العلماء: إشراف النفس تطلعها إليه وتعرضها له وطمعها فيه.

وأما طيب النفس فذكر القاضي فيه احتمالين أظهرهما: أنه عائد على الآخذ، ومعناه: من أخذه بغير سؤال ولا إشراف وتطلع بورك له فيه. والثاني: أنه عائد إلى الدافع، ومعناه: من أخذه ممن يدفع منشراً بدفعه إليه طيب النفس لا بسؤال اضطره إليه أو نحوه مما لا تطيب معه نفس الدافع.

وأما قوله ﷺ: «كالذي يأكل ولا يشبع» فقيل: هو الذي به داء لا يشبع بسببه، وقيل: يحتمل أن المراد التشبيه بالبهيمة الراعية.

وفي هذا الحديث - وما قبله وما بعده - الحث على التعفف والقناعة والرضا بما تيسر في عفاف وإن كان قليلاً، والإجمال في الكسب، وأنه لا يغتر الإنسان بكثرة ما يحصل له بإشرافٍ ونحوه فإنه لا يبارك له فيه، وهو قريب من قول الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبْوَأَ وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: 276].

باب مثل الذي يصبر على أذى من يحسن إليه

قال الإمام مسلم رحمه الله (2558): حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ - وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى - قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ

الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَيْسَ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ».

الظهير: المعين الدافع لأذاهم.

الملل: الرماد الحار الذي يحمى ليدفن فيه الطعام لينضج.

وهذا مثال مرسل ومجمل، وتفصيله أن مقايلتك إياهم بالإحسان مع إسائتهم كالذي يسفهمهم المل وهو الرماد.

قال الإمام النووي رحمته الله (8/351): «والجهل هنا القبيح من القول، ومعناه كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن، بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته، وإدخالهم الأذى عليه.

وقيل: معناه إنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم في أنفسهم لكثرة إحسانك وقبيح فعلهم من الخزي والحقارة عند أنفسهم كمن يسف المل. وقيل: ذلك الذي يأكلونه من إحسانك كالممل يحرق أحشاءهم. والله أعلم».

باب مثل صوت الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الإمام البخاري رحمته الله (2): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها، أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رضي الله عنه سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ

الله ﷻ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول».

قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً. ورواه مسلم (3215).

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله (3 / 1): «قوله: «مثل صلصلة الجرس» في رواية مسلم «في مثل صلصلة الجرس» والصلصلة بمهملتين مفتوحتين بينهما لام ساكنة: في الأصل صوت وقوع الحديد بعضه على بعض، ثم أطلق على كل صوت له طنين، وقيل: هو صوت متدارك لا يدرك في أول وهلة، والجرس الجلجل الذي يعلق في رءوس الدواب، واشتقاقه من الجرس بإسكان الراء وهو الحس.

وقال الكرمانى: الجرس ناقوس صغير أو سطل في داخله قطعة نحاس يعلق منكوساً على البعير، فإذا تحرك تحركت النحاسة فأصابت السطل فحصلت الصلصلة اهـ.

وهو تطويل للتعريف بما لا طائل تحته. وقوله قطعة نحاس معترض لا يختص به وكذا البعير وكذا قوله منكوساً؛ لأن تعليقه على تلك الصورة هو وضعه المستقيم له.

فإن قيل: المحمود لا يشبه بالمدموم، إذ حقيقة التشبيه إلحاق ناقص بكامل، والمشبه الوحي وهو محمود، والمشبه به صوت الجرس وهو مذموم لصحة النهي عنه والتنفير من مرافقة ما هو معلق فيه والإعلام بأنه لا تصحبهم الملائكة كما

أخرجه مسلم وأبو داود وغيرهما، فكيف يشبه ما فعله الملك بأمر تنفر منه الملائكة؟

والجواب أنه لا يلزم في التشبيه تساوي المشبه بالمشبه به في الصفات كلها، بل ولا في أخص وصف له، بل يكفي اشتراكهما في صفة ما، فالمقصود هنا بيان الجنس، فذكر ما ألف السامعون سماعه تقريباً لأفهامهم.

والحاصل أن الصوت له جهتان: جهة قوة وجهة طنين، فمن حيث القوة وقع التشبيه به، ومن حيث الطرب وقع التنفير عنه وعلل بكونه مزمار الشيطان، ويحتمل أن يكون النهي عنه وقع بعد السؤال المذكور وفيه نظر. قيل: والصلصلة المذكورة صوت الملك بالوحي.

قال الخطابي: يريد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يتبينه أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد، وقيل: بل هو صوت حفيف أجنحة الملك؛ والحكمة في تقدمه أن يقرع سمعه الوحي فلا يبقى فيه مكان لغيره، ولما كان الجرس لا تحصل صلصلته إلا متداركة وقع التشبيه به دون غيره من الآلات.

وسياتي كلام ابن بطال في هذا المقام في الكلام على حديث ابن عباس «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها» الحديث عند تفسير قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: 23]، في تفسير سورة سبأ إن شاء الله تعالى.

وهذا مثال مرسل ومجمل، وتفصيله أن الوحي أحياناً يكون كصلصلة الجرس في قوته وشدته ولكن الله يعينه حتى يفهم عنه ما قال.

باب مثل فضل عائشة رضي الله عنها على النساء

قال الإمام البخاري رحمته الله (3411): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ، عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «كَمَلْ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا أَسِيَّةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ». ورواه مسلم (2431).

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله (209/10): «وليس فيه تصريح بأفضلية عائشة رضي الله عنها على غيرها لأن فضل الثريد على غيره من الطعام إنما هو لما فيه من تيسير المؤنة وسهولة الإساغة، وكان أجل أطعمتهم يومئذٍ، وكل هذه الخصال لا تستلزم ثبوت الأفضلية له من كل جهة، فقد يكون مفضولاً بالنسبة لغيره من جهات أخرى.

وقال: «وفضل عائشة» إلخ، لا يستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة، وقد أشار ابن حبان إلى أن أفضليتها التي يدل عليها هذا الحديث وغيره مقيدة بنساء النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يدخل فيها مثل فاطمة II جمعاً بين هذا الحديث وبين حديث «أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة».

وهذا مثال مرسل ومجمل، وقد يكون مفصلاً إن قصد بيان صفة الثريد.

باب مثل الفتن

قال الإمام مسلم رحمته الله (118): حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ، وَابْنُ حُجْرٍ، جَمِيعًا عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي

الْعَلَاءُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا».

قال الإمام النووي رحمته الله (1/232): «معنى الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا القمر. ووصف رحمته الله نوعاً من شدائد تلك الفتن، وهو أنه يمسي مؤمناً ثم يصبح كافراً أو عكسه. شك الراوي وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب. والله أعلم».

قلت: وهذا مثال مرسل لذكر الأداة ومفصل لذكر وجه الشبه.

باب مثل الحوض (طوله وعرضه وكيزانه ولونه)

قال الإمام مسلم رحمته الله (2298): حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَزِيعٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ مَعْبِدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ حَارِثَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «حَوْضُهُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالْمَدِينَةَ» فَقَالَ لَهُ الْمُسْتَوْرِدُ: أَلَمْ تَسْمَعْهُ قَالَ: «الْأَوَانِي؟» قَالَ: لَا، فَقَالَ الْمُسْتَوْرِدُ: «تَرَى فِيهِ الْآيَةَ مِثْلَ الْكَوَاكِبِ».

قال الإمام مسلم رحمته الله (6125): حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا يَحْيَى وَهُوَ الْقَطَّانُ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَنِي نَافِعٌ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرَحَ» وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ الْمُثَنَّى «حَوْضِي».

قال الإمام مسلم رحمته الله (2301): حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ

المثنى، وابنُ بشارٍ - وَالْفَاظُهُمْ مُتَقَارِبَةٌ - قالوا: حَدَّثَنَا مُعَاذٌ وَهُوَ ابْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ فَتَادَةَ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيِّ، عَنْ ثَوْبَانَ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بَعْصَايَ حَتَّى يَرْفُضَ عَلَيْهِمْ». فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ فَقَالَ: «مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ» وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغْتُ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ».

ومعنى يغت: يدفق فيه دفقا دائما متتابعًا.

والميزاب: أنبوبة تركب في جانب البيت من أعلاه لينصرف منها ماء المطر.

* الجمع بين اختلاف الأحاديث في تشبيه المسافة في عرض الحوض وطوله:

قال النووي رحمته الله في شرح مسلم (4/8): «قال القاضي عياض: وهذا الاختلاف في قدر عرض الحوض ليس موجباً للاضطراب، فإنه لم يأت في حديث واحد، بل في أحاديث مختلفة الرواة، عن جماعة من الصحابة سمعوها في مواطن مختلفة ضربها النبي ﷺ في كل واحد منها مثلاً لبعده أقطار الحوض، وسعته، وقرب ذلك من الأفهام لبعده ما بين البلاد المذكورة لا على التقدير الموضوع للتحديد، بل للإعلام بعظم هذه المسافة، فبهذا تجمع الروايات. هذا كلام القاضي».

قلت: وليس في القليل من هذه منع الكثير، والكثير ثابت على ظاهر الحديث، ولا معارضة. والله أعلم».

قال الإمام مسلم رحمته الله (247): حَدَّثَنَا سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ، جَمِيعًا

عَنْ مَرْوَانَ الْفَزَارِيِّ، قَالَ ابْنُ أَبِي عُمَرَ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ سَعْدُ بْنُ طَارِقٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةٍ مِنْ عَدَنٍ هُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلَا يَنْتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ وَإِنِّي لَأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ لَكُمْ سِيْمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَّمِ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا، مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ».

قال الإمام مسلم رحمته الله (248): وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ طَارِقٍ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ حَوْضِي لِأَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةٍ مِنْ عَدَنٍ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَذُودُ عَنْهُ الرَّجَالَ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ الْإِبِلَ الْغَرِيبَةَ عَنْ حَوْضِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ».

قال الإمام مسلم رحمته الله (2292): وَحَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَمْرٍو الصَّبِيُّ، حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ عَمْرٍو الْجُمَحِيُّ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيْرَانُهُ كُنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا».

قال الإمام البخاري (6591): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مَعْبَدِ بْنِ خَالِدٍ: أَنَّهُ سَمِعَ حَارِثَةَ بْنَ وَهَبٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَذَكَرَ الْحَوْضَ فَقَالَ: «كَمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَصَنْعَاءَ».

قال الإمام مسلم رحمته الله (2300): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ الْمُكِّيُّ - وَاللَّفْظُ لِابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ - حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الْعَمِّيُّ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا آيَةُ الْحَوْضِ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَنْبُتُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، إِلَّا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلَمَةِ الْمُصْحِحَةِ، آيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخَرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرَضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى آيَلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ».

قال الإمام مسلم رحمته الله (2305): حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ شُجَاعٍ بْنِ الْوَلِيدِ السَّكُونِيُّ، حَدَّثَنِي أَبِي رحمته الله، حَدَّثَنِي زِيَادُ بْنُ خَيْثَمَةَ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَلَا إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنْ بَعُدَ مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَآيَلَةَ، كَأَنَّ الْأَبَارِيقَ فِيهِ النَّجُومُ».

قال الإمام مسلم رحمته الله (2302): حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَلَامٍ الْجَمْحِيُّ، حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ يَعْنِي ابْنَ مُسْلِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَأَدُودَنَّ عَنْ حَوْضِي رِجَالًا كَمَا تَذَادُ الْغَرِيبَةُ مِنَ الْإِبِلِ».

* وإليك ذكر شروح الأحاديث من كلام الإمام النووي والحافظ ابن حجر:

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله [في «فتح الباري» (7/ 229)]: «وإنما استدل بقوله: «كما تزداد الغريبة من الإبل» فما جاز لصاحب الحوض طرد إبل غيره عن حوضه إلا وهو أحق بحوضه».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله [في «فتح الباري» (18/425)]: «قوله: «حوضي مسيرة شهر» زاد مسلم والإسماعيلي وابن حبان في روايتهم من هذا الوجه «وزواياه سواء» وهذه الزيادة تدفع تأويل من جمع بين مختلف الأحاديث في تقدير مسافة الحوض على اختلاف العرض والطول.

وقد اختلف في ذلك اختلافاً كثيراً فوقع في حديث أنس الذي بعده «كما بين أيلة وصنعاء من اليمن» وأيلة مدينة كانت عامرة وهي بطرف بحر القلزم من طرف الشام وهي الآن خراب يمر بها الحاج من مصر فتكون شمالهم ويمر بها الحاج من غزة وغيرها فتكون أمامهم، ويجلبون إليها الميرة من الكرك والشوبك وغيرهما يتلقون بها الحاج ذهاباً وإياباً، وإليها تنسب العقبة المشهورة عند المصريين، وبينها وبين المدينة النبوية نحو الشهر بسير الأثقال إن اقتصروا كل يوم على مرحلة وإلا فدون ذلك، وهي من مصر على أكثر من النصف من ذلك، ولم يصب من قال من المتقدمين إنها على النصف مما بين مصر ومكة بل هي دون الثلث فإنها أقرب إلى مصر.

ونقل عياض عن بعض أهل العلم أن أيلة شعب من جبل رضوى الذي في ينبع، وتعقب بأنه اسمٌ وافق اسماً، والمراد بأيلة في الخبر هي المدينة الموصوفة آنفاً، وقد ثبت ذكرها في صحيح مسلم في قصة غزوة تبوك وفيه «أن صاحب أيلة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصالحه» وتقدم لها ذكر أيضاً في كتاب الجمعة. وأما صنعاء فإنها قيدت في هذه الرواية باليمن احترازاً من صنعاء التي بالشام، والأصل فيها صنعاء اليمن لما هاجر أهل اليمن في زمن عمر عند فتوح الشام نزل أهل صنعاء في مكان من دمشق فسمي باسم بلدهم، فعلى هذا فمن في قوله في هذه الرواية «من اليمن»

إن كانت ابتدائيةً فيكون هذا اللفظ مرفوعاً وإن كانت بيانية فيكون مدرجاً من قول بعض الرواة والظاهر أنه الزهري.

ووقع في حديث جابر بن سمرة أيضاً «كما بين صنعاء وأيلة» وفي حديث حذيفة مثله لكن قال «عدن» بدل صنعاء، وفي حديث أبي هريرة «أبعد من أيلة إلى عدن» وعدن بفتحيتين بلد مشهور على ساحل البحر في أواخر سواحل اليمن وأوائل سواحل الهند وهي تسامت صنعاء وصنعاء في جهة الجبال، وفي حديث أبي ذر «ما بين عمان إلى أيلة» وعمان بضم المهملة وتخفيف النون بلد على ساحل البحر من جهة البحرين، وفي حديث أبي بردة عند ابن حبان «ما بين ناحيتي حوضي كما بين أيلة وصنعاء مسيرة شهر» وهذه الروايات متقاربة لأنها كلها نحو شهر أو تزيد أو تنقص.

ووقع في روايات أخرى التحديد بما هو دون ذلك: فوقع في حديث عقبة ابن عامر عند أحمد «كما بين أيلة إلى الجحفة» وفي حديث جابر «كما بين صنعاء إلى المدينة» وفي حديث ثوبان «ما بين عدن وعمان البلقاء» ونحوه لابن حبان عن أبي أمامة. وعمان هذه بفتح المهملة وتشديد الميم للأكثر وحكي تخفيفها، وتنسب إلى البلقاء لقربها منها. والבלقاء بفتح الموحدة وسكون اللام بعدها قاف وبالمد بلدة معروفة من فلسطين، وعند عبد الرزاق في حديث ثوبان «ما بين بصرى إلى صنعاء أو ما بين أيلة إلى مكة» وبصرى بضم الموحدة وسكون المهملة بلد معروف بطرف الشام من جهة الحجاز تقدم ضبطها في بدء الوحي، وفي حديث عبد الله بن عمرو عند أحمد «بعد ما بين مكة وأيلة» وفي لفظ «ما بين مكة وعمان» وفي حديث حذيفة

بن أسيد «ما بين صنعاء إلى بصرى» ومثله لابن حبان في حديث عتبة بن عبد، وفي رواية الحسن عن أنس عند أحمد «كما بين مكة إلى أيلة أو بين صنعاء ومكة» وفي حديث أبي سعيد عند ابن أبي شيبه وابن ماجه «ما بين الكعبة إلى بيت المقدس» وفي حديث عتبة بن عبد عند الطبراني «كما بين البيضاء إلى بصرى» والبيضاء بالقرب من الربذة البلد المعروف بين مكة والمدينة.

وهذه المسافات متقاربة وكلها ترجع إلى نحو نصف شهر أو تزيد على ذلك قليلاً أو تنقص، وأقل ما ورد في ذلك ما وقع في رواية لمسلم في حديث ابن عمر من طريق محمد بن بشر عن عبيد الله بن عمر بسنده كما تقدم وزاد قال: قال عبيد الله فسألته قال قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة أيام، ونحوه له في رواية عبد الله بن نمير عن عبيد الله بن عمر لكن قال «ثلاث ليالٍ».

وقد جمع العلماء بين هذا الاختلاف، فقال عياض: هذا من اختلاف التقدير لأن ذلك لم يقع في حديث واحد فيعد اضطراباً من الرواة وإنما جاء في أحاديث مختلفة عن غير واحد من الصحابة سمعوه في مواطن مختلفة، وكان النبي ﷺ يضرب في كل منهما مثلاً لبعد أقطار الحوض وسعته بما يسنح له من العبارة وبقرب ذلك للعلم ببعده بين البلاد النائية بعضها من بعض لا على إرادة المسافة المحققة، قال فبهذا يجمع بين الألفاظ المختلفة من جهة المعنى انتهى ملخصاً، وفيه نظرٌ من جهة أن ضرب المثل والتقدير إنما يكون فيما يتقارب، وأما هذا الاختلاف المتباعد الذي يزيد تارة على ثلاثين يوماً وينقص إلى ثلاثة أيام فلا.

قال القرطبي: ظن بعض القاصرين أن الاختلاف في قدر الحوض اضطراب وليس كذلك، ثم نقل كلام عياض وزاد: وليس اختلافاً بل كلها تفيد أنه كبير

متسع متباعد الجوانب، ثم قال: ولعل ذكره للجهات المختلفة بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهة فيخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها، وأجاب النووي بأنه ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة فالأكثر ثابت بالحديث الصحيح فلا معارضة.

وحاصله أنه يشير إلى أنه أخبر أولاً بالمسافة اليسيرة ثم أعلم بالمسافة الطويلة فأخبره بها كأن الله تفضل عليه باتساعه شيئاً بعد شيء فيكون الاعتماد على ما يدل على أطولها مسافة. وتقدم قول من جمع الاختلاف بتفاوت الطول والعرض وورده بها في حديث عبد الله بن عمرو «زواياه سواء».

ووقع أيضاً في حديث النواس بن سمعان وجابر وأبي برزة وأبي ذر «طوله وعرضه سواء» وجمع غيره بين الاختلافين الأولين باختلاف السير البطيء وهو سير الأثقال والسير السريع وهو سير الراكب المخف ويحمل رواية أقلها وهو الثلاث على سير البريد فقد عهد منهم من قطع مسافة الشهر في ثلاثة أيام ولو كان نادراً جداً.

وفي هذا الجواب عن المسافة الأخيرة نظراً وهو فيما قبله مسلم وهو أولى ما يجمع به، وأما مسافة الثلاث فإن الحافظ ضياء الدين المقدسي ذكر في الجزء الذي جمعه في الحوض أن في سياق لفظها غلطاً وذلك الاختصار وقع في سياقه من بعض رواته، ثم ساقه من حديث أبي هريرة وأخرجه من «فوائد عبد الكريم بن الهيثم الديرعاقولي» بسند حسن إلى أبي هريرة مرفوعاً في ذكر الحوض فقال فيه «عرضه مثل ما بينكم وبين جرباء وأذرح».

قال الضياء: فظهر بهذا أنه وقع في حديث ابن عمر حذف تقديره كما بين مقامي وبين جرباء وأذرح، فسقط مقامي وبين. وقال الحافظ صلاح الدين العلائي بعد أن حكى قول ابن الأثير في النهاية هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة أيام ثم غلطه في ذلك وقال: ليس كما قال بل بينهما غلوة سهم وهما معروفتان بين القدس والكرك، قال: وقد ثبت القدر المحذوف عند الدارقطني وغيره بلفظ «ما بين المدينة وجرباء وأذرح».

قلت: وهذا يوافق رواية أبي سعيد عند ابن ماجه «كما بين الكعبة وبيت المقدس» وقد وقع ذكر جرباء وأذرح في حديث آخر عند مسلم وفيه «وإني أهل جرباء وأذرح بحرسهم إلى رسول الله ﷺ ذكره في غزوة تبوك، وهو يؤيد قول العلائي أنها متقاربتان. وإذا تقرر ذلك رجع جميع المختلف إلى أنه لاختلاف السير البطيء والسير السريع، وسأحكي كلام ابن التين في تقدير المسافة بين جرباء وأذرح في شرح الحديث السادس عشر والله أعلم.

قوله: (ماؤه أبيض من اللبن)، قال المازري: مقتضى كلام النحاة أن يقال أشد بياضاً ولا يقال أبيض من كذا، ومنهم من أجازه في الشعر، ومنهم من أجازه بقلّة ويشهد له هذا الحديث وغيره. قلت: ويحتمل أن يكون ذلك من تصرف الرواة، فقد وقع في رواية أبي ذر عند مسلم بلفظ أشد بياضاً من اللبن، وكذا لابن مسعود عند أحمد، وكذا لأبي أمامة عند ابن أبي عاصم.

قوله: «وريمه أطيب من المسك» في حديث ابن عمر عند الترمذي «أطيب ريحاً من المسك» ومثله في حديث أبي أمامة عند ابن حبان رائحة وزاد ابن أبي عاصم وابن أبي الدنيا في حديث بريدة «وألين من الزبد» وزاد مسلم من حديث أبي ذر

وثوبان «وأحلى من العسل» ومثله لأحمد عن أبي بن كعب، وله عن أبي أمامة «وأحلى مذاقاً من العسل» وزاد أحمد في حديث ابن عمرو من حديث ابن مسعود «وأبرد من الثلج» وكذا في حديث أبي برزة، وعند البزار من رواية عدي بن ثابت عن أنس، ولأبي يعلى من وجه آخر عن أنس وعند الترمذي في حديث ابن عمر «وماؤه أشد برداً من الثلج».

قوله: «وكيزانه كنجوم السماء» في حديث أنس الذي بعده «وفيه من الأباريق كعدة نجوم السماء» ولأحمد من رواية الحسن عن أنس «أكثر من عدد نجوم السماء» وفي حديث المستورد في أواخر الباب «فيه الآنية مثل الكواكب» ولمسلم من طريق موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر «فيه أباريق كنجوم السماء».

قال النووي رحمته الله (7/497): «قوله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء»، قال العلماء: معناه طوله كعرضه كما قال في حديث أبي ذر المذكور في الكتاب «عرضه مثل طوله».

قوله ﷺ: «ماؤه أبيض من الورق» هكذا هو في جميع النسخ «الورق» بكسر الراء، وهو الفضة. والنحويون يقولون: إن فعل التعجب الذي يقال فيه هو أفعل من كذا إنما يكون فيما كان ماضيه على ثلاثة أحرف، فإن زاد لم يتعجب من فاعله، وإنما يتعجب من مصدره، فلا يقال: ما أبيض زيداً، ولا زيد أبيض من عمرو، وإنما يقال: ما أشد بياضه: وهو أشد بياضاً من كذا، وقد جاء في الشعر أشياء من هذا الذي أنكروه فعدوه شاذاً لا يقاس عليه، وهذا الحديث يدل على صحته، وهي لغة، وإن كانت قليلة الاستعمال، ومنها قول عمر رضي عنه: «ومن ضيعها فهو لما

سواها أضيع».

قوله عليه السلام: «كيزانه كنجوم السماء»، وفي رواية «فيه أباريق كنجوم السماء»، وفي رواية «والذي نفس محمد بيده لأنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها»، وفي رواية «وأن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء»، وفي رواية: «آنيته عدد النجوم»، وفي رواية «ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء»، وفي رواية «كأن الأباريق فيه النجوم»، المختار الصواب أن هذا العدد للآنية على ظاهره، وأنها أكثر عددًا من نجوم السماء، ولا مانع عقلي ولا شرعي يمنع من ذلك، بل ورد الشرع به مؤكداً كما قال عليه السلام: «والذي نفس محمد بيده لأنيته أكثر من نجوم السماء».

وقال القاضي عياض: هذا إشارة إلى كثرة العدد وغايته الكثرة من باب قوله عليه السلام: «لا يضع العصا عن عاتقه» وهو باب من المبالغة معروف في الشرع واللغة، ولا يعد كذباً إذا كان المخبر عنه في حيز الكثرة والعظم ومبلغ الغاية في بابه، بخلاف ما إذا لم يكن كذلك. قال: ومثله كلمته ألف مرة، ولقيته مائة كرة، فهذا جائز إذا كان كثيراً، وإلا فلا. هذا كلام القاضي، والصواب الأول.

قوله عليه السلام: «ما بين ناحيته كما بين جرباء وأذرح» وأما «جرباء» فبجيم مفتوحة، ثم راء ساكنة، ثم باء موحدة، ثم ألف مقصورة وهذا هو الصواب، المشهور أنها مقصورة، وكذا قيدها الحازمي في كتابه المؤتلف في الأماكن، وكذا ذكرها القاضي وصاحب المطالع والجمهور.

وقال القاضي وصاحب المطالع: ووقع عند بعض رواة البخاري ممدوداً. قالوا: وهو خطأ. وقال صاحب التحرير: هي بالمد، وقد تقصر. قال الحازمي: كان أهل

جربا يهودًا كتب لهم النبي ﷺ الأمان لما قدم عليه لحية بن ربيعة صاحب أيلة بقوم منهم ومن أهل أذرح يطلبون الأمان.

وأما «أذرح» فبهمزة مفتوحة ثم ذال معجمة ساكنة ثم راءٍ مضمومة ثم حاء مهملة. هذا هو الصواب المشهور الذي قاله الجمهور.

قال القاضي وصاحب المطالع: ورواه بعضهم بالجيم. قالوا: وهو تصحيف لا شك فيه، وهو كما قالوا، وهي مدينة في طرف الشام في قبلة الشويك، بينها وبينه نحو نصف يوم، وهي في طرف الشراط بفتح الشين المعجمة في طرفها الشمالي، وتبوك في قبلة أذرح بينهما نحو أربع مراحل. وبين تبوك ومدينة النبي ﷺ نحو أربع عشرة مرحلة.

باب مثل أباريق الحوض

قال الإمام مسلم رحمه الله (2299): حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ، حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا كَمَا بَيْنَ جَرَبَاءَ وَأَذْرَحَ، فِيهِ أَبَارِيقُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ وَرَدَهُ فَشَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا».

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم (497/7): «وفي رواية «فيه أباريق كنجوم السماء»، وفي رواية «والذي نفس محمد بيده لأنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها»، وفي رواية «وأن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء»، وفي رواية: «أنيته عدد النجوم»، وفي رواية «ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء»، وفي رواية «كأن الأباريق فيه النجوم».

المختار الصواب أن هذا العدد للآنية على ظاهره، وأنها أكثر عددًا من نجوم السماء، ولا مانع عقلي ولا شرعي يمنع من ذلك، بل ورد الشرع به مؤكِّدًا كما قال عنه: «والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من نجوم السماء».

وقال القاضي عياض: هذا إشارة إلى كثرة العدد وغايته الكثرة من باب قوله عنه: «لا يضع العصا عن عاتقه» وهو باب من المبالغة معروف في الشرع واللغة، ولا يعدّ كذبًا إذا كان المخبر عنه في حيز الكثرة والعظم ومبلغ الغاية في بابه، بخلاف ما إذا لم يكن كذلك.

قال: ومثله كلمته ألف مرّة، ولقيته مائة كرّة، فهذا جائز إذا كان كثيرًا، وإلا فلا. هذا كلام القاضي، والصواب الأول».

باب مثل من يذاد من الحوض

قال الإمام البخاري رحمه الله (2367): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَذُودَنَّ رِجَالًا عَنْ حَوْضِي، كَمَا تُذَادُ الْغَرِيبَةُ مِنَ الْإِبِلِ عَنِ الْحَوْضِ». ورواه مسلم (2302).

قال الإمام النووي رحمه الله (6/8): «معناه كما يذود الساقى الناقة الغريبة عن إبله إذا أرادت الشرب مع إبله.

قلت: وهذا مثال مرسل وفيه بعض التفصيل وكما له أي كما تزداد الغريبة إنكاراً لها فكذلك من يغير ويبدل في دين الله فيزداد من الحوض إنكاراً له لكونه اتصف بصفات غير صفات الصالحين والبدعة بريد الكفر».

وقال الإمام مسلم رحمه الله (248): وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ طَارِقٍ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ حُدَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ حَوْضِي لَأَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةٍ مِنْ عَدَنٍ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَذُودُ عَنْهُ الرَّجَالَ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ الْإِبِلَ الْغَرِيبَةَ عَنْ حَوْضِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ تَرُدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ».

قال النووي رحمه الله: (6 / 8) قوله: «وأنا أذود الناس عنه» هما بمعنى: أطرده وأمنع. قوله ﷺ: «فيحيني ملك» هكذا هو في جميع الأصول «فيحيني» بالباء الموحدة من الجواب، وكذا نقله القاضي عياض عن جميع الرواة إلا ابن أبي جعفر من رواتهم فإنه عنده «فيحيئني» بالهمز من المجيء والأول أظهر، والثاني وجه. والله أعلم.

قوله: «وهل تدري ما أحدثوا بعدك» وفي الرواية الأخرى: «قد بدلوا بعدك، فأقول سحقا سحقا» هذا مما اختلف العلماء في المراد به على أقوال: أحدها: أن المراد به المنافقون والمرتدون فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحويل فيناديهم النبي ﷺ للسيا التي عليهم فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم إن هؤلاء بدلوا بعدك، أي: لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم.

والثاني: أن المراد من كان في زمن النبي ﷺ ثم ارتد بعده، فيناديهم النبي ﷺ وإن لم يكن عليهم سيما الوضوء لما كان يعرفه ﷺ في حياته من إسلامهم فيقال: ارتدوا بعدك.

والثالث: أن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد

وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام، وعلى هذا القول لا يقع لهؤلاء الذين يذادون بالنار، بل يجوز أن يذاودا عقوبة لهم ثم يرحمهم الله E فيدخلهم الجنة بغير عذاب.

قال أصحاب هذا القول: ولا يمتنع أن يكون لهم غرة وتحجيل، ويحتمل أن يكون كانوا في زمن النبي ﷺ وبعده لكن عرفهم بالسيميا.

وقال الإمام الحافظ أبو عمرو بن عبد البر: كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الأهواء، قال: وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق والمعلنون بالكبائر، قال: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر. والله أعلم.

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله [في «فتح الباري» (7/229)]: «وقوله: «لأذودن» بمعجمة ثم مهملة أي لأطردن، ومناسبته للترجمة من ذكره رحمته الله أن صاحب الحوض يطرد إبل غيره عن حوضه ولم ينكر ذلك فيدل على الجواز، وقد خفي على المهلب أيضاً فقال: إن المناسبة من جهة إضافة الحوض إلى النبي رحمته الله وكان أحق به، وتعقبه ابن المنير بأن أحكام التكاليف لا تنزل على وقائع الآخرة، وإنما استدل بقوله: «كما تذاذ الغريبة من الإبل» فما جاز لصاحب الحوض طرد إبل غيره عن حوضه إلا وهو أحق بحوضه.

قوله رحمته الله: «لأذودن عن حوضي رجالاً كما تذاذ الغريبة من الإبل» معناه كما يذود الساقى الناقة الغريبة عن إبله إذا أرادت الشرب مع إبله.

باب مثل البيت الذي يذكر الله فيه والذي لا يذكر الله فيه

قال الإمام مسلم رحمه الله (779): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَرَادٍ الْأَشْعَرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذَكِّرُ اللَّهَ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذَكِّرُ اللَّهَ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ».

وقال الإمام البخاري رحمه الله (6407): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الَّذِي يُذَكِّرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يُذَكِّرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ».

قال ابن حجر في فتح الباري (211/18): «قوله «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت» سقط لفظ «ربه» الثانية من رواية غير أبي ذر، هكذا وقع في جميع نسخ البخاري، وقد أخرجه مسلم عن أبي كريب وهو محمد بن العلاء شيخ البخاري فيه بسنده المذكور بلفظ «مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت»، وكذا أخرجه الإسماعيلي وابن حبان في صحيحه جميعاً عن أبي يعلى عن أبي كريب، وكذا أخرجه أبو عوانة عن أحمد بن عبد الحميد والإسماعيلي أيضاً عن الحسن بن سفيان عن عبد الله بن براد، وعن القاسم ابن زكريا عن يوسف بن موسى وإبراهيم بن سعيد الجوهري وموسى بن عبد الرحمن المسروقي والقاسم بن دينار كلهم عن أبي أسامة.

فتوارد هؤلاء على هذا اللفظ يدل على أنه هو الذي حدث به بريد بن عبد الله شيخ أبي أسامة، وانفراد البخاري باللفظ المذكور دون بقية أصحاب أبي كريب

وأصحاب أبي أسامة يشعر بأنه رواه من حفظه أو تجوز في روايته بالمعنى الذي وقع له وهو أن الذي يوصف بالحياة والموت حقيقة هو الساكن لا الساكن، وأن إطلاق الحي والميت في وصف البيت إنما يراد به ساكن البيت، فشبّه الذاكر بالحي الذي ظاهره متزين بنور الحياة وباطنه بنور المعرفة وغير الذاكر بالبيت الذي ظاهره عاطل وباطنه باطل، وقيل موقع التشبيه بالحي والميت لما في الحي من النفع لمن يواليه والضرر لمن يعاديه وليس ذلك في الميت».

قال الإمام النووي رحمته الله (3/130): «فيه: الندب إلى ذكر الله تعالى في البيت، وأنه لا يخلى من الذكر، وفيه: جواز التمثيل. وفيه: أن طول العمر في الطاعة فضيلة، وإن كان الميت ينتقل إلى خير، لأن الحي يلتحق به ويزيد عليه بما يفعله من الطاعات».

باب دوي ذكر الله حول العرش

قال الإمام ابن ماجه (3809): حَدَّثَنَا أَبُو بَشْرِ بَكْرُ بْنُ خَلْفٍ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَيْسَى الطَّحَّانِ، عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ أَوْ عَنْ أَخِيهِ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ، التَّسْبِيحَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّحْمِيدَ، يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ هُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، تَذْكُرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَّا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ - أَوْ لَا يَزَالَ لَهُ - مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ؟».

ومعنى الدوي: الصوت.

قال شيخنا العلامة الوادعي رحمته الله: «هذا حديث صحيح، رجاله رجال الصحيح».

باب مثل رحمة الله سبحانه

قال الإمام البخاري رحمته الله (5999): حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم سَبِيًّا، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحَلَّبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَتُرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ» قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «لِلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدِهَا». ورواه مسلم (2754).

وهذا مثال بليغ مؤكد. يدل على رحمة الله ووصفه بالرحمة البالغة التي وسعت كل شيء، وقد وصف الله نفسه في القرآن بها فقال: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف] ﴿١٨﴾ وقال: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف] ﴿٦٤﴾ وقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156].

وبين تعالى أن رحمته مكتوبة للمتقين، فقال Δ : ﴿فَسَاكُتِبَهَا لِلَّذِينَ يُنْقُونَ﴾ [الأعراف: 156]، وقال: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: 53]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَنَّهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة: 218].

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله (131/17): «وفيه ضرب المثل بما يدرك بالحواس لما لا يدرك بها لتحصيل معرفة الشيء على وجهه، وإن كان الذي ضرب به المثل لا يحاط بحقيقته لأن رحمة الله لا تدرك بالعقل، ومع ذلك فقر بها النبي صلى الله عليه وسلم

للسامعين بحال المرأة المذكورة.

وفيه جواز ارتكاب أخف الضررين، لأنه ﷺ لم ينه المرأة عن إرضاع للأطفال الذين أرضعتهم مع احتمال أن يكبر بعضهم فيتزوج بعض من أرضعته المرأة معه، لكن لما كانت حالة الإرضاع ناجزة، وما يخشى من المحرمية متوهم اغتفر.

قلت: ولفظ الصبي بالتذكير في الخبر ينازع في ذلك.

وقال: قوله: «بعباده» كأن المراد بالعباد هنا من مات على الإسلام، ويؤيده ما أخرجه أحمد والحاكم من حديث أنس قال: «مر النبي ﷺ في نفر من أصحابه وصبي على الطريق، فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ فأقبلت تسعى وتقول: ابني ابني، وسعت فأخذته، فقال القوم: يا رسول الله ﷺ ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار، فقال: ولا الله بطارح حبيبه في النار» فالتعبير بحبيبه يخرج الكافر. وكذا من شاء إدخاله ممن لم يتب من مرتكبي الكبائر.

وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: لفظ العبد علم ومعناه خاص بالمؤمنين، وهو كقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ فهي عامة من جهة الصلاحية وخاصة بمن كتبت له قال: ويحتمل أن يكون المراد أن رحمة الله لا يشبهها شيء لمن سبق له منها نصيب من أي العباد كان حتى الحيوانات.

وفيه إشارة إلى أنه ينبغي للمرء أن يجعل تعلقه في جميع أموره بالله وحده، وأن كل من فرض أن فيه رحمة ما حتى يقصد لأجلها فالله E أرحم منه، فليقصد العاقل لحاجته من هو أشد له رحمة.

قال: وفي الحديث جواز نظر النساء المسبيات، لأنه ﷺ لم ينه عن النظر إلى المرأة المذكورة، بل في سياق الحديث ما يقتضي إذنه في النظر إليها.

باب مثل أقوام ممن يدخل الجنة

قال الإمام مسلم ﷺ (2840): حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ اللَّيْثِيُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ، أَفْعَدْتُهُمْ مِثْلُ أَفْعِدَةِ الطَّيْرِ».

قلت: وهذا مثال مرسل مجمل، يبين رقة قلوب هؤلاء القوم؛ ومعروف أن الطير رقيق الفؤاد.

قال الإمام النووي ﷺ (223 / 9): «قيل: مثلها في رقتها وضعفها، كالحديث الآخر: «أهل اليمن أرق قلوباً وأضعف أفئدة». وقيل: في الخوف والهيبة، والطيور أكثر الحيوان خوفاً وفزعاً، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]. وكان المراد قوم غلب عليهم الخوف كما جاء عن جماعات من السلف في شدة خوفهم، وقيل: المراد متوكلون. والله أعلم».

باب مثل فرح الله بتوبة عبده

قال الإمام مسلم ﷺ (2675): حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ فَعْنِبِ الْقَعْنَبِيِّ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَرَامِيِّ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ، مِنْ أَحَدِكُمْ».

بِضَالَّتِيهِ، إِذَا وَجَدَهَا».

قال الإمام مسلم رحمه الله (2744): حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - وَاللَّفْظُ لِعُثْمَانَ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا - جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ أَعُوذُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَحَدَّثَنَا بِحَدِيثَيْنِ: حَدِيثًا عَنْ نَفْسِهِ، وَحَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: «لِللَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطْشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ».

الدوية: الصحراء التي لا نبات بها.

قال الإمام مسلم رحمه الله (2745): حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذِ الْعَبْرِيِّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو يُونُسَ، عَنْ سِمَاكِ، قَالَ: خَطَبَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ، فَقَالَ: «لِللَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ كَهَلٍ زَادُهُ وَمَزَادُهُ عَلَى بَعِيرٍ»، ثُمَّ سَارَ حَتَّى كَانَ بِفَلَاحٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَأَدْرَكَتُهُ الْقَائِلَةُ، فَنَزَلَ، فَقَالَ: نَحْتُ شَجْرَةً، فَعَلَبْتُهُ عَيْنُهُ، وَأَنْسَلُ بِعَيْرِهِ، فَاسْتَيْقَظَ فَسَعَى شَرَفًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ سَعَى شَرَفًا ثَانِيًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ سَعَى شَرَفًا ثَالثًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، فَأَقْبَلَ حَتَّى أَتَى مَكَانَهُ الَّذِي قَالَ فِيهِ، فَبَيَّنَّا هُوَ قَاعِدٌ إِذْ جَاءَهُ بِعَيْرُهُ يَمْشِي، حَتَّى وَضَعَ خِطَامَهُ فِي يَدِهِ، فَلَمَّا أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ، مِنْ هَذَا حِينَ وَجَدَ بِعَيْرِهِ عَلَى حَالِهِ قَالَ سِمَاكٌ: فَرَعَمَ الشَّعْبِيُّ، أَنَّ النُّعْمَانَ رَفَعَ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَى

النَّبِيِّ ﷺ، وَأَمَّا أَنَا فَلَمْ أَسْمَعْهُ.

المزاد: المزايدة وهى وعاء كبير من الجلد.

الشرف: الشووط.

قال الإمام مسلم رحمته الله (2747): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَهُوَ عَمُّهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَاَنْفَلَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيَسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجْرَةً، فَاَضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيَسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةٌ عِنْدَهُ، فَاَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ».

قال الإمام البخاري رحمته الله (6308): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا أَبُو شَهَابٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، حَدِيثَيْنِ: أَحَدُهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْآخَرُ عَنْ نَفْسِهِ، قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ» فَقَالَ بِهِ هَكَذَا، قَالَ أَبُو شَهَابٍ: بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ ثُمَّ قَالَ: «لِلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مِنْزِلًا وَبِهِ مَهْلِكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّى إِذَا اسْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ وَالْعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله (64/18): «وقال القرطبي في «المفهم»: هذا مثل قصد به بيان سرعة قبول الله توبة عبده التائب، وأنه يقبل عليه بمغفرته ويعامله معاملة من يفرح بعمله، ووجه هذا المثل أن العاصي حصل بسبب معصيته في قبضة الشيطان وأسره وقد أشرف على الهلاك، فإذا لطف الله به ووفقه للتوبة خرج من شؤم تلك المعصية وتخلص من أسر الشيطان ومن المهلكة التي أشرف عليها فأقبل الله عليه بمغفرته وبرحمته.

وإلا فالفرح الذي هو من صفات المخلوقين محال على الله تعالى لأنه اهتزاز وطرب يجده الشخص من نفسه عند ظفره بغرضٍ يستكمل به نقصانه ويسد به خلته، أو يدفع به عن نفسه ضرراً أو نقصاً، وكل ذلك محال على الله تعالى فإنه الكامل بذاته الغني بوجوده الذي لا يلحقه نقص ولا قصور، لكن هذا الفرح له عندنا ثمرة وفائدة وهو الإقبال على الشيء المفروح به وإحلاله المحل الأعلى، وهذا هو الذي يصح في حقه تعالى، فعبر عن ثمرة الفرح بالفرح على طريقة العرب في تسمية الشيء باسم ما جاوره أو كان منه بسببٍ، وهذا القانون جارٍ في جميع ما أطلقه الله تعالى على صفة من الصفات التي لا تليق به، وكذا ما ثبت بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولا يخفي على أهل العلم زلات الحافظ رحمته الله في باب الصفات فهو هنا أول صفة الفرح لله، وهي صفة ثابتة لله تعالى كما يليق بجلاله.

قال ابن تيمية [كما في «مجموع فتاوى» (1/222)]: «فصل: وأما في طرق الإثبات: فمعلومٌ أيضاً أن المثبت لا يكفي في إثباته مجرد نفي التشبيه إذ لو كفي في إثباته مجرد نفي التشبيه لجاز أن يوصف سبحانه من الأعضاء والأفعال بما لا يكاد يحصى

مما هو ممتنعٌ عليه مع نفي التشبيه وأن يوصف بالنقائص التي لا تجوز عليه مع نفي التشبيه كما لو وصفه مفترٍ عليه بالبكاء والحزن والجوع والعطش مع نفي التشبيه.

وكما لو قال المفترى: يأكل لا كأكل العباد ويشرب لا كشربهم ويبكي ويحزن لا كبكائهم ولا حزنهم؛ كما يقال يضحك لا كضحكهم ويفرح لا كفرحهم ويتكلم لا ككلامهم. ولجاز أن يقال: له أعضاء كثيرةٌ لا كأعضائهم كما قيل: له وجهٌ لا كوجههم ويدان لا كأيديهم. حتى يذكر المعدة والأمعاء والذكر وغير ذلك مما يتعالى الله Δ عنه E عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

فإنه يقال لمن نفي ذلك مع إثبات الصفات الخبرية وغيرها من الصفات: ما الفرق بين هذا وما أثبتته إذا نفيت التشبيه وجعلت مجرد نفي التشبيه كافيًا في الإثبات فلا بد من إثبات فرقٍ في نفس الأمر.

فإن قال: العمدة في الفرق هو السمع فما جاء به السمع أثبتته دون ما لم يجيء به السمع.

قيل له: أولاً: السمع هو خبر الصادق عما هو الأمر عليه في نفسه فما أخبر به الصادق فهو حق من نفي أو إثباتٍ؛ والخبر دليلٌ على المخبر عنه والدليل لا ينعكس؛ فلا يلزم من عدمه عدم المدلول عليه فما لم يرد به السمع يجوز أن يكون ثابتاً في نفس الأمر وإن لم يرد به السمع؛ إذا لم يكن نفاه ومعلومٌ أن السمع لم ينف هذه الأمور بأسمائها الخاصة فلا بد من ذكر ما ينفيها من السمع وإلا فلا يجوز حينئذٍ نفيها كما لا يجوز إثباتها.

وأيضاً: فلا بد في نفس الأمر من فرقٍ بين ما يثبت له وينفي فإن الأمور المتماثلة

في الجواز والوجوب والامتناع: يمتنع اختصاص بعضها دون بعضٍ في الجواز والوجوب والامتناع فلا بد من اختصاص المنفي عن المثبت بما يخصه بالنفي ولا بد من اختصاص الثابت عن المنفي بما يخصه بالثبوت.

وقد يعبر عن ذلك بأن يقال: لا بد من أمرٍ يوجب نفي ما يجب نفيه عن الله كما أنه لا بد من أمرٍ يثبت له ما هو ثابتٌ وإن كان السمع كافيًا كان مخبرًا عما هو الأمر عليه في نفسه فما الفرق في نفس الأمر بين هذا وهذا؟

فيقال: كلما نفي صفات الكمال الثابتة لله فهو منزّه عنه فإن ثبوت أحد الضدين يستلزم نفي الآخر فإذا علم أنه موجودٌ واجب الوجود بنفسه وأنه قديمٌ واجب القدم: علم امتناع العدم والحدوث عليه وعلم أنه غني عما سواه فالمفتقر إلى ما سواه في بعض ما يحتاج إليه لنفسه: ليس هو موجودًا بنفسه بل بنفسه وبذلك الآخر الذي أعطاه ما يحتاج إليه نفسه فلا يوجد إلا به.

وهو سبحانه غني عن كل ما سواه فكل ما نافي غناه فهو منزّه عنه؛ وهو سبحانه قديرٌ قوي فكل ما نافي قدرته وقوته فهو منزّه عنه وهو سبحانه حي قيومٌ فكل ما نافي حياته وقيوميته فهو منزّه عنه.

وبالجمله فالسمع قد أثبت له من الأسماء الحسنى وصفات الكمال ما قد ورد فكل ما ضاد ذلك فالسمع ينفيه كما ينفي عنه المثل والكفو فإن إثبات الشيء نفيٌ لضده ولما يستلزم ضده والعقل يعرف نفي ذلك كما يعرف إثبات ضده فإثبات أحد الضدين نفيٌ للآخر ولما يستلزمه.

فطرق العلم بنفي ما ينزه عنه الرب متسعةٌ لا يحتاج فيها إلى الاقتصار على مجرد

نفي التشبيه والتجسيم كما فعله أهل القصور والتقصير: الذين تناقضوا في ذلك وفرقوا بين المتماثلين حتى أن كل من أثبت شيئاً احتج عليه من نفاه بأنه يستلزم التشبيه؛ وكذلك احتج القرامطة على نفي جميع الأمور حتى نفوا النفي، فقالوا: لا يقال لا موجود ولا ليس بموجود ولا حي ولا ليس بحي؛ لأن ذلك تشبيهٌ بالموجود أو المعدوم فلزم نفي النقيضين: وهو أظهر الأشياء امتناعاً ثم إن هؤلاء يلزمهم من تشبيهه بالمعدومات والممتنعات والجمادات: أعظم مما فروا منه من التشبيه بالأحياء الكاملين فطرق تنزيهه وتقديسه عما هو منزّه عنه متسعةٌ لا تحتاج إلى هذا.

وقد تقدم أن ما ينفي عنه - سبحانه - النفي المتضمن للإثبات إذ مجرد النفي لا مدح فيه ولا كمال فإن المعدوم يوصف بالنفي والمعدوم لا يشبه الموجودات وليس هذا مدحاً له لأن مشابهة الناقص في صفات النقص نقصٌ مطلقاً كما أن مماثلة المخلوق في شيءٍ من الصفات تمثيلٌ وتشبيهٌ ينزه عنه الرب Φ والنقص ضد الكمال؛ وذلك مثل أنه قد علم أنه حي والموت ضد ذلك فهو منزّه عنه؛ وكذلك النوم والسنة ضد كمال الحياة فإن النوم أخو الموت وكذلك اللغوب نقصٌ في القدرة والقوة والأكل والشرب ونحو ذلك من الأمور فيه افتقارٌ إلى موجودٍ غيره كما أن الاستعانة بالغير والاعتضاد به ونحو ذلك تتضمن الافتقار إليه والاحتياج إليه.

وكل من يحتاج إلى من يحمله أو يعينه على قيام ذاته وأفعاله فهو مفتقرٌ إليه ليس مستغنياً عنه بنفسه فكيف من يأكل ويشرب والآكل والشارب أجوف والمصمت

الصمد أكمل من الأكل والشارب ولهذا كانت الملائكة صمدا لا تأكل ولا تشرب.

وقد تقدم أن كل كمالٍ ثبت لمخلوق فالخالق أولى به وكل نقصٍ تنزه عنه المخلوق فالخالق أولى بتنزيهه عن ذلك والسمع قد نفي ذلك في غير موضع كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص]، والصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب وهذه السورة هي نسب الرحمن أو هي الأصل في هذا الباب وقال في حق المسيح وأمه: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: 75]، فجعل ذلك دليلاً على نفي الألوهية فدل ذلك على تنزيهه عن ذلك بطريق الأولى والأحرى والكبد والطحال ونحو ذلك: هي أعضاء الأكل والشرب فالغني المنزه عن ذلك: منزّه عن آلات ذلك بخلاف اليد فإنها للعمل والفعل وهو سبحانه موصوفٌ بالعمل والفعل؛ إذ ذاك من صفات الكمال؛ فمن يقدر أن يفعل أكمل ممن لا يقدر على الفعل.

وهو سبحانه منزّه عن الصاحبة والولد وعن آلات ذلك وأسبابه وكذلك البكاء والحزن: هو مستلزمٌ الضعف والعجز الذي ينزه عنه سبحانه؛ بخلاف الفرح والغضب: فإنه من صفات الكمال فكما يوصف بالقدرة دون العجز وبالعلم دون الجهل وبالحياة دون الموت وبالسمع دون الصمم وبالبصر دون العمى وبالكلام دون البكم: فكذلك يوصف بالفرح دون الحزن وبالضحك دون البكاء ونحو ذلك وأيضا فقد ثبت بالعقل ما أثبتته السمع من أنه سبحانه لا كفؤ

له ولا سمي له وليس كمثله شيءٌ فلا يجوز أن تكون حقيقته كحقيقة شيءٍ من المخلوقات ولا حقيقة شيءٍ من صفاته كحقيقة شيءٍ من صفات المخلوقات، فيعلم قطعاً أنه ليس من جنس المخلوقات لا الملائكة ولا السموات ولا الكواكب ولا الهواء ولا الماء ولا الأرض ولا الآدميين ولا أبدانهم ولا أنفسهم ولا غير ذلك بل يعلم أن حقيقته عن مماثلات شيءٍ من الموجودات أبعد من سائر الحقائق وأن مماثلته لشيءٍ منها أبعد من مماثلة حقيقة شيءٍ من المخلوقات لحقيقة مخلوقٍ آخر فإن الحقيقتين إذا تماثلتا: جاز على كل واحدةٍ ما يجوز على الأخرى ووجب لها ما وجب لها.

فيلزم أن يجوز على الخالق القديم الواجب بنفسه ما يجوز على المحدث المخلوق من العدم والحاجة وأن يثبت لهذا ما يثبت لذلك من الوجود والفناء فيكون الشيء الواحد واجباً بنفسه غير واجبٍ بنفسه موجوداً معدوماً وذلك جمعٌ بين التقيضين وهذا مما يعلم به بطلان قول المشبهة الذين يقولون: بصرٌ كبصري أو يدٌ كيدي ونحو ذلك تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً وليس المقصود هنا استيفاء ما يثبت له ولا ما ينزه عنه واستيفاء طرق ذلك؛ لأن هذا مبسوطٌ في غير هذا الموضوع.

وإنما المقصود هنا التنييه على جوامع ذلك وطرقه وما سكت عنه السمع نفيًا وإثباتًا ولم يكن في العقل ما يثبته ولا ينفيه سكتنا عنه فلا نثبته ولا ننفيه، فنثبت ما علمنا ثبوته ونفينا ما علمنا نفيه ونسكت عما لا نعلم نفيه ولا إثباته والله أعلم».

قلت: وهذا مثل مؤكد ومفصل، وهو مثل على الصحيح.

باب مثل الإيمان والهداية آخر الزمن

قال الإمام مسلم رحمته الله (146): حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، وَالْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ الْأَعْرَجُ، قَالَا: حَدَّثَنَا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ الْعَمَرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمُسْجِدَيْنِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا».

وقال النووي رحمته الله (1/270): «وأما معنى الحديث فقال القاضي عياض رحمته الله: في قوله «غريباً» روى ابن أبي أويس عن مالك رحمته الله أن معناه في المدينة وأن الإسلام بدأ بها غريباً وسيعود إليها.

قال القاضي: وظاهر الحديث العموم وأن الإسلام بدأ في آحاد من الناس وقلة ثم انتشر وظهر ثم سيلحقه النقص والإخلال حتى لا يبقى إلا في آحاد وقلة أيضاً كما بدأ. وجاء في الحديث تفسير «الغرباء» وهم النزاع من القبائل.

قال الهروي: أراد بذلك المهاجرين الذين هجروا أوطانهم إلى الله تعالى.

قال القاضي: وقوله صلى الله عليه وسلم: «وهو يأرز إلى المدينة» معناه أن الإيمان أولاً وآخرًا بهذه الصفة لأنه في أول الإسلام كان كل من خلص إيمانه وصح إسلامه أتى المدينة، إما مهاجرًا مستوطنًا، وإما متشوقًا إلى رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومتعلمًا منه ومتقربًا ثم بعده هكذا في زمن الخلفاء كذلك، ولأخذ سيرة العدل منهم والاقتداء بجمهور الصحابة رضوان الله عليهم فيها ثم من بعدهم من العلماء الذين كانوا سرج الوقت وأئمة الهدى لأخذ السنن المنتشرة بها عنهم، فكان كل ثابت الإيمان منشرح الصدر به يرحل إليها ثم بعد ذلك في كل وقت إلى زماننا لزيارة قبر النبي

والتبرك بمشاهدته وآثاره وآثار أصحابه الكرام فلا يأتيها إلا مؤمن هذا كلام القاضي. والله أعلم بالصواب».

مثل من يكيد المدينة

قال الإمام مسلم رحمه الله (1386): حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ دِينَارٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ ح، وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، كِلَاهُمَا عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يُحْنَسَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْقَرَّاطِ، أَنَّهُ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ رحمه الله: «مَنْ أَرَادَ أَهْلَ هَذِهِ الْبَلَدَةِ بِسُوءٍ - يَعْنِي الْمَدِينَةَ - أَذَابَهُ اللَّهُ كَمَا يَذُوبُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ».

قال الإمام مسلم رحمه الله (1387): حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا حَاتِمٌ يَعْنِي ابْنَ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ نُبَيْهِ، أَخْبَرَنِي دِينَارُ الْقَرَّاطِ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ، أَذَابَهُ اللَّهُ كَمَا يَذُوبُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ».

وهذا مثل مرسل مجمل.

قال النووي [في «شرح على مسلم» (5/28)]: «قوله رحمه الله: «ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء».

قال القاضي: هذه الزيادة وهي قوله: «في النار» تدفع إشكال الأحاديث التي لم تذكر فيها هذه الزيادة، وتبين أن هذا حكمه في الآخرة.

قال: وقد يكون المراد به: من أرادها في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كفي المسلمون أمره

واضمحل كيده كما يضمحل الرصاص في النار.

قال: وقد يكون في اللفظ تأخير وتقديم، أي أذابه الله ذوب الرصاص في النار، ويكون ذلك لمن أرادها في الدنيا فلا يمهلها الله، ولا يمكن له سلطان، بل يذهب عن قرب كما انقضى شأن من حاربها أيام بني أمية، مثل مسلم بن عقبة فإنه هلك في منصرفه عنها، ثم هلك يزيد بن معاوية مرسله على أثر ذلك، وغيرهما ممن صنع صنعهما.

قال: وقيل: قد يكون المراد من كادها اغتياً وطلباً لغرتها في غفلة، فلا يتم له أمره، بخلاف من أتى ذلك جهازاً كأمرء استباحوها.

مثل رسول الله ﷺ قرب الساعة بأصبعيه

قال الإمام البخاري (5301): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ أَبُو حَازِمٍ: سَمِعْتُهُ مِنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ، صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ، أَوْ: كَهَاتَيْنِ» وَقَرَنَ بَيْنَ السَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى.

وقال الإمام مسلم رحمه الله (2951): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ».

قال شعبة: وَسَمِعْتُ قَتَادَةَ يَقُولُ فِي قِصَصِهِ: كَفُضِلَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى، فَلَا أُدْرِي أَذَكَرَهُ عَنْ أَنَسٍ أَوْ قَالَ قَتَادَةَ.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (18/346): «قوله «كهاتين يعني

أصبعين...» والمراد بالسبابة وهي بفتح المهملة وتشديد الموحدة الأصبع التي بين الإبهام والوسطى وهي المراد بالمسبحة سميت مسبحةً لأنها يشار بها عند التسييح وتحرك في التشهد عند التهليل إشارةً إلى التوحيد، وسميت سبابة لأنهم كانوا إذا تسابوا أشاروا بها).

قال النووي رحمه الله (9/340): «قوله ﷺ: «بعثت أنا والساعة هكذا» وفي رواية: «كهاتين، وضم السبابة والوسطى»، وفي رواية: «قرن بينهما».

قال قتادة: كفضل إحداهما على الأخرى. روي بنصب الساعة ورفعها. وأما معناه فقيل: المراد بينهما شيء يسير كما بين الأصبعين في الطول، وقيل، هو إشارة إلى قرب المجاوزة».

تشبيه من حسان بين يدي رسول الله ﷺ

قال الإمام البخاري (3531): حَدَّثَنِي عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُهُ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ حَسَّانُ النَّبِيِّ ﷺ فِي هِجَاةِ الْمُشْرِكِينَ قَالَ: «كَيْفَ بِنَسَبِي» فَقَالَ حَسَّانُ: لَأَسْلَنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةَ مِنَ الْعَجِينِ.

وَعَنْ أَبِيهِ قَالَ: ذَهَبْتُ أَسْبُ حَسَّانَ عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: «لَا تَسْبُهُ فَإِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (10/336): «قوله: «لأسلنك منهم» أي لأخلصن نسبك من نسبهم بحيث يختص الهجو بهم دونك، وفي رواية أبي سلمة المذكور: «فقال: ائت أبا بكر فإنه أعلم قریش بأنسابها حتى يخلص لك

نسبي» فأتاه حسان، ثم رجع فقال: قد محض لي نسبك.

قوله: «كما تسل الشعرة من العجين» أشار بذلك إلى أن الشعرة إذا أخرجت من العجين لا يتعلق بها منه شيء لنعومتها، بخلاف ما إذا سلت من العسل مثلاً فإنها قد يعلق بها منه شيء، وأما إذا سلت من الخبز فإنها قد تنقطع قبل أن تخلص».

مثل الذي تفوته صلاة العصر

قال الإمام البخاري (519): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الَّذِي تَفُوتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ، كَأَنَّهَا وَتَرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: ﴿يَتْرِكُهُ﴾ [محمد: 35] «وَتَرْتُ الرَّجُلَ إِذَا قَتَلْتَ لَهُ قَتِيلًا أَوْ أَخَذْتَ لَهُ مَالًا».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري (2/325): «قوله «وتر أهله» هو بالنصب عند الجمهور على أنه مفعولٌ ثانٍ لوتر، وأضمر في وتر مفعولٌ لم يسم فاعله وهو عائدٌ على الذي فاتته، فالمعنى أصيب بأهله وماله. وهو متعد إلى مفعولين. ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتْرِكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾ [محمد: 35]. وإلى هذا أشار المصنف فيما وقع في رواية المستملي قال: قال أبو عبد الله: ﴿يَتْرِكُهُ﴾. انتهى.

وقيل وتر هنا بمعنى نقص، فعلى هذا يجوز نصبه ورفع، لأن من رد النقص إلى الرجل نصب وأضمر ما يقوم مقام الفاعل، ومن رده إلى الأهل رفع. وقال القرطبي: يروى بالنصب على أن وتر بمعنى سلب وهو يتعدى إلى مفعولين، وبالرفع على أن وتر بمعنى أخذ فيكون أهله هو المفعول الذي لم يسم فاعله.

ووقع في رواية المستملي أيضًا وترت الرجل إذا قتلت له قتيلاً أو أخذت ماله،

وحقيقة الوتر كما قال الخليل هو الظلم في الدم، فعلى هذا فاستعماله في المال مجازٌ، لكن قال الجوهري: الموتور هو الذي قتل له قتيلاً فلم يدرك بدمه، تقول منه وتر وتقول أيضاً وتره حقه أي ناقصه.

وقيل الموتور من أخذ أهله أو ماله وهو ينظر إليه وذلك أشد لغمه، فوقع التشبيه بذلك لمن فاتته الصلاة لأنه يجتمع عليه غمان: غم الإثم وغم فقد الثواب. كما يجتمع على الموتور غمان: غم السلب، وغم الطلب بالثأر.

وقيل: معنى وتر أخذ أهله وماله فصار وترًا أي فردًا، ويؤيد الذي قبله رواية أبي مسلم الكجبي من طريق حماد بن سلمة عن أيوب عن نافع فذكر نحو هذا الحديث وزاد في آخره «وهو قاعدٌ»، وظاهر الحديث التغليظ على من تفوته العصر، وأن ذلك مختص بها.

وقال ابن عبد البر: يحتمل أن يكون هذا الحديث خرج جوابًا لسائلٍ سأل عن صلاة العصر فأجيب، فلا يمنع ذلك إلحاق غيرها من الصلوات بها. وتعبه النووي بأنه إنما يلحق غير المنصوص بالمنصوص إذا عرفت العلة واشتركا فيها. قال: والعلة في هذا الحكم لم تتحقق فلا يلتحق غير العصر بها. انتهى. وهذا لا يدفع الاحتمال...

ثم قال بِحَمْدِ اللَّهِ: وقال المهلب ومن تبعه من الشراح: إنما أراد فواتها في الجماعة لا فواتها باصفرار الشمس أو بمغيبها. قال: ولو كان لفوات وقتها كله لبطل اختصاص العصر، لأن ذهاب الوقت موجودٌ في كل صلاةٍ ونوقض بعين ما ادعاه، لأن فوات الجماعة موجودٌ في كل صلاةٍ لكن في صدر كلامه أن العصر

اختصت بذلك لاجتماع المتعاقبين من الملائكة فيها، وتعقبه ابن المنير بأن الفجر أيضاً فيها اجتماع المتعاقبين فلا يختص العصر بذلك. قال: والحق أن الله تعالى يختص ما شاء من الصلوات بما شاء من الفضيلة. انتهى.

وبوب الترمذي على حديث الباب «ما جاء في السهو عن وقت العصر» فحمله على الساهي، وعلى هذا فالمراد بالحديث أنه يلحقه من الأسف عند معاينة الثواب لمن صلى ما يلحق من ذهب منه أهله وماله، وقد روي بمعنى ذلك عن سالم بن عبد الله بن عمر، ويؤخذ منه التنبيه على أن أسف العامد أشد، لاجتماع فقد الثواب وحصول الإثم.

قال ابن عبد البر: في هذا الحديث إشارة إلى تحقير الدنيا وأن قليل العمل خيرٌ من كثيرٍ منها. وقال ابن بطالٍ: لا يوجد حديثٌ يقوم مقام هذا الحديث، لأن الله تعالى قال: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ [البقرة: 238]، وقال: ولا يوجد حديثٌ فيه تكييف المحافظة غير هذا الحديث.

قال النووي رحمته الله (2/ 415): «قوله ﷺ: «الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله» روي بنصب اللامين ورفعهما، والنصب هو الصحيح المشهور الذي عليه الجمهور على أنه مفعول ثانٍ، ومن رفع فعلى ما لم يسم فاعله. ومعناه: انتزع منه أهله وماله، وهذا تفسير مالك بن أنس.

وأما على رواية النصب فقال الخطابي وغيره: معناه نقص هو أهله وماله وسلبه، فبقي بلا أهل ولا مال، فليحذر من تفويتها كحذره من ذهاب أهله وماله.

وقال أبو عمر بن عبد البر: معناه عند أهل اللغة والفقهاء أنه كالذي يصاب بأهله

وماله إصابة يطلب بها وترًا، والوتر الجناية التي يطلب ثأرها فيجتمع عليه غمان: غم المصيبة وغم مقاساة طلب الثأر.

وقال الداودي من المالكية: معناه يتوجه عليه من الاسترجاع ما يتوجه على من فقد أهله وماله، فيتوجه عليه الندم والأسف لتفويته الصلاة، وقيل: معناه فاته من الثواب ما يلحقه من الأسف عليه كما يلحق من ذهب أهله وماله.

قال القاضي عياض - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - : واختلفوا في المراد بفوات العصر في هذا الحديث، فقال ابن وهب وغيره: هو فيمن لم يصلها في وقتها المختار، وقال سحنون والأصيلي: هو أن تفوته بغروب الشمس، وقيل: هو تفويتها إلى أن تصفر الشمس، وقد ورد مفسرًا من رواية الأوزاعي في هذا الحديث.

قال فيه: وفواتها أن يدخل الشمس صفرة، وروي عن سالم أنه قال هذا فيمن فاتته ناسيًا، وعلى قول الداودي هو في العامد، وهذا هو الأظهر، ويؤيده حديث البخاري في صحيحه: «من ترك صلاة العصر حبط عمله» وهذا إنما يكون في العامد.

قال ابن عبد البر: ويحتمل أن يلحق بالعصر باقي الصلوات: ويكون نبه بالعصر على غيرها، وإنما خصها بالذكر لأنها تأتي وقت تعب الناس من مقاساة أعمالهم وحرصهم على قضاء أشغالهم وتسويقهم بها إلى انقضاء وظائفهم. وفيما قاله نظر؛ لأن الشرع ورد في العصر، ولم تتحقق العلة في هذا الحكم فلا يلحق بها غيرها بالشك والتوهم، وإنما يلحق غير المنصوص بالمنصوص إذا عرفنا العلة واشتركا فيها. والله أعلم».

مثل من ينقر في سجوده

قال ابن عساكر [في «تاريخ دمشق» (ج 53/ ص 41)]: أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي حدثنا أبو محمد الكتاني أنبأنا تمام بن محمد وأبو محمد بن أبي نصر وأبو بكر القطان وأبو القاسم بن أبي العقب، قالوا: أنبأنا أبو القاسم بن أبي العقب حدثنا أبو زرعة حدثني سليمان وصفوان محمد بن زرعة وغيرهم، قالوا: حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا شيبه بن الأحنف الأوزاعي أن أبا الأسود حدثه أن أبا صالح الأشعري حدثه عن أبي عبد الله الأشعري أنه حدثه قال: نظر رسول الله ﷺ إلى رجل يصلي لا يتم ركوعه وينقر في سجوده، فقال: «لومات هذا على هذه الحال مات على غير ملة محمد»، ثم قال رسول الله ﷺ: «إذا صلى أحدكم فليتم ركوعه ولا ينقر في سجوده، فإنما مثل ذلك كمثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين، وكمثل الديك ينقر في الدم فماذا يغنيان عنه».

قال الشيخ الألباني رحمته الله: «حسن»؛ انظر حديث رقم (649) في صحيح الجامع.

مثل الذي يصلي ورأسه معقوص

قال أبو داود رحمته الله (647): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ، أَنَّ بَكَيْرًا، حَدَّثَهُ أَنَّ كُرَيْبًا مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ حَدَّثَهُ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَأَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَارِثِ يُصَلِّي، وَرَأْسُهُ مَعْقُوصٌ مِنْ وَرَائِهِ، فَقَامَ وَرَاءَهُ، فَجَعَلَ يَجْلُهُ وَأَقْرَّ لَهُ الْآخِرُ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: مَا لَكَ وَرَأْسِي، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا مَثَلُ هَذَا مَثَلُ الَّذِي يُصَلِّي وَهُوَ مَكْتُوفٌ».

وقال الإمام أحمد رحمته الله: (2903): حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ، حَدَّثَنَا ابْنُ هَلِيعَةَ، عَنْ بَكْرِ، عَنْ كُرَيْبٍ، مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَثَلُ الَّذِي يُصَلِّي وَرَأْسُهُ مَعْقُوصٌ، كَمَثَلِ الَّذِي يُصَلِّي وَهُوَ مَكْتُوفٌ».

وابن هليعة ضعيف ولكن الحديث حسن بشواهد، وكما قال العلامة الألباني رحمته الله في «السلسلة الصحيحة» (ج 5/ ص 500): «صحيح بشواهد». وللحديث طريق أخرى وفيه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ذلك كفل الشيطان: يعني مقعد الشيطان يعني مغرز ظفره. وهو في صحيح أبي داود برقم (653). وللحديث شاهد من حديث أم سلمة: أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يصلي الرجل ورأسه معقوص. «صحيح».

«وقوله معقوص الشعر»: أي مجموع بعضه إلى بعض كالمظفور، وهذا لمن كان له شعر طويل على عادة العرب قديما. فنهى عن ذلك وأمر بنشره ليكون سجوده أتم. انظر صفة الصلاة.

وقال العلامة الألباني رحمته الله: «صحيح». انظر صفة الصلاة، وصحيح أبي داود (654)».

مثل محقرات الذنوب

قال الإمام أحمد رحمته الله (3818): حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ، حَدَّثَنَا عِمْرَانُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ، عَنْ أَبِي عِيَّاضٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكَهُ» وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ضَرَبَ هُنَّ مَثَلًا: كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاةٍ، فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ،

فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ، فَيَجِيءُ بِالْعُودِ، وَالرَّجُلُ.

قلت: عبد ربه بن أبي يزيد، ويقال ابن يزيد، ويقال عبد رب.

قال ابن حجر: مستور، وقال الذهبي: مجهول.

قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (1/674): أخرجه أحمد (5/331)

حدثنا أنس بن عياض حدثني أبو حازم لا أعلمه إلا عن سهل بن سعد قال: قال

رسول الله ﷺ...

ومن هذا الوجه أخرجه الروياني أيضا في «مسنده» (29/197 - 198)

والبيهقي في «الشعب» (2/384/1 مصورة المكتب الإسلامي).

قلت: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، وهو عند أحمد ثلاثي.

وقال الهيثمي (10/190): «رواه أحمد و رجاله رجال الصحيح، ورواه

الطبراني في الثلاثة من طريقين، ورجال أحدهما رجال الصحيح غير عبد الوهاب

بن عبد الحكم وهو ثقة».

وهذا يدل على عظم خطر المعاصي التي يظن الناس أنها صغيرة وأنها سبب

لغضب الله وسخطه.

مثل تكفير الذنوب

قال الإمام البخاري (5216): حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ

إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيِّ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتُوَعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا؟ قَالَ: «أَجَلُ،

إِنِّي أُوَعِّدُكُمْ كَمَا يُوَعِّدُكُمْ رَجُلَانِ مِنْكُمْ» قُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: «أَجَلٌ، ذَلِكَ كَذَلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى، شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (16/137): «قوله: «كما تحط» بفتح أوله وضم المهملة وتشديد الطاء المهملة أي تلقيه منتثرًا. والحاصل أنه أثبت أن المرض إذا اشتد ضاعف الأجر، ثم زاد عليه بعد ذلك أن المضاعفة تنتهي إلى أن تحط السيئات كلها، أو المعنى: قال نعم شدة المرض ترفع الدرجات وتحط الخطيئات أيضًا حتى لا يبقى منها شيء، ويشير إلى ذلك حديث سعد الذي ذكرته قبل «حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة».

ومثله حديث أبي هريرة عند أحمد وابن أبي شيبة بلفظ «لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يلقي الله وليس عليه خطيئة». قال أبو هريرة: ما من وجع يصيبني أحب إلي من الحمى، إنها تدخل في كل مفصل من ابن آدم، والله يعطي كل مفصل قسطه من الأجر».

ووجه دلالة حديث الباب على الترجمة من جهة قياس الأنبياء على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وإلحاق الأولياء بهم لقربهم منهم وإن كانت درجاتهم منحطة عنهم، والسرفيه أن البلاء في مقابلة النعمة، فمن كانت نعمة الله عليه أكثر كان بلاؤه أشد، ومن ثم ضوعف حد الحر على العبد، وقيل لأمهات المؤمنين: ﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَعَّفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: 30].

قال ابن الجوزي: في الحديث دلالة على أن القوي يحمل ما حمل، والضعيف

يرفق به إلا أنه كلما قويت المعرفة بالمبتلى هان عليه البلاء، ومنهم من ينظر إلى أجر البلاء فيهون عليه البلاء، وأعلى من ذلك درجة من يرى أن هذا تصرف المالك في ملكه فيسلم ولا يعترض، وأرفع منه من شغلته المحبة عن طلب رفع البلاء، وأنهى المراتب من يتلذذ به لأنه عن اختياره نشأ، والله أعلم».

قال الإمام مسلم رحمته الله (2767): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَبَّادِ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ، حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ، حَدَّثَنَا شَدَّادُ أَبُو طَلْحَةَ الرَّاسِبِيُّ، عَنْ غِيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ، فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى».

قال النووي رحمته الله (9/147): «قوله: «يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب» فمعناه: أن الله تعالى يغفر تلك الذنوب للمسلمين، ويسقطها عنهم، ويضع على اليهود والنصارى مثلها بكفرهم وذنوبهم، فيدخله النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين، ولا بد من هذا التأويل لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: 164].

وقوله: «ويضعها» مجاز والمراد: يضع عليهم مثلها بذنوبهم كما ذكرناه لكن لما أسقط E عن المسلمين سيئاتهم، وأبقى على الكفار سيئاتهم، صاروا في معنى من حمل إثم الفريقين لكونهم حملوا الإثم الباقي، وهو إثمهم، ويحتمل أن يكون المراد آثامًا كان للكفار سبب فيها، بأن سنوها فتسقط عن المسلمين بعفو الله تعالى، ويوضع على الكفار مثلها، لكونهم سنوها، ومن سن سنة سيئة كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها. والله أعلم».

حديث آخر: «إنما مثل العبد المؤمن حين يصيبه الوعك أو الحمى كمثل حديدة تدخل النار، فيذهب خبثها ويبقى طيبها».

قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (4 / 290): «أخرجه الحاكم (1 / 348) والبزار في «مسنده» (رقم - 756) وابن أبي الدنيا (1 / 68) وابن عساكر (9 / 427 / 2) عن نافع بن يزيد حدثني جعفر بن ربيعة عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن السائب: أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن أزهر حدثه عن أبيه عبد الرحمن بن أزهر: أن رسول الله ﷺ قال: فذكره.

وقال الحاكم: «صحيح الإسناد، رواه مدنيون ومصريون». ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في «المجمع» (2 / 302): «رواه البزار والطبراني في «الكبير»، وفيه من لا يعرف». كذا قال! وعبد الرحمن بن أزهر صحابي صغير مات قبل الهجرة، وله ذكر في «الصحيحين» مع عائشة، وهو من رجال أبي داود والنسائي. وابنه عبد الحميد بن عبد الرحمن بن أزهر أورده ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (3 / 1 / 15) من رواية جعفر بن ربيعة عنه، ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا.

لكن أورده ابن حبان في «ثقات التابعين» (3 / 222 / 137) وقال: «من أهل المدينة، يروي عن أبيه وعن جماعة من التابعين، روى عنه أهل المدينة». فهو معروف برواية أهل المدينة عنه ومنهم عبيد الله بن عبد الرحمن الآتي ذكره، فهو من التابعين المستورين، فمثله حسن الحديث إن شاء الله تعالى. وأما عبيد الله بن عبد الرحمن وهو ابن السائب، فقال ابن أبي حاتم (2 / 2 / 323): «روى عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن أزهر روى عنه نافع بن يزيد».

كذا قال! ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا، وإنما روى ابن يزيد عن جعفر بن ربيعة عنه كما ترى في هذا الإسناد، فلعله روى عنه مباشرة في غير هذا الحديث، فقد ذكر ابن حبان في «الثقات» (2/189) روايته عنه أيضا فقال: «عبيد الله بن عبد الرحمن بن السائب بن عمير القاري، من أهل المدينة يروي عن سعيد بن المسيب وعبد الحميد بن عبد الرحمن بن أزهر، روى عنه ابن جريج ونافع بن يزيد».

وسائر الرجال ثقات من رجال الشيخين، فالإسناد حسن، والحديث صحيح بما له من شواهد معروفة، تقدم أحدها برقم (714).

مثل علي رضي عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الإمام البخاري (3706): حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَعْدِ، قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِعَلِيٍّ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى».

قال النووي رحمته الله (8/145): «قوله صلى الله عليه وسلم لعلِّي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، قال القاضي: هذا الحديث مما تعلق به الروافض والإمامية وسائر فرق الشيعة في أن الخلافة كانت حقا لعلِّي، وأنه وصي له بها. قال: ثم اختلف هؤلاء، فكفرت الروافض سائر الصحابة في تقديمهم غيره، وزاد بعضهم فكفر عليا لأنه لم يقم في طلب حقه بزعمهم، وهؤلاء أسخف مذهبا وأفسد عقلا من أن يرد قولهم، أو يناظر.

وقال القاضي: ولا شك في كفر من قال هذا؛ لأن من كفر الأمة كلها والصدر

الأول فقد أبطل نقل الشريعة، وهدم الإسلام، وأما من عدا هؤلاء الغلاة فإنهم لا يسلكون هذا المسلك. فأما الإمامية وبعض المعتزلة فيقولون: هم مخطئون في تقديم غيره لا كفار. وبعض المعتزلة لا يقول بالتخطئة لجواز تقديم المفضول عندهم.

وهذا الحديث لا حجة فيه لأحد منهم، بل فيه إثبات فضيلة لعلي، ولا تعرض فيه لكونه أفضل من غيره أو مثله، وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده، لأن النبي ﷺ إنما قال هذا لعلي حين استخلفه في المدينة في غزوة تبوك، ويؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى، بل توفي في حياة موسى، وقبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة على ما هو مشهور عند أهل الأخبار والقصص. قالوا: وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة. والله أعلم.

قال العلماء: وفي هذا الحديث دليل على أن عيسى بن مريم ﷺ إذا نزل في آخر الزمان نزل حكماً من حكام هذه الأمة، يحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ، ولا ينزل نبياً، وقد سبقت الأحاديث المصرحة بما ذكرناه في كتاب الإيمان.

مثل جمال جرير

هو جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك البجليّ وكنيته أبو عمرو. نزل الكوفة ثم نزل قرقيسيا وبها مات سنة إحدى وخمسين، وكان سيّداً مطاعاً مليحاً طوالاً بديع الجمال صحيح الإسلام كبير القدر. قال ﷺ: «على وجهه مسحة ملك»، وعن عمر رضي الله عنه قال أنه يوسف هذه الأمة. [انظر: «تحفة الأحوذى» (9/247)].

قال الإمام أحمد رضي الله عنه في مسنده (19180): حَدَّثَنَا أَبُو قَطَنِ، حَدَّثَنِي يُونُسُ، عَنِ الْمُغِيرَةَ بْنِ شَيْبَةَ قَالَ: وَقَالَ جَرِيرٌ: لَمَّا دَنَوْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ أَنْخَتُ رَاحِلَتِي، ثُمَّ

حَلَلْتُ عَيْبِي، ثُمَّ لَبِسْتُ حُلَّتِي، ثُمَّ دَخَلْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخْطُبُ، فَرَمَانِي النَّاسُ بِالْحَدَقِ، فَقُلْتُ لِحَلِيسِي: يَا عَبْدَ اللَّهِ، ذَكَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، ذَكَرَكَ أَنْفًا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ، فَبَيْنَا هُوَ يُخْطُبُ إِذْ عَرَضَ لَهُ فِي خُطْبَتِهِ وَقَالَ: «يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْبَابِ، أَوْ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنِ، إِلَّا أَنْ عَلَى وَجْهِهِ مَسْحَةٌ مَلِكٍ» قَالَ جَرِيرٌ: «فَحَمِدْتُ اللَّهَ Δ عَلَى مَا أَبْلَانِي»، وَقَالَ أَبُو قَطَنِ: فَقُلْتُ لَهُ: سَمِعْتَهُ مِنْهُ أَوْ سَمِعْتَهُ مِنَ الْمُغِيرَةِ بْنِ شَبْلٍ قَالَ: «نَعَمْ».

مثل المجاهد

قال الإمام أحمد رحمته الله (9481): حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُهَيْلٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا بِعَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ: «لَا تُطِيقُونَهُ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ: قَالُوا: أَخْبِرْنَا فَلَعَلَّنَا نُطِيقُهُ، قَالَ: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ، الْقَائِمِ بِآيَاتِ اللَّهِ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ، حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ إِلَى أَهْلِهِ». ورواه مسلم (1878).

مثل وجوه أول زمرة يدخلون الجنة وعيشهم

قال الإمام البخاري (3245): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلْجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَتَعَوَّطُونَ، أُنِيَّتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مَخُّ سَوْفِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا».

قال الإمام مسلم رحمته الله (191): حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، كِلَاهُمَا عَنْ رَوْحٍ، قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ الْقَيْسِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يُسْأَلُ عَنِ الْوُرُودِ، فَقَالَ: نَجِيءٌ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا، انظُرْ أَيُّ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ؟ قَالَ: فَتُدْعَى الْأُمَّمُ بِأَوْثَانِهَا، وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ، الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقًا، أَوْ مُؤْمِنًا نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَاللَّيْلِ وَحَسَكٌ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسِبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ كَأَضْوَاءِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذَلِكَ ثُمَّ مَحِلُّ الشَّفَاعَةِ، وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يُخْرَجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، فَيُجْعَلُونَ بِنِهَاةِ الْجَنَّةِ، وَيَجْعَلُ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَرُشُونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ، وَيَذْهَبُ حَرَّاقُهُ، ثُمَّ يُسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري (30 / 10): «قوله: «صورتهم على صورة القمر ليلة البدر» أي في الإضاءة، وسيأتي بيان ذلك في الرقاق بلفظ «يدخل الجنة من أممي سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر» وفي الرواية الثانية هنا: «والذين على أثرهم كأشد كوكب إضاءة» زاد مسلم في رواية أخرى «ثم هم بعد ذلك منازل».

قوله: «لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون» زاد في صفة آدم «ولا يبولون ولا يتفلون» وفي الرواية الثانية «لا يسقمون» وقد اشتمل ذلك على نفي جميع صفات النقص عنهم. ولمسلم من حديث جابر: «يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يتغوطون طعامهم، ذلك جشاء كريح المسك» وكأنه مختصر مما أخرجه النسائي من حديث زيد بن أرقم قال: «جاء رجل من أهل الكتاب فقال: يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون، قال نعم، إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع، قال: الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أدنى، قال: تكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم كرشح المسك».

وسمى الطبراني في روايته هذا السائل ثعلبة بن الحارث، قال ابن الجوزي: لما كانت أغذية أهل الجنة في غاية اللطافة والاعتدال لم يكن فيها أدنى ولا فضلة تستقذر، بل يتولد عن تلك الأغذية أطيب ريح وأحسنه.

قوله: «آنيتهم فيها الذهب» زاد في الرواية الثانية «والفضة» وقال في الأمشاط عكس ذلك، وكأنه اكتفي في الموضوعين بذكر أحدهما عن الآخر فإنه يحتمل أن يكون الصنفان لكل منهم، ويحتمل أن يكون أحد الصنفين لبعضهم والآخر للبعض الآخر، ويؤيده حديث أبي موسى مرفوعاً «جنتان من ذهب آنيتهما وما فيها وجنتان من فضة آنيتهما وما فيها» الحديث متفق عليه، ويؤيد الأول ما أخرجه الطبراني بإسنادٍ قوي عن أنس مرفوعاً إن أدنى أهل الجنة درجة لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم بيد كل واحد صحفتان واحدة من ذهب والأخرى من فضة الحديث.

تنبئهم: المشط بتثليث الميم والأفصح ضمها، قوله: «ومجارهم الألو» الألو

العود الذي يبخر به، قيل جعلت مجامرهم نفس العود، لكن في الرواية الثانية «ووقود مجامرهم الألوة» فعلى هذا في رواية الباب تجوز، ووقع في رواية الصغاني بعد قوله الألوة. قال أبو اليمان يعني العود.

والمجامر جمع مجمرة وهي المبخرة سميت مجمرة لأنها يوضع فيها الجمر ليفوح به ما يوضع فيها من البخور، والألوة بفتح الهمزة ويجوز ضمها وبضم اللام وتشديد الواو وحكى ابن التين كسر الهمزة وتخفيف الواو والهمزة أصلية وقيل زائدة، قال الأصمعي أراها فارسية عبرت.

وقد يقال إن رائحة العود إنما تفوح بوضعه في النار والجنة لا نار فيها ومن ثم قال الإسماعيلي بعد تحريج الحديث المذكور: ينظر هل في الجنة نار؟ ويجاب باحتمال أن يشتعل بغير نار بل بقوله: كن، وإنما سميت مجمرة باعتبار ما كان في الأصل، ويحتمل أن يشتعل بنارٍ لا ضرر فيها ولا إحراق، أو يفوح بغير اشتعال، ونحو ذلك ما أخرجه الترمذي من حديث ابن مسعود مرفوعاً «إن الرجل في الجنة ليشتهي الطير فيخرب بين يديه مشويا» وفيه الاحتمالات المذكورة.

وقد ذكر نحو ذلك ابن القيم في الباب الثاني والأربعين من «حادي الأرواح» وزاد في الطير أو يشوى خارج الجنة أو بأسبابٍ قدرت لإنضاجه ولا تتعين النار، قال: وقريب من ذلك قوله تعالى: ﴿أَكُلْهَا دَائِمًا وَظَلُّهَا﴾ [الرعد: 35]، وهي لا شمس فيها، وقال القرطبي: قد يقال أي حاجة لهم إلى المشط وهم مرد وشعورهم لا تتسخ؟ وأي حاجة لهم إلى البخور وريحهم أطيب من المسك؟

قال: ويجاب بأن نعيم أهل الجنة من أكل وشرب وكسوة وطيب وليس عن ألم

جوع أو ظمأ أو عري أو نتن، وإنما هي لذات متتالية ونعم متوالية، والحكمة في ذلك أنهم ينعمون بنوع ما كانوا يتنعمون به في الدنيا. وقال النووي: مذهب أهل السنة أن تنعم أهل الجنة على هيئة تنعم أهل الدنيا إلا ما بينهما من التفاضل في اللذة، ودل الكتاب والسنة على أن نعيمهم لا انقطاع له.

قوله: «ولكل واحد منهم زوجتان» أي من نساء الدنيا، فقد روى أحمد من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعاً في صفة أدنى أهل الجنة منزلة «وإن له من الحور العين اثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا» وفي سننه شهر بن حوشبٍ وفيه مقال، ولأبي يعلى في حديث الصور الطويل من وجه آخر عن أبي هريرة في حديث مرفوع «فيدخل الرجل على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله وزوجتين من ولد آدم»، وأخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد رفعه «إن أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم وثلثان وسبعون زوجة» وقال غريب، ومن حديث المقدم بن معدي كرب عنده «للشهيد ست خصال» الحديث وفيه «ويتزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين» وفي حديث أبي أمامة عند ابن ماجه والدارمي رفعه «ما أحد يدخل الجنة إلا زوجه الله ثنتين وسبعين من الحور العين وثلثين من أهل الدنيا» وسنده ضعيف جداً، وأكثر ما وقفت عليه من ذلك ما أخرج أبو الشيخ في «العظمة» والبيهقي في «البعث» من حديث عبد الله بن أبي أوفى رفعه «إن الرجل من أهل الجنة ليزوج خمسمائة حوراء أو أنه ليفضي إلى أربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب» وفيه راوٍ لم يسم، وفي الطبراني من حديث ابن عباس «إن الرجل من أهل الجنة ليفضي إلى مائة عذراء».

وقال ابن القيم: ليس في الأحاديث الصحيحة زيادة على زوجتين سوى ما في

حديث أبي موسى «إن في الجنة للمؤمن لخيمة من لؤلؤة له فيها أهلون يطوف عليهم». قلت: الحديث الأخير صححه الضياء، وفي حديث أبي سعيد عند مسلم في صفة أدنى أهل الجنة ثم يدخل عليه زوجته، والذي يظهر أن المراد أن أقل ما لكل واحد منهم زوجتان، وقد أجاب بعضهم باحتمال أن تكون التثنية تنظيرًا لقوله جنتان وعينان ونحو ذلك، أو المراد تثنية التكثير والتعظيم نحو لبيك وسعديك، ولا يخفي ما فيه.

واستدل أبو هريرة بهذا الحديث على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال كما أخرجهم مسلم من طريق ابن سيرين عنه، وهو واضح لكن يعارضه قوله ﷺ في حديث الكسوف المتقدم «رأيتكن أكثر أهل النار» ويجاب بأنه لا يلزم من أكثريتهن في النار نفي أكثريتهن في الجنة، لكن يشكل على ذلك قوله ﷺ في الحديث الآخر اطلعت في الجنة فرأيت أقل ساكنها النساء، ويحتمل أن يكون الراوي رواه بالمعنى الذي فهمه من أن كونهن أكثر ساكني النار يلزم منه أن يكن أقل ساكني الجنة، وليس ذلك بلازم لما قدمته، ويحتمل أن يكون ذلك في أول الأمر قبل خروج العصاة من النار بالشفاعة، والله أعلم.

تنبئهُ: قال النووي كذا وقع زوجتان بتاء التأنيث وهي لغة تكررت في الحديث والأكثر خلافها وبه جاء القرآن، وذكر أبو حاتم السجستاني أن الأصمعي كان ينكر زوجة ويقول إنها هي زوج، قال فأنشدناه قول الفرزدق:

وإن الذي يسعى ليفسد زوجتي لساعٍ إلى أسد الشرى يستئيلها

قال: فسكت. ثم ذكر له شواهد أخرى.

قوله: «مخ سوقهما من وراء اللحم» في الرواية الثالثة «والعظم»، والمخ بضم الميم وتشديد المعجمة ما في داخل العظم، والمراد به وصفها بالصفاء البالغ وأن ما في داخل العظم لا يستتر بالعظم واللحم والجلد. ووقع عند الترمذي «ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها» ونحوه لأحمد من حديث أبو سعيد وزاد «ينظر وجهه في خدها أصفي من المرآة».

قوله: «قلب واحد» في رواية الأكثر بالإضافة، وللمستملي بالتنونين «قلب واحد» وهو من التشبيه الذي حذف أداته أي كقلب رجل واحد، وقد فسره بقوله: «لا تحاسد بينهم ولا اختلاف» أي أن قلوبهم طهرت عن مذموم الأخلاق.

قوله: «يسبحون الله بكرة وعشيا» أي قدرهما، قال القرطبي: هذا التسبيح ليس عن تكليف وإلزام، وقد فسره جابر في حديثه عند مسلم بقوله: «يلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس» ووجه التشبيه أن تنفس الإنسان لا كلفة عليه فيه ولا بد له منه، فجعل تنفسهم تسبيحًا، وسببه أن قلوبهم تنورت بمعرفة الرب سبحانه وامتألت بحبه، ومن أحب شيئًا أكثر من ذكره. وقد وقع في خبر ضعيف «إن تحت العرش ستارة معلقة فيه ثم تطوى، فإذا نشرت كانت علامة البكور، وإذا طويت كانت علامة العشي».

باب مثل رؤية الله يوم القيامة

قال الإمام البخاري رحمته الله (806): حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَعَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، أَخْبَرَهُمَا: أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ

تُحَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَهَلْ تُحَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يُحْشِرُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبَقِيَ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ هَذَا مَكَانَنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَدْعُوهُمْ فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجْزَى مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبٌ...». ورواه مسلم (182).

عقيدة أهل السنة في هذا المثل

قال شيخ الإسلام [كما في «المجموع» (1/442)]: «قال: «إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر»، فشبّه الرؤية بالرؤية؛ لا المرئي بالمرئي. والنفاة لا يقولون يرى كما ترى الشمس والقمر؛ بل قولهم الحقيقي أنه لا يرى بحال ومن قال يرى موافقةً لأهل الإثبات ومناقفةً لهم: فسر الرؤية بمزيد علمٍ فلا تكون كرؤية الشمس والقمر. والمقصود هنا: أنهم لا بد أن يسألوه عن ربهم الذي يعبدونه وإذا سألوهم فلا بد أن يجيبهم.

ومن المعلوم بالاضطرار أن ما تقوله الجهمية النفاة لم ينقل عن أحدٍ من أهل التبليغ عنه وإنما نقلوا عنه ما يوافق قول أهل الإثبات».

قال شيخ الإسلام [كما في «مجموع فتاوى ابن تيمية» (1/431)]: «وقد ضرب النبي

المثل بذلك - والله المثل الأعلى ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا وإمكانه؛ لا تشبيه الخالق بالمخلوق - فقال النبي ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلا سيري ربه مخلياً به. فقال له أبو رزين العقيلي: كيف يا رسول الله ﷺ وهو واحدٌ ونحن جميعٌ؟ فقال النبي ﷺ: سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله هذا القمر كلكم يراه مخلياً به وهو آيةٌ من آيات الله؛ فالله أكبر»، أو كما قال النبي ﷺ.

وقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر»، فشبّه الرؤية بالرؤية وإن لم يكن المرئي مشابهاً للمرئي فالمؤمنون إذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه كل يراه فوَقَه قبل وجهه؛ كما يرى الشمس والقمر ولا منافاة أصلاً. ومن كان له نصيبٌ من المعرفة بالله والرسوخ في العلم بالله: يكون إقراره للكتاب والسنة على ما هما عليه أو كد».

وقال ابن القيم [في «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (3/301)]: «فصل [الألفاظ على ثلاثة أقسام] فإن تمهدت هذه القاعدة فنقول: الألفاظ بالنسبة إلى مقاصد المتكلمين ونياتهم وإرادتهم لمعانيها ثلاثة أقسام:

أحدها: أن تظهر مطابقة القصد للفظ، وللظهور مراتب تنتهي إلى اليقين والقطع بمراد المتكلم بحسب الكلام في نفسه وما يقترن به من القرائن الحالية واللفظية وحال المتكلم به وغير ذلك، كما إذا سمع العاقل والعارف باللغة قوله ﷺ: «إنكم سترون ربكم عياناً، كما ترون القمر ليلة البدر ليس دونه سحابٌ، وكما ترون الشمس في الظهيرة صحواً ليس دونها سحابٌ، لا تضارون في رؤيته إلا كما تضارون في رؤيتها» فإنها لا يستريب ولا يشك في مراد المتكلم وأنه رؤية البصر حقيقةً، وليس في الممكن عبارةً أوضح ولا أنص من هذه.

ولو اقترح على أبلغ الناس أن يعبر عن هذا المعنى بعبارة لا تحتل غيره لم يقدر على عبارة أوضح ولا أنص من هذه، وعامة كلام الله ورسوله من هذا القبيل؛ فإنه مستولٍ على الأمد الأقصى من البيان».

مثل ما بين مصراعي الجنة

قال الإمام البخاري (4712): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا أَبُو حَيَّانَ التَّمِيمِيُّ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أُتِيَ بِلَحْمٍ فَرَفَعَ إِلَيْهِ الذَّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَهَشَّ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأُولَى وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصْرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيُلْغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَّغْنَاكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِأَدَمَ، فَيَأْتُونَ أَدَمَ Σ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا؟ فَيَقُولُ أَدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَأَلَكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي Δ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ

الله وَحَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ - فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الْحَدِيثِ - نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى فَيَأْتُونَ، مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَصَلِّكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُوْمَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلِمَتِ النَّاسِ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ﷻ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ حَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَنْفَعْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ازْفَعُ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفِّعْ فَارْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ادْخُلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِي مَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمَصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِعِ الْجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحَمِيرَ - أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى -».

قال النووي رحمته الله (3/ 69): «قوله: «إن ما بين المصرعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى»، «المصرعان» بكسر الميم جانبا الباب، «وهجر» بفتح الهاء والجيم وهي مدينة عظيمة هي قاعدة بلاد البحرين، قال الجوهري في صحاحه: «هجر» اسم بلد مذكر مصروف قال: والنسبة إليه «هاجري»، وقال أبو القاسم الزجاجي في الجمل: «هجر» يذكر ويؤنث. قلت: وهجر هذه غير هجر المذكورة في حديث «إذا بلغ الماء قلتين بقلال هجر» تلك قرية من قرى المدينة كانت القلال تصنع بها وهي غير مصروفة، وقد أوضحتها في أول شرح المهذب.

وأما «بصرى» فبضم الباء وهي مدينة معروفة بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل، وهي مدينة حوران بينها وبين مكة شهر.

قوله رحمته الله: «ألا تقولون كيفه». قالوا: كيفه يا رسول الله صلوات الله عليه؛ هذه الهاء هي هاء السكت تلحق في الوقف. وأما قول الصحابة: «كيفه يا رسول الله صلوات الله عليه» فأثبتوا الهاء في حالة الدرج ففيها وجهان حكاهما صاحب التحرير وغيره، أحدهما: أن من العرب من يجري الدرج مجرى الوقف، والثاني: أن الصحابة قصدوا اتباع لفظ النبي صلوات الله عليه الذي حثهم عليه فلو قالوا: «كيف» لما كانوا سائلين عن اللفظ الذي حثهم عليه. والله أعلم.

مثل الأمراء مع الناس

قال الإمام مسلم رحمته الله (1753): وحدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح، أخبرنا عبد الله بن وهب، أخبرني معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن

جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ حَمِيرٍ رَجُلًا مِنَ الْعَدُوِّ، فَأَرَادَ سَلْبَهُ، فَمَنَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَكَانَ وَالِيًّا عَلَيْهِمْ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ خَالِدٌ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلْبَهُ؟» قَالَ: اسْتَكْرَهْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «ادْفَعْهُ إِلَيْهِ»، فَمَرَّ خَالِدُ بِعَوْفٍ، فَجَرَّ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ أَنْجَزْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَغْضَبَ، فَقَالَ: «لَا تُعْطِيهِ يَا خَالِدُ، لَا تُعْطِيهِ يَا خَالِدُ، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أُمْرَائِي؟ إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتُرِعِيَ إِبِلًا، أَوْ غَنَمًا، فَرَعَاهَا، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقِيهَا، فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا، فَشَرَبَتْ فِيهِ فَشَرِبَتْ صَفْوَهُ، وَتَرَكَتْ كَدْرَهُ، فَصَفْوَهُ لَكُمْ، وَكَدْرَهُ عَلَيْهِمْ».

قال النووي رحمه الله (202/6): «(فصفوه لكم) يعني الرعية» (وكدره عليهم) يعني: على الأمراء، قال أهل اللغة: «الصفو» هنا بفتح الصاد لا غير، وهو الخالص، فإذا أحقوه الهاء فقالوا: الصفوة، كانت الصاد مضمومة ومفتوحة ومكسورة ثلاث لغات.

ومعنى الحديث: أن الرعية يأخذون صفو الأمور، فتصلهم أعطياتهم بغير نكد، وتبتلى الولاة بمقاساة الأمور، وجمع الأموال على وجوهها، وصر فيها في وجوهها، وحفظ الرعية والشفقة عليهم، والذب عنهم، وإنصاف بعضهم من بعض، ثم متى وقع علقه أو عتب في بعض ذلك؛ توجه على الأمراء دون الناس».

مثل الفتن كمواقع القطر

قال الإمام البخاري رحمه الله (1779): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ، سَمِعْتُ أُسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أُطَمٍ، مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى، إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ

خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَا وَقَعَ الْقَطْرِ».

تَابَعَهُ مَعْمَرٌ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ. وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ (2885).

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري (20 / 65): «وإنما اختصت المدينة بذلك لأنَّ قتل عثمان رضي الله عنه كان بها، ثم انتشرت الفتنة في البلاد بعد ذلك، فالقتال بالجمل وبصفيين كان بسبب قتل عثمان، والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفيين وكلَّ قتال وقع في ذلك العصر إنما تولد عن شيء من ذلك أو عن شيء تولد عنه.

ثم أن قتل عثمان كان أشدَّ أسبابه الطعن على أمرائه ثم عليه بتوليته لهم، وأوَّل ما نشأ ذلك من العراق وهي من جهة المشرق فلا منافاة بين حديث الباب وبين الحديث الآتي أن الفتنة من قبل المشرق، وحسن التشبيه بالمطر لإرادة التعميم لأنَّه إذا وقع في أرض معينة عمَّها ولو في بعض جهاتها.

قال ابن بطال: أُنذِر النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم في حديث زينب بقرب قيام الساعة كي يتوبوا قبل أن تهجم عليهم، وقد ثبت أن خروج يأجوج ومأجوج قرب قيام الساعة فإذا فتح من ردمهم ذاك القدر في زمنه صلى الله عليه وسلم لم يزل الفتح يتسع على مرَّ الأوقات، وقد جاء في حديث أبي هريرة رفعه «وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ، مَاتُوا إِنْ اسْتَطَعْتُمْ».

قال: وهذا غاية في التحذير من الفتنة والخوض فيها حيث جعل الموت خيراً من مباشرتها، وأخبر في حديث أسامة بوقوع الفتنة خلال البيوت ليتأهبوا لها فلا يخوضوا فيها ويسألوا الله الصبر والنَّجاة من شرِّها».

قال النووي رحمته الله في شرح مسلم (9 / 262): «قوله: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْرَفَ عَلَى أَطَمٍ مِنْ أَطَامِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟ إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بَيْوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ»، «الأطم» بضمّ الهمزة والطاء هو القصر والحصن، وجمعه أطام.

ومعنى «أشرف» علا وارتفع والتشبيه بمواقع القطر في الكثرة والعموم، أي إنّها كثيرة، وتعمّ الناس لا تختصّ بها طائفة، وهذا إشارة إلى الحروب الجارية بينهم، كوقعة الجمل، وصفين، والحرّة، ومقتل عثمان، ومقتل الحسين رضي الله عنهما، وغير ذلك وفيه معجزة ظاهرة له صلى الله عليه وسلم.

مثل العبادة في المهرج

قال الإمام مسلم رحمته الله (2948): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْعِبَادَةُ فِي الْمَهْرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ».

قال النووي رحمته الله (9 / 339): «قوله صلى الله عليه وسلم: «العبادة في المهرج كهجرة إلي» المراد بالمهرج هنا الفتنة واختلاط أمور الناس. وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها، ويشغلون عنها، ولا يتفرغ لها إلا أفراد».

مثل من يبقى بعد ذهاب الصالحين

قال الإمام البخاري (6434): حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ بَيَانَ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ مِرْدَاسِ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ، الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفَالَةً كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ، أَوْ التَّمْرِ، لَا يُبَالِيهِمُ اللَّهُ

بَالَةً».

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «يُقَالُ حُفَالَةٌ وَحُثَالَةٌ».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري (18/247): «قوله: «يذهب الصالحون الأول فالأول» في رواية عبد الواحد بن غياث عن أبي عوانة عند الإسماعيلي «يقبض» بدل يذهب والمراد قبض أرواحهم، وعنده من رواية خالد الطحان عن بيان «يذهب الصالحون أسلافًا ويقبض الصالحون الأول فالأول» والثانية تفسير للأولى.

قوله: «ويبقى حثالة أو حفالة» هو شك هل هي بالثاء المثلثة أو بالفاء والحاء المهملة في الحالين ووقع في رواية عبد الواحد «حثالة» بالمثلثة جزماً.

قوله: «كحثالة الشعير أو التمر» يحتمل الشك ويحتمل التنويع، وقع في رواية عبد الواحد «كحثالة الشعير» فقط، وفي رواية «حتى لا يبقى إلا مثل حثالة التمر والشعير» زاد غير أبي ذر من رواة البخاري: قال أبو عبد الله وهو البخاري حثالة وحثالة يعني أنهما بمعنى واحد.

وقال الخطابي: الحثالة بالفاء وبالمثلثة الرديء من كل شيء، وقيل آخر ما يبقى من الشعير والتمر وأردؤه، وقال ابن التين: الحثالة سقط الناس، وأصلها ما يتساقط من قشور التمر والشعير وغيرهما.

وقال الداودي: ما يسقط من الشعير عند الغرلة ويبقى من التمر بعد الأكل. ووجدت لهذا الحديث شاهداً من رواية الفزارية امرأة عمر بلفظ «تذهبون الخير فالخير حتى لا يبقى منكم إلا حثالة كحثالة التمر ينزو بعضهم على بعض نزو

المعز» أخرجه أبو سعيد بن يونس في «تاريخ مصر» وليس فيه تصريح برفعه لكن له حكم المرفوع.

قوله: «لا يباليهم الله بالة» قال الخطابي: أي لا يرفع لهم قدرًا ولا يقيم لهم وزنًا، يقال باليت بفلانٍ وما باليت به مبالاة وبالية وبالة. وقال غيره: أصل بالة بالية فحذفت الياء تخفيفًا. وتعقب قول الخطابي بأن بالية ليس مصدرًا لباليت وإنما هو اسم مصدره. وقال أبو الحسن القاسبي: سمعته في الوقف بالة، ولا أدري كيف هو في الدرج، والأصل باليته بالة فكأن الألف حذفت في الوقف. كذا قال، وتعقبه ابن التين بأنه لم يسمع في مصدره بالة.

قال: ولو علم القاسبي ما نقله الخطابي أن بالة مصدر م صار لما احتاج إلى هذا التكلف. قلت: تقدم في المغازي من رواية عيسى بن يونس عن بيان بلفظ «لا يعبأ الله بهم شيئًا» وفي رواية عبد الواحد «لا يبالي الله عنهم» وكذا في رواية خالد الطحان، و«عن» هنا بمعنى الباء يقال ما باليت به وما باليت عنه، وقوله يعبأ بالمهملة الساكنة والموحدة مهموز أي لا يبالي، وأصله من العبء بالكسر ثم الموحدة مهموز وهو الثقل فكأن معنى لا يعبأ به أنه لا وزن له عنده. ووقع في آخر حديث الفزارية المذكور أنفاً «على أولئك تقوم الساعة».

قال ابن بطال: في الحديث أن موت الصالحين من أسراط الساعة. وفيه النذب إلى الاقتداء بأهل الخير، والتحذير من مخالفتهم خشية أن يصير من خالفهم ممن لا يعبأ الله به. وفيه أنه يجوز انقراض أهل الخير في آخر الزمان حتى لا يبقى إلا أهل الشر، واستدل به على جواز خلو الأرض من عالم حتى لا يبقى إلا أهل الجهل صرفًا.

مثل الذي يأتي الجمعة

قال الإمام أحمد رحمته الله (10568): حَدَّثَنَا يَزِيدُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرَبِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَقَفَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ، فَيَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، فَمَثَلُ الْمُهَجَّرِ إِلَى الْجُمُعَةِ، كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي بَدَنَةً، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقْرَةً، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي كَبْشًا، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي دَجَاجَةً، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ وَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ، طَوَّأُوا صُحُفَهُمْ، وَجَلَسُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ».

قال الإمام البخاري (881): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ سُمَيٍّ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي صَالِحِ السَّمَّانِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقْرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في شرح هذا الحديث بتوسع (3/ 285): «قوله:

«من اغتسل» يدخل فيه كل من يصح التقرب منه من ذكر أو أنثى حر أو عبد.

قوله: «غسل الجنابة» بالنصب على أنه نعت لمصدرٍ محذوف أي غسلًا كغسل

الجنابة، وهو كقوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: 88]، وفي رواية ابن

جريح عن سمي عند عبد الرزاق «فاغتسل أحدكم كما يغتسل من الجنابة»

وظاهره أن التشبيه للكيفية لا للحكم وهو قول الأكثر، وقيل فيه إشارة إلى الجماع يوم الجمعة ليغتسل فيه من الجنابة، والحكمة فيه أن تسكن نفسه في الرواح إلى الصلاة ولا تمتد عينه إلى شيء يراه، وفيه حمل المرأة أيضًا على الاغتسال ذلك اليوم، وعليه حمل قائل ذلك حديث «من غسل واغتسل» المخرج في السنن على رواية من روى غسل بالتشديد.

قال النووي: ذهب بعض أصحابنا إلى هذا وهو ضعيف أو باطل، والصواب الأول. انتهى. وقد حكاه ابن قدامة عن الإمام أحمد، وثبت أيضًا عن جماعة من التابعين، وقال القرطبي: إنه أنسب الأقوال فلا وجه لادعاء بطلانه وإن كان الأول أرجح ولعله عنى أنه باطل في المذهب.

قوله: «ثم راح» زاد أصحاب الموطأ عن مالك «في الساعة الأولى».

قوله: «فكأنما قرب بدنة» أي تصدق بها متقربًا إلى الله، وقيل المراد أن للمبادر في أول ساعة نظير ما لصاحب البدنة من الثواب ممن شرع له القربان، لأن القربان لم يشرع لهذه الأمة على الكيفية التي كانت للأمم السالفة. وفي رواية ابن جريج المذكورة «فله من الأجر مثل الجزور» وظاهره أن المراد أن الثواب لو تجسد لكان قدر الجزور. وقيل ليس المراد بالحديث إلا بيان تفاوت المبادرين إلى الجمعة، وأن نسبة الثاني من الأول نسبة البقرة إلى البدنة في القيمة مثلاً، ويدل عليه أن في مرسل طاوس عند عبد الرزاق «كفضل صاحب الجزور على صاحب البقرة».

ووقع في رواية الزهري الآتية في «باب الاستماع إلى الخطبة» بلفظ «كمثل الذي يهدي بدنة» فكأن المراد بالقربان في رواية الباب الإهداء إلى الكعبة. قال الطيبي: في

لفظ الإهداء إدماج بمعنى التعظيم للجمعة، وأن المبادر إليها كمن ساق الهدى، والمراد بالبدنة البعير ذكراً كان أو أنثى، والهاء فيها للوحدة لا للتأنيث، وكذا في باقي ما ذكر. وحكى ابن التين عن مالك أنه كان يتعجب ممن يخص البدنة بالأنثى.

وقال الأزهري في شرح ألفاظ المختصر: البدنة لا تكون إلا من الإبل، وصح ذلك عن عطاء، وأما الهدى فمن الإبل والبقر والغنم، هذا لفظه. وحكى النووي عنه أنه قال: البدنة تكون من الإبل والبقر والغنم، وكأنه خطأ نشأ عن سقط. وفي الصحاح: البدنة ناقة أو بقرة تنحر بمكة، سميت بذلك لأنهم كانوا يسمونها. انتهى. والمراد بالبدنة هنا الناقة بلا خلاف، واستدل به على أن البدنة تختص بالإبل لأنها قوبلت بالبقرة عند الإطلاق، وقسم الشيء لا يكون قسيمه، أشار إلى ذلك ابن دقيق العيد.

وقال إمام الحرمين: البدنة من الإبل، ثم الشرع قد يقيم مقامها البقرة وسبعاً من الغنم. وتظهر ثمرة هذا فيما إذا قال: لله علي بدنة، وفيه خلاف، الأصح تعين الإبل إن وجدت، وإلا فالبقرة أو سبع من الغنم. وقيل: تتعين الإبل مطلقاً، وقيل يتخير مطلقاً....

قوله: «فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» استنبط منه الماوردي أن التبكير لا يستحب للإمام، قال: ويدخل للمسجد من أقرب أبوابه إلى المنبر، وما قاله غير ظاهر لإمكان أن يجمع الأمرين بأن يبكر ولا يخرج من المكان المعد له في الجامع إلا إذا حضر الوقت، أو يحمل على من ليس له مكان معد.

وزاد في رواية الزهري الآتية «طووا صحفهم» ولمسلم من طريقه «فإذا جلس

الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر» وكأن ابتداء طي الصحف عند ابتداء خروج الإمام وانتهائه بجلوسه على المنبر، وهو أول سماعهم للذكر، والمراد به ما في الخطبة من المواعظ وغيرها. وأول حديث الزهري «إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول» ونحوه في رواية ابن عجلان عن سمي عند النسائي.

وفي رواية العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عند ابن خزيمة «على كل بابٍ من أبواب المسجد ملكان يكتبان الأول فالأول» فكأن المراد بقوله في رواية الزهري «على باب المسجد» جنس الباب، ويكون من مقابلة المجموع بالمجموع، فلا حجة فيه لمن أجاز التعبير عن الاثنين بلفظ الجمع. ووقع في حديث ابن عمر صفة الصحف المذكورة، أخرجه أبو نعيم في الحلية مرفوعاً بلفظ «إذا كان يوم الجمعة بعث الله ملائكة بصفح من نورٍ وأقلام من نورٍ» الحديث.

وهو دال على أن الملائكة المذكورين غير الحفظة، والمراد بطي الصحف طي صحف الفضائل المتعلقة بالمبادرة إلى الجمعة دون غيرها من سماع الخطبة وإدراك الصلاة والذكر والدعاء والخشوع ونحو ذلك، فإنه يكتبه الحافظان قطعاً، ووقع في رواية ابن عيينة عن الزهري في آخر حديثه المشار إليه عند ابن ماجه «فمن جاء بعد ذلك فإنما يجيء لحق الصلاة» وفي رواية ابن جريج عن سمي من الزيادة في آخره «ثم إذا استمع وأنصت غفر له ما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام».

وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عند ابن خزيمة «فيقول بعض الملائكة لبعضٍ: ما حبس فلاناً؟ فتقول: اللهم إن كان ضالاً فاهده، وإن كان فقيراً فأغنّه، وإن كان مريضاً فعافه».

وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم: الحض على الاغتسال يوم الجمعة وفضله، وفضل التبكير إليها، وأن الفضل المذكور إنما يحصل لمن جمعها. وعليه يحمل ما أطلق في باقي الروايات من ترتب الفضل على التبكير من غير تقييد بالغسل. وفيه أن مراتب الناس في الفضل بحسب أعمالهم، وأن القليل من الصدقة غير محتقر في الشرع، وأن التقرب بالإبل أفضل من التقرب بالبقر وهو بالاتفاق في الهدى، واختلف في الضحايا، والجمهور على أنها كذلك.

وقال الزين ابن المنير: فرق مالك بين التقريين باختلاف المقصودين، لأن أصل مشروعية الأضحية التذكير بقصة الذبيح، وهو قد فدى بالغنم. والمقصود بالهدى التوسعة على المساكين فناسب البدن. واستدل به على أن الجمعة تصح قبل الزوال كما سيأتي نقل الخلاف فيه بعد أبواب، ووجه الدلالة منه تقسيم الساعة إلى خمس. ثم عقب بخروج الإمام، وخروجه عند أول وقت الجمعة، فيقتضي أنه يخرج في أول الساعة السادسة وهي قبل الزوال.

والجواب أنه ليس في شيء من طرق هذا الحديث ذكر الإتيان من أول النهار، فلعل الساعة الأولى منه جعلت للتأهب بالاغتسال وغيره، ويكون مبدأ المجيء من أول الثانية فهي أولى بالنسبة للمجيء ثانية بالنسبة للنهار، وعلى هذا فآخر الخامسة أول الزوال فيرتفع الإشكال، وإلى هذا أشار الصيدلاني شارح المختصر حيث قال: إن أول التبكير يكون من ارتفاع النهار، وهو أول الضحى، وهو أول الهاجرة. ويؤيده الحث على التهجير إلى الجمعة.

ولغيره من الشافعية في ذلك وجهان اختلف فيهما الترجيح، فقيل: أول التبكير

طلوع الشمس، وقيل طلوع الفجر، ورجحه جمع، وفيه نظر إذ يلزم منه أن يكون التأهب قبل طلوع الفجر، وقد قال الشافعي: يجزئ الغسل إذا كان بعد الفجر فأشعر بأن الأولى أن يقع بعد ذلك. ويحتمل أن يكون ذكر الساعة السادسة لم يذكره الراوي، وقد وقع في رواية ابن عجلان عن سمي عند النسائي من طريق الليث عنه زيادة مرتبة بين الدجاجة والبيضة وهي العصفور، وتابعه صفوان بن عيسى عن ابن عجلان، أخرجه محمد بن عبد السلام الحشني، وله شاهدٌ من حديث أبي سعيد أخرجه حميد بن زنجويه في الترغيب له بلفظ «فكمهدي البدنة إلى البقرة إلى الشاة إلى علية الطير إلى العصفور» الحديث، ونحوه في مرسل طاوسٍ عند سعيد بن منصور.

ووقع عند النسائي أيضًا في حديث الزهري من رواية عبد الأعلى عن معمر زيادة البطة بين الكبش والدجاجة، لكن خالفه عبد الرزاق، وهو أثبت منه في معمر فلم يذكرها، وعلى هذا فخرج الإمام يكون عند انتهاء السادسة، وهذا كله مبني على أن المراد بالساعات ما يتبادر الذهن إليه من العرف فيها، وفيه نظر إذ لو كان ذلك المراد لاختلف الأمر في اليوم الشاتي والصائف، لأن النهار ينتهي في القصر إلى عشر ساعات وفي الطول إلى أربع عشرة، وهذا الإشكال للقفال، وأجاب عنه القاضي حسين بأن المراد بالساعات ما لا يختلف عدده بالطول والقصر، فالنهار اثنتا عشرة ساعة لكن يزيد كل منها وينقص والليل كذلك، وهذه تسمى الساعات الآفاقية عند أهل الميقات وتلك التعديلية.

وقد روى أبو داود والنسائي وصححه الحاكم من حديث جابر مرفوعاً «يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة» وهذا وإن لم يرد في حديث التبكير فيستأنس به في المراد

بالساعات، وقيل المراد بالساعات بيان مراتب المبكرين من أول النهار إلى الزوال وأنها تنقسم إلى خمس، وتجاسر الغزالي فقسّمها برأيه فقال: الأولى من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، والثانية إلى ارتفاعها، والثالثة إلى انبساطها، والرابعة إلى أن ترمض الأقدام، والخامسة إلى الزوال.

واعترضه ابن دقيق العيد بأن الرد إلى الساعات المعروفة أولى وإلا لم يكن لتخصيص هذا العدد بالذكر معنى لأن المراتب متفاوتة جدا، وأولى الأجوبة الأول إن لم تكن زيادة ابن عجلان محفوظة، وإلا فهي المعتمدة. وانفصل المالكية إلا قليلاً منهم وبعض الشافعية عن الإشكال بأن المراد بالساعات الخمس لحظات لطيفة أولها زوال الشمس وآخرها قعود الخطيب على المنبر، واستدلوا على ذلك بأن الساعة تطلق على جزء من الزمان غير محدود، تقول جئت ساعة كذا، وبأن قوله في الحديث «ثم راح» يدل على أن أول الذهاب إلى الجمعة من الزوال، لأن حقيقة الرواح من الزوال إلى آخر النهار، والغدو من أوله إلى الزوال. قال المازري: تمسك مالك بحقيقة الرواح وتجاوز في الساعة وعكس غيره. انتهى.

وقد أنكر الأزهري على من زعم أن الرواح لا يكون إلا بعد الزوال، ونقل أن العرب تقول «راح» في جميع الأوقات بمعنى ذهب، قال: وهي لغة أهل الحجاز، ونقل أبو عبيد في «الغريين» نحوه.

قلت: وفيه رد على الزين ابن المنير حيث أطلق أن الرواح لا يستعمل في المضي في أول النهار بوجه، وحيث قال إن استعمال الرواح بمعنى الغدو لم يسمع ولا ثبت ما يدل عليه. ثم إنني لم أر التعبير بالرواح في شيء من طرق هذا الحديث إلا في

رواية مالك هذه عن سمي، وقد رواه ابن جريج عن سمي بلفظ «غدا» ورواه أبو سلمة عن أبي هريرة بلفظ «المتعجل إلى الجمعة كالمهدي بدنة» الحديث وصححه ابن خزيمة، وفي حديث سمرة «ضرب رسول الله ﷺ مثل الجمعة في التبكير كناحر البدنة» الحديث، أخرجه ابن ماجه، ولأبي داود من حديث علي مرفوعاً «إذا كان يوم الجمعة غدت الشياطين برياتها إلى الأسواق، وتغدو الملائكة فتجلس على باب المسجد فتكتب الرجل من ساعة والرجل من ساعتين» الحديث.

فدل مجموع هذه الأحاديث على أن المراد بالرواح الذهاب، وقيل: النكته في التعبير بالرواح الإشارة إلى أن الفعل المقصود إنما يكون بعد الزوال، فيسمى الذهاب إلى الجمعة رائحاً وإن لم يجيء وقت الرواح، كما سمي القاصد إلى مكة حاجاً. وقد اشتد إنكار أحمد وابن حبيب من المالكية ما نقل عن مالك من كراهية التبكير إلى الجمعة وقال أحمد: هذا خلاف حديث رسول الله ﷺ.

واحتج بعض المالكية أيضاً بقوله في رواية الزهري «مثل المهجر» لأنه مشتق من التهجير وهو السير في وقت الهاجرة، وأجيب بأن المراد بالتهجير هنا التبكير كما تقدم نقله عن الخليل في المواقيت، وقال ابن المنير في الحاشية: يحتمل أن يكون مشتقاً من الهجير بالكسر وتشديد الجيم وهو ملازمة ذكر الشيء، وقيل: هو من هجر المنزل وهو ضعيف لأن مصدره الهجر لا التهجير. وقال القرطبي: الحق أن التهجير هنا من الهاجرة وهو السير وقت الحر، وهو صالح لما قبل الزوال وبعده، فلا حجة فيه لمالك.

وقال التوربشتي: جعل الوقت الذي يرتفع فيه النهار ويأخذ الحر في الازدياد من الهاجرة تغليياً، بخلاف ما بعد زوال الشمس فإن الحر يأخذ في الانحطاط، ومما

يدل على استعمالهم التهجير في أول النهار ما أنشد ابن الأعرابي في نوادره لبعض العرب تهجرون تهجير الفجر واحتجوا أيضًا بأن الساعة لو لم تطل لزم تساوي الآتين فيها، والأدلة تقتضي رجحان السابق، بخلاف ما إذا قلنا إنها لحظة لطيفة.

والجواب ما قاله النووي في شرح المذهب تبعًا لغيره. أن التساوي وقع في مسمى البدنة والتفاوت في صفاتها، ويؤيده أن في رواية ابن عجلان تكرير كل من المتقرب به مرتين حيث قال «كرجلٍ قدم بدنة، وكرجلٍ قدم بدنة» الحديث ولا يرد على هذا أن في رواية ابن جريج «وأول الساعة وآخرها سواء» لأن هذه التسوية بالنسبة إلى البدنة كما تقرر. واحتج من كره التبكير أيضًا بأنه يستلزم تحطي الرقاب في الرجوع لمن عرضت له حاجة فخرج لها ثم رجع، وتعقب بأنه لا حرج عليه في هذه الحالة لأنه قاصد للوصول لحقه. وإنما الحرج على من تأخر عن المجيء ثم جاء فتخطى، والله أعلم.

قال النووي رحمته الله (217/3): «قوله رحمته الله: «مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقْرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الدُّكْرَ».

أما لغات هذا الفصل فمعنى «قرب» تصدق. وأما «البدنة» فقال جمهور أهل اللغة وجماعة من الفقهاء: يقع على الواحدة من الإبل والبقر والغنم، سميت بذلك لعظم بدنها، وخصها جماعة بالإبل، والمراد هنا الإبل بالاتفاق لتصريح الأحاديث

بذلك. والبدنة والبقرة يقعان على الذكر والأنثى باتفاقهم، والهاء فيها للواحدة كقمحةٍ وشعيرة ونحوهما من أفراد الجنس. وسميت بقرة لأنها تبقر الأرض أي تشقها بالحرثة. والبقر: الشق ومنه قولهم: بقر بطنه، ومنه سمي محمد الباقر عليه السلام؛ لأنه بقر العلم ودخل فيه مدخلاً بليغاً، ووصل منه غاية مرضية.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «كباشاً أقرن». وصفه بالأقرن لأنه أكمل وأحسن صورة ولأن قرنه ينتفع به. والدجاجة بكسر الدال وفتحها لغتان مشهورتان، ويقع على الذكر والأنثى، ويقال: حضرت الملائكة وغيرهم بفتح الضاد وكسرهما لغتان مشهورتان الفتح أفصح وأشهر، وبه جاء القرآن قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَصَرَ الْقَيْسَمَةَ﴾ [النساء: 8]، وأما فقه الفصل:

ففيه: الحث على التبكير إلى الجمعة وأن مراتب الناس في الفضيلة فيها وفي غيرها بحسب أعمالهم، وهو من باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ [الحجرات: 13].

وفيه: أن القربان والصدقة يقع على القليل والكثير. وقد جاء في رواية النسائي بعد الكبش «بطة ثم دجاجة ثم بيضة» وفي رواية بعد الكبش «دجاجة ثم عصفور ثم بيضة» وإسنادا الروایتين صحيحان.

وفيه: أن التضحية بالإبل أفضل من البقرة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قدم الإبل وجعل البقرة في الدرجة الثانية، وقد أجمع العلماء على أن الإبل أفضل من البقر في الهدايا، واختلفوا في الأضحية فمذهب الشافعي وأبي حنيفة والجمهور أن الإبل، أفضل ثم البقر ثم الغنم كما في الهدايا، ومذهب مالك أن أفضل الأضحية الغنم ثم البقر

ثم الإبل قالوا: لأن النبي ﷺ ضحى بكبشين، وحجة الجمهور ظاهر هذا الحديث والقياس على الهدايا، وأما تضحيته ﷺ فلا يلزم منها ترجيح الغنم؛ لأنه محمول على أنه ﷺ لم يتمكن ذلك الوقت إلا من الغنم أو فعله لبيان الجواز، وقد ثبت في الصحيح أنه ﷺ ضحى عن نسائه بالبقر.

مثل الذي يصوم ثلاثة أيام من الشهر

قال الإمام البخاري (3419): حَدَّثَنَا خَلَادُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ، حَدَّثَنَا حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَمْ أُبَأْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمَتِ الْعَيْنُ، وَنَفَهَتِ النَّفْسُ، صُمَّ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَذَلِكَ صَوْمُ الدَّهْرِ، أَوْ كَصَوْمِ الدَّهْرِ» قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ بِي، - قَالَ مِسْعَرٌ يَعْنِي قُوَّةً - قَالَ: «فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ ﷺ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَلَا يَفِرُّ إِذَا لَاقَى».

وذلك لأن الحسنة بعشر أمثالها وقد جاء مصرحاً بذلك في بعض الروايات. قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ (1976): حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، قَالَ: أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَنِّي أَقُولُ: وَاللَّهِ لَأَصُومَنَّ النَّهَارَ، وَلَا أَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عَشْتُ، فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتَهُ بِأبي أنتَ وأمي قَالَ: «فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَصُمْ وَنَمْ، وَصُمْ مِنْ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ».

مثل الصيام كالجنة

قال الإمام البخاري (1894): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «الصَّيَامُ جُنَّةٌ فَلَا يَرْفُثُ وَلَا يَجْهَلُ، وَإِنْ أَمْرٌ وَقَاتَلَهُ أَوْ شَامَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لُحْلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِ الصَّيَامِ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالْحَسَنَةُ بَعِشْرَ أَمْثَالِهَا».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري (6/129): «قوله: «الصيام جنة» زاد سعيد بن منصور عن مغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد «جنة من النار» وللنسائي من حديث عائشة مثله، وله من حديث عثمان بن أبي العاص «الصيام جنة كجنة أحدكم من القتال» ولأحمد من طريق أبي يونس عن أبي هريرة «جنة وحصن حصين من النار» وله من حديث أبي عبيدة بن الجراح «الصيام جنة ما لم يخرقها» زاد الدارمي «بالغيبية» وبذلك ترجم له هو وأبو داود، والجنة بضم الجيم الوقاية والستر. وقد تبين بهذه الروايات متعلق هذا الستر وأنه من النار، وبهذا جزم ابن عبد البر. وأما صاحب «النهاية» فقال: معنى كونه جنة أي يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات.

وقال القرطبي: جنة أي ستر، يعني بحسب مشروعيته، فينبغي للصائم أن يصونه مما يفسده وينقص ثوابه، وإليه الإشارة بقوله «فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث إلخ»، ويصح أن يراد أنه ستره بحسب فائدته وهو إضعاف شهوات النفس، وإليه الإشارة بقوله «يدع شهوته» إلخ، ويصح أن يراد أنه ستره بحسب ما يحصل من الثواب وتضعيف الحسنات.

وقال عياض في «الإكمال»: معناه سترة من الآثام أو من النار أو من جميع ذلك، وبالأخير جزم النووي. وقال ابن العربي: إنما كان الصوم جنة من النار لأنه إمساك عن الشهوات، والنار مخوفة بالشهوات.

فالحاصل أنه إذا كف نفسه عن الشهوات في الدنيا كان ذلك ساترًا له من النار في الآخرة. وفي زيادة أبي عبيدة بن الجراح إشارة إلى أن الغيبة تضر بالصيام، وقد حكي عن عائشة، وبه قال الأوزاعي: إن الغيبة تفطر الصائم وتوجب عليه قضاء ذلك اليوم.

وأفرط ابن حزم فقال: يبطله كل معصية من متعمد لها ذاك لصومه سواء كانت فعلاً أو قولاً، لعموم قوله «فلا يرفث ولا يجهل» ولقوله في الحديث الآتي بعد أبواب «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»، والجمهور وإن حملوا النهي على التحريم إلا أنهم خصوا الفطر بالأكل والشرب والجماع.

وأشار ابن عبد البر إلى ترجيح الصيام على غيره من العبادات فقال: حسبك بكون الصيام جنة من النار فضلاً. وروى النسائي بسندٍ صحيح عن أبي أمامة قال «قلت يا رسول الله ﷺ مرني آخذه عنك، قال: عليك بالصوم فإنه لا مثل له» وفي رواية «لا عدل له» والمشهور عند الجمهور ترجيح الصلاة».

قال صاحب «عون المعبود» (431/10): «ولمّا كان الصّوم يسدّ عليه باب الشّهوات، ويضيّق مجاري الشّيطان: ولا سيّما باب الأخوفين: الفم والفرج، اللّذين ينشأ عنهما معظم الشّهوات: كان كالجنّة من النّار، فإنّه يتترّس به من سهام

إبليس».

قال ابن رجب [في «جامع العلوم والحكم» (8/29)]: «الصَّيَامُ جَنَّةٌ مَا لَمْ يَخْرُقْهَا»، وقوله: «ما لم يخرقها»، يعني: بالكلام السيء ونحوه، ولهذا في حديث أبي هريرة المخرج في «الصحيحين» عن النبي ﷺ: «الصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث، ولا يجهل، فإن امرؤ سابه فليقل: إني امرؤ صائم».

وقال بعض السلف: الغيبة تحرق الصيام، والاستغفار يرقعه، فمن استطاع منكم أن لا يأتي بصوم مخرقٍ فليفعل.

وقال ابن المنكدر: الصائم إذا اغتاب خرق، وإذا استغفر رقع».

مثل الإمام كالجنة

قال الإمام البخاري (2957): حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، أَنَّ الْأَعْرَجَ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ، سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِيعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعُصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي، وَإِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنِ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعَدْلٍ، فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا وَإِنِ قَالَ بِغَيْرِهِ فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ».

قال الإمام مسلم (1841): حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ، حَدَّثَنِي وَرْقَاءُ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ، يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيُتَّقَى بِهِ...».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري (9/134): «وقوله: «إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ» بضم الجيم أي سترة، لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين ويكف أذى بعضهم

عن بعض، والمراد بالإمام كل قائم بأمر الناس والله أعلم. وسيأتي بقية شرحه في كتاب الأحكام».

قال النووي رحمته الله [في «شرح مسلم» (627)]: «وقوله ﷺ: «إنما الإمام جنة» أي سائر لمن خلفه، ومانع من خلل يعرض لصلاتهم بسهولة أو مرور، أي كالجنة وهي الترس الذي يستر من ورائه ويمنع وصول مكروه إليه».

قال النووي رحمته الله [في «شرح مسلم» (315/6)]: «قوله: حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ، حَدَّثَنِي وَرْقَاءُ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ، يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيَتَّقَى بِهِ...».

هذا الحديث أول الفوات الثالث الذي لم يسمعه إبراهيم بن سفيان عن مسلم، بل رواه عنه بالإجازة ولهذا قال: عن مسلم، وقد قدمنا بيانه في الفصول السابقة في مقدمة هذا الشرح.

قوله ﷺ: «الإمام جنة» أي: كالستر؛ لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين، ويمنع الناس بعضهم من بعض، ويحمي بيضة الإسلام، ويتقيه الناس ويخافون سطوته، ومعنى يقاتل من ورائه أي: يقاتل معه الكفار والبغاة والخوارج وسائر أهل الفساد والظلم مطلقاً، والتاء في «يتقى» مبدلة من الواو لأن أصلها من الوقاية».

مثل الصوم كالجنة ومثل إطفاء الصدقة الخطيئة

قال الإمام الترمذي رحمته الله (2616): حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذِ الصَّنَعَائِي، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ،

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ: الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ قَالَ: ثُمَّ تَلَا ﴿ نَجَّافِي جُنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾، حَتَّى بَلَغَ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: 16، 17]، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَكَ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِدُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ.

هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ..

قال الألباني رحمته الله: صحيح.

قال ابن رجب [في «جامع العلوم والحكم» (8/29)]: «الصَّيَامُ جَنَّةٌ مَا لَمْ يَخْرِقْهَا»، وقوله: «ما لم يخرقها»، يعني: بالكلام السيء ونحوه، ولهذا في حديث أبي هريرة المخرج في «الصحيحين» عن النبي ﷺ: «الصَّيَامُ جَنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرِفْ، وَلَا يَجْهَلْ، فَإِنْ أَمْرٌ سَابَهُ فَلْيَقِلْ: إِنْ أَمْرٌ صَاءَمَ».

وقال بعض السلف: الغيبة تخرق الصَّيَامَ، والاستغفار يرقعه، فمن استطاع منكم أن لا يأتي بصوم مخرقٍ فليفعل.

وقال ابن المنكدر: الصائم إذا اغتاب خرق، وإذا استغفر رقع.

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وقد قال الله Δ : ﴿إِنْ بُدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [البقرة: 271]، فدلّ على أنّ الصدقة يكفّر بها من السيئات: إما مطلقاً، أو صدقة السر.

قال المباركفوري [في «تحفة الأحوذى» (2/ 148)]: «والصدقة تطفئ الخطيئة» التي تجرّ إلى النار، يعني تذهبها وتمحو أثرها.

مثل خلوف فم الصائم

قال الإمام البخاري (1894): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الصَّيَامُ جُنَّةٌ فَلَا يَرُفُثُ وَلَا يَجْهَلُ، وَإِنْ أَمْرٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيُقَلِّ: إِيَّيَّ صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ. يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِ الصَّيَامِ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالْحَسَنَةُ بَعِشْرُ أَمْثَالِهَا».

قال ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [في «زاد المعاد» (4/ 293)]: «وأجمع الناس على أن الصائم يتمضمض وجوبا واستحبابا. والمضمضة أبلغ من السواك وليس لله غرض في التقرب إليه بالرائحة الكريهة ولا هي من جنس ما شرع التعبد به، وإنما ذكر طيب الخلوف عند الله يوم القيامة حثا منه على الصوم، لا حثا على إبقاء الرائحة بل الصائم أحوج إلى السواك من المفطر.

وأيضا فإن رضوان الله أكبر من استطابته لخلوف فم الصائم.

وأيضاً فإن محبته للسواك أعظم من محبته لبقاء خلوف فم الصائم.

وأيضاً فإن السواك لا يمنع طيب الخلوف الذي يزيله السواك عند الله يوم القيامة، بل يأتي الصائم يوم القيامة وخلوف فمه أطيب من المسك علامة على صيامه ولو أزاله بالسواك، كما أن الجريح يأتي يوم القيامة ولون دم جرحه لون الدم وريحه ريح المسك وهو مأمور بإزالته في الدنيا.

وأيضاً فإن الخلوف لا يزول بالسواك فإن سببه قائم وهو خلو المعدة عن الطعام، وإنما يزول أثره وهو المنعقد على الأسنان واللثة.

وأيضاً فإن النبي ﷺ علم أمته ما يستحب لهم في الصيام وما يكره لهم، ولم يجعل السواك من القسم المكروه وهو يعلم أنهم يفعلونه، وقد حضهم عليه بأبلغ ألفاظ العموم والشمول، وهم يشاهدونه يستاك وهو صائم مرارا كثيرة نفوت الإحصاء ويعلم أنهم يقتدون به ولم يقل لهم يوماً من الدهر: لا تستاكوا بعد الزوال؛ وتأخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع. والله أعلم.

مثل المجاهد في سبيل الله

قال الإمام أحمد رحمته الله [في «مسنده» (18401)]: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ سِمَاكِ، عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كَمَثَلِ الصَّائِمِ نَهَارَهُ الْقَائِمِ لَيْلَهُ، حَتَّى يَرْجِعَ مَتَى رَجَعَ».

مثل حرمة المسلم وعرضه

قال الإمام البخاري (67): حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ قَعَدَ

عَلَى بَعِيرِهِ، وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ - أَوْ بِزِمَامِهِ - قَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا»، فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا» فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بغيرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبْلَغَ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبْلَغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري (1/107): «قال القرطبي: سؤاله عن الثلاثة وسكوته بعد كل سؤال منها كان لاستحضار فهو مهم وليقبلوا عليه بكليتهم، وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه، ولذلك قال بعد هذا: فإن دماءكم إلخ، مبالغة في بيان تحريم هذه الأشياء. انتهى».

ومناط التشبيه في قوله: «كحرمة يومكم» وما بعده ظهوره عند السامعين؛ لأن تحريم البلد والشهر واليوم كان ثابتاً في نفوسهم مقررًا عندهم، بخلاف الأنفس والأموال والأعراض فكانوا في الجاهلية يستبيحونها، فطراً الشرع عليهم بأن تحريم دم المسلم وماله وعرضه أعظم من تحريم البلد والشهر واليوم، فلا يرد كون المشبه به أخفض رتبة من المشبه؛ لأن الخطاب إنما وقع بالنسبة لما اعتاده المخاطبون قبل تقرير الشرع».

قال الإمام البخاري (1739): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا فَضِيلُ بْنُ غَزْوَانَ، حَدَّثَنَا عِكْرَمَةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ،

قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟»، قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»، فَأَعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِهِ، - فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري (1/107): «فائدة: وقع في حديث الباب: «فسكتنا بعد السؤال». وعند المصنف في الحج من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر فقال: أي يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام. وظاهرهما التعارض، والجمع بينهما أن الطائفة الذين كان فيهم ابن عباس أجابوا، والطائفة الذين كان فيهم أبو بكر لم يجيبوا بل قالوا: الله ورسوله أعلم كما أشرنا إليه. أو تكون رواية ابن عباس بالمعنى؛ لأن في حديث أبي بكر عند المصنف في الحج وفي الفتن أنه لما قال: «أليس يوم النحر؟ قالوا: بلى». بمعنى قولهم يوم حرام بالاستلزام، وغايته أن أبا بكر نقل السياق بتامه، واختصره ابن عباس.

وكان ذلك كان بسبب قرب أبي بكر منه لكونه كان آخذًا بخطام الناقة. وقال بعضهم: يحتمل تعدد الخطبة، فإن أراد أنه كررها في يوم النحر فيحتاج لدليل، فإن في حديث ابن عمر عند المصنف في الحج أن ذلك كان يوم النحر بين الجمرات في حجته.

وفي هذا الحديث من الفوائد - غير ما تقدم -:

الحث على تبليغ العلم، وجواز التحمل قبل كمال الأهلية، وأن الفهم ليس شرطاً في الأداء، وأنه قد يأتي في الآخر من يكون أفهم ممن تقدمه لكن بقلّة، واستنبط ابن المنير من تعليل كون المتأخر أرجح نظراً من المتقدم أن تفسير الراوي أرجح من تفسير غيره.

وفيه جواز القعود على ظهر الدواب وهي واقفة إذا احتيج إلى ذلك، وحمل النهي الوارد في ذلك على ما إذا كان لغير ضرورة. وفيه الخطبة على موضع عالٍ ليكون أبلغ في إسماعه للناس ورؤيتهم إياه.

قال الإمام البخاري (1742): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا عَاصِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله بِمَنَى: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ: «فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ، أَتَدْرُونَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟»، قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «بَلَدٌ حَرَامٌ، أَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهْرٌ حَرَامٌ»، قَالَ: «فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا».

وَقَالَ هِشَامُ بْنُ الْغَازِ: أَخْبَرَنِي نَافِعٌ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، وَقَفَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الْجَمْرَاتِ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي حَجَّ بِهَذَا، وَقَالَ: «هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ» فَطَفِقَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» وَوَدَّعَ النَّاسَ، فَقَالُوا: هَذِهِ حَجَّةُ الْوَدَاعِ.

قال الإمام البخاري (4402، 4403): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَنَّ أَبَاهُ، حَدَّثَهُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ:

كُنَّا نَتَحَدَّثُ بِحَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَالنَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَلَا نَدْرِي مَا حَجَّةُ الْوَدَاعِ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ فَأُطْنَبَ فِي ذِكْرِهِ، وَقَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ، أَنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ، وَإِنَّهُ يُخْرِجُ فِيكُمْ، فَمَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ: أَنْ رَبَّكُمْ لَيْسَ عَلَى مَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ ثَلَاثًا، إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، إِلَّا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟». قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ - ثَلَاثًا - وَأَوْلِيكُمْ، أَنْظُرُوا، لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ».

قال الإمام الترمذي رحمته الله (3087): حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَلَّالُ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجُعْفِيُّ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ شَيْبِ بْنِ عَرْقَدَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْأَخْوَصِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَرَ وَوَعِظَ ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمٌ، أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمٌ، أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمٌ؟». قَالَ: فَقَالَ النَّاسُ: يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا».

مثل حرمة نساء المهاجرين

قال الإمام مسلم رحمته الله (1897): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثِدٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بَرِيدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ فَيُخُونُهُ فِيهِمْ، إِلَّا وَقَفَ لَهُ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ مِنْ عَمَلِهِ مَا شَاءَ، فَمَا ظَنُّكُمْ؟».

قال النووي رحمته الله (6/374): «قوله صلى الله عليه وسلم: «حرمة نساء المجاهدين على القاعدین كحرمة أمهاتهم» هذا في شيئين: أحدهما: تحريم التعرض لهن بريئة من نظر محرّم، وخلوة، وحديث محرّم، وغير ذلك. والثاني: في برهن والإحسان إليهن، وقضاء حوائجهن التي لا يترتب عليها مفسدة، ولا يتوصل بها إلى ريبة ونحوها.

قوله صلى الله عليه وسلم في الذي يخون المجاهد في أهله: «إن المجاهد يأخذ يوم القيامة من حسناته ما شاء فما ظنكم؟». معناه: ما تظنون في رغبته في أخذ حسناته، والاستكثار منها في ذلك المقام، أي: لا يبقى منها شيئاً إن أمكنه. والله أعلم.

مثل دخول العمرة في الحج

قال الإمام مسلم رحمته الله (1218): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، جَمِيعًا عَنْ حَاتِمٍ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَدِينِيُّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، فَسَأَلَ عَنِ الْقَوْمِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنٍ، فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى رَأْسِي فَنَزَعَ زُرِّي الْأَعْلَى، ثُمَّ نَزَعَ زُرِّي الْأَسْفَلَ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ ثَدْيَيْي وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ شَابٌّ، فَقَالَ: مَرَحَبًا بِكَ، يَا ابْنَ أَخِي، سَلْ عَمَّا شِئْتَ، فَسَأَلْتُهُ، وَهُوَ أَعْمَى، وَحَضَرَ وَقْتُ الصَّلَاةِ، فَقَامَ فِي نِسَاجَةٍ مُلْتَحِفًا بِهَا، كُلَّمَا وَضَعَهَا عَلَى مَنْكِبِهِ رَجَعَ طَرَفَاهَا إِلَيْهِ مِنْ صِغَرِهَا، وَرَدَاؤُهُ إِلَى جَنْبِهِ، عَلَى الْمُسْجَبِ، فَصَلَّى بِنَا، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ حَجَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: بِيَدِهِ فَعَقَدَ تِسْعًا، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذِنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشْرٌ كَثِيرٌ، كُلُّهُمْ

يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ، حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَوَلَدَتْ أَسْمَاءَ بِنْتَ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: «اغْتَسِلِي، وَاسْتَنْفِرِي بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي» فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ رَكِبَ الْقُصُوءَاءَ، حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ، نَظَرْتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ، مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ، فَأَهْلَ بِالتَّوْحِيدِ «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ، وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ» وَأَهْلَ النَّاسَ بِهَذَا الَّذِي يُهْلُونَ بِهِ، فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْهُ، وَلَزِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَلْبِيَّتَهُ، قَالَ جَابِرٌ رضي الله عنه: لَسْنَا نُنَوِي إِلَّا الْحَجَّ، لَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ، حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا الْبَيْتَ مَعَهُ، اسْتَلَمَ الرُّكْنَ فَرَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا، ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، فَقَرَأَ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: 125] فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَكَانَ أَبِي يَقُولُ - وَلَا أَعْلَمُهُ ذَكَرَهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - : كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصِّفَا، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصِّفَا قَرَأَ: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمُرْوَةَ مِنْ شَعَابِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 158] «أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ» فَبَدَأَ بِالصِّفَا، فَرَقِيَ عَلَيْهِ، حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللَّهُ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعَدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ» ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، قَالَ: مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمُرْوَةِ، حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى، حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى، حَتَّى أَتَى الْمُرْوَةَ، فَفَعَلَ

عَلَى الْمُرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ طَوَافِهِ عَلَى الْمُرْوَةِ، فَقَالَ: «لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسْقِ الْهُدْيَ، وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هُدْيٌ فَلْيَحِلَّ، وَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً»، فَقَامَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلِعَامِنَا هَذَا أَمْ لِأَبَدٍ؟ فَشَبَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِي الْأُخْرَى، وَقَالَ: «دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِي الْحُجِّ مَرَّتَيْنِ «لَا بَلَّ لِأَبَدٍ أَبَدٍ».

مثل العمرة في رمضان

قال الإمام مسلم رحمه الله (1256): وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ بْنُ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، يُحَدِّثُنَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لِامْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ سَمَّاهَا ابْنُ عَبَّاسٍ فَانْسَيْتُ اسْمَهَا «مَا مَنَعَكَ أَنْ تُحْبِي مَعَنَا؟» قَالَتْ: لَمْ يَكُنْ لَنَا إِلَّا نَاضِحَانِ فَحَجَّ أَبُو وَلَدِهَا وَابْنُهَا عَلَى نَاضِحٍ وَتَرَكَ لَنَا نَاضِحًا نَنْضِحُ عَلَيْهِ، قَالَ: «فَإِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَاعْتَمِرِي، فَإِنَّ عُمْرَةً فِيهِ تَعْدِلُ حَجَّةً».

قال النووي رحمه الله (4/358): «قوله رحمه الله: «فإن عمرة فيه» أي في رمضان «تعدل حجة»، وفي الرواية الأخرى: «تقضي حجة» أي تقوم مقامها في الثواب، لا أنها تعدلها في كل شيء، فإنه لو كان عليه حجة فاعتمر في رمضان لا تجزئه عن الحجة».

مثل الذي يعين قومه على غير الحق

قال الإمام أحمد رحمه الله (3801): حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمْرٍو، وَمُؤَمَّلٌ، قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سِمَاكِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي قَبَّةِ حَمْرَاءَ. - قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: مِنْ أَدَمٍ - فِي نَحْوٍ مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلًا، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ مَفْتُوحٌ عَلَيْكُمْ، مَنْصُورُونَ، وَمُصِيبُونَ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ، وَلْيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلْيَصِلْ رَحْمَهُ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَبْوَأَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَثَلُ الَّذِي يُعِينُ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ، كَمَثَلِ بَعِيرٍ رُدِّي فِي بَيْرٍ، فَهُوَ يَنْزِعُ مِنْهَا بِدَنْبِهِ».

الحديث في «السلسلة الصحيحة» (1383).

قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (3/371): «أخرجه أحمد (1/401): حدثنا عبد الملك بن عمرو ومؤمل قالوا: حدثنا سفيان عن سماك عن عبد الرحمن عن عبد الله قال: «انتهيت إلى النبي ﷺ وهو في قبة حمراء - قال عبد الملك: من آدم - في نحو من أربعين رجلا فقال...» فذكره. وكذلك أخرجه أبو داود في «سننه» (2/624 - 625 طبعة الحلبي) حدثنا ابن بشار حدثنا أبو عامر حدثنا سفيان به، إلى قوله «من آدم».

و قال عقبه: «فذكره نحوه». يعني نحو لفظ حديث زهير حدثنا سماك بن حرب بلفظ: «من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذي ردي فهو ينزع بدنبه»، فلم يسق الحديث بتمامه وأبو عامر هو عبد الملك بن عمرو العقدي، شيخ أحمد المتقدم.

وتابعه شعبة عن سماك بن حرب به، دون قوله «ومثل الذي...». أخرجه أحمد (1/436) والترمذي (رقم 2258) وقال: «حديث حسن صحيح» قلت: وهو كما قال، فإن إسناده صحيح، رجاله ثقات، ومن اقتصر على تحسينه فهو تقصير!

وتابعه المسعودي عن سماك به. أخرجه أحمد (1/ 389 و 436). وتابعه شريك عن سماك به مقتصرًا على قوله: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». أخرجه ابن ماجه (رقم 30)».

مثل الذي يمشي على قبر مسلم

قال الإمام مسلم رحمته الله (971): حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتُحْرَقَ ثِيَابُهُ، فَتُخْلَصَ إِلَى جِلْدِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرِ».

قال النووي رحمته الله (3/ 391): «لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتُحْرَقَ ثِيَابُهُ، فَتُخْلَصَ إِلَى جِلْدِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرِ»: قال أصحابنا: تجصيص القبر مكروه، والقعود عليه حرام، وكذا الاستناد إليه والاتكاء عليه.

وأما البناء عليه فإن كان في ملك الباني فمكروه، وإن كان في مقبرة مسبلة فحرام. نص عليه الشافعي والأصحاب.

قال الشافعي في الأم: ورأيت الأئمة بمكة يأمرؤن بهدم ما بينى، ويؤيد الهدم قوله: «ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته».

مثل قلة المسلمين في الأمم

قال الإمام البخاري (3348): حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْحَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ

بَعَثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعَثُ النَّارِ؟، قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ قَالَ: «أَبْشُرُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعْرَةِ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ».

قال الإمام مسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (221): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قُبَّةٍ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلًا، فَقَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قَالَ: قُلْنَا: نَعَمْ، فَقَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» فَقُلْنَا: نَعَمْ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشُّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ».

قال الإمام مسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (222): حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ الْعَبْسِيُّ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللَّهُ Δ: يَا آدَمُ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، قَالَ يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارِ قَالَ: وَمَا بَعَثُ النَّارِ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ قَالَ:

فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ» قَالَ: فَاسْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: «أَبَشِّرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا، وَمِنْكُمْ رَجُلٌ» قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا. ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا. ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ».

قال النووي رحمه الله (1/369): «قوله ﷺ: «كالرقمة في ذراع الحمار» هي بفتح الراء وإسكان القاف، قال أهل اللغة: الرقمتان في الحمار هما الأثران في باطن عضديه، وقيل: هي الدائرة في ذراعيه، وقيل: هي الهنة الناتئة في ذراع الدابة من داخل. والله أعلم».

مثل الذي يحج فلم يرفث ولم يفسق

قال الإمام البخاري (1424): حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا سَيَّارُ أَبُو الْحَكَمِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا حَازِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (5/157): «قوله: «من حج لله» في رواية منصور عن أبي حازم الآتية قبيل جزاء الصيد «من حج هذا البيت» ولسلم من طريق جريج عن منصور «من أتى هذا البيت» وهو يشمل الحج

والعمرة. وقد أخرجه الدارقطني من طريق الأعمش عن أبي حازم بلفظ «من حج أو اعتمر» لكن في الإسناد إلى الأعمش ضعف.

قوله: «فلم يرفث» الرفث الجماع، ويطلق على التعريض به وعلى الفحش في القول، وقال الأزهري: الرفث اسم جامع لكل ما يريد به الرجل من المرأة، وكان ابن عمر يخصه بما خوطب به النساء. وقال عياض: هذا من قول الله تعالى: ﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ [البقرة: 197]، والجمهور على أن المراد به في الآية الجماع انتهى. والذي يظهر أن المراد به في الحديث ما هو أعم من ذلك، وإليه نحا القرطبي، وهو المراد بقوله في الصيام «فإذا كان صوم أحدكم فلا يرفث».

فائدة: فاء الرفث مثلثة في الماضي والمضارع والأفصح الفتح في الماضي والضم في المستقبل والله أعلم.

قوله: «ولم يفسق» أي لم يأت بسيئة ولا معصية، وأغرب ابن الأعرابي فقال: إن لفظ الفسق لم يسمع في الجاهلية ولا في أشعارهم وإنما هو إسلامي، وتعقب بأنه كثر استعماله في القرآن وحكايته عن قبل الإسلام. وقال غيره: أصله انفسقت الرطبة إذا خرجت فسمي الخارج عن الطاعة فاسقاً.

قوله: «رجع كيوم ولدته أمه» أي بغير ذنب، وظاهره غفران الصغائر والكبائر والتبعات، وهو من أقوى الشواهد لحديث العباس بن مرداس المصرح بذلك، وله شاهد من حديث ابن عمر في تفسير الطبري، قال الطيبي: الفاء في قوله «فلم يرفث» معطوف على الشرط، وجوابه رجع أي صار، والجار والمجرور خبر له، ويجوز أن يكون حالاً أي صار مشابهاً لنفسه في البراءة عن الذنوب في يوم ولدته

أمه اهـ.

وقد وقع في رواية الدارقطني المذكورة «رجع كهيئته يوم ولدته أمه». وذكر لنا بعض الناس أن الطيبي أفاد أن الحديث إنما لم يذكر فيه الجدال كما ذكر في الآية على طريق الاكتفاء بذكر البعض وترك ما دل عليه ما ذكر، ويحتمل أن يقال إن ذلك يختلف بالقصد لأن وجوده لا يؤثر في ترك مغفرة ذنوب الحاج إذا كان المراد به المجادلة في أحكام الحج فيما يظهر من الأدلة، أو المجادلة بطريق التعميم فلا يؤثر أيضًا فإن الفاحش منها داخل في عموم الرفث والحسن منها ظاهر في عدم التأثير، والمستوي الطرفين لا يؤثر أيضًا.

قال النووي رحمته الله (5/13): «قوله صلى الله عليه وسلم: «من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه»، قال القاضي: هذا من قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ [البقرة: 197]، والرفث: اسم للفحش من القول، وقيل: هو الجماع، وهذا قول الجمهور في الآية، قال الله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: 187].

يقال: رفث ورفث بفتح الفاء وكسرهما، يرفث ويرفث ويرفث بضم الفاء وكسرهما وفتحها، ويقال أيضًا: أرفث بالألف، وقيل: الرفث: التصريح بذكر الجماع، قال الأزهري: هي جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة، وكان ابن عباس يخصه بما خوطب به النساء، قال: ومعنى «كيوم ولدته أمه»: أي بغير ذنب. وأما الفسوق فالمعصية. والله أعلم.

مثل المتشعب بما لم يعط

قال الإمام البخاري (5219): حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ فَاطِمَةَ، عَنْ أَسْمَاءَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، ح حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي فَاطِمَةُ، عَنْ أَسْمَاءَ، أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي صَرَّةً، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ الَّذِي يُعْطِينِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُتَشَبِعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبِي زُورٍ».

قال الإمام مسلم ﷺ (2129): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ، وَعَبْدَةُ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقُولُ إِنَّ زَوْجِي أَعْطَانِي مَا لَمْ يُعْطِنِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُتَشَبِعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ، كَلَابِسِ ثَوْبِي زُورٍ».

قال النووي ﷺ (7 / 245): «قولها: أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقُولُ إِنَّ زَوْجِي أَعْطَانِي مَا لَمْ يُعْطِنِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُتَشَبِعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ، كَلَابِسِ ثَوْبِي زُورٍ».

قال العلماء: معناه المتكثر بما ليس عنده بأن يظهر أن عنده ما ليس عنده، يتكثر بذلك عند الناس، ويتزين بالباطل، فهو مذموم كما يذم من لبس ثوبي زور. قال أبو عبيد وآخرون: هو الذي يلبس ثياب أهل الزهد والعبادة والورع، ومقصوده أن يظهر للناس أنه متصف بتلك الصفة، ويظهر من التخشع والزهد أكثر مما في قلبه، فهذه ثياب زور ورياء.

وقيل: هو كمن لبس ثوبين لغيره، وأوهم أنها له.

وقيل: هو من يلبس قميصًا واحدًا ويصل بكميه كمين آخرين، فيظهر أن عليه قميصين.

وحكى الخطابي قولاً آخر أن المراد هنا بالثواب الحالة والمذهب، والعرب تكني بالثوب عن حال لابسه، ومعناه أنه كالكاذب القائل ما لم يكن. وقولاً آخر أن المراد الرجل الذي تطلب منه شهادة زور، فيلبس ثوبين يتجمل بهما، فلا ترد شهادته لحسن هيئته. والله أعلم.

تمثيل رسول الله ﷺ فعل أصحابه بالخيل

قال الإمام مسلم رحمته الله (430): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ، عَنْ تَمِيمِ بْنِ طَرْفَةَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ؟ اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ» قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَأَانَا حَلَقًا فَقَالَ: «مَا لِي أَرَاكُمْ عَزِينَ» قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «أَلَا تَصْفُونَ كَمَا تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟» فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُولَى وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ».

قال النووي رحمته الله (2/172): «قوله ﷺ: «مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ» هو بإسكان الميم وضمها وهي التي لا تستقر، بل تضطرب وتتحرك بأذنانها وأرجلها، والمراد بالرفع المنهي عنه هنا رفعهم أيديهم عند السلام مشيرين إلى السلام من الجانبين كما صرح به في الرواية الثانية».

مثل الذي يمدح ويطري في مدحه

قال الإمام البخاري (2662): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا خَالِدُ الْحَذَّاءُ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» مِرَارًا، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فَلَانًا، وَاللَّهِ حَسِيْبُهُ، وَلَا أَرْكَبِي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله [في «فتح الباري» (225/17)]: «قوله: «قطعت عنق صاحبك يقوله مرارًا» في رواية يزيد بن زريع عن خالد الحذاء التي مضت في الشهادات «ويحك قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك، مرارًا» وبين في رواية وهيب التي سأنبه عليها بعد أنه قال ذلك ثلاثًا.

قوله: «إن كان أحدكم» في رواية يزيد بن زريع «وقال إن كان».

قوله: «لا محالة» أي لا حيلة له في ترك ذلك وهي بمعنى لا بد والميم زائدة، ويحتمل أن يكون من الحول أي القوة والحركة.

قوله: «فليقل أحسب كذا وكذا إن كان يرى» بضم أوله أي يظن ووقع في رواية يزيد بن زريع «إن كان يعلم ذلك» وكذا في رواية وهيب.

قوله: «والله حسيبه» بفتح أوله وكسر ثانيه وبعد التحتانية الساكنة موحدة أي كافيه، ويحتمل أن يكون هنا فاعيل من الحساب أي محاسبة على عمله الذي يعلم حقيقته، وهي جملة اعتراضية، وقال الطيبي: هي من تنمة المقول، والجملة الشرطية حال من فاعل فليقل، والمعنى فليقل أحسب أن فلانًا كذا إن كان يحسب ذلك منه،

والله يعلم سره لأنه هو الذي يجازيه، ولا يقل أتيقن ولا أتتحقق جازمًا بذلك.

قوله: «ولا يزكى على الله أحد» كذا لأبي ذر عن المستملي والسرخسي بفتح الكاف على البناء للمجهول وفي رواية الكشميهني «ولا يزكي» بكسر الكاف على البناء للفاعل وهو المخاطب أولاً المقول له فليقل، وكذا في أكثر الروايات، وفي رواية غندر «ولا أزكي» بهمزة بدل التحتانية أي لا أقطع على عاقبة أحد ولا على ما في ضميره لكون ذلك مغيباً عنه، وجيء بذلك بلفظ الخبر ومعناه النهي أي لا تزكوا أحداً على الله لأنه أعلم بكم منكم.

قوله: قال ابن بطال: حاصل النهي أن من أفرط في مدح آخر بما ليس فيه لم يأمن على الممدوح العجب لظنه أنه بتلك المنزلة، فربما ضيع العمل والازدياد من الخير اتكالا على ما وصف به، ولذلك تأول العلماء في الحديث الآخر «احثوا في وجوه المداحين التراب» أن المراد من يمدح الناس في وجوههم بالباطل، وقال عمر: المدح هو الذبح. قال: وأما من مدح بما فيه فلا يدخل في النهي، فقد مدح صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشعر والخطب والمخاطبة ولم يحث في وجه مادحه تراباً. انتهى ملخصاً.

فأما الحديث المشار إليه فأخرجه مسلم من حديث المقداد، وللعلماء فيه خمسة أقوال:

أحدها: هذا وهو حملة على ظاهره واستعمله المقداد راوي الحديث.

والثاني: الخيبة والحرمان كقولهم لمن رجع خائباً رجوع وكفه مملوءة تراباً.

والثالث: قولوا له بفيك التراب، والعرب تستعمل ذلك لمن تكره قوله.

والرابع: أن ذلك يتعلق بالمدوح كأن يأخذ ترابًا فيبذره بين يديه يتذكر بذلك مصيره إليه فلا يطغى بالمدح الذي سمعه.

والخامس: المراد بحثو التراب في وجه المادح إعطاؤه ما طلب لأن كل الذي فوق التراب تراب، وبهذا جزم البيضاوي وقال: شبه الإعطاء بالحثي على سبيل الترشيح والمبالغة في التقليل والاستهانة، قال الطيبي: ويحتمل أن يراد رفعه عنه وقطع لسانه عن عرضه بما يرضيه من الرضخ، والدافع قد يدفع خصمه بحثي التراب على وجهه استهانة به.

وأما الأثر عن عمر فورده مرفوعًا أخرجه ابن ماجه وأحمد من حديث معاوية: «سمعت رسول الله ﷺ يقول» فذكره بلفظ «إياكم والتماح فإنه الذبح» وإلى لفظ هذه الرواية رمز البخاري في الترجمة، وأخرجه البيهقي في «الشعب» مطولاً وفيه «وإياكم والمدح فإنه من الذبح» وأما ما مدح به النبي ﷺ فقد أرشد مادحيه إلى ما يجوز من ذلك بقوله ﷺ «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم» الحديث، وقد تقدم بيانه في أحاديث الأنبياء.

وقد ضبط العلماء المبالغة الجائزة من المبالغة الممنوعة بأن الجائزة يصحبها شرط أو تقريب، والممنوعة بخلافها، ويستثنى من ذلك ما جاء عن المعصوم فإنه لا يحتاج إلى قيد كالألفاظ التي وصف النبي ﷺ بها بعض الصحابة مثل قوله لابن عمرو «نعم العبد عبد الله» وغير ذلك.

وقال الغزالي في «الإحياء»: آفة المدح في المادح أنه قد يكذب وقد يرأى المدوح بمدحه ولا سيما إن كان فاسقًا أو ظالمًا، فقد جاء في حديث أنس رفعه «إذا مدح

الفاسق غضب الرب» أخرجه أبو يعلى وابن أبي الدنيا في الصمت، وفي سنده ضعف، وقد يقول ما لا يتحققه مما لا سبيل له إلى الاطلاع عليه، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فليقل أحسب» وذلك كقوله إنه ورع ومتقٍ وزاهد، بخلاف ما لو قال: رأيتَه يصلي أو يحج أو يزكي فإنه يمكنه الاطلاع على ذلك.

ولكن تبقى الآفة على الممدوح، فإنه لا يأمن أن يحدث فيه المدح كبراً أو إعجاباً أو يكله على ما شهره به المادح فيفتر عن العمل؛ لأن الذي يستمر في العمل غالباً هو الذي يعد نفسه مقصراً، فإن سلم المدح من هذه الأمور لم يكن به بأس، وربما كان مستحبا، قال ابن عيينة: من عرف نفسه لم يضره المدح، وقال بعض السلف: إذا مدح الرجل في وجهه فليقل: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيراً مما يظنون، أخرجه البيهقي في «الشعب».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ (384/9): «قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قطعت عنق صاحبك» وفي رواية: «قطعت ظهر الرجل» معناه أهلكتموه، وهذه استعارة من قطع العنق الذي هو القتل لاشتراكهما في الهلاك، لكن هلاك هذا الممدوح في دينه، وقد يكون من جهة الدنيا لما يشتهه عليه من حاله بالإعجاب».

تمثيل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القيراطين بالجبلين العظيمين

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى (1325): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى ابْنِ أَبِي ذَنْبٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ح حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ شَيْبٍ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا يُونُسُ، قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجُ، أَنَّ أَبَا

هُرَيْرَةَ رضي عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّيَ، فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَ حَتَّى تُدْفَنَ كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ»، قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ: «مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري (4 / 384): «قوله: «مثل الجبلين العظيمين» سبق أن في رواية ابن سيرين وغيره «مثل أحد» وفي رواية الوليد بن عبد الرحمن عند ابن أبي شيبة «القيراط مثل جبل أحد» وكذا في حديث ثوبان عند مسلم والبراء عند النسائي وأبي سعيد عند أحمد.

ووقع عند النسائي من طريق الشعبي «فله قيراطان من الأجر كل واحد منهما أعظم من أحد» وتقدم أن في رواية أبي صالح عند مسلم «أصغرهما مثل أحد» وفي رواية أبي بن كعب عند ابن ماجه «القيراط أعظم من أحد هذا» كأنه أشار إلى الجبل عند ذكر الحديث، وفي حديث واثلة عند ابن عدي «كتب له قيراطان من أجر أخفهما في ميزانه يوم القيامة أثقل من جبل أحد» فأفادت هذه الرواية بيان وجه التمثيل بجبل أحد وأن المراد به زنة الثواب المرتب على ذلك العمل.

وفي حديث الباب من الفوائد غير ما تقدم الترغيب في شهود الميت، والقيام بأمره، والحض على الاجتماع له، والتنبيه على عظيم فضل الله وتكريمه للمسلم في تكثير الثواب لمن يتولى أمره بعد موته، وفيه تقدير الأعمال بنسبة الأوزان إما تقريباً للأفهام وإما على حقيقته. والله أعلم.

قال النووي رحمته الله (3 / 363): «قوله: «قيل: وما القيراطان قال: مثل الجبلين العظيمين» القيراط: مقدار من الثواب معلوم عند الله تعالى، وهذا الحديث يدل

على عظم مقداره في هذا الموضع، ولا يلزم من هذا أن يكون هذا هو القيراط المذكور فيمن اقتنى كلباً إلا كلب صيد أو زرع أو ماشية نقص من أجره كل يوم قيراط، وفي روايات: «قيراطان»، بل ذلك قدر معلوم، ويجوز أن يكون مثل هذا وأقل وأكثر».

مثل غدو الناس وسعيهم

قال الإمام مسلم رحمته الله (223): حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا حَبَّانُ بْنُ هِلَالٍ، حَدَّثَنَا أَبَانُ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، أَنَّ زَيْدًا، حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا سَلَامٍ، حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعَ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا».

قال السندي [في «حاشيته على سنن ابن ماجه» (1/259)]: «قوله: «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو إِلَيْهِ»؛ قال النووي: معناه كَلَّ إنسان يسعى بنفسه فمنهم من يبيعها لله تعالى بطاعته فيعتقها من العذاب ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعها فيوبقها أي يهلكها.

وقال الطيبي: كَلَّ النَّاسُ يسعى في الأمور فمنهم من يبيعها من الله فيعتقها أو يبيعها من الشيطان فيوبقها، وفي المفاتيح البيع المبادلة، والمعنى به هاهنا صرف النفس واستعمالها في عوض ما يتوخاه ويتوجه نحوه فإن خيراً يرضاه الله فقد أعتق نفسه من النار وإن كان شراً فقد أوبقها أي أهلكها انتهى والله تعالى أعلم».

قال صاحب «شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية» (22/1): «وقوله: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» معناه أن كل إنسان يسعى لنفسه فمنهم من يبيعه لله بطاعته له فيعتقها من العذاب كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: 111]، ومن يبيعه للشيطان والهوى بإتباعها فيوبقها أي يهلكها اللهم وفقنا للعمل بطاعتك وجنبنا أن نوبق أنفسنا بمخالفتك».

مثل الذي يصوم رمضان ويتبعه ستاً من شوال كمن صام الدهر

قال الإمام مسلم رحمه الله (1164): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، جَمِيعًا عَنْ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنِي سَعْدُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ قَيْسٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ ثَابِتِ بْنِ الْحَارِثِ الْخَزْرَجِيِّ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رضي عنه، أَنَّهُ حَدَّثَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ».

مثل الخطبة التي ليس فيها تشهد

قال الإمام أبو داود رحمه الله (4841): حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، وَمُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ كُلَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُدٌ، فَهِيَ كَالْيَدِ الْجُدْمَاءِ».

قال الإمام أحمد رحمه الله في مسنده (8018): حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ كُلَيْبٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الْخُطْبَةُ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَهَادَةٌ، كَالْيَدِ الْجُدْمَاءِ».

قال المناوي [في «فيض القدير» (5/24)]: «فهي كاليد الجذماء» أي المقطوعة والجذم سرعة القطع، يعني أن كل خطبة لم يؤت فيها بالحمد والثناء علي فهي كاليد المقطوعة التي لا فائدة بها لصاحبها.

قال ابن العربي: ذكر الله مفتاح كل كلام ولو لا الحاجة إلى الدنيا لكان الكلام كله مصروفاً إليه، فإذا لم يكن بد من الذكر فليكن بعد الذكر له، وأراد بالتشهد هنا الشهادتين من إطلاق الجزء على الكل كما في التحيات قال القاضي: أصل التشهد الإتيان بكلمة الشهادة وسمى التشهد تشهداً لتضمنه إياهما ثم اتسع فيه فاستعمل في الشناء على الله تعالى والحمد له.

قال المباركفوري [في «تحفة الأحمدي» (3/173)]: «كلّ خطبة ليس فيها شهادة فهي كاليد الجذماء»؛ والشهادة: الخبر المقطوع به، والثناء على الله أصدق الشهادات وأعظمها. قال القاري: الرواية المذكورة رواها أبو داود عن أبي هريرة «كاليد الجذماء» بالذال المعجمة، أي المقطوعة التي لا فائدة فيها لصاحبها، أو التي بها جذامٌ كذا في المجمع.

قال صاحب «عون المعبود» (10/363): «فهي كاليد الجذماء»: أي المقطوعة التي لا فائدة فيها لصاحبها. والجذم سرعة القطع، وقيل الجذماء من الجذام وهو داء معروف تنفر عنه الطباع.

مثل نقض الإسلام

قال الإمام أحمد رحمه الله في مسنده (18039): حَدَّثَنَا هَيْثَمُ بْنُ خَارِجَةَ، أَخْبَرَنَا صَمْرَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي عَمْرٍو، عَنْ ابْنِ فَيْرُوزَ الدَّيْلَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ

الله ﷺ: «لَيَنْقُضَنَّ الْإِسْلَامَ عُرْوَةٌ، عُرْوَةٌ كَمَا يُنْقَضُ الْحَبْلُ قُوَّةً، قُوَّةً».

قال الإمام أحمد رحمته الله في مسنده (22160): حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ حَبِيبٍ حَدَّثَهُمْ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَتَنْقُضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةٌ عُرْوَةٌ، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ».

قال المناوي [في «فيض القدير» (2/441)]: قال في المصباح: «وقوله عرى الإسلام على التشبيه بالعروة التي يستمسك بها وقال الزمخشري تستعار العروة لما يوثق به ويعول عليه».

فتنة القبر كفتنة الدجال

قال الإمام مسلم رحمته الله (903): وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ الْقَعْنَبِيُّ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ يَعْنِي ابْنَ بِلَالٍ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ عَمْرَةَ، أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتْ عَائِشَةَ تَسْأَلُهَا، فَقَالَتْ: أَعَاذُكَ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ يُعَذِّبُ النَّاسَ فِي الْقُبُورِ؟ قَالَتْ عَمْرَةَ: فَقَالَتْ عَائِشَةُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَائِدًا بِاللَّهِ». ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ مَرَكَبًا، فَخَسَفَتِ الشَّمْسُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَخَرَجْتُ فِي نِسْوَةٍ بَيْنَ ظَهْرِي الْحُجْرِ فِي الْمَسْجِدِ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَرَكَبِهِ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مُصَلَّاهُ الَّذِي كَانَ يُصَلِّي فِيهِ، فَقَامَ وَقَامَ النَّاسُ وَرَاءَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَكَعَ، فَرَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ، فَرَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، وَهُوَ دُونَ ذَلِكَ الرَّكُوعِ، ثُمَّ رَفَعَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ كَفِتْنَةِ الدَّجَالِ» قَالَتْ عَمْرَةَ:

فَسَمِعْتُ عَائِشَةَ، تَقُولُ: فَكُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ، يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ.

قال النووي رحمته الله (3/ 314): «قوله ﷺ: «كفتنة الدجال» أي فتنة شديدة جدا وامتحاناً هائلاً، ولكن يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت».

مثل مروق الخوارج من الدين

قال الإمام البخاري (3610): حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الْخَوِصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خَبِتْ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ». فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَذُنُّ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: «دَعُهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدَكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَافِيهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيئِهِ، - وَهُوَ قِدْحُهُ -، فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُدْزِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالْدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدٌ، إِحْدَى عَضْدِيهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبِضْعَةِ تَدْرَدُرُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتَمَسَ فَأَتَى بِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي نَعْتُهُ.

قال الإمام البخاري (3611): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ، قَالَ: قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا حَدَّثْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا أَنْ أَحْرَجَ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذَبَ عَلَيْهِ، وَإِذَا حَدَّثْتُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدَعَتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ، حُدْنَاءُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الرِّيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيْمَانَهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيُّمَا لَقَيْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

قال الحافظ ابن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في فتح الباري (162 / 12): «قوله: «يمرقون من الدين» في رواية سعيد بن مسروق «من الإسلام» وفيه رد على من أول الدين هنا بالطاعة، وقال: إن المراد أنهم يخرجون من طاعة الإمام كما يخرج السهم من الرمية، وهذه صفة الخوارج الذين كانوا لا يطيعون الخلفاء.

والذي يظهر أن المراد بالدين الإسلام كما فسرتة الرواية الأخرى، وخرج الكلام مخرج الزجر وأنهم بفعلهم ذلك يخرجون من الإسلام الكامل.

وزاد سعيد بن مسروق في روايته «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان» وهو مما أخبر به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المغيبات فوق كما قال.

قال النووي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (19 / 4): «قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية»، وفي الرواية الأخرى: «يمرقون من الإسلام»، وفي الرواية الأخرى: «يمرقون من الدين»، قال القاضي: معناه: يخرجون منه خروج السهم إذا نفذ الصيد من جهة أخرى، ولم يتعلق به شيء منه.

و«الرمية» هي الصيد المرمي، وهي فعيلة بمعنى مفعولة.

قال: و«الدين» هنا هو الإسلام، كما قال E: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19]. وقال الخطابي: هو الطاعة أي من طاعة الإمام، وفي هذه الأحاديث دليل لمن يكفر الخوارج.

قال القاضي عياض - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - قال المازري: اختلف العلماء في تكفير الخوارج، قال: وقد كادت هذه المسألة تكون أشد إشكالاً من سائر المسائل، ولقد رأيت أبا المعالي وقد رغب إليه الفقيه عبد الحق - رحمهما الله تعالى - في الكلام عليها فرهب له من ذلك، واعتذر بأن الغلط فيها يصعب موقعه؛ لأن إدخال كافر في الملة وإخراج مسلم منها عظيم في الدين.

وقد اضطرب فيها قول القاضي أبي بكر الباقلاني، وناهيك به في علم الأصول، وأشار ابن الباقلاني إلى أنها من المعوصات؛ لأن القوم لم يصرحوا بالكفر، وإنما قالوا أقوالاً تؤدي إليه، وأنا أكشف لك نكتة الخلاف وسبب الإشكال، وذلك أن المعتزلي مثلاً يقول: إن الله تعالى عالم، ولكن لا علم له، وحي ولا حياة له، يوقع الالتباس في تكفيره؛ لأننا علمنا من دين الأمة ضرورةً أن من قال: إن الله تعالى ليس بحي ولا عالم كان كافرًا، وقامت الحجة على استحالة كون العالم لا علم له.

فهل نقول: إن المعتزلي إذا نفي العلم نفي أن يكون الله تعالى عالماً، وذلك كفر بالإجماع ولا ينفعه اعترافه بأنه عالم مع نفيه أصل العلم، أو نقول قد اعترف بأن الله تعالى عالم، وإنكاره العلم لا يكفره، وإن كان يؤدي إلى أنه ليس بعالم، فهذا موضع الإشكال.

هذا كلام المازري ومذهب الشافعي وجماهير أصحابه العلماء أن الخوارج لا يكفرون، وكذلك القدرية وجماهير المعتزلة وسائر أهل الأهواء، قال الشافعي - رحمته الله تعالى - : أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية، وهم طائفة من الرافضة يشهدون لموافقيهم في المذهب بمجرد قولهم، فرد شهادتهم لهذا لا لبدعتهم. والله أعلم.

مثل فتن آخر الزمان

قال الإمام مسلم رحمته الله (2891): حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التُّجِيبِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، أَنَّ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ، كَانَ يَقُولُ: قَالَ حُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّاسَ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ، فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَمَا بِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَسْرًا إِلَيَّ فِي ذَلِكَ شَيْئًا، لَمْ يُحَدِّثْهُ غَيْرِي، وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَهُوَ يُحَدِّثُ مَجْلِسًا أَنَا فِيهِ عَنِ الْفِتَنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَهُوَ يَعُدُّ الْفِتْنََ: «مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكْدُنَ يَدْرُنَ شَيْئًا، وَمِنْهُنَّ فِتْنٌ كَرِيحِ الصَّيْفِ مِنْهَا صَغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ».

قَالَ حُدَيْفَةُ: فَذَهَبَ أَوْلَيْكَ الرَّهْطُ كُلُّهُمْ غَيْرِي.

مثل فتن آخر الزمان كقطع الليل المظلم

قال الإمام مسلم رحمته الله (118): حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَفُتَيْمَةُ، وَابْنُ حُجْرٍ، جَمِيعًا عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيَمْسِي كَافِرًا، أَوْ يَمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ

بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا».

قال النووي رحمه الله (1/232): «قوله صلى الله عليه وسلم: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَتَبَ اللَّيْلُ الْمُظْلِمَ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» معنى الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها، والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا القمر.

ووصف صلى الله عليه وسلم نوعاً من شدائد تلك الفتن، وهو أنه يمسي مؤمناً ثم يصبح كافراً أو عكسه. شك الراوي وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب. والله أعلم».

مثل عرض الفتن على القلوب

قال الإمام مسلم رحمه الله (144): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ، يَعْنِي سُلَيْمَانَ بْنَ حَيَّانَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ طَارِقٍ، عَنْ رَبِيعِيٍّ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَذْكُرُ الْفِتْنَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ، فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟ قَالُوا: أَجَلْ، قَالَ: تِلْكَ تُكْفِرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَذْكُرُ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: فَاسْكَتَ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ: أَنْتَ لَهِ أَبُوكَ قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا، نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ

السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ، مُجْحِيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ»، قَالَ حُذَيْفَةُ: وَحَدَّثْتُهُ، «أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ»، قَالَ عُمَرُ: أَكْسَرًا لَا أَبَا لَكَ؟ فَلَوْ أَنَّهُ فَتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ، قُلْتُ: «لَا بَلْ يُكْسَرُ»، وَحَدَّثْتُهُ «أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَعْلِيَّطِ» قَالَ أَبُو خَالِدٍ: فَقُلْتُ لِسَعْدٍ: يَا أَبَا مَالِكٍ، مَا أَسْوَدُ مُرْبَادًا؟ قَالَ: «شِدَّةُ الْبِيَاضِ فِي سَوَادٍ»، قَالَ: قُلْتُ: فَمَا الْكُوزُ مُجْحِيًا؟ قَالَ: «مَنْكُوسًا».

قال النووي رحمته الله (1/268): «وقوله صلى الله عليه وسلم: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا» هذان الحرفان مما اختلف في ضبطه على ثلاثة أوجه:

أظهرها وأشهرها عودًا عودًا بضم العين وبالذال المهملة.

والثاني بفتح العين وبالذال المهملة أيضًا.

والثالث بفتح العين وبالذال المعجمة.

ولم يذكر صاحب التحرير غير الأول. وأما القاضي عياض فذكر هذه الأوجه الثلاثة عن أئمتهم، واختار الأول أيضًا. قال: واختار شيخنا أبو الحسين بن سراج فتح العين والذال المهملة.

قال: ومعنى «تعرض» أنها تلصق بعرض القلوب أي جانبها كما يلصق الحصير بجنب النائم، ويؤثر فيه شدة التصاقها به.

قال: ومعنى «عودًا عودًا» أي تعاد وتكرر شيئًا بعد شيء. قال ابن سراج: ومن رواه بالذال المعجمة فمعناه سؤال الاستعاذة منها كما يقال غفرًا غفرًا، وغفرانك أي نسألك أن تعيدنا من ذلك، وأن تغفر لنا.

وقال الأستاذ أبو عبد الله بن سليمان: معناه تظهر على القلوب أي تظهر لها فتنة بعد أخرى.

وقوله: «كالحصير» أي كما ينسج الحصير عودًا عودًا وشظية بعد أخرى. قال القاضي: وعلى هذا يترجح رواية ضم العين وذلك أن ناسج الحصير عند العرب كلما صنع عودًا أخذ آخر ونسجه فشبهه عرض الفتن على القلوب واحدة بعد أخرى بعرض قضبان الحصير على صانعها واحدًا بعد واحد.

قال القاضي: وهذا معنى الحديث عندي وهو الذي يدل عليه سياق لفظه وصحة تشبيهه. والله أعلم.

قوله ﷺ: «فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء» معنى «أشربها» دخلت فيه دخولًا تامًا وألزمها وحلت منه محل الشراب. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة: 93] أي حب العجل، ومنه قولهم: ثوب مشرب بحمرة: أي خالطته الحمرة مخالطة لا انفكاك لها. ومعنى نكت نكتة نقط نقطة وهي بالتاء المثناة في آخره.

قال: ابن دريد وغيره: كل نقطة في شيء بخلاف لونه فهو نكت.

ومعنى «أنكرها» ردها. والله أعلم.

وقوله ﷺ: «حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض والآخر أسود مربادًا كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه».

قال القاضي عياض رحمه الله: ليس تشبيهه بالصفاء بياناً لبياضه لكن صفة أخرى لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل، وأن الفتن لم تلصق به، ولم تؤثر فيه كالصفاء وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء.

وأما قوله: «مربادا» فكذا هو في روايتنا وأصول بلادنا وهو منصوب على الحال. وذكر القاضي عياض رحمه الله خلافاً في ضبطه، وأن منهم من ضبطه كما ذكرناه.

ومنهم من رواه «مربئد» بهمزة مكسورة بعد الباء قال القاضي: وهذه رواية أكثر شيوخنا. وأصله أن لا يهمز ويكون «مربد» مثل مسود ومحمر وكذا ذكره أبو عبيد الهروي وصححه بعض شيوخنا عن أبي مروان بن سراج لأنه من اربد إلا على لغة من قال احمأر بهمزة بعد الميم لالتقاء الساكنين فيقال: اربأد ومربئد والبدال مشددة على القولين، وسيأتي تفسيره.

وأما قوله: «مبخياً» فهو بميم مضمومة ثم جيم مفتوحة ثم خاء معجمة مكسورة معناه مائلاً كذا قاله الهروي وغيره. وفسره الراوي في الكتاب بقوله: منكوساً وهو قريب من معنى المائل.

قال القاضي عياض: قال لي ابن سراج: ليس قوله كالكوز مبخياً تشبيهاً لما تقدم من سواده بل هو وصف آخر من أوصافه بأنه قلب ونكس حتى لا يعلق به خير ولا حكمة. ومثله بالكوز المبخي وبينه بقوله لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً.

قال القاضي رحمه الله: شبه القلب الذي لا يعي خيراً بالكوز المنحرف الذي لا يثبت الماء فيه.

وقال صاحب التحرير: معنى الحديث أن الرجل إذا تبع هواه وارتكب المعاصي دخل قلبه بكل معصية يتعاطاها ظلمة، وإذا صار كذلك افتتن وزال عنه نور الإسلام. والقلب مثل الكوز فإذا انكب انصب ما فيه ولم يدخله شيء بعد ذلك».

أمثال في حديث الدجال

قال الإمام مسلم رحمته الله (2937): حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ جَابِرِ الطَّائِيِّ، قَاضِي حِمَصَ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرِ الْحَضْرَمِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّوَاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مِهْرَانَ الرَّازِيُّ - وَاللَّفْظُ لَهُ - حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَابِرِ الطَّائِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ، حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِيْنَا، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ، حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يُخْرِجُ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يُخْرِجُ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فامرؤٌ حَجِجُ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَائِفَةٌ، كَأَنِّي أَشْبَهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَيْرِيِّ بْنِ قَطَنِ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةَ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَانْبُتُوا» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبِئْتُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَتِهِ، وَيَوْمٌ كَشَهْرِهِ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَتِهِ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَتِهِ، أَتَكْفِينَا فِيهِ

صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟
 قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ
 لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرْوِحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتَهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ
 دُرًّا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ،
 فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُضِضُّونَ مُمَحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ،
 فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكَ، فَتَسْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُتَمَلِّئًا
 شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ رَمِيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقْبَلُ وَيَهْتَلِلُ
 وَجْهَهُ، يَضْحَكُ، فَيَبْتِنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ
 الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَاطَأَ
 رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَحْدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا
 مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي
 عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ
 بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَيَبْتِنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا
 لِي، لَا يَدَانَ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرَّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثْ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ،
 وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبْرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا،
 وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهِدِهِ مَرَّةً مَاءً، وَيُحْصِرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ،
 حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ
 اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُضِضُّونَ فَرَسَى
 كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَنْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي
 الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى

الله، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلْفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِئِي ثَمَرَتِكَ، وَرُدِّي بَرَكَتَكَ، فَيَوْمِئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِبِقَعِهَا، وَيُبَارِكُ فِي الرَّسْلِ، حَتَّى أَنْ اللَّفْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللَّفْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللَّفْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخْدَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ أَبْطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شَرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمْرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ».

وفي هذا الحديث عدة أمثال:

- قوله ﷺ: «يَوْمٌ كَسَنَةٌ وَيَوْمٌ كَشْهْرٌ وَيَوْمٌ كَجَمْعَةٍ وَسَائِرُ أَيَامِهِ كَأَيَامِكُمْ».

- قوله ﷺ: «فَتَتَّبِعُهُ كَنُوزَهَا كِيَعَاسِيبِ النَّحْلِ».

قال النووي رحمته الله [في «شرح مسلم» (9/327)]: «قوله ﷺ: «فَتَتَّبِعُهُ كَنُوزَهَا كِيَعَاسِيبِ النَّحْلِ»؛ هي ذكور النحل، هكذا فسره ابن قتيبة وآخرون. قال القاضي: المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة، لكنه كنى عن الجماعة باليعسوب، وهو أميرها، لأنه متى طار تبعته جماعته. والله أعلم».

- قوله ﷺ: «فِيرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله [في «فتح الباري» (17/35)]: «وقال القرطبي: البخت بضم الموحدة وسكون المعجمة ثم مشاة جمع بختية وهي ضرب من الإبل عظام الأسنمة والأسنمة بالنون جمع سنام وهو أعلى ما في ظهر الجمل شبه

رءوسهنّ بها لما رفعن من صفائر شعورهنّ على أوساط رءوسهنّ تزيينًا وتصنّعًا، وقد يفعلن ذلك بما يكثرن به شعورهنّ».

- قوله ﷺ: «ثم يرسل الله مطرًا لا يكن منه بيت مدرٍ ولا وبرٍ فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة».

- قوله ﷺ: «يتهارجون تهارج الحمير».

قال النووي رحمته الله (9 / 327): «قوله ﷺ: «يتهارجون تهارج الحمير» أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير، ولا يكثرثون لذلك: «والهرج» بإسكان الراء الجماع، يقال: هرج زوجته أي جامعها يهرجها، بفتح الراء وضمها وكسرهما».

مثل غربة الإسلام في آخره كغربته في أوله

قال الإمام مسلم رحمته الله (145): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ، جَمِيعًا عَنْ مَرْوَانَ الْفَزَارِيِّ، قَالَ ابْنُ عَبْدِ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ، عَنْ يَزِيدَ يَعْنِي ابْنَ كَيْسَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ».

قال الإمام مسلم رحمته الله (146): حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، وَالْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ الْأَعْرَجُ، قَالَا: حَدَّثَنَا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدِ الْعَمَرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَهُوَ يَأْرُزُ بَيْنَ الْمُسْحِدِينَ، كَمَا تَأْرُزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا».

قال النووي رحمته الله في شرح مسلم (2 / 177): «قال القاضي: وقوله ﷺ:

«وهو يأرز إلى المدينة» معناه أن الايمان أولا وأخرا بهذه الصفة لأنه في أول الإسلام كان كل من خلص إيمانه وصح إسلامه أتى المدينة إما مهاجرا مستوطنا وإما متشوقا إلى رؤية رسول الله ﷺ ومتعلما منه ومتقربا؛ ثم بعده هكذا في زمن الخلفاء، كذلك ولأخذ سيرة العدل منهم والافتداء بجمهور الصحابة رضوان الله عليهم فيها، ثم من بعدهم من العلماء الذين كانوا سرج الوقت وأئمة الهدى لأخذ السنن المنتشرة بها عنهم.

فكان كل ثابت الإيـمان منشـرح الصدر به يرحل إليها، ثم بعد ذلك في كل وقت إلى زماننا لزيارة قبر النبي ﷺ والتبرك بمشاهدته وآثاره وآثار أصحابه الكرام فلا يأتيها إلا مؤمن⁽¹⁾. هذا كلام القاضي، والله أعلم بالصواب.

قال المباركفوري [في «تحفة الأحوزي» (7/319)]: «وفي حديث بن عمر عند مسلم «إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ»، وهو «يأرز بين المسجدين كما تآرز الحية في جحرها». قال القارىء: والمراد أن أهل الإيـمان يفرون بإيمانهم إلى المدينة وقاية بها عليه، أو لأنها وطنه الذي ظهر وقوي بها، وهذا إخبار عن آخر الزمان حين يقل الإسلام انتهى.

«كما تآرز الحية إلى جحرها» بضم الجيم وسكون الحاء المهملة أي ثقبها.

«وليعقلن» جواب قسم محذوف أي والله ليعتصمن عطف على ليأرز أو على إن ومعمولها أي ليتحصن وينضم ويلتجى.

(1) التبرك بقبر نبينا ﷺ وقصد قبره بسفر وزيارة والتبرك بآثار الصالحين ليس من هدي السلف ولا من

تحقيق التوحيد وهذه زلة من القاضي والنووي رحمها الله.

«الدين» أبرزه وحقه الإضمار إعلاما بعظيم شرفه ومزيد فخامته.

ومن ثم ضوعفت أدوات التأكيد وأتى بالقسم المقدر، يقال: عقل الوعل أي امتنع بالجمال العوالي يعقل عقولا أي ليمتنع بالحجاز ويتخذن منه حصنا وملجأ.
«معقل الأروية من رأس الجبل» الأروية بضم الهمزة وتكسر وتشد الياء الأثني من المعز الجبلي».

مثل ألم القتل في سبيل الله

قال الإمام الترمذي رحمته الله (1668): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ النَّيْسَابُورِيُّ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عَيْسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَجْلَانَ، عَنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ الْقَرْصَةِ.

قال المباركفوري [في «تحفة الأحوذى» (4/343)]: «من مس القرصة»، وفي رواية: «ألم القرصة»، وهي بفتح القاف وسكون الراء هي المرة من القرص.
قال في القاموس: القرص أخذك لحم إنسانٍ بأصبعيك حتى تؤلمه ولسع البراغيث انتهى. وهذا تسلية لهم عن هذا الخطب المهول».

مثل الذين يقاتلهم المسلمون من الترك

قال الإمام البخاري (2928): حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ الْأَعْرَجِ، قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ، صِغَارَ الْأَعْيُنِ، حُمْرَ الْوُجُوهِ، ذُلْفَ الْأَنْوْفِ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الْمَجَانُّ الْمَطْرَقَةُ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَاهُمْ الشَّعْرُ».

قول ﷺ: اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل حبشي كأن رأسه زبيبة

قال الإمام البخاري (693): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ،

قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو التَّيَّاحِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنِ اسْتُعْمِلَ حَبَشِيٌّ كَانَ رَأْسُهُ زَبِيبَةً».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله [في «فتح الباري» (32/3)]: «قوله: «كأن رأسه

زبيبة» قيل شبهه بذلك لصغر رأسه، وذلك معروف في الحبشة، وقيل لسواده، وقيل لقصر شعر رأسه وتفلفله.

ووجه الدلالة منه على صحة إمامة العبد أنه إذا أمر بطاعته فقد أمر بالصلاة

خلفه، قاله ابن بطال.

ويحتمل أن يكون مأخوذاً من جهة ما جرت به عادتهم أن الأمير هو الذي يتولى

الإمامة بنفسه أو نائبه، واستدل به على المنع من القيام على السلاطين وإن جاروا لأن القيام عليهم يفضى غالباً إلى أشد مما ينكر عليهم.

ووجه الدلالة منه أنه أمر بطاعة العبد الحبشي والإمامة العظمى إنما تكون

بالاستحقاق في قريش فيكون غيرهم متغلباً، فإذا أمر بطاعته استلزم النهي عن مخالفته والقيام عليه.

ورده ابن الجوزي بأن المراد بالعامل هنا من يستعمله الإمام لا من يلي الإمامة

العظمى، وبأن المراد بالطاعة الطاعة فيما وافق الحق. انتهى. ولا مانع من حمله على

أعم من ذلك، فقد وجد من ولي الإمامة العظمى من غير قريش من ذوى الشوكة

متغلباً، ...

وقد عكسه بعضهم فاستدل به على جواز الإمامة في غير قریش، وهو متعقب، إذ لا تلازم بين الأجزاء والجواز، والله أعلم.

مثل الهدى والسداد

قال الإمام مسلم رحمته الله (4904): حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَاصِمَ بْنَ كَلَيْبٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «قُلِ اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَادْكُرْ، بِالْهُدَى هِدَايَتِكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ، سَدَادَ السَّهْمِ».

قال النووي رحمته الله: «ومعنى «اذكر بالهدى هدايتك الطريق والسداد سداد السهم» أي: تذكر في حال دعائك بهذين اللفظين، لأن هادي الطريق لا يزيغ عنه، ومسدد السهم يحرص على تقويمه، ولا يستقيم رمية حتى يقومه، وكذا الداعي ينبغي أن يحرص على تسديد علمه وتقويمه، ولزومه السنة، وقيل: ليتذكر بهذا لفظ السداد والهدى لثلاثين سنة».

مثل من هلك الله

قال الإمام مسلم رحمته الله (2693): حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ أَبُو أَيُّوبَ الْغِيلَانِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ يَعْنِي الْعَقَدِيُّ، حَدَّثَنَا عُمَرُ وَهُوَ ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَارٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري (206/18): «من قال إذا صلى

الصباح لا إله إلا الله» فذكره بلفظ «عشر مرات كن كعدل أربع رقاب وكتب له بهن عشر حسنات، ومحى عنه بهن عشر سيئات، ورفع له بهن عشر درجات، وكن له حرسًا من الشيطان حتى يمسي. وإذا قالها بعد المغرب فمثل ذلك» وسنده حسن.

وأخرجه جعفر في الذكر من طريق أبي رهم السمعي بفتح المهملة والميم عن أبي أيوب عن النبي ﷺ قال: «من قال حين يصبح» فذكر مثله لكن زاد «يحيي ويميت» وقال فيه «كعدل عشر رقاب، وكان له مسلحة من أول نهاره إلى آخره، ولم يعمل عملاً يومئذ يقهرهن. وإن قالهن حين يمسي فمثل ذلك».

وأخرجه أيضًا من طريق القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أيوب بلفظ «من قال غدوة» فذكر نحوه وقال في آخره «وأجاره الله يومه من النار، ومن قالها عشية كان له مثل ذلك»...

ورواه عن أبي إسحاق أيضًا حفيده الآخر إسرائيل بن يونس أخرجه جعفر في الذكر من طريقه عن أبي إسحاق فزاد في روايته بين عمرو وعبد الرحمن الربيع بن خثيم. ووقفه أيضًا، ولفظه عنده «كان له من الأجر مثل من أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل». ورواه عن أبي إسحاق أيضًا زهير بن معاوية كذلك أخرجه النسائي من طريقه لكن قال «كان أعظم أجرًا وأفضل» والباقي مثل إسرائيل.

وأخرجه أيضًا من رواية زيد بن أبي أنيسة عن أبي إسحاق لكن لم يذكر عبد الرحمن بين الربيع وأبي أيوب، وأخرجه جعفر في الذكر من طريق أبي الأحوص عن أبي إسحاق فقال «عن عمرو بن ميمون حدثنا من سمع أبا أيوب» فذكر مثل

لفظ زهير بن معاوية.

واختلاف هذه الروايات في عدد الرقاب مع اتحاد المخرج يقتضي الترجيح بينها، فالأكثر على ذكر أربعة، ويجمع بينه وبين حديث أبي هريرة بذكر عشرة لقولها مائة فيكون مقابل كل عشر مرات رقبة من قبل المضاعفة، فيكون لكل مرة بالمضاعفة رقبة، وهي مع ذلك لمطلق الرقاب، ومع وصف كون الرقبة من بني إسماعيل يكون مقابل العشرة من غيرهم أربعة منهم لأنهم أشرف من غيرهم من العرب فضلاً عن العجم، وأما ذكر رقبة بالإنفراد في حديث أبي أيوب فشاذ، والمحفوظ أربعة كما بينته.

وجمع القرطبي في «المفهم» بين الاختلاف على اختلاف أحوال الذاكرين فقال: إنما يحصل الثواب الجسيم لمن قام بحق هذه الكلمات فاستحضر معانيها بقلبه وتأملها بفهمه، ثم لما كان الذاكرون في إدراكاتهم وفهومهم مختلفين كان ثوابهم بحسب ذلك، وعلى هذا ينزل اختلاف مقادير الثواب في الأحاديث، فإن في بعضها ثواباً معيناً ونجد ذلك الذكر بعينه في رواية أخرى أكثر أو أقل كما اتفق في حديث أبي هريرة وأبي أيوب.

قلت: إذا تعددت مخارج الحديث فلا بأس بهذا الجمع، وإذا اتحدت فلا، وقد يتعين الجمع الذي قدمته، ويحتمل فيما إذا تعددت أيضاً أن يختلف المقدار بالزمان كالتقييد بما بعد صلاة الصبح مثلاً وعدم التقييد إن لم يحمل المطلق في ذلك على المقيد، ويستفاد منه جواز استرقاق العرب خلافاً لمن منع ذلك، قال عياض: ذكر هذا العدد من المائة دليل على أنها غاية للثواب المذكور.

وأما قوله «إلا أحد عمل أكثر من ذلك» فيحتمل أن تراد الزيادة على هذا العدد فيكون لقائله من الفضل بحسابه لئلا يظن أنها من الحدود التي نهي عن اعتدائها وأنه لا فضل في الزيادة عليها كما في ركعات السنن المحدودة وأعداد الطهارة، ويحتمل أن تراد الزيادة من غير هذا الجنس من الذكر أو غيره إلا أن يزيد أحد عملاً آخر من الأعمال الصالحة.

وقال النووي: يحتمل أن يكون المراد مطلق الزيادة سواء كانت من التهليل أو غيره وهو الأظهر، يشير إلى أن ذلك يختص بالذكر، ويؤيده ما تقدم أن عند النسائي من رواية عمرو بن شعيب «إلا من قال أفضل من ذلك».

قال: وظاهر إطلاق الحديث أن الأجر يحصل لمن قال هذا التهليل في اليوم متوالياً أو متفرقاً في مجلس أو مجالس في أول النهار أو آخره، لكن الأفضل أن يأتي به أول النهار متوالياً ليكون له حرزاً في جميع نهاره، وكذا في أول الليل ليكون له حرزاً في جميع ليله».

مثل من يجلس بعد الفجر حتى تطلع الشمس

قال الإمام الترمذي رحمته الله (586): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْجُمَحِيُّ الْبَصْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو ظَلَالٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تَامَّةٌ تَامَّةٌ.

هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

وَسَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ: عَنْ أَبِي زَلَّالٍ؟ فَقَالَ: هُوَ مُقَارِبُ الْحَدِيثِ، قَالَ مُحَمَّدٌ: وَاسْمُهُ هِلَالٌ.

قال الألباني رحمته الله: «صحيح».

قال الإمام أبو داود رحمته الله (3667): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنِي عَبْدُ السَّلَامِ يَعْنِي ابْنَ مُطَهَّرٍ أَبُو ظَفَرٍ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ خَلْفِ الْعَمِيِّ، عَنْ فَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ، مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَلَا أَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَيَّ، أَنْ تُعْرَبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَةً».

أمثال خاتم رسول الله

المثل الأول:

قال الإمام مسلم رحمته الله (2344): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سِمَاكٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ، قَالَ: «رَأَيْتُ خَاتِمًا فِي ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَأَنَّهُ بَيْضَةٌ حَمَامٍ».

قال النووي رحمته الله (63 / 8): «أما «بيضة الحمامة» فهو بيضتها المعروفة».

المثل الثاني:

قال الإمام البخاري (190): حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يُونُسَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْجَعْدِ، قَالَ: سَمِعْتُ السَّائِبَ بْنَ يَزِيدَ، يَقُولُ: ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعٌ «فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي

بِالْبَرْكَةِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ، فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ، ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ
النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، مِثْلَ زَرِّ الْحَجَلَةِ».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري (1/302): «قوله: «زر الحجلة» بكسر الزاي وتشديد الراء، والحجلة بفتح المهملة والجيم واحدة الحجال، وهي بيوت تزين بالثياب والأسرة والستور لها عرى وأزرار، وقيل المراد بالحجلة الطير وهو اليعقوب يقال للأنثى منه حجلة، وعلى هذا فالمراد بزرها بيضتها، ويؤيده أن في حديث آخر «مثل بيضة الحمامة».

قال النووي رحمته الله (8/64): «قوله: «بين كتفيه مثل زر الحجلة»، أما زر الحجلة فبزاي ثم راء. والحجلة بفتح الحاء والجيم، هذا هو الصحيح المشهور، والمراد بالحجلة واحدة الحجال، وهي بيت كالقبة لها أزرار كبار وعرى، هذا هو الصواب المشهور الذي قاله الجمهور.

وقال بعضهم: المراد بالحجلة الطائر المعروف، وزرها بيضتها، وأشار إليه الترمذي، وأنكره عليه العلماء. وقال الخطابي: روي أيضاً بتقديم الراء على الزاي، ويكون المراد البيض.

يقال: أرزت الجرادة بفتح الراء وتشديد الزاي إذا كبست ذنبها في الأرض فباضت.

وجاء في قال الإمام البخاري: كانت بضعة ناشزة: أي مرتفعة على جسده».

المثل الثالث:

قال الإمام مسلم رحمته الله (2346): حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ، حَدَّثَنَا حَمَادٌ يَعْنِي ابْنَ زَيْدٍ، ح وَحَدَّثَنِي سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، كِلَاهُمَا عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ، ح وَحَدَّثَنِي حَامِدُ بْنُ عُمَرَ الْبُكَرَاوِيُّ - وَاللَّفْظُ لَهُ -، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ يَعْنِي ابْنَ زِيَادٍ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَأَكَلْتُ مَعَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا، أَوْ قَالَ ثَرِيدًا، قَالَ فَقُلْتُ لَهُ: أَسْتَغْفِرُ لَكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم? قَالَ: نَعَمْ، وَلَكَ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: 19].

قَالَ: ثُمَّ دُرْتُ خَلْفَهُ «فَنظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النَّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ. عِنْدَ نَاقِضِ كَتِفِهِ الْيُسْرَى. جُمُعًا عَلَيْهِ خِيْلَانٌ كَأَمْثَالِ الثَّالِيلِ».

قال الإمام أحمد رحمته الله [في «مسنده» (20780)]: حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، وَأَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ، قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، وَأَكَلْتُ مِنْ طَعَامِهِ، وَشَرِبْتُ مِنْ شَرَابِهِ، وَرَأَيْتُ خَاتَمَ النَّبُوَّةِ، قَالَ هَاشِمٌ: فِي نَغْضِ كَتِفِهِ الْيُسْرَى، كَأَنَّهُ جُمِعَ فِيهَا خِيْلَانٌ سُودٌ، كَأَنَّهَا الثَّالِيلُ».

قال النووي رحمته الله (8 / 65): «قوله: «فَنظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النَّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عِنْدَ نَاقِضِ كَتِفِهِ الْيُسْرَى جُمُعًا عَلَيْهِ خِيْلَانٌ كَأَمْثَالِ الثَّالِيلِ»، وَأَمَّا «نَاقِضِ كَتِفِهِ» فَبِالنُّونِ وَالغَيْنِ وَالضَّادِ الْمَعْجَمَتَيْنِ، وَالغَيْنِ مَكْسُورَةً.

وقال الجمهور: النغض والنغض والناغض أعلى الكتف، وقيل: هو العظم الرقيق الذي أعلى طرفه، وقيل: ما يظهر منه عند التحرك.

وأما قوله: «جُمُعًا» فبضم الجيم وإسكان الميم ومعناه أنه كجمع الكف، وهو

صورته بعد أن تجمع الأصابع وتضمها.

وأما «الخيLAN» فبكسر الخاء المعجمة وإسكان الياء جمع «خال»، وهو الشامة في الجسد. والله أعلم.

قال القاضي: وهذه الروايات متقاربة متفقة على أنها شاخص في جسده قدر بيضة الحمامة، وهو نحو بيضة الحجلة، وزر الحجلة.

وأما رواية «جمع الكف وناشز» فظاهرها المخالفة، فتؤول على وفق الروايات الكثيرة، ويكون معناه على هيئة جمع الكف، لكنه أصغر منه في قدر بيضة الحمامة.

قال القاضي: وهذا الخاتم هو أثر شق الملكين بين الكتفين، وهذا الذي قاله ضعيف، بل باطل، لأن شق الملكين إنما كان في صدره وبطنه. والله أعلم.

وصف رابع:

قال الإمام أحمد رحمته الله [في «مسنده» (20723)]: حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَزْرَةُ الْأَنْصَارِيُّ، حَدَّثَنَا عَلْبَاءُ بْنُ أَحْمَرَ، حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْتَرَبُ مِنِّي»، فَأَقْتَرَبْتُ مِنْهُ، فَقَالَ: «أَدْخِلْ يَدَكَ فَاْمَسَحْ ظَهْرِي»، قَالَ: فَأَدْخَلْتُ يَدِي فِي قَمِيصِهِ، فَمَسَحْتُ ظَهْرَهُ، فَوَقَعَ خَاتَمُ النَّبُوَّةِ بَيْنَ إِبْصَعَيْ، قَالَ: فَسُئِلَ عَنْ خَاتَمِ النَّبُوَّةِ، فَقَالَ: «شَعْرَاتُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ».

قال ابن شيبه [في «مصنفه» (36605)]: إسلام سلمان رضي الله تعالى عنه:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي قُرَّةَ الْكِنْدِيِّ، عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: كُنْتُ مِنْ أَبْنَاءِ أَسَاوِرَةِ فَارِسَ

وَكُنْتُ فِي كِتَابٍ وَمَعِيَ غُلَامَانِ، وَكَانَا إِذَا رَجَعَا مِنْ مُعَلِّمَيْهَا أَتَيَا قَسًّا فَدَخَلَا عَلَيَّ فَدَخَلْتُ مَعَهُمَا، فَقَالَ: أَلَمْ أَنْهَكُمَا أَنْ تَأْتِيَانِي بِأَحَدٍ، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَخْتَلِفُ إِلَيْهِ حَتَّى كُنْتُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهُمَا، قَالَ فَقَالَ لِي: إِذَا سَأَلَكَ أَهْلُكَ مَنْ حَبَسَكَ؟ فَقُلْ: مُعَلِّمِي، وَإِذَا سَأَلَكَ مُعَلِّمُكَ: مَنْ حَبَسَكَ؟ فَقُلْ: أَهْلِي، ثُمَّ إِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَتَحَوَّلَ، فَقُلْتُ لَهُ: أَنَا أَتَحَوَّلُ مَعَكَ، فَتَحَوَّلْتُ مَعَهُ فَتَزَلْنَا قَرْيَةً، فَكَانَتْ امْرَأَةٌ تَأْتِيهِ، فَلَمَّا حَضَرَ قَالَ لِي: يَا سَلْمَانُ: «احْفَرُ عِنْدَ رَأْسِي، فَحَفَرْتُ عِنْدَ رَأْسِهِ فَاسْتَخْرَجْتُ جَرَّةً مِنْ دَرَاهِمٍ، فَقَالَ لِي: صُبَّهَا عَلَى صَدْرِي، فَصَبَبْتُهَا عَلَى صَدْرِهِ، فَكَانَ يَقُولُ: وَيْلٌ لِإِفْتِنَائِي، ثُمَّ إِنَّهُ مَاتَ فَهَمَمْتُ بِالذَّرَاهِمِ أَنْ أَخُذَهَا، ثُمَّ إِنِّي ذَكَرْتُ فَتَرَكْتُهَا، ثُمَّ إِنِّي أَذَنْتُ الْقِسِّيِّينَ وَالرُّهْبَانَ بِهِ فَحَضَرُوهُ فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّهُ قَدْ تَرَكَ مَالًا، قَالَ: فَقَامَ شَبَابٌ فِي الْقَرْيَةِ فَقَالُوا: هَذَا مَالٌ أَيْبَانَا، فَأَخَذُوهُ، قَالَ: فَقُلْتُ لِلرُّهْبَانِ: أَخْبِرُونِي بِرَجُلٍ عَالِمٍ أَتَّبِعُهُ، قَالُوا: مَا نَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ رَجُلًا أَعْلَمَ مِنْ رَجُلٍ بِحِمَصٍ، فَاذْهَبِي إِلَى فَلَاقِيئِهِ فَفَقَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، قَالَ: فَقَالَ: أَوْ مَا جَاءَ بِكَ إِلَّا طَلَبُ الْعِلْمِ، قُلْتُ: مَا جَاءَ بِي إِلَّا طَلَبُ الْعِلْمِ، قَالَ: فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ فِي الْأَرْضِ أَعْلَمَ مِنْ رَجُلٍ يَأْتِي بَيْتَ الْمُقَدَّسِ كُلِّ سَنَةٍ، إِنْ انْطَلَقْتَ الْآنَ وَجَدْتَ حِمَارَهُ، قَالَ: فَاذْهَبِي فَإِذَا أَنَا بِحِمَارِهِ عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، فَجَلَسْتُ عِنْدَهُ وَانْطَلَقَ، فَلَمَّ أَرَهُ حَتَّى الْخَوْلِ، فَجَاءَ فَقُلْتُ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، مَا صَنَعْتَ بِي؟ قَالَ: وَأَنْتَ لَهَا هُنَا، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ رَجُلًا أَعْلَمَ مِنْ رَجُلٍ خَرَجَ بِأَرْضِ تَيْمَاءَ، وَإِنْ تَنْطَلِقِ الْآنَ تُوَافِقُهُ، وَفِيهِ ثَلَاثُ آيَاتٍ: يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَعِنْدَ غُضْرُوفٍ كَتَفَهُ الْيَمْنَى خَاتَمُ النَّبُوَّةِ مِثْلُ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ لَوْ هِيَ لَوْنُ جِلْدِهِ، قَالَ: فَاذْهَبِي تَرَفَعِي أَرْضَ وَتَخَفُضِي أُخْرَى حَتَّى مَرَرْتُ بِقَوْمٍ مِنَ الْأَعْرَابِ فَاسْتَعْبَدُونِي فَبَاعُونِي حَتَّى اشْتَرَتْنِي امْرَأَةٌ

بِالْمَدِينَةِ، فَسَمِعْتُهُمْ يَذْكُرُونَ النَّبِيَّ O وَكَانَ عَزِيزًا فَقُلْتُ لَهَا، هَبِي لِي يَوْمًا، قَالَتْ: نَعَمْ، فَانْطَلَقْتُ فَاحْتَطَبْتُ حَطَبًا فَبِعْتُهُ، وَصَنَعْتُ طَعَامًا فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ وَكَانَ يَسِيرًا فَوَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» قُلْتُ: صَدَقَةٌ، قَالَ: فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «كُلُوا»، وَلَمْ يَأْكُلْ، قَالَ: قُلْتُ: هَذَا مِنْ عَلَامَتِهِ، ثُمَّ مَكَثْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَمُكَّتْ ثُمَّ قُلْتُ لِمَوْلَاتِي: هَبِي لِي يَوْمًا، قَالَتْ: نَعَمْ، فَانْطَلَقْتُ فَاحْتَطَبْتُ حَطَبًا فَبِعْتُهُ بِأَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ وَصَنَعْتُ بِهِ طَعَامًا، فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَ أَصْحَابِهِ فَوَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ: «مَا هَذَا؟» قُلْتُ هَدِيَّةً، فَوَضَعَ يَدَهُ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: خُذُوا بِاسْمِ اللَّهِ، وَقَمْتُ خَلْفَهُ، فَوَضَعَ رِذَاءَهُ فَإِذَا خَاتَمُ النَّبُوَّةِ فَقُلْتُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ فَحَدَّثْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ ثُمَّ قُلْتُ: أَيْدِخُلِ الْجَنَّةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ حَدَّثَنِي أَنَّكَ نَبِيٌّ؟ قَالَ: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ.

قال النسائي [في «السنن الكبرى» (5/83)]: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا قُرَّةٌ عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَدْخُلَ يَدِي فَامَسَّ الْخَاتَمَ قَالَ: «فَأَدْخَلْتُ يَدِي فِي جُرْبَانِهِ، وَإِنَّهُ لِيَدْعُو فَمَا مَنَعَهُ، وَأَنَا أَلْمَسُهُ أَنْ دَعَا لِي» قَالَ: «فَوَجَدْتُ عَلَى نُغْضٍ كَتِفِهِ مِثْلَ السَّلْعَةِ خَاتَمَ النَّبُوَّةِ».

قال البيهقي [في «دلائل النبوة» (1/248)]: أَخْبَرَنَا أَبُو منصور: المظفر بن محمد بن أحمد بن زياد العلوي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ دُحَيْمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَارِزِ بْنِ أَبِي غَرَزَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ سَمَاكٍ: أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ، يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَجْهُهُ

مُسْتَدِيرًا مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَرَأَيْتُ خَاتَمَ النَّبُوَّةِ بَيْنَ كَتْفَيْهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامِ.

قال ابن حبان [في «صحيحه» (6408)]: أَخْبَرَنَا نَصْرُ بْنُ الْفَتْحِ بْنِ سَالِمِ الْمُرْبَعِيِّ الْعَابِدُ، بِسَمَرَقَنْدَ، حَدَّثَنَا رَجَاءُ بْنُ مَرْجَى الْحَافِظُ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَاضِي سَمَرَقَنْدَ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: «كَانَ خَاتَمَ النَّبُوَّةِ فِي ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ الْبُنْدُوقَةِ مِنْ لَحْمٍ عَلَيْهِ، مَكْتُوبٌ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ».

قلت: نصر بن الفتح بن سالم لم أجد له ترجمه.

قول النبي ﷺ لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه ومثل اتباع سنن اليهود

والنصارى

قال الإمام البخاري (3456): حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَّارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِيرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ سَلَكَوْا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ»، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى قَالَ: «فَمَنْ».

قال الحافظ ابن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي فَتْحِ الْبَارِي (10 / 256): «قوله: «جحر» بضم الجيم وسكون المهملة، «ضب» بفتح المعجمة وتشديد الموحدة دويبة معروفة يقال خصت بالذكر لأن الضب يقال له قاضي البهائم.

والذي يظهر أن التخصيص إنما وقع لجحر الضب لشدة ضيقه ورداءته، ومع ذلك فإنهم لاقتفائهم آثارهم واتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الضيق الرديء لتبعوهم.

قوله: «قال النبي ﷺ: فمن؟» هو استفهام إنكاري، أي ليس المراد غيرهم،

وسياتي بقية الكلام على هذا الحديث في كتاب الاعتصام).

قال الإمام البخاري (7320): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمَرَ الصَّنَعَانِيُّ، مِنَ الْيَمَنِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَتَتَّبَعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شَبْرًا شَبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري (20 / 378): «قوله: «جحر» بضم الجيم وسكون المهملة، و«الضب» الحيوان المعروف تقدم الكلام عليه في ذكر بني إسرائيل.

قوله: «قلنا» لم أفهم على تعيين القائل.

قوله: «قال: فمن؟» هو استفهام إنكارٍ والتقدير: فمن هم غير أولئك، وقد أخرج الطبراني من حديث المستورد بن شداد رفعه «لا تترك هذه الأمة شيئاً من سنن الأولين حتى تأتيه» ووقع في حديث عبد الله بن عمرو عند الشافعي بسندٍ صحيح «لتركن سنة من كان قبلكم حلوها ومرها».

قال ابن بطال: أعلم رحمته الله أن أمته ستبعب المحدثات من الأمور والبدع والأهواء كما وقع للأمم قبلهم، وقد أندر في أحاديث كثيرة بأن الآخر شر، والساعة لا تقوم إلا على شرار الناس، وأن الدين إنما يبقى قائماً عند خاصة من الناس.

قلت: وقد وقع معظم ما أندر به رحمته الله وسيقع بقية ذلك.

وقال الكرمانى: حديث أبي هريرة مغاير لحديث أبي سعيد لأن الأول فسر بفارس والروم، والثاني باليهود والنصارى، لكن الروم نصارى وقد كان في الفرس يهود، أو ذكر ذلك على سبيل المثال لأنه قال في السؤال كفارس انتهى.

وذكر عليه جوابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله «ومن الناس إلا أولئك» لأن ظاهره الحصر فيهم، وقد أجاب عنه الكرمانى بأن المراد حصر الناس المعهود من المتبوعين.

قلت: ووجهه أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما بعث كان ملك البلاد منحصرًا في الفرس والروم وجميع من عداهم من الأمم من تحت أيديهم أو كلا شيء بالنسبة إليهم، فصح الحصر بهذا الاعتبار، ويحتمل أن يكون الجواب اختلف بحسب المقام، فحيث قال فارس والروم كان هناك قرينة تتعلق بالحكم بين الناس وسياسة الرعية، وحيث قيل لليهود والنصارى كان هناك قرينة تتعلق بأمور الديانات أصولها وفروعها، ومن ثم كان في الجواب عن الأول «ومن الناس إلا أولئك».

وأما الجواب في الثاني بالإبهام فيؤيد الحمل المذكور وأنه كان هناك قرينة تتعلق بها ذكرت، واستدل ابن عبد البر في باب ذم القول بالرأي إذا كان على غير أصل بما أخرجه من جامع ابن وهب: أخبرني يحيى بن أيوب عن هشام بن عروة أنه سمع أباه يقول «لم يزل أمر بني إسرائيل مستقيمًا حتى حدث فيهم المولدون أبناء سبايا الأمم فأحدثوا فيهم القول بالرأي وأضلوا بني إسرائيل». قال: وكان أبي يقول «السنن السنن، فإن السنن قوام الدين».

وعن ابن وهب أخبرني بكر بن مضر عن مضر بن عمرو عن ابن شهاب الزهري وهو يذكر ما وقع الناس فيه من الرأي وتركهم السنن، فقال «إن لليهود والنصارى إنما

انسلخوا من العلم الذي كان بأيديهم حين استقلوا الرأي وأخذوا فيه». وأخرج ابن أبي خيثمة من طريق مكحول عن أنس: قيل: يا رسول الله ﷺ متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: «إذا ظهر فيكم ما ظهر في بني إسرائيل، إذا ظهر الإدهان في خياركم والفحش في شراركم، والمملك في صغاركم، والفقه في رذالكم».

وفي مصنف قاسم بن أصبغ بسند صحيح عن عمر «فساد الدين إذا جاء العلم من قبل الصغير استعصى عليه الكبير، وصلاح الناس إذا جاء العلم من قبل الكبير تابعه عليه الصغير»، وذكر أبو عبيد أن المراد بالصغر في هذا صغر القدر لا السن، والله أعلم».

قال النووي رحمته الله (9 / 25): «قوله ﷺ: «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراعٍ» إلخ، السنن بفتح السين والنون وهو الطريق، والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم.

والمراد الموافقة في المعاصي والمخالفات، لا في الكفر. وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ، فقد وقع ما أخبر به ﷺ».

مثل الذي يأكل من آنية الذهب والفضة

قال الإمام البخاري (5634): حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الَّذِي يَشْرَبُ فِي إِنَاءِ الْفِضَّةِ إِنَّمَا يُجْرُ جُرْفِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله [في «فتح الباري» (16/117)]: «قوله: «الذي يشرب في آنية الفضة»، في رواية مسلم من طريق عثمان بن مرة عن عبد الله بن عبد الرحمن «من شرب من إناء ذهب أو فضة». وله من رواية علي بن مسهر عن عبيد الله بن عمر العمري عن نافع «إن الذي يأكل ويشرب في آنية الذهب والفضة» وأشار مسلم إلى تفرد علي بن مسهر بهذه اللفظة، أعني الأكل.

ثم قال: قوله: «في بطنه نار جهنم» وقع للأكثر بنصب نار على أن الجرجرة بمعنى الصب أو التجرع فيكون «نار» نصب على المفعولية والفاعل الشارب أي يصب أو يتجرع، وجاء الرفع على أن الجرجرة هي التي تصوت في البطن».

مثل الذي يكثر من الشعر المكروه

قال الإمام مسلم رحمته الله (2259): حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ الثَّقَفِيُّ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنِ ابْنِ الْهَادِ، عَنْ يُحْنَسِ، مَوْلَى مُضْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالْعَرَجِ إِذْ عَرَضَ شَاعِرٌ يُنْشِدُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «خُذُوا الشَّيْطَانَ، أَوْ أَمْسِكُوا الشَّيْطَانَ لِأَنْ يَمْتَلِيَّ جَوْفُ رَجُلٍ قِيحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيَّ شِعْرًا».

قال الإمام مسلم رحمته الله (2258): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ يُونُسَ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ سَعْدِ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَأَنْ يَمْتَلِيَّ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قِيحًا يَرِيهِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيَّ شِعْرًا».

قال النووي رحمته الله (7/443): «قوله صلى الله عليه وسلم: «لأن يمتلي جوف أحدكم قيحًا

يريه خير من أن يمتلى شعراً»، وفي رواية: بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ بالعرج إذ عرض شاعر ينشد فقال رسول الله ﷺ: «خذوا الشيطان، أو أمسكوا الشيطان، لأن يمتلى جوف رجل قيحاً خير له من أن يمتلى شعراً».

قال أهل اللغة والغريب: «يريه» بفتح الياء وكسر الراء من الوري، وهو داء يفسد الجوف، ومعناه قيحاً يأكل جوفه ويفسده. قال أبو عبيد: قال بعضهم: المراد بهذا الشعر شعر هجي به النبي ﷺ.

قال أبو عبيد والعلماء كافة: هذا تفسير فاسد؛ لأنه يقتضي أن المذموم من الهجاء أن يمتلى منه دون قليله، وقد أجمع المسلمون على أن الكلمة الواحدة من هجاء النبي ﷺ موجبة للكفر.

قالوا: بل الصواب أن المراد أن يكون الشعر غالباً عليه، مستولياً عليه بحيث يشغله عن القرآن وغيره من العلوم الشرعية وذكر الله تعالى، وهذا مذموم من أي شعر كان.

فأما إذا كان القرآن والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية هو الغالب عليه فلا يضر حفظ اليسير من الشعر مع هذا لأن جوفه ليس ممتلئاً شعراً. والله أعلم. واستدل بعض العلماء بهذا الحديث على كراهة الشعر مطلقاً قليله وكثيره، وإن كان لا فحش فيه، وتعلق بقوله ﷺ: «خذوا الشيطان».

وقال العلماء كافة: هو مباح ما لم يكن فيه فحش ونحوه.

قالوا: وهو كلام، حسنه حسن، وقبيحه قبيح. وهذا هو الصواب؛ فقد سمع النبي ﷺ الشعر، واستنشده، وأمر به حسان في هجاء المشركين، وأنشده أصحابه

بحضرته في الأسفار وغيرها، وأنشده الخلفاء وأئمة الصحابة وفضلاء السلف، ولم ينكره أحد منهم على إطلاقه، وإنما أنكروا المذموم منه، وهو الفحش ونحوه».

مثل الصلاة على رسول الله ﷺ في الصلاة

قال الإمام البخاري (3369): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمْرٍو بْنِ سُلَيْمِ الزُّرْقِيِّ، أَخْبَرَنِي أَبُو حَمِيدٍ السَّاعِدِيُّ رضي الله عنه، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله [في «فتح الباري» (18/137)]: «قوله «كما صليت على آل إبراهيم» اشتهر السؤال عن موقع التشبيه مع أن المقرر أن المشبه دون المشبه به، والواقع هنا عكسه لأن محمداً ﷺ وحده أفضل من آل إبراهيم ومن إبراهيم ولا سيما قد أضيف إليه آل محمد، وقضية كونه أفضل أن تكون الصلاة المطلوبة أفضل من كل صلاة حصلت أو تحصل لغيره، وأجيب عن ذلك بأجوبة:

الأول: أنه قال ذلك قبل أن يعلم أنه أفضل من إبراهيم، وقد أخرج مسلم من حديث أنس «أن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا خير البرية، قال: ذاك إبراهيم» أشار إليه ابن العربي وأيده بأنه سأل لنفسه التسوية مع إبراهيم وأمر أمته أن يسألوا له ذلك فزاده الله تعالى بغير سؤال أن فضله على إبراهيم. وتعقب بأنه لو كان كذلك لغير صفة الصلاة بعد أن علم أنه أفضل.

الثاني: أنه قال ذلك تواضعًا وشرع ذلك لأمته ليكتسبوا بذلك الفضيلة.

الثالث: أن التشبيه إنما هو لأصل الصلاة بأصل الصلاة لا للقدر بالقدر فهو

كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ﴾ [النساء: 163]، وقوله: ﴿كُنِبَ

عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُنِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: 183]، وهو كقول

القائل أحسن إلى ولدك كما أحسنت إلى فلان ويريد بذلك أصل الإحسان لا قدره،

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: 77]، ورجح هذا

الجواب القرطبي في «المفهم».

الرابع: أن الكاف للتعليل كما في قوله: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾

[البقرة: 151]، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 198]،

وقال بعضهم: الكاف على بابها من التشبيه ثم عدل عنه للإعلام بخصوصية

المطلوب.

الخامس: أن المراد أن يجعله خليلاً كما جعل إبراهيم، وأن يجعل له لسان صدق

كما جعل لإبراهيم مضافاً إلى ما حصل له من المحبة، ويرد عليه ما ورد على الأول،

وقربه بعضهم بأنه مثل رجلين يملك أحدهما ألفاً ويملك الآخر ألفين فسأل

صاحب الألفين أن يعطى ألفاً أخرى نظير الذي أعطيتها الأول فيصير المجموع

للثاني أضعاف ما للأول.

السادس: أن قوله «اللهم صل على محمد» مقطوع عن التشبيه فسيكون التشبيه

متعلقاً بقوله «وعلى آل محمد» وتعقب بأن غير الأنبياء لا يمكن أن يساواوا الأنبياء

فكيف تطلب لهم صلاة مثل الصلاة التي وقعت لإبراهيم والأنبياء من آله؟ ويمكن الجواب عن ذلك بأن المطلوب الثواب الحاصل لهم لا جميع الصفات التي كانت سبباً للثواب، وقد نقل العمراني في «البيان» عن الشيخ أبي حامد أنه نقل هذا الجواب عن نص الشافعي، واستبعد ابن القيم صحة ذلك عن الشافعي لأنه مع فصاحته ومعرفته بلسان العرب لا يقول هذا الكلام الذي يستلزم هذا التركيب الركيك المعيب من كلام العرب، كذا قال، وليس التركيب المذكور بركيك بل التقدير اللهم صل على محمد وصل على آل محمد كما صليت إلى آخره فلا يمتنع تعلق التشبيه بالجملة الثانية.

السابع: أن التشبيه إنما هو للمجموع بالمجموع فإن في الأنبياء من آل إبراهيم كثرة، فإذا قوبلت تلك الذوات الكثيرة من إبراهيم وآل إبراهيم بالصفات الكثيرة التي لمحمدٍ أمكن انتفاء التفاضل.

قلت: ويعكر على هذا الجواب أنه وقع في حديث أبي سعيد ثاني حديثي الباب مقابلة الاسم فقط بالاسم فقط ولفظه «اللهم صل على محمد كما صليت على إبراهيم».

الثامن: أن التشبيه بالنظر إلى ما يحصل لمحمدٍ وآل محمد من صلاة كل فرد فرد، فيحصل من مجموع صلاة المصلين من أول التعليم إلى آخر الزمان أضعاف ما كان لآل إبراهيم، وعبر ابن العربي عن هذا بقوله: المراد دوام ذلك واستمراره.

التاسع: أن التشبيه راجع إلى المصلي فيما يحصل له من الثواب لا بالنسبة إلى ما يحصل للنبي ﷺ، وهذا ضعيف لأنه يصير كأنه قال اللهم أعطني ثواباً على صلاتي

على النبي ﷺ كما صليت على آل إبراهيم، ويمكن أن يجاب بأن المراد مثل ثواب المصلي على آل إبراهيم.

العاشر: دفع المقدمة المذكورة أولاً وهي أن المشبه به يكون أرفع من المشبه، وأن ذلك ليس مطرداً، بل قد يكون التشبيه بالمثل بل وبالدون كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ [النور: 35]، وأين يقع نور المشكاة من نوره تعالى؟ ولكن لما كان المراد من المشبه به أن يكون شيئاً ظاهراً واضحاً للسامع حسن تشبيه النور بالمشكاة، وكذا هنا لما كان تعظيم إبراهيم وآل إبراهيم بالصلاة عليهم مشهوراً واضحاً عند جميع الطوائف حسن أن يطلب لمحمد وآل محمد بالصلاة عليهم مثل ما حصل لإبراهيم وآل إبراهيم، ويؤيد ذلك ختم الطلب المذكور بقوله: «في العالمين» أي كما أظهرت الصلاة على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين، ولهذا لم يقع قوله في العالمين إلا في ذكر آل إبراهيم دون ذكر آل محمد على ما وقع في الحديث الذي ورد فيه وهو حديث أبي مسعود فيما أخرجه مالك ومسلم وغيرهما.

وعبر الطيبي عن ذلك بقوله: ليس التشبيه المذكور من باب إلحاق الناقص بالكامل بل من باب إلحاق ما لم يشتهر بما اشتهر. وقال الحلبي: سبب هذا التشبيه أن الملائكة قالت في بيت إبراهيم: ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود]، وقد علم أن محمداً وآل محمد من أهل بيت إبراهيم فكانه قال: أجب دعاء الملائكة الذين قالوا ذلك في محمد وآل محمد كما أجبتهما عندما قالوها في آل إبراهيم الموجودين حينئذٍ، ولذلك ختم بما ختمت به الآية وهو قوله «إنك حميد مجيد».

وقال النووي بعد أن ذكر بعض هذه الأجوبة: أحسنها ما نسب إلى الشافعي والتشبيه لأصل الصلاة بأصل الصلاة أو للمجموع بالمجموع. وقال ابن القيم بعد أن زيف أكثر الأجوبة إلا تشبيه المجموع بالمجموع: وأحسن منه أن يقال هو ﷺ من آل إبراهيم، وقد ثبت ذلك عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران].

قال: محمد من آل إبراهيم فكأنه أمرنا أن نصلي على محمد وعلى آل محمد خصوصاً بقدر ما صلينا عليه مع إبراهيم وآل إبراهيم عموماً فيحصل لآله ما يليق بهم ويبقى الباقي كله له، وذلك القدر أزيد مما لغيره من آل إبراهيم قطعاً، ويظهر حينئذ فائدة التشبيه، وأن المطلوب له بهذا اللفظ أفضل من المطلوب بغيره من الألفاظ.

ووجدت في مصنف لشيخنا مجد الدين الشيرازي اللغوي جواباً آخر نقله عن بعض أهل الكشف حاصله أن التشبيه لغير اللفظ المشبه به لا لعينه، وذلك أن المراد بقولنا «اللهم صل على محمد» اجعل من أتباعه من يبلغ النهاية في أمر الدين كالعلماء بشره بتقريرهم أمر الشريعة «كما صليت على إبراهيم» بأن جعلت في أتباعه أنبياء يقررون الشريعة، والمراد بقوله «وعلى آل محمد» اجعل من أتباعه ناساً محدثين - بالفتح - يخبرون بالمغيبات كما صليت على إبراهيم بأن جعلت فيهم أنبياء يخبرون بالمغيبات، والمطلوب حصول صفات الأنبياء لآل محمد وهم أتباعه في الدين كما كانت حاصلة بسؤال إبراهيم، وهذا محصل ما ذكره، وهو جيد إن سلم أن المراد بالصلاة هنا ما ادعاه، والله أعلم.

وفي نحو هذه الدعوى جواب آخر: المراد اللهم استجب دعاء محمد في أمته كما استجبت دعاء إبراهيم في بنيه، ويعكر على هذا عطف الآل في الموضوعين.

قوله: «على آل إبراهيم» هم ذريته من إسماعيل وإسحاق كما جزم به جماعة من الشراح، وإن ثبت أن إبراهيم كان له أولاد من غير سارة وهاجر فهم داخلون لا محالة. ثم إن المراد المسلمون منهم بل المتقون، فيدخل فيهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون دون من عداهم، وفيه ما تقدم في آل محمد.

قوله: «وبارك» المراد بالبركة هنا الزيادة من الخير والكرامة، وقيل المراد التطهير من العيوب والتزكية، وقيل المراد إثبات ذلك واستمراره من قولهم بركت الإبل أي ثبتت على الأرض، وبه سميت بركة الماء بكسر أوله وسكون ثانيه لإقامة الماء فيها. والحاصل أن المطلوب أن يعطوا من الخير أوفاه، وأن يثبت ذلك ويستمر دائماً. والمراد بالعلمين فيما رواه أبو مسعود في حديثه أصناف الخلق، وفيه أقوال أخرى: قيل ما حواه بطن الفلك، وقيل كل محدث، وقيل ما فيه روح، وقيل بقيد العقلاء، وقيل الإنس والجن فقط.

قوله: «إنك حميد مجيد»، أما الحميد فهو فعيل من الحمد بمعنى محمود، وأبلغ منه وهو من حصل له من صفات الحمد أكملها، وقيل هو بمعنى الحامد أي يحمد أفعال عباده. وأما المجيد فهو من المجد وهو صفة من كمل في الشرف، وهو مستلزم للعظمة والجلال كما أن الحمد يدل على صفة الإكرام.

قال النووي رحمته الله (2/143): «واختلف العلماء في الحكمة في قوله اللهم صل على محمد كما صليت على إبراهيم مع أن محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل من إبراهيم صلى الله عليه وسلم»

قال: القاضي عياض رحمته الله: أظهر الأقوال أن نبينا صلى الله عليه وسلم سأل ذلك لنفسه ولأهل بيته ل يتم النعمة عليهم كما أتمها على إبراهيم وعلى آله.

وقيل: بل سأل ذلك لأمته، وقيل: بل ل يبقى ذلك له دائماً إلى يوم القيامة، ويجعل له به لسان صدق في الآخرين كإبراهيم صلى الله عليه وسلم، وقيل: كان ذلك قبل أن يعلم أنه أفضل من إبراهيم صلى الله عليه وسلم.

وقيل: سأل صلاة يتخذه بها خليلاً كما اتخذ إبراهيم. هذا كلام القاضي. والمختار في ذلك أحد ثلاثة أقوال:

أحدها: حكاه بعض أصحابنا عن الشافعي رحمته الله تعالى أن معناه صل على محمد وتم الكلام هنا، ثم استأنف: وعلى آل محمد أي وصل على آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، فالمستؤول له مثل إبراهيم وآله هم آل محمد صلى الله عليه وسلم لا نفسه.

القول الثاني: معناه اجعل لمحمد وآله صلاة منك كما جعلتها لإبراهيم وآله فالمستؤول المشاركة في أصل الصلاة لا قدرها.

القول الثالث: أنه على ظاهره والمراد اجعل لمحمد وآله صلاة بمقدار الصلاة التي لإبراهيم وآله والمستؤول مقابلة الجملة فإن المختار في الآل كما قدمناه أنهم جميع الأتباع ويدخل في آل إبراهيم خلائق لا يحصون من الأنبياء، ولا يدخل في آل محمد صلى الله عليه وسلم نبي فطلب إلحاق هذه الجملة التي فيها نبي واحد بتلك الجملة التي فيها خلائق من الأنبياء. والله أعلم.

مثل الأنصار

قال الإمام البخاري: (3801): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «الْأَنْصَارُ كَرِشِي، وَعَيْبَتِي وَالنَّاسُ سَيَكْثُرُونَ، وَيَقْلُونَ فَأَقْبِلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله [في «فتح الباري» (11/110)]: «قوله في حديث أنس: «وإن الناس سيكثرون ويقلون» أي أن الأنصار يقلون، وفيه إشارة إلى دخول قبائل العرب والعجم في الإسلام وهم أضعاف أضعاف قبيلة الأنصار، فمهما فرض في الأنصار من الكثرة كالتناسل فرض في كل طائفة من أولئك، فهم أبدا بالنسبة إلى غيرهم قليل.

ويحتمل أن يكون صلى الله عليه وسلم اطلع على أنهم يقلون مطلقاً فأخبر بذلك فكان كما أخبر لأن الموجودين الآن من ذرية علي بن أبي طالب ممن يتحقق نسبه إليه أضعاف من يوجد من قبيلتي الأوس والخزرج ممن يتحقق نسبه وقس على ذلك، ولا التفات إلى كثرة من يدعي أنه منهم بغير برهان.

وقوله: «حتى يكونوا كالمالح في الطعام» في علامات النبوة «بمنزلة المالح في الطعام» أي في القلة، لأنه جعل غاية قلتهم الانتهاء إلى ذلك، والمالح بالنسبة إلى جملة الطعام جزء يسير منه والمراد بذلك المعتدل».

قال الإمام البخاري (4330): حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى، عَنْ عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ، قَالَ: لَمَّا

أَفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ، وَلَمْ يُعْطِ
 الْأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: «يَا
 مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلْفَكُمُ اللَّهُ بِي،
 وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي» كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ، قَالَ: «مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ
 تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ». قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ، قَالَ: «لَوْ شِئْتُمْ
 قُلْتُمْ: جِئْنَا كَذَا وَكَذَا، أَرْضُونَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ
 ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ، لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا
 وَشِعْبًا لَسَلَكَتُ وَادِي الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الْأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، إِنَّكُمْ
 سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله [في «فتح الباري» (12/139)]: «قوله: «الأنصار
 شعار والناس دثار» الشعار بكسر المعجمة بعدها مهملة خفيفة: الثوب الذي يلي
 الجلد من الجسد. والدثار بكسر المهملة ومثلثة خفيفة الذي فوقه. وهي استعارة
 لطيفة لفرط قربهم منه.

وأراد أيضًا أنهم بطانته وخاصته وأنهم ألصق به وأقرب إليه من غيرهم.

زاد في حديث أبي سعيد «اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء
 الأنصار». قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم. وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ
 قسما وحظا».

قال النووي رحمته الله (4/17): «قوله رحمته الله: «الأنصار شعار والناس دثار»، قال
 أهل اللغة: «الشعار»، الثوب الذي يلي الجسد، و«الدثار» فوقه.

ومعنى الحديث: الأنصار هم البطانة والخاصة والأصفياء وألصق بي من سائر الناس، وهذا من مناقبهم الظاهرة وفضائلهم الباهرة».

مثل الحيرة

قال ابن أبي عاصم [في «الآحاد والمثاني» (2490)]: حَدَّثَنَا، ابْنُ أَبِي عُمَرَ، نَا، سُفْيَانُ، عَنْ، إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ، قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلْتُ إِلَيَّ الْحَيْرَةَ كَأَنْيَابِ الْكِلَابِ وَإِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَهَا» فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَبْ لِي بِنْتِ بَقِيلَةَ. فَقَالَ: هِيَ لَكَ فَأَعْطُوهُ إِيَّاهَا. فَجَاءَ أَبُوهَا فَقَالَ: تَبِعُهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: بِكُمْ؟ قَالَ: أَحْكُمْ مَا شِئْتَ. قَالَ: أَلْفٌ دِرْهَمٍ. قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهَا بِهِ. فَقَالُوا لَهُ: لَوْ قُلْتَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا. قَالَ: هَلْ عَدَدٌ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ؟».

والحديث في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» لشيخنا مقبل رحمته الله.

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله [في «فتح الباري» (398/10)]: «قوله: «الحيرة» بكسر المهملة وسكون التحتانية وفتح الراء كانت بلد ملوك العرب الذين تحت حكم آل فارس، وكان ملكهم يومئذ إياس بن قبيصة الطائي وليها من تحت يد كسرى بعد قتل النعمان بن المنذر، ولهذا قال عدِيّ بن حاتم «فأين دَعَار طِيء؟» ووقع في رواية لأحمد من طريق الشعبيّ عند عدِيّ بن حاتم «قلت يا رسول الله ﷺ فأين مقاتب طِيء ورجالها» ومقاتب بالقاف جمع مقتب وهو العسكر ويطلق على الفرسان».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله [في «فتح الباري» (209/8)]: «والحيرة بكسر

المهملة بعدها تحتانيّة ساكنة بلد معروف بالعراق».

قال صاحب «عون المعبود» (5 / 25): «أتيت الحيرة»: بكسر الحاء المهملة بلدة قديمة بظهر الكوفة».

مثل السنة واليوم والشهر عند قرب الساعة

قال الإمام أحمد رحمته الله في مسنده (10943): حَدَّثَنَا هَاشِمٌ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا سُهَيْلٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَيَكُونَ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونَ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونَ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونَ السَّاعَةُ كَاخْتِرَاقِ السَّعْفَةِ الْخُوصَةِ».

مثل دين الله كدين بني آدم والله أحق بالوفاء

قال الإمام البخاري (1852): حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بَشِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ، جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَتْ: إِنَّ أُمَّي نَذَرْتُ أَنْ تَحْجَّ فَلَمْ تَحْجَّ حَتَّى مَاتَتْ، أَفَأَحْجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمَّكَ دَيْنٌ قَاضِيَةً؟ اقْضُوا اللَّهَ فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله [في «فتح الباري» (6 / 75)]: «قوله: «أرأيت» إلخ فيه مشروعية القياس وضرب المثل ليكون أوضح وأوقع في نفس السامع وأقرب إلى سرعة فهمه».

وفيه تشبيه ما اختلف فيه وأشكل بما اتفق عليه.

وفيه أنه يستحب للمفتي التنبيه على وجه الدليل إذا ترتبت على ذلك مصلحة

وهو أطيب لنفس المستفتي وأدعى لإذعانه.

وفيه أن وفاء الدين المالي عن الميت كان معلوماً عندهم مقرراً ولهذا حسن الإلحاق به.

وفيه أجزاء الحج عن الميت.

وفيه اختلاف: فروى سعيد بن منصور وغيره عن ابن عمر بإسنادٍ صحيح لا يحج أحد عن أحد، ونحوه عن مالك والليث، وعن مالك أيضاً إن أوصى بذلك فليحج عنه وإلا فلا، وسيأتي البحث في ذلك في الباب الذي يليه.

قوله: «أكنت قاضيته» كذا للأكثر بضمير يعود على الدين، وللكشميهني قاضية بوزن فاعلة على حذف المفعول. وفيه أن من مات وعليه حج وجب على وليه أن يجهز من يحج عنه من رأس ماله كما أن عليه قضاء ديونه، فقد أجمعوا على أن دين الآدمي من رأس المال فكذلك ما شبه به في القضاء، ويلتحق بالحج كل حق ثبت في ذمته من كفارة أو نذر أو زكاة أو غير ذلك.

وفي قوله «فالله أحق بالوفاء» دليل على أنه مقدم على دين الآدمي، وهو أحد أقوال الشافعي، وقيل بالعكس، وقيل هما سواء.

قال الطيبي: في الحديث إشعار بأن المسئول عنه خلف مالا فأخبره النبي ﷺ أن حق الله مقدم على حق العباد وأوجب عليه الحج عنه والجامع علة المالية. قلت: ولم يتحتم في الجواب المذكور أن يكون خلف مالا كما زعم، لأن قوله «أكنت قاضيته» أعم من أن يكون المراد مما خلفه أو تبرعاً.

مثل من حلب ماشية غيره

قال الإمام البخاري (2435): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا يَحْلِبَنَّ أَحَدٌ مَاشِيَةً أَمْرِيَّ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، أَيُّبُّ أَحَدِكُمْ أَنْ تُؤْتَى مَشْرُبَتُهُ، فَتُكْسَرَ خِرَازِنَتُهُ، فَيَتَّقَلَ طَعَامُهُ، فَإِنَّمَا تَحْزُنُ لَهُمْ ضُرُوعُ مَوَاشِيهِمْ أَطْعِمَاتِهِمْ، فَلَا يَحْلِبَنَّ أَحَدٌ مَاشِيَةً أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله [في «فتح الباري» (7/334)]: «قوله: «مشربته» بضم الراء وقد تفتح أي غرفته، والمشربة مكان الشرب بفتح الراء خاصة والمشربة بالكسر إناء الشرب.

قوله: «خزانتته» الخزانة المكان أو الوعاء الذي يخزن فيه ما يراد حفظه، وفي رواية أيوب عند أحمد «فيكسر بابها».

قوله: «فيتنقل» بالنون والقاف وضم أوله يفتعل من النقل أي تحول من مكانٍ إلى آخر، كذا في أكثر الموطآت عن مالك ورواه بعضهم كما حكاه ابن عبد البر وأخرجه الإسماعيلي من طريق روح بن عبادة وغيره بلفظ «فيتنثل» بمثلثة بدل القاف، والنثل النثر مرة واحدة بسرعة، وقيل الاستخراج وهو أخص من النقل، وهكذا أخرجه مسلم من رواية أيوب وموسى بن عقبة وغيرهما عن نافع ورواه عن الليث عن نافع بالقاف، وهو عند ابن ماجه من هذا الوجه بالمثلثة.

قوله: «تحزن» بالخاء المعجمة الساكنة والزاي المضمومة بعدها نون. وفي رواية الكشميهني «تحرز» بضم أوله وإهمال الحاء وكسر الراء بعدها زاي.

قوله: «ضروع» الضرع للبهائم كالثدي للمرأة.

قوله: «أطعمتهم» هو جمع أطعمة والأطعمة جمع طعام والمراد به هنا اللبن، قال ابن عبد البر: في الحديث النهي عن أن يأخذ المسلم للمسلم شيئاً إلا بإذنه وإنما خص اللبن بالذكر لتساهل الناس فيه فنبه به على ما هو أولى منه، وبهذا أخذ الجمهور، لكن سواء كان بإذنٍ خاص أو إذنٍ عام، واستثنى كثير من السلف ما إذا علم بطيب نفس صاحبه، وإن لم يقع منه إذنٍ خاص ولا عام، وذهب كثيرٌ منهم إلى الجواز مطلقاً في الأكل والشرب سواء علم بطيب نفسه أو لم يعلم».

قال النووي رحمته الله (6/161): «ومعنى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم شبه اللبن في الضرع بالطعام المخزون المحفوظ في الخزانة في أنه لا يحل أخذه بغير إذنه».

مثل الذي يغالي في المهور

قال الإمام مسلم رحمته الله (1424): وحدثني يحيى بن معين، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، حدثنا يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إني تزوجت امرأة من الأنصار، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «هل نظرت إليها؟ فإن في عيون الأنصار شيئاً» قال: قد نظرت إليها، قال: «على كم تزوجتها؟» قال: على أربع أواق، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «على أربع أواق؟ كأنها تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل، ما عندنا ما نعطيك، ولكن عسى أن نبعثك في بعث نصيب منه»، قال: فبعث بعثاً إلى بني عيس بعث ذلك الرجل فيهم.

فضرب لهم مثلاً بسبب ما وقع من الغلو في المهر كأنهم ينحتون الفضة من عرض الجبل، ولا يجوز المغالاة في المهور لما فيها من المفاسد العظيمة على الفرد والمجتمع وعلى الشباب والشابات والوالدين والأبناء نسأل الله أن يصلح الأمور

وولاية الأمور وأولياء الأمور.

قال النووي رحمته الله (5/133): «قوله صلى الله عليه وسلم: «كأنما تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل»، «العرض» بضم العين وإسكان الراء هو الجانب والناحية، «وتنحتون» بكسر الحاء أي تقشرون وتقطعون.

ومعنى هذا الكلام كراهة إكثار المهر بالنسبة إلى حال الزوج.

مثل دوران المخالف لقوله في النار كما يدور الحمار بالرحى

قال الإمام مسلم رحمته الله (2989): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَأَبُو كُرَيْبٍ - وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ - قَالَ يَحْيَى وَإِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرُونَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: قِيلَ لَهُ: أَلَا تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمُهُ؟ فَقَالَ: أَتَرُونَ أَنِّي لَا أَكَلِّمُهُ إِلَّا أَسْمِعُكُمْ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، مَا دُونَ أَنْ أَفْتِخَ أَمْرًا لَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ، وَلَا أَقُولُ لِأَحَدٍ، يَكُونُ عَلَيَّ أَمِيرًا: إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتَيْهِ».

قال النووي رحمته الله (9/374): «قوله: «أفتتح أمرًا لا أحب أن أكون أول من

فتحه» يعني المجاهرة بالإنكار على الأمراء في الملاء كما جرى لقتلة عثمان رضي الله عنه.

وفيه الأدب مع الأمراء، واللطف بهم، ووعظهم سرا، وتبليغهم ما يقول الناس

فيهم لينكفوا عنه، وهذا كله إذا أمكن ذلك، فإن ذلك، فإن لم يمكن الوعظ سرا والإنكار فليفعله علانية لثلا يضيع أصل الحق.

قوله ﷺ: «فتندلق أقتاب بطنه» هو بالبدال المهملة. قال أبو عبيد: الأقتاب الأمعاء. قال الأصمعي: واحدها قتبة، وقال غيره قتب، وقال ابن عيينة: هي ما استدار في البطن، وهي الحوايا والأمعاء، وهي الأقباب، واحدها قصب. والاندلاق خروج الشيء من مكانه».

مثل الساعي على الأرملة والمسكين

قال الإمام البخاري (5353): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ قَزَعَةَ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي الْعَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ».

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ (9/366): «قوله ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله» المراد بالساعي الكاسب لهما: العامل لثؤنتهما. والأرملة من لا زوج لها، سواء كانت تزوجت أم لا، وقيل: هي التي فارقت زوجها.

قال ابن قتيبة: سميت أرملة لما يحصل لها من الإرمال، وهو الفقر وذهاب الزاد بفقد الزوج، يقال أرمل الرجل إذا فني زاده».

مثل إنبات الأرض لأجسام الخلائق

قال الإمام البخاري (4554): حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ

أَرْبَعُونَ» قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أُبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أُبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أُبَيْتُ، قَالَ: «ثُمَّ يُنَزَّلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبُلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ، وَمِنْهُ يَرْكَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

قال النووي رحمه الله (9/343): «قوله: «عجب الذنب» هو بفتح العين وإسكان الجيم أي العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب، وهو رأس العصعص، ويقال له «عجم» بالميم، وهو أول ما يخلق من الآدمي، وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه».

مثل إنبات من يخرج من النار

قال الإمام البخاري (22): حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى الْمَازِنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ»، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ. فَيُخْرِجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ، أَوْ الْحَيَاةِ - شَكَّ مَالِكٌ - فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً».

قال ابن حجر [في «فتح الباري» (1/36)]: «قوله: «الحبة» بكسر أوله، قال أبو حنيفة الدينوري: الحبة جمع بزور النبات واحدها حبة بالفتح، وأما الحب فهو الحنطة والشعير، واحدها حبة بالفتح أيضاً، وإنما افرقا في الجمع.

وقال أبو المعالي في المنتهى: الحبة بالكسر بزور الصحراء مما ليس بقوت».

قال الإمام البخاري (806): حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَعَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، أَخْبَرَهُمَا: أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يُخَشِرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيَتَ، وَتَبَقِيَ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ هَذَا مَكَانَنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبَّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبَّنَا عَرَفْنَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبَّنَا، فَيَدْعُوهُمْ فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأَمْتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلَ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَابِبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخَطَّفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْرَدُ ثُمَّ يَنْجُو، حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مِنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ: أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ، قَدْ امْتَحَشُوا فَيَصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ قِبَلَ النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذِكَاؤُهَا،

فَيَقُولُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فُعِلَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي اللهُ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الْجَنَّةِ، رَأَى بِهَجَّتِهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ قَدَّمَنِي عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ، أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، لَا أَسْأَلُ غَيْرَ ذَلِكَ، فَيُعْطِي رَبُّهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا، فَرَأَى زَهْرَتَهَا، وَمَا فِيهَا مِنَ النَّصْرَةِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللهُ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ، أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ، فَيَضْحَكُ اللهُ Δ مِنْهُ، ثُمَّ يَأْذَنُ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ أُمْنِيَّتُهُ، قَالَ اللهُ Δ: مِنْ كَذَا وَكَذَا، أَقْبَلَ يُدَكِّرُهُ رَبُّهُ، حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ».

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: إِنْ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «قَالَ اللهُ: لَكَ ذَلِكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: لَمْ أَحْفَظْ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِلَّا قَوْلَهُ: «لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «ذَلِكَ لَكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ».

قال النووي رحمته الله (1/ 323): «قوله صلى الله عليه وسلم: «فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل» هكذا هو في الأصول «فينبتون منه» بالميم والنون، وهو صحيح ومعناه: ينبتون بسببه. وأما «الحبة» فبكسر الحاء وهي بزر البقول والعشب تنبت في البراري وجوانب السيول وجمعها «حب» بكسر الحاء المهملة وفتح الباء. وأما «حميل

السييل» فبفتح الحاء وكسر الميم، وهو ما جاء به السيل من طين أو غثاء ومعناه: محمول السيل، والمراد التشبيه في سرعة النبات وحسنه وطراوته.

مثل العائد في هبته

قال الإمام البخاري (2589): حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ أَبِرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، حَدَّثَنَا ابْنُ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «الْعَائِدُ فِي هَبَّتِهِ كَالْكَلْبِ يَقِيءُ ثُمَّ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ».

قال ابن حجر في فتح الباري (8/118): «قوله: «العائد في هبته كالعائد في قئته»، زاد أبو داود في آخره: قال همام قال قتادة: ولا أعلم القيء إلا حراماً».

قال ابن حجر في فتح الباري (8/119): «وقوله: «العائد في قئته» وإن اقتضى التحريم لكون القيء حراماً، لكن الزيادة في الرواية الأخرى وهي قوله: «كالكلب» تدل على عدم التحريم لأن الكلب غير متعبدٍ فالقيء ليس حراماً عليه، والمراد التنزيه عن فعلٍ يشبه فعل الكلب.

وتعقب باستبعاد ما تأوله ومنافرة سياق الأحاديث له وبأن عرف الشرع في مثل هذه الأشياء المبالغة في الزجر كقوله: «من لعب بالنردشير فكأنما غمس يده في لحم خنزير».

قوله: «الذي يعود في هبته» أي العائد في هبته إلى الموهوب وهو كقوله تعالى: «أو لتعودن في ملتنا».

قوله: «كالكلب يرجع في قئته» هذا التمثيل وقع في طريق سعيد بن المسيب

أيضاً عند مسلم أخرجه من رواية أبي جعفر محمد الباقر عنه بلفظ «مثل الذي يرجع في صدقته كمثل الكلب يقيء ثم يرجع في قيئه فيأكله» وله في رواية بكير المذكورة «إنما مثل الذي يتصدق بصدقة ثم يعود في صدقته كمثل الكلب يقيء ثم يأكل قيئه».

قلت: والصواب أنه حرام.

قال النووي رحمته الله (5/6): «قوله عليه السلام: «مثل الذي يرجع في صدقته كمثل الكلب يقيء ثم يعود في قيئه فيأكله» هذا ظاهر في تحريم الرجوع في الهبة والصدقة بعد إقباضهما، وهو محمول على هبة الأجنبي.

أما إذا وهب لولده وإن سفل، فله الرجوع فيه كما صرح به في حديث النعمان بن بشير، ولا رجوع في هبة الإخوة والأعمام وغيرهم من ذوي الأرحام. هذا مذهب الشافعي، وبه قال مالك والأوزاعي. وقال أبو حنيفة وآخرون: يرجع كل واهب إلا الولد وكل ذي رحم محرم».

مثل قبض الأمانة

قال الإمام البخاري (6497): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا حُذَيْفَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ: حَدَّثَنَا: «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ» وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرَهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرَهَا مِثْلَ الْمَجَلِ، كَجَمْرِ دَخَرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَتَنْفَطِرُ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ

شَيْءٌ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَّبِعُونَ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ» وَلَقَدْ أَتَى عَلِيٌّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيُّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامُ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأَمَّا الْيَوْمَ: فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا.

قال ابن حجر [في «فتح الباري» (18/334)]: «قوله: «الجذر الأصل من كل شيء» اتفقوا على التفسير، ولكن عند أبي عمرو أن الجذر بكسر الجيم وعند الأصمعي بفتحها.

قوله: «والوكت أثر الشيء اليسير منه» هذا من كلام أبي عبيد أيضًا وهو أخص مما تقدم لتقييده باليسير».

قال النووي رحمته الله (1/267): «وأما قوله: «كجمرٍ دحرجته على رجلك فنفظ فتراه منتبرًا وليس فيه شيء» فالجمر والدحرجة معروفان ونفظ بفتح النون وكسر الفاء ويقال تنفظ بمعناه ومنتبرًا مرتفعًا. وأصل هذه اللفظة الارتفاع، ومنه المنبر لارتفاعه، وارتفاع الخطيب عليه.

وقوله: نفظ ولم يقل نفظت مع أن الرجل مؤنثة إما أن يكون ذكر نفظ اتباعًا للفظ الرجل، وإما أن يكون إتيانًا لمعنى الرجل وهو العضو.

وأما قوله: «ثم أخذ حصي فدحرجه» فهكذا ضبطناه وهو ظاهر ووقع في أكثر الأصول «ثم أخذ حصاة فدحرجه» بإفراد لفظ الحصاة وهو صحيح أيضًا ويكون معناه دحرج ذلك المأخوذ أو الشيء وهو الحصاة والله أعلم.

قال صاحب التحرير: معنى الحديث أن الأمانة تزول عن القلوب شيئاً فشيئاً فإذا زال أول جزء منها زال نورها وخلفتها ظلمة كالوكت وهو اعتراض لون مخالف للون الذي قبله فإذا زال شيء آخر صار كالمجل وهو أثر محكم لا يكاد يزول إلا بعد مدة وهذه الظلمة فوق التي قبلها، ثم شبه زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلب وخروجه بعد استقراره فيه واعتقاب الظلمة إياه بجمرٍ يدرجه على رجليه حتى يؤثر فيها ثم يزول الجمر ويبقى التنفط وأخذ الحصاة ودحرجته إياها أراد بها زيادة البيان وإيضاح المذكور. والله أعلم.

قال النووي رحمته الله (267/1): «قال الإمام أبو الحسن الواحدي رحمته الله في قول الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ [الأحزاب: 72]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي الفرائض التي افترضها الله تعالى على العباد. وقال الحسن: هو الدين، والدين كله أمانة.

وقال أبو العالية: الأمانة ما أمروا به وما نهوا عنه. وقال مقاتل: الأمانة الطاعة. قال الواحدي: وهذا قول أكثر المفسرين. قال: فالأمانة في قول جميعهم الطاعة والفرائض التي يتعلق بأدائها الثواب وبتضييعها العقاب. والله أعلم.

وقال صاحب التحرير: الأمانة في الحديث هي الأمانة المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ وهي عين الإيمان فإذا استمكنت الأمانة من قلب العبد قام حينئذٍ بأداء التكليف، واغتنم ما يرد عليه منها وجد في إقامتها والله أعلم.

مثل أفئدة أقوام يدخلون الإسلام

قال الإمام مسلم رحمته الله (2840): حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ

هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ اللَّيْثِيُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ، أَفْنَدْتَهُمْ مِثْلُ أَفْنَدَةِ الطَّيْرِ».

قال النووي رحمه الله (9/ 223): «قوله ﷺ: «يدخل الجنة أقوام أفندتهم مثل أفندة الطير» قيل: مثلها في رقتها وضعفها، كالحديث الآخر: «أهل اليمن أرق قلوباً وأضعف أفندة».

وقيل: في الخوف والهيبة، والطيور أكثر الحيوان خوفاً وفزعاً، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]، وكأن المراد قوم غلب عليهم الخوف كما جاء عن جماعات من السلف في شدة خوفهم، وقيل: المراد متوكلون. والله أعلم».

مثل من يلعب بالنردشير

قال الإمام مسلم رحمه الله (2260): حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدَشِيرِ، فَكَأَنَّهَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ».

قال النووي رحمه الله (7/ 446): «قوله ﷺ: «مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدَشِيرِ، فَكَأَنَّهَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ».

قال العلماء: النردشير هو النرد، فالنرد عجمي معرب، و«شير» معناه حلو.

وهذا الحديث حجة للشافعي والجمهور في تحريم اللعب بالنرد. وقال أبو إسحاق المروزي من أصحابنا، يكرهه، ولا يحرم.

وأما الشطرنج فمذهبنا أنه مكروه ليس بحرام، وهو مروى عن جماعة من التابعين. وقال مالك وأحمد: حرام.

قال مالك: هو شر من النرد، وأهلئ عن الخير، وقاسوه على النرد. وأصحابنا يمنعون القياس، ويقولون: هو دونه.

ومعنى «صبغ يده في لحم الخنزير ودمه في حال أكله منها» وهو تشبيهه لتحريمه بتحريم أكلها. والله أعلم.

السترة مثل مؤخرة الرجل

قال الإمام مسلم رحمته الله (499): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ - قَالَ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْأَخْرَانِ - حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ سِمَاكِ، عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا وَضَعَ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلَ مُؤَخَّرَةِ الرَّحْلِ فَلْيُصَلِّ، وَلَا يُبَالِ مَنْ مَرَّ وَرَاءَ ذَلِكَ».

قال النووي رحمته الله (251/2): «قوله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا وَضَعَ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلَ مُؤَخَّرَةِ الرَّحْلِ فَلْيُصَلِّ وَلَا يُبَالِ مَنْ مَرَّ وَرَاءَ ذَلِكَ»، «المؤخرة» بضم الميم وكسر الخاء وهمزة ساكنة، ويقال بفتح الخاء مع فتح الهمزة وتشديد الخاء، ومع إسكان الهمزة وتخفيف الخاء، ويقال «آخرة الرجل» بهمزة ممدودة وكسر الخاء، فهذه أربع لغات وهي العود الذي في آخر الرجل.

وفي هذا الحديث الندب إلى السترة بين يدي المصلي وبيان أن أقل السترة مؤخرة الرجل وهي قدر عظم الذراع، هو نحو ثلثي ذراع، ويحصل بأي شيء أقامه بين يديه هكذا وشرط مالك رحمته الله تعالى أن يكون في غلظ الرمح.

قال العلماء: والحكمة في السترة كف البصر عما وراءه، ومنع من يجتاز بقربه، واستدل القاضي عياض رحمته الله تعالى بهذا الحديث على أن الخط بين يدي المصلي لا يكفي قال: وإن كان قد جاء به حديث وأخذ به أحمد بن حنبل رحمته الله تعالى فهو ضعيف واختلف فيه، فقيل: يكون مقوسًا كهيئة المحراب، وقيل قائمًا بين يدي المصلي إلى القبلة، وقيل من جهة يمينه إلى شماله، قال: ولم ير مالك رحمته الله تعالى ولا عامة الفقهاء الخط. هذا كلام القاضي، وحديث الخط رواه أبو داود وفيه ضعف واضطراب، واختلف قول الشافعي رحمته الله تعالى فيه فاستحبه في سنن حرمله وفي القديم، ونفاه في البويطي، وقال جمهور أصحابه باستحبابه، وليس في حديث مؤخره الرحل دليل على بطلان الخط. والله أعلم.

قال أصحابنا: ينبغي له أن يدنو من السترة، ولا يزيد ما بينهما على ثلاث أذرع، فإن لم يجد عصًا ونحوها جمع أحجارًا أو ترابًا أو متاعه، إلا فليسط مصلي، وإلا فليخط الخط، وإذا صلى إلى سترة منع غيره من المرور بينه وبينها، وكذا يمنع من المرور بينه وبين الخط، ويحرم المرور بينه وبينها، فلو لم يكن سترة أو تباعد عنها فقيل: له منعه، والأصح أنه ليس له لتقصيره، ولا يحرم حينئذٍ المرور بين يديه، لكن يكره، ولو وجد الداخل فرجة في الصف الأول فله أن يمر بين يدي الصف الثاني ويقف فيها لتقصير أهل الصف الثاني بتركها، والمستحب أن يجعل السترة عن يمينه أو شماله ولا يضم لها. والله أعلم.

قلت: الأدلة التي تدل على جعلها أمامه أصح وأكثر، والله أعلم.

مثل نفي المدينة الخبثاء والمنافقين منها

قال الإمام البخاري (1871): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحُبَابِ سَعِيدَ بْنَ يَسَارٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى، يَقُولُونَ يَثْرِبُ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ، تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ».

قال ابن حجر [في «فتح الباري» (6/100)]: «قوله: «تنفي الناس» قال عياض: وكأن هذا مختص بزمنه لأنه لم يكن يصبر على الهجرة والمقام معه بها إلا من ثبت إيمانه.

وقال النووي: ليس هذا بظاهر، لأن عند مسلم «لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد»، وهذا والله أعلم زمن الدجال. انتهى.

ويحتمل أن يكون المراد كلا من الزمنين، وكان الأمر في حياته صلى الله عليه وسلم كذلك للسبب المذكور، ويؤيده قصة الأعرابي الآتية بعد أبواب فإنه صلى الله عليه وسلم ذكر هذا الحديث معللاً به خروج الأعرابي وسؤاله الإقالة عن البيعة، ثم يكون ذلك أيضاً في آخر الزمان عندما ينزل بها الدجال فترجف بأهلها فلا يبقى منافق ولا كافر إلا خرج إليه كما سيأتي بعد أبواب أيضاً، وأما ما بين ذلك فلا.

قوله: «كما ينفي الكير» بكسر الكاف وسكون التحتانية، وفيه لغة أخرى كور بضم الكاف، والمشهور بين الناس أنه الزق الذي ينفخ فيه لكن أكثر أهل اللغة على أن المراد بالكير حانوت الحداد والصائغ.

قال ابن التين: وقيل الكير هو الزق والحانوت هو الكور. وقال صاحب «المحكم»: الكير الزق الذي ينفخ فيه الحداد. ويؤيد الأول ما رواه عمر بن شبة في «أخبار المدينة» بإسنادٍ له إلى أبي مودود قال: رأى عمر بن الخطاب كير حداد في السوق فضربه برجله حتى هدمه. والخبث بفتح المعجمة والموحدة بعدها مثلثة أي وسخه الذي تخرجه النار، والمراد أنها لا تترك فيها من في قلبه دغل، بل تميزه عن القلوب الصادقة وتخرجه كما يميز الحداد رديء الحديد من جيده.

ونسبة التمييز للكبير لكونه السبب الأكبر في اشتعال النار التي يقع التمييز بها. واستدل بهذا الحديث على أن المدينة أفضل البلاد.

قال المهلب: لأن المدينة هي التي أدخلت مكة وغيرها من القرى في الإسلام فصار الجميع في صحائف أهلها، ولأنها تنفي الخبث وأجيب عن الأول بأن أهل المدينة الذين فتحوا مكة معظمهم من أهل مكة فالفضل ثابت للفريقين ولا يلزم من ذلك تفضيل إحدى البقعتين، وعن الثاني بأن ذلك إنما هو في خاص من الناس ومن الزمان بدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ [التوبة: 101]، والمنافق خبيث بلا شك، وقد خرج من المدينة بعد النبي ﷺ معاذ وأبو عبيدة وابن مسعود وطائفة ثم علي وطلحة والزبير وعمار وآخرون وهم من أطيب الخلق، فدل على أن المراد بالحديث تخصيص ناسٍ دون ناسٍ ووقت دون وقت.

قال ابن حزم: لو فتحت بلد من بلد فثبت بذلك الفضل للأولى للزم أن تكون البصرة أفضل من خراسان وسجستان وغيرهما مما فتح من جهة البصرة وليس كذلك، وسيأتي مزيد لهذا في كتاب الاعتصام.

قال الإمام البخاري (1884): حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَى أَحَدٍ رَجَعَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَتْ فِرْقَةٌ: نَقْتُلُهُمْ، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: لَا نَقْتُلُهُمْ، فَزَلْتُ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ﴾ [النساء: 88] وَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهَا تَنْفِي الرَّجَالَ كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الْحَدِيدِ».

قال الإمام مسلم رحمته الله (1381): حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي الدَّرَاوَرْدِيَّ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ: هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُخْرَجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ، إِلَّا إِنْ الْمَدِينَةَ كَالْكَبِيرِ، تُخْرَجُ الْخَبِيثُ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِي الْمَدِينَةَ شِرَارَهَا، كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ».

قال النووي رحمته الله (45 / 5): «قوله صلى الله عليه وسلم: في المدينة: «إنها تنفي خبثها وشرارها كما ينفي الكبر خبث الحديد»، وفي الرواية الأخرى «كما تنفي النار خبث الفضة»؛ قال العلماء: خبث الحديد والفضة هو وسخها وقدرهما الذي تخرجه النار منهما.

قال القاضي: الأظهر أن هذا مختص بزمن النبي صلى الله عليه وسلم لأنه لم يكن يصبر على الهجرة والمقام معه إلا من ثبت إيمانه، وأما المنافقون وجهلة الأعراب فلا يصبرون على شدة المدينة، ولا يحتسبون الأجر في ذلك كما قال ذلك الأعرابي الذي أصابه الوعك: أقلني بيعتي.

هذا كلام القاضي، وهذا الذي ادعى أنه الأظهر ليس بالأظهر؛ لأن هذا

الحديث الأول في صحيح مسلم أنه ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد»، وهذا والله أعلم في زمن الدجال، كما جاء في الحديث الصحيح الذي ذكره مسلم في أواخر الكتاب في أحاديث الدجال «أنه يقصد المدينة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج الله بها منها كل كافر ومنافق» فيحتمل أنه مختص بزمن الدجال، ويحتمل أنه في أزمان متفرقة والله أعلم.

قال الإمام أحمد (3632): حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَرْة، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى؟» قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَوْمُكَ وَأَهْلُكَ، اسْتَبَقْتَهُمْ، وَاسْتَأْنِ بِهِمْ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْرَجُوكَ وَكَذَّبُوكَ، قَرَّبْتَهُمْ فَأَضْرَبُ أَعْنَاقَهُمْ، قَالَ: وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْظُرْ وَادِيًا كَثِيرَ الْحُطْبِ، فَأَدْخِلْهُمْ فِيهِ، ثُمَّ أَضْرِبْ عَلَيْهِمْ نَارًا قَالَ: فَقَالَ الْعَبَّاسُ: قَطَعْتَ رَحِمَكَ، قَالَ: فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَرِدْ عَلَيْهِمْ شَيْئًا، قَالَ: فَقَالَ نَاسٌ: يَأْخُذُ بِقَوْلِ أَبِي بَكْرٍ، وَقَالَ نَاسٌ: يَأْخُذُ بِقَوْلِ عُمَرَ، وَقَالَ نَاسٌ: يَأْخُذُ بِقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ، قَالَ: فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُؤَلِّمُ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ، حَتَّى تَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ اللَّبَنِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيَشُدُّ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ، حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمِثْلِ إِبْرَاهِيمَ Σ، قَالَ: ﴿فَمَنْ يَعْصِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٣٦ [إبراهيم]، وَمِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمِثْلِ عِيسَى قَالَ: ﴿إِنْ تُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ١١٨ [المائدة]، وَإِنَّ مِثْلَكَ يَا عُمَرُ كَمِثْلِ نُوحٍ قَالَ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا

﴿٦٦﴾ [نوح] ، وَإِنَّ مِثْلَكَ يَا عُمَرُ كَمِثْلِ مُوسَى ، قَالَ : رَبِّ ﴿وَإَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس] ، أَنْتُمْ عَالَةٌ ، فَلَا يَنْفَلِتَنَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا بِفِدَاءٍ ، أَوْ ضَرْبَةٍ عُنُقٍ ﴿ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِلَّا سُهَيْلُ ابْنِ بَيْضَاءَ ، فَإِنِّي قَدْ سَمِعْتُهُ يَذْكُرُ الْإِسْلَامَ ، قَالَ : فَسَكَتَ ، قَالَ : فَمَا رَأَيْتَنِي فِي يَوْمٍ ، أَخَوْفَ أَنْ تَقَعَ عَلَيَّ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ حَتَّى قَالَ : ﴿إِلَّا سُهَيْلُ ابْنِ بَيْضَاءَ﴾ قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنْخَبَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنفال] ، إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ تَوْلَا كَتَّابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال].

تشبيه عرق الإنسان بعرق الحيوان

قال الإمام البخاري: (5305): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ قَزَعَةَ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَوَلَدِي غُلَامٌ أَسْوَدٌ، فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «مَا أَلْوَانُهَا؟» قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: «هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقٍ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَتَى ذَلِكَ؟» قَالَ: لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ، قَالَ: «فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ».

قال النووي رحمته الله (5/269): «وفيه إثبات القياس والاعتبار بالأشباه، وضرب الأمثال».

قال ابن حجر في فتح الباري (15/142): «قوله: «فهل فيها من أورك» بوزن أحمر».

قوله: «إن فيها لورقاً» بضم الواو بوزن حمر، والأورق الذي فيه سواد ليس

بحالك بل يميل إلى الغبرة، ومنه قيل للحمامة ورقاء.

قوله: «فأنى ذلك» بفتح النون الثقيلة أي من أين أتاها اللون الذي خالفها، هل هو بسبب فحل من غير لونها طراً عليها أو لأمرٍ آخر؟...

قوله: «ولعل ابنك هذا نزع» كذا في رواية أبي ذر بحذف الفاعل، ولغيره «نزعه عرق» وكذا في سائر الروايات، والمراد بالعرق الأصل من النسب شبهه بعرق الشجرة، ومنه قولهم: فلان عريق في الأصالة أي أن أصله متناسب، وكذا معرق في الكرم أو اللؤم، وأصل النزع الجذب، وقد يطلق على الميل، ومنه ما وقع في قصة عبد الله بن سلام حين سئل عن شبه الولد بأبيه أو بأمه: نزع إلى أبيه أو إلى أمه.

وفي الحديث ضرب المثل، وتشبيه المجهول بالمعلوم تقريباً لفهم السائل، واستدل به لصحة العمل بالقياس، قال الخطابي: هو أصل في قياس الشبه.

وقال ابن العربي: فيه دليل على صحة القياس والاعتبار بالنظير؛ وتوقف فيه ابن دقيق العيد فقال: هو تشبيه في أمر وجودي، والنزاع إنما هو في التشبيه في الأحكام الشرعية من طريق واحدة قوية.

وفيه أن الزوج لا يجوز له الانتفاء من ولده بمجرد الظن، وأن الولد يلحق به ولو خالف لونه لون أمه.

وقال القرطبي تبعاً لابن رشد: لا خلاف في أنه لا يجلب نفي الولد باختلاف الألوان المتقاربة كالأدمة والسمر، ولا في البياض والسواد إذا كان قد أقر بالوطاء ولم تمض مدة الاستبراء، وكأنه أراد في مذهبه، وإلا فالخلاف ثابت عند الشافعية بتفصيل فقالوا: إن لم ينضم إليه قرينة زناً لم يجز النفي، فإن اهتمها فأتت بولدٍ على

لون الرجل الذي اهتمها به جاز النفي على الصحيح، وفي حديث ابن عباس الآتي في اللعان ما يقويه.

وعند الحنابلة يجوز النفي مع القرينة مطلقاً، والخلاف إنما هو عند عدمها، وهو عكس ترتيب الخلاف عند الشافعية. وفيه تقديم حكم الفراش على ما يشعر به مخالفة الشبه. وفيه الاحتياط للأنسب وإبقائها مع الإمكان، والزجر عن تحقيق ظن السوء.

وقال القرطبي: يؤخذ منه منع التسلسل، وأن الحوادث لا بد لها أن تستند إلى أول ليس بحادث. وفيه أن التعريض بالقذف لا يثبت حكم القذف حتى يقع التصريح خلافاً للملكية، وأجاب بعض المالكية أن التعريض الذي يجب به القذف عندهم هو ما يفهم منه القذف كما يفهم من التصريح، وهذا الحديث لا حجة فيه لدفع ذلك، فإن الرجل لم يرد قذفاً، بل جاء سائلاً مستفتياً عن الحكم لما وقع له من الريبة، فلما ضرب له المثل أذعن.

وقال المهلب: التعريض إذا كان على سبيل السؤال لا حد فيه، وإنما يجب الحد في التعريض إذا كان على سبيل المواجهة والمشاتمة.

وقال ابن المنير: الفرق بين الزوج والأجنبي في التعريض أن الأجنبي يقصد الأذية المحضة، والزوج قد يعذر بالنسبة إلى صيانة النسب، والله أعلم.

قال النووي رحمته الله (5/ 269): «قوله: «إن امرأتى ولدت غلاماً أسود فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هل لك من إبل؟ قال: نعم. قال: فما ألوانها؟ قال: حمر. قال: هل فيها من أورك؟ قال: إن فيها لورقاً. قال: فأنى أتاها ذاك؟ قال: عسى أن يكون نزعها

عرق»، أما الأورق فهو الذي فيه سواد ليس بصافٍ، ومنه قيل للرماد: أورق وللحمامة ورقاء وجمعه ورق بضم الواو وإسكان الراء كأحمر وحممر.

والمراد بالعرق هنا الأصل من النسب تشبيهاً بعرق الثمرة، ومنه قولهم: فلان معرق في النسب والحسب وفي اللؤم والكرم، ومعنى «نزعه» أشبهه واجتذبه إليه وأظهر لونه عليه.

وأصل النزع الجذب، فكأنه جذبه إليه لشبهه، يقال منه: نزع الولد لأبيه وإلى أبيه، ونزعه أبوه نزعه إليه.

وفي هذا الحديث أن الولد يلحق الزوج إن خالف لونه لونه، حتى لو كان الأب أبيض والولد أسود أو عكسه لحقه، ولا يحل له نفيه بمجرد المخالفة في اللون؛ وكذا لو كان الزوجان أبيضين فجاء الولد أسود أو عكسه لاحتمال أنه نزعه عرق من أسلافه.

وفي هذا الحديث أن التعريض بنفي الولد ليس نفيًا، وأن التعريض بالقذف ليس قذفًا. وهو مذهب الشافعي وموافقيه.

وفيه إثبات القياس والاعتبار بالأشباه، وضرب الأمثال.

وفيه: الاحتياط للأنسب، وإحاقها بمجرد الإمكان.

مثل ما ينقص من فضل الله

قال الإمام مسلم رحمه الله (2577): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَهْرَامِ الدَّارِمِيُّ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدِ الدَّمَشْقِيِّ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ

رَبِيعَةَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنْ
 اللَّهُ ﷻ أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا
 تَظَالُمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ
 جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمَكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ
 كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ
 الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي
 وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ
 كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ
 أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ
 مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ
 وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ
 الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا،
 فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» قَالَ سَعِيدٌ:
 كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ، إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ.

وهذا الحديث فيه الحث من ربنا Δ على الدعاء والإكثار منه وعلى حسن الظن
 بالله تعالى، وعلى تعلم أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، والله المستعان.

قال النووي رحمته الله (8 / 384): «قوله تعالى: «ما نقص ذلك مما عندي إلا كما
 ينقص المخيط إذا أدخل البحر»؛ المخيط بكسر الميم وفتح الياء هو الإبرة.

قال العلماء: هذا تقريب إلى الأفهام، ومعناه لا ينقص شيئاً أصلاً كما قال في
 الحديث الآخر: «لا يغيضها نفقة» أي لا ينقصها نفقة؛ لأن ما عند الله لا يدخله

نقص، وإنما يدخل النقص المحدود الفاني، وعطاء الله تعالى من رحمته وكرمه، وهما صفتان قديمتان لا يتطرق إليهما نقص، فضرب المثل بالمخيط في البحر، لأنه غاية ما يضر به المثل في القلة، والمقصود التقريب إلى الإفهام بما شاهدوه؛ فإن البحر من أعظم المراتب عياناً، وأكبرها، والإبرة من أصغر الموجودات، مع أنها صقيلة لا يتعلق بها ماء. والله أعلم.

تشبيه رسول الله ﷺ الشهوة كنيب التيس

قال الإمام مسلم رحمته الله (1692): حَدَّثَنِي أَبُو كَامِلٍ فَضِيلُ بْنُ حُسَيْنِ الْجُحَدَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ سَمَّاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: رَأَيْتُ مَا عَزَبَ بَنَ مَالِكٍ حِينَ جِيءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ قَصِيرٌ، أَعْضَلٌ، لَيْسَ عَلَيْهِ رِدَاءٌ، فَشَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ أَنَّهُ زَنَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَعَلَّكَ؟» قَالَ: لَا، وَاللَّهِ إِنَّهُ قَدْ زَنَى الْأَخْرَ، قَالَ: فَرَجَمَهُ، ثُمَّ خَطَبَ، فَقَالَ: «أَلَا كَلَّمَا نَفَرْنَا غَازِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، خَلَفَ أَحَدُهُمْ لَهُ نَيْبٌ كَنَيْبِ التَّيْسِ، يَمْنَحُ أَحَدُهُمُ الْكُثْبَةَ، أَمَا وَاللَّهِ، إِنْ يُمَكِّنِي مِنْ أَحَدِهِمْ لَا نُكَلِّمُهُ عَنْهُ».

قال النووي رحمته الله (6/113): «قوله ﷺ: «ألا كلما نفرنا في سبيل الله خلف أحدهم له نيب كنيب التيس يمنح أحدهم الكثبة»، وفي بعض النسخ «إحداهن» بدل أحدهم.

ونيب التيس: صوته عند السفاد، ويمنح بفتح الياء والنون أي يعطي، والكثبة: بضم الكاف وإسكان المثلثة، القليل من اللبن وغيره».

مثل الفطرة كنتاج البهيمة

قال الإمام البخاري (1358): حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: «يُصَلَّى عَلَى كُلِّ مَوْلُودٍ مُتَوَفَّى، وَإِنْ كَانَ لِعَيَّةٍ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ وُلِدَ عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، يَدْعِي أَبَوَاهُ الْإِسْلَامَ، أَوْ أَبُوهُ خَاصَّةً، وَإِنْ كَانَتْ أُمُّهُ عَلَى غَيْرِ الْإِسْلَامِ، إِذَا اسْتَهَلَ صَارِحًا صُلِّيَ عَلَيْهِ، وَلَا يُصَلَّى عَلَى مَنْ لَا يَسْتَهَلُّ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَقَطَ» فَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، كَانَ يُحَدِّثُ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِهَيْمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: 30] الآية.

قال ابن حجر في فتح الباري (4/465): «قوله: «كمثل البهيمة تنتج البهيمة» أي تلدها فالبهيمة الثانية بالنصب على المفعولية وقد تقدم بلفظ «كما تنتج البهيمة بهيمة».

قال الطيبي: قوله «كما» حال من الضمير المنصوب في «يهودانه» أي يهودان المولود بعد أن خلق على الفطرة تشبيهاً بالبهيمة التي جدعت بعد أن خلقت سليمة، أو هو صفة مصدر محذوف أي يغيرانه تغييراً مثل تغييرهم البهيمة السليمة، قال: وقد تنازعت الأفعال الثلاثة في «كما» على التقديرين.

قوله: «تنتج» بضم أوله وسكون النون وفتح المثناة بعدها جيم، قال أهل اللغة: نتجت الناقة على صيغة ما لم يسم فاعله تنتج بفتح المثناة وأنتج الرجل ناقته ينتجها إنتاجاً، زاد في الرواية المتقدمة «بهيمة جمعاء» أي لم يذهب من بدنها شيء، سميت

بذلك لاجتماع أعضائها.

قوله: «هل ترى فيها جدعاء؟» قال الطيبي: هو في موضع الحال أي سليمة مقولاً في حقها ذلك، وفيه نوع التأكيد أي إن كل من نظر إليها قال ذلك لظهور سلامتها. والجدعاء المقطوعة الأذن، ففيه إيحاء إلى أن تصميمهم على الكفر كان بسبب صممهم عن الحق.

ووقع في الرواية المتقدمة بلفظ «هل تحسون فيها من جدعاء» وهو من الإحساس والمراد به العلم بالشيء، يريد أنها تولد لا جدع فيها وإنما يجدها أهلها بعد ذلك...

قوله: «لا تبديل لخلق الله» أي لدين الله.

تمثيل رسول الله ﷺ الصلوات الخمس بالنهر الجاري

قال الإمام مسلم رحمته الله (668): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ، غَمْرٌ عَلَى بَابٍ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ».

قَالَ: قَالَ الْحَسَنُ: «وَمَا يُبْقِي ذَلِكَ مِنَ الدَّرَنِ؟».

وهذا الحديث العظيم يدل على عظم قدر الصلوات وأنها سبب عظيم لمغفرة الذنوب، وفي الحديث من الفوائد:

- أنه لا بد للعبد من خطايا ومعاصي.

- وأن الصلاة تكفر الذنوب الصغائر، والله ذو فضل عظيم.
 - وأن الواجب من الصلوات خمس صلوات في اليوم واللييلة.
 - وأن من اغتسل في يومه خمس مرات من نهر جار لا شيء عليه، والله أعلم.
- قال النووي رحمته الله (2 / 471): «قوله صلى الله عليه وسلم: «مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جارٍ غمر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات» الغمر بفتح الغين المعجمة وإسكان الميم وهو الكثير.
- قوله: «على باب أحدكم» إشارة إلى سهولته وقرب تناوله».

مثل الذي تفوته صلاة العصر كالذي وتر أهله وماله

قال الإمام البخاري: (552): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الَّذِي تَفُوتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ، كَأَنَّمَا وَتَرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ».

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: ﴿يَتْرِكُكُمْ﴾ [محمد: 35]، «وَتَرْتُ الرَّجُلَ إِذَا قَتَلْتَ لَهُ قَتِيلًا أَوْ أَخَذْتَ لَهُ مَالًا».

قال ابن حجر [في «فتح الباري» (2 / 325)]: «قوله: «وتر أهله» هو بالنصب عند الجمهور على أنه مفعولٌ ثانٍ لوتر، وأضمر في وتر مفعولٌ لم يسم فاعله وهو عائِدٌ على الذي فاتته، فالمعنى أصيب بأهله وماله. وهو متعد إلى مفعولين. ومثله قوله: تعالى: ﴿وَلَنْ يَتْرِكَكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾.

وإلى هذا أشار المصنف فيما وقع في رواية المستملي قال: قال أبو عبد الله:

﴿يَتَرَكُ﴾. انتهى.

وقيل وتر هنا بمعنى نقص، فعلى هذا يجوز نصبه ورفعها، لأن من رد النقص إلى الرجل نصب وأضمر ما يقوم مقام الفاعل، ومن رده إلى الأهل رفع.

وقال القرطبي: يروى بالنصب على أن وتر بمعنى سلب وهو يتعدى إلى مفعولين، وبالرفع على أن وتر بمعنى أخذ فيكون أهله هو المفعول الذي لم يسم فاعله. ووقع في رواية المستملي أيضًا وترت الرجل إذا قتلت له قتيلاً أو أخذت ماله، وحقيقة الوتر كما قال الخليل هو الظلم في الدم، فعلى هذا فاستعماله في المال مجاز، لكن قال الجوهري: الموتور هو الذي قتل له قتيلاً فلم يدرك بدمه، تقول منه وتر وتقول أيضًا وتره حقه أي نقصه.

وقيل الموتور من أخذ أهله أو ماله وهو ينظر إليه وذلك أشد لغمه، فوقع التشبيه بذلك لمن فاتته الصلاة لأنه يجتمع عليه غمان: غم الإثم وغم فقد الثواب. كما يجتمع على الموتور غمان: غم السلب، وغم الطلب بالثأر.

وقيل: معنى وتر أخذ أهله وماله فصار وترًا أي فردًا، ويؤيد الذي قبله رواية أبي مسلم الكجي من طريق حماد بن سلمة عن أيوب عن نافع فذكر نحو هذا الحديث وزاد في آخره «وهو قاعدٌ»، وظاهر الحديث التغليظ على من تفوته العصر، وأن ذلك مختص بها.

وقال ابن عبد البر: يحتمل أن يكون هذا الحديث خرج جوابًا لسائل سأل عن صلاة العصر فأجيب، فلا يمنع ذلك إلحاق غيرها من الصلوات بها. وتعبه النووي بأنه إنما يلحق غير المنصوص بالمنصوص إذا عرفت العلة واشتركا فيها.

قال: والعلة في هذا الحكم لم تتحقق فلا يلتحق غير العصر بها. انتهى.

وهذا لا يدفع الاحتمال. وقد احتج ابن عبد البر بما رواه ابن أبي شيبة وغيره من طريق أبي قلابة عن أبي الدرداء مرفوعاً «من ترك صلاةً مكتوبةً حتى تفوته» الحديث.

قال النووي رحمته الله (2/ 415): «قوله رحمته الله: «الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله» روي بنصب اللامين ورفعهما، والنصب هو الصحيح المشهور الذي عليه الجمهور على أنه مفعول ثانٍ، ومن رفع فعلى ما لم يسم فاعله. ومعناه: انتزع منه أهله وماله، وهذا تفسير مالك بن أنس.

وأما على رواية النصب فقال الخطابي وغيره: معناه نقص هو أهله وماله وسلبه، فبقي بلا أهل ولا مال، فليحذر من تفويتها كحذره من ذهاب أهله وماله. وقال أبو عمر بن عبد البر: معناه عند أهل اللغة والفقهاء أنه كالذي يصاب بأهله وماله إصابة يطلب بها وترًا، والوتر الجنائية التي يطلب ثأرها فيجتمع عليه غمان: غم المصيبة وغم مقاساة طلب الثأر.

وقال الداودي من المالكية: معناه يتوجه عليه من الاسترجاع ما يتوجه على من فقد أهله وماله، فيتوجه عليه الندم والأسف لتفويته الصلاة، وقيل: معناه فاته من الثواب ما يلحقه من الأسف عليه كما يلحق من ذهب أهله وماله. قال القاضي عياض - رحمته الله تعالى -: واختلفوا في المراد بفوات العصر في هذا الحديث، فقال ابن وهب وغيره: هو فيمن لم يصلها في وقتها المختار، وقال سحنون والأصيلي: هو أن تفوته بغروب الشمس، وقيل: هو تفويتها إلى أن تصفر الشمس، وقد ورد

مفسراً من رواية الأوزاعي في هذا الحديث.

قال فيه: وفواتها أن يدخل الشمس صفرة، وروي عن سالم أنه قال هذا فيمن فاتته ناسياً، وعلى قول الداودي هو في العامد، وهذا هو الأظهر، ويؤيده حديث البخاري في صحيحه: «من ترك صلاة العصر حبط عمله» وهذا إنما يكون في العامد.

قال ابن عبد البر: ويحتمل أن يلحق بالعصر باقي الصلوات: ويكون نبه بالعصر على غيرها، وإنما خصها بالذكر لأنها تأتي وقت تعب الناس من مقاساة أعمالهم وحرصهم على قضاء أشغالهم وتسويقهم بها إلى انقضاء وظائفهم.

وفيما قاله نظر؛ لأن الشرع ورد في العصر، ولم تتحقق العلة في هذا الحكم فلا يلحق بها غيرها بالشك والتوهم، وإنما يلحق غير المنصوص بالمنصوص إذا عرفنا العلة واشتركا فيها. والله أعلم.

النهي عن افتراش كافتراش السبع

قال الإمام مسلم رحمته الله (498): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ يَعْنِي الْأَحْمَرَ، عَنْ حُسَيْنِ الْمُعَلِّمِ، ح قَالَ: وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - وَاللَّفْظُ لَهُ - قَالَ: أَخْبَرَنَا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ الْمُعَلِّمِ، عَنْ بُدَيْلِ بْنِ مَيْسَرَةَ، عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «يَسْتَفْتِحُ الصَّلَاةَ بِالتَّكْبِيرِ. وَالْقِرَاءَةِ، بِالحَمْدِ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَكَانَ إِذَا رَكَعَ لَمْ يُشْخِصْ رَأْسَهُ، وَلَمْ يُصَوِّبْهُ وَلَكِنْ بَيْنَ ذَلِكَ، وَكَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ لَمْ يَسْجُدْ، حَتَّى يَسْتَوِيَ قَائِماً، وَكَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السَّجْدَةِ، لَمْ يَسْجُدْ حَتَّى يَسْتَوِيَ جَالِساً، وَكَانَ يَقُولُ

فِي كُلِّ رَكَعَتَيْنِ التَّحِيَّةِ، وَكَانَ يَفْرِشُ رِجْلَهُ الْيُسْرَى وَيَنْصِبُ رِجْلَهُ الْيُمْنَى، وَكَانَ يَنْهَى عَنِ عَقْبَةِ الشَّيْطَانِ. وَيَنْهَى أَنْ يَفْتَرِشَ الرَّجُلُ ذِرَاعِيَهُ افْتِرَاشَ السَّبْعِ، وَكَانَ يَحْتِمُ الصَّلَاةَ بِالتَّسْلِيمِ» وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ نُعْمَيْرٍ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ، وَكَانَ يَنْهَى عَنِ عَقْبِ الشَّيْطَانِ.

قال النووي رحمته الله (2/ 250): «قولها: «وكان ينهى عن عقبة الشيطان» هو الإقعاء الذي فسرناه وهو مكروه باتفاق العلماء بهذا التفسير الذي ذكرناه. وأما الإقعاء الذي ذكره مسلم بعد هذا في حديث ابن عباس أنه سنة فهو غير هذا كما سنفسره في موضعه إن شاء الله تعالى».

مثل المتوضئين كالغر المحجلة

قال الإمام البخاري (136): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ نُعَيْمِ الْمُجَمِرِ، قَالَ: رَقِيتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَلَى ظَهْرِ الْمَسْجِدِ، فَتَوَضَّأْتُ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ».

قال ابن حجر في فتح الباري (1/ 218): «قوله: «غرا» بضم المعجمة وتشديد الراء جمع أغر أي ذو غرة، وأصل الغرة لمعة بيضاء تكون في جبهة الفرس، ثم استعملت في الجمال والشهرة وطيب الذكر، والمراد بها هنا النور الكائن في وجوه أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وغرا منصوب على المفعولية ليدعون أو على الحال، أي: أنهم إذا دعوا على رؤوس الأشهاد نودوا بهذا الوصف وكانوا على هذه الصفة».

قوله: «محجلين» بالمهملة والجيم من التحجيل وهو بياض يكون في ثلاث قوائم

من قوائم الفرس، وأصله من الحجل بكسر المهملة وهو الخللخال، والمراد به هنا أيضاً النور.

واستدل الحلبي بهذا الحديث على أن الوضوء من خصائص هذه الأمة، وفيه نظر لأنه ثبت عند المصنف في قصة سارة رضي الله عنها مع الملك الذي أعطاها هاجر أن سارة لما هم الملك بالدنو منها قامت تتوضأ وتصلي، وفي قصة جريج الراهب أيضاً أنه قام فتوضأ وصلى ثم كلم الغلام.

فالظاهر أن الذي اختصت به هذه الأمة هو الغرة والتحجيل لا أصل الوضوء، وقد صرح بذلك في رواية لمسلم عن أبي هريرة أيضاً مرفوعاً قال: «سيما ليست لأحد غيركم» وله من حديث حذيفة نحوه. و«سيما» بكسر المهملة وإسكان الياء الأخيرة أي: علامة.

وقد اعترض بعضهم على الحلبي بحديث «هذا وضوئي ووضوء الأنبياء قبلي» وهو حديث ضعيف كما تقدم لا يصح الاحتجاج به لضعفه؛ ولا احتمال أن يكون الوضوء من خصائص الأنبياء دون أممهم إلا هذه الأمة.

قال النووي رحمته الله (401/1): «أما «السيما» فهي العلامة وهي مقصورة وممدودة لغتان، ويقال: «السيما» بياء بعد الميم مع المد، وقد استدل جماعة من أهل العلم بهذا الحديث على أن الوضوء من خصائص هذه الأمة - زادها الله تعالى شرفاً - .

وقال آخرون: ليس الوضوء مختصاً بها وإنما الذي اختصت به هذه الأمة الغرة والتحجيل، واحتجوا بالحديث الآخر: «هذا وضوئي ووضوء الأنبياء قبلي»،

وأجاب الأولون عن هذا بجوابين:

أحدهما: أنه حديث ضعيف معروف الضعف،

والثاني: لو صح احتمل أن يكون الأنبياء اختصت بالوضوء دون أمهم إلا هذه

الأمّة. والله أعلم.»

مثل ورق سدرة المنتهى

قال الإمام البخاري (3887): حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يُحْيَى، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رضي الله عنه، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِي بِهِ: «بَيْتًا أَنَا فِي الْحَطِيمِ، - وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الْحِجْرِ - مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ، فَقَدَّ: قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ - فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي: مَا يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ: مِنْ ثَغْرَةٍ نَحَرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مِنْ قَصَبِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ - فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيَتْ بِطُسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيْمَانًا، فَعُغِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُثِّيْتُ ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيَتْ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَعْلِ، وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَيْبُضٌ، - فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ: هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ؟ قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ - يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَفْصَى طَرْفِهِ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِرْبِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِرْبِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرَحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَحِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرَحَبًا بِالْإِبْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِرْبِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرَحَبًا بِهِ فَنِعْمَ

المحيي ءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُحْيِي وَعَيْسَى، وَهُمَا ابْنَا الخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يُحْيِي وَعَيْسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدًّا، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَحْيِي ءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوْقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَحْيِي ءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي، حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَحْيِي ءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيْلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَحْيِي ءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا مُوسَى، قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكِي، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرَ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيْلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ:

نَعَمْ، قَالَ: مَرَحَبًا بِهِ، فَنِعِمَّ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، قَالَ: مَرَحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبُفُّهَا مِثْلُ قِلَالٍ هَجْرٍ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةٌ أَمْهَارٍ: مَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَمَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنَّيْلُ وَالْفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيَتْ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبْنَ فَقَالَ: هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ، ثُمَّ فَرَضْتُ عَلَيَّ الصَّلَوَاتِ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتُ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَاجَلْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَاجَلَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمِ أُمِرْتُ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَاجَلْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَاجَلَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي».

قال النووي رحمته الله (1/ 291): «وقوله ﷺ: «وإذا ثمرها كالقلال» هو بكسر

القاف جمع قلةٍ والقلة جرةٌ عظيمةٌ تسع قربتين أو أكثر».

قال ابن حجر في فتح الباري (11/216): «قوله: «فإذا نبقتها» بفتح النون وكسر الموحدة وسكونها أيضًا، قال ابن دحية: والأول هو الذي ثبت في الرواية، أي التحريك، والنبق معروف وهو ثمر السدر.

قوله: «مثل قلال هجر» قال الخطابي: القلال بالكسر جمع قلة بالضم هي الجرار، يريد أن ثمرها في الكبر مثل القلال، وكانت معروفة عند المخاطبين فلذلك وقع التمثيل بها، قال: وهي التي وقع تحديد الماء الكثير بها في قوله: «إذا بلغ الماء قلتين»، وقوله: «هجر» بفتح الهاء والجيم بلدة لا تنصرف للتأنيث والعلمية، ويجوز الصرف.

قوله: «وإذا ورقها مثل آذان الفيلة» بكسر الفاء وفتح التحتانية بعدها لام جمع فيل، ووقع في بدء الخلق «مثل آذان الفيول» وهو جمع فيل أيضًا قال ابن دحية: اختيرت السدرة دون غيرها لأن فيها ثلاثة أوصاف: ظل ممدود، وطعام لذيد، ورائحة زكية؛ فكانت بمنزلة الإيمان الذي يجمع القول والعمل والنية، والظل بمنزلة العمل، والطعم بمنزلة النية، والرائحة بمنزلة القول».

مثل عيسى والمسيح الدجال

قال الإمام البخاري (3439، 3440): حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنَا أَبُو صَمْرَةَ، حَدَّثَنَا مُوسَى، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ، يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرِي النَّاسِ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، إِلَّا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَانَ عَيْنُهُ عِنَبَةً طَافِيَةً، وَأَرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فِي الْمَنَامِ، فَإِذَا رَجُلٌ

أَدَمُ، كَأَحْسَنِ مَا يُرَى مِنْ أَدَمِ الرَّجَالِ تَضْرِبُ لِمَتَهُ بَيْنَ مَنْكَبَيْهِ، رَجُلٌ الشَّعْرُ، يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكَبَيْ رَجُلَيْنِ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ رَأَيْتُ رَجُلًا وَرَاءَهُ جَعْدًا قَطِطًا أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَشْبَهُ مَنْ رَأَيْتُ بِابْنِ قَطْنٍ، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكَبَيْ رَجُلٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْمَسِيحُ الدَّجَالُ».

قال ابن حجر في فتح الباري (10 / 242): «قوله: «آدم» بالمد أي أسمر.

قوله: «كأحسن ما يرى» في رواية مالك عن نافع الآتية في كتاب اللباس «كأحسن ما أنت راء».

قوله: «تضرب لمته» بكسر اللام أي شعر رأسه، ويقال له إذا جاوز شحمة الأذنين وألم بالمنكبين لمة، وإذا جاوزت المنكبين فهي جمّة وإذا قصرت عنهما فهي وفرة».

قال النووي رحمته الله (1 / 303): «قوله ﷺ: «أراني ليلة عند الكعبة فرأيت رجلاً آدم كأحسن ما أنت راء من آدم الرجال، له لمة كأحسن ما أنت راء من اللمم، قد رجلها فهي تقطر ماء، متكئاً على رجلين أو على عواتق رجلين، يطوف بالبيت. فسألت من هذا؟ فقيل: هذا المسيح بن مريم ثم إذا أنا برجلٍ جعد ققط أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية فسألت من هذا؟ فقيل: هذا المسيح الدجال».

أما قوله ﷺ: «يقطر ماء» فقد قال القاضي عياض يحتمل أن يكون على ظاهره أي يقطر بالماء الذي رجلها به لقرب ترجيله، وإلى هذا نحا القاضي الباجي. قال القاضي عياض: ومعناه عندي أن يكون ذلك عبارة عن نضارته وحسنه واستعارة

لجماله.

وأما العواتق فجمع عاتق، قال أهل اللغة: هو ما بين المنكب والعنق وفيه لغتان التذكير والتأنيث والتذكير أفصح وأشهر. قال صاحب المحكم: ويجمع العاتق على عواتق كما ذكرنا وعلى عتق وعتق بإسكان التاء وضمها.

وأما المسيح فهو صفة لعيسى عليه السلام وصفة للدجال، فأما عيسى فاختلف العلماء في سبب تسميته مسيحا، قال الواحدي: ذهب أبو عبيد والليث إلى أن أصله بالعبرانية مشيحا فعربته العرب وغيرت لفظه كما قالوا موسى وأصله موسى أو ميسا بالعبرانية فلما عربوه غيروه؛ فعلى هذا لا اشتقاق له.

قال: وذهب أكثر العلماء إلى أنه مشتق وكذا قال غيره إنه مشتق على قول الجمهور ثم اختلف هؤلاء فحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لأنه لم يمسح ذا عاهة إلا بريء. وقال إبراهيم وابن الأعرابي المسيح الصديق وقيل: لكونه ممسوح أسفل القدمين لا أخمص له؛ وقيل: لمسح زكريا إياه؛ وقيل: لمسحه الأرض أي قطعها؛ وقيل: لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن؛ وقيل: لأنه مسح بالبركة حين ولد؛ وقيل: لأن الله تعالى مسح أي خلقه خلقا حسنا؛ وقيل: غير ذلك والله أعلم.

وأما الدجال: فقيل: سمي بذلك لأنه ممسوح العين؛ وقيل: لأنه أعور والأعور يسمى مسيحا؛ وقيل: لمسحه الأرض حين خروجه؛ وقيل: غير ذلك.

قال القاضي: ولا خلاف عند أحد من الرواة في اسم عيسى أنه بفتح الميم وكسر السين مخففة واختلف في الدجال فأكثرهم يقوله مثله ولا فرق بينهما في اللفظ

ولكن عيسى عليه السلام مسيح هدى والدجال مسيح ضلالة. ورواه بعض الرواة مسيح بكسر الميم والسين المشددة وقاله غير واحد كذلك إلا أنه بالخاء المعجمة وقاله بعضهم بكسر الميم وتخفيف السين والله أعلم.

في صفة الدجال: «جعد قطط» فهو بفتح القاف والطاء هذا هو المشهور. قال القاضي عياض: روينا بفتح الطاء الأولى وبكسرهما قال وهو شديد الجعودة.

وقال الهروي: الجعد في صفات الرجال يكون مدحا ويكون ذما، فإذا كان ذما فله معنيان: أحدهما القصير المتردد والآخر البخيل؛ يقال رجل جعد اليمين وجعد الأصابع أي بخيل. وإذا كان مدحا فله أيضا معنيان: أحدهما أن يكون معناه شديد الخلق والآخر يكون شعره جعدا غير سبط فيكون مدحا لأن السبوطه أكثرها في شعور العجم.

مثل عين المسيح الدجال

قال الإمام البخاري (3439، 3440): حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنَا أَبُو صَمْرَةَ، حَدَّثَنَا مُوسَى، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرِي النَّاسِ الْمَسِيحِ الدَّجَالَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، إِلَّا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، وَأَرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فِي الْمَنَامِ، فَإِذَا رَجُلٌ أَدَمٌ، كَأَحْسَنِ مَا يُرَى مِنْ أَدَمِ الرَّجَالِ تَضْرِبُ لَمْتَهُ بَيْنَ مَنْكَبَيْهِ، رَجُلٌ الشَّعْرُ، يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكَبَيْ رَجُلَيْنِ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ رَأَيْتُ رَجُلًا وَرَاءَهُ جَعْدًا قَطِطًا أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَشْبَهُ مَنْ رَأَيْتُ بِابْنِ قَطْنٍ، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكَبَيْ رَجُلٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ،

فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْمَسِيحُ الدَّجَالُ».

قال النووي رحمته الله (1/ 303): «وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «أعور العين اليمنى كأنها عنة طافية» فروي بالهمز وبغير همز فمن همز معناه ذهب ضوؤها، ومن لم يهمز معناه ناتئة بارزة.

ثم إنه جاء هنا «أعور العين اليمنى»، وجاء في رواية أخرى «أعور العين اليسرى» وقد ذكرهما جميعاً مسلم في آخر الكتاب وكلاهما صحيح.

قال القاضي عياض رحمته الله: روينا هذا الحرف عن أكثر شيوخنا بغير همز وهو الذي صححه أكثرهم قال: وهو الذي ذهب إليه الأخفش ومعناه ناتئة كتوء حبة العنب من بين صواحباها.

قال: وضبطه بعض شيوخنا بالهمز، وأنكره بعضهم، ولا وجه لإنكاره. وقد وصف في الحديث بأنه ممسوح العين، وأنها ليست جحراء ولا ناتئة بل مطموسة، وهذه صفة حبة العنب إذا سال ماؤها، وهذا يصحح رواية الهمز».

مثل موسى Σ

قال الإمام البخاري (3000): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، ح وَقَالَ لِي خَلِيفَةُ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَمِّ نَيْيَكُم يَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي مُوسَى رَجُلًا آدَمَ طَوَالًا جَعْدًا، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَاءَ، وَرَأَيْتُ عَيْسَى رَجُلًا مَرْبُوعًا، مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، سَطِطَ الرَّأْسِ،

وَرَأَيْتُ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ، وَالدَّجَالَ فِي آيَاتِ آرَاهُنَّ اللَّهُ إِيَّاهُ: ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ﴾ [السجدة: 23].

قَالَ أَنَسٌ، وَأَبُو بَكْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «تَحْرُسُ الْمَلَائِكَةُ الْمَدِينَةَ مِنَ الدَّجَالِ».

قال ابن حجر في فتح الباري (10/189): «قوله: «كأنه من رجال شنوءة» بفتح المعجمة وضم النون وسكون الواو بعدها همزة ثم هاء تأنيث: حي من اليمن ينسبون إلى شنوءة وهو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، ولقب شنوءة لشنآن كان بينه وبين أهله، والنسبة إليه شنوئي بالهمز بعد الواو وبالهمز بغير واو».

قال ابن قتيبة: سمي بذلك من قولك رجلٌ فيه شنوءة أي تقزُّزٌ، والتقزُّز بقاءٌ وزاين التباعد من الأدناس.

قال الداودي رجال الأزد معروفون بالطول انتهى. ووقع في حديث ابن عمر عند المصنف بعد «كأنه من رجال الزط» وهم معروفون بالطول والأدمة».

قال النووي رحمه الله (1/296): «قوله ﷺ: «موسى آدم طوال كأنه من رجال شنوءة وقال: عيسى جعد مربع» أما «طوال» فبضم الطاء وتخفيف الواو ومعناه طويل وهما لغتان».

وأما «شنوءة» فشين معجمة مفتوحة ثم نون ثم واو، ثم همزة ثم هاء وهي قبيلة معروفة.

قال ابن قتيبة في أدب الكاتب: سموا بذلك من قولك رجل فيه شنوءة أي

تقزز.

قال: ويقال: سموا بذلك لأنهم تشانتوا وتباعدوا وقال الجوهري: الشنوءة التقزز وهو التباعد من الأذناس ومنه أزد شنوءة وهم حي من اليمن ينسب إليهم «شنئي» قال: قال ابن السكيت: ربما قالوا: «أزد شنوءة» بالتشديد غير مهموز وينسب إليها «شنوي».

مثل مرور الناس على الصراط

قال الإمام مسلم رحمه الله (195): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ طَرِيفِ بْنِ خَلِيفَةَ الْبَجَلِيِّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبُو مَالِكٍ، عَنْ رَبِيعِيٍّ، عَنْ حُدَيْفَةَ، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ فِي النَّاسِ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا، اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُم مِّنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ»، قَالَ: «فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِّنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةَ اللَّهِ وَرُوحِهِ، فَيَقُولُ عِيسَى ﷺ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَقُومُ فَيُؤَدِّنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحْمُ، فَتَقُومَانِ جَنَّتِي الصَّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوْلَاكُمْ كَالْبَرْقِ» قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرَّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرَّ الرِّيحُ، ثُمَّ كَمَرَّ الطَّيْرُ، وَشَدَّ الرَّجَالُ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيكُمُ قَائِمٌ عَلَى الصَّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ

أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا»، قَالَ: «وَفِي حَافَتِي الصَّرَاطِ كَاللَّيْبِ مُعَلَّقَةً مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشُ نَاجٍ، وَمَكْدُوشٌ فِي النَّارِ» وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيْفًا.

قال النووي رحمته الله (1/ 342): «قوله صلى الله عليه وسلم: «فيمر أولهم كالبرق ثم ذكر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم»؛ أما «شد الرجال» فهو بالجيم جمع رجل هذا هو الصحيح المعروف المشهور، ونقل القاضي أنه في رواية ابن ماهان بالحاء.

قال القاضي: وهما متقاربان في المعنى وشدها عدوها البالغ وجريها. وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «تجري بهم أعمالهم» فهو كالتفسير لقوله صلى الله عليه وسلم: «فيمر أولكم كالبرق ثم كمر الريح... إلى آخره»، معناه أنهم يكونون في سرعة المرور على حسب مراتبهم وأعمالهم.

أمثال الدنيا

قال الإمام مسلم رحمته الله (2957): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ يَعْنِي ابْنَ بِلَالٍ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِالسُّوقِ، دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفْتَهُ، فَمَرَّ بِجَدِّي أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدَرَاهِمٍ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيًّا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَكَّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: «فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ».

وفي رواية: «فَلَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ هَذَا السَّكَّ بِهِ عَيْبًا».

قال النووي رحمته الله (9/ 346): «قوله: «والناس كنفته»، وفي بعض النسخ «كنفتيه». معنى الأول جانبه، والثاني جانبيه.
قوله: «جدي أسك» أي صغير الأذنين».

أمثال آخر للدنيا

قال الإمام أحمد رحمته الله في مسنده (21239): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ أَبُو يَحْيَى الْبَزَّازُ، حَدَّثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ مُوسَى بْنُ مَسْعُودٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ الْحَسَنِ، عَنْ عُتَيْبٍ، عَنْ أَبِي بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مَطْعَمَ ابْنِ آدَمَ جُعِلَ مَثَلًا لِلدُّنْيَا، وَإِنْ فَرَّحَهُ، وَمَلَّحَهُ فَانظُرُوا إِلَى مَا يَصِيرُ».

قال الإمام البخاري (1372): حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ فَصَّالَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامُ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ هِلَالِ بْنِ أَبِي مَيْمُونَةَ، حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه، يُحَدِّثُ: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فَقَالَ: «إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي، مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْيَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَسَكَتَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَقِيلَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟ تَكَلَّمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَلَا يُكَلِّمُكَ؟ فَرَأَيْنَا أَنَّهُ يُنَزَّلُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: فَمَسَحَ عَنْهُ الرُّحَصَاءَ، فَقَالَ: «أَيُّنَ السَّائِلُ؟» وَكَانَهُ حَمْدَهُ، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَا يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ، وَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ أَوْ يُلِيمُ، إِلَّا أَكَلَةَ الْخَضِرَاءِ، أَكَلْتَ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ، فَتَلَطَّتْ وَبَالَتْ، وَرَتَعَتْ، وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَنِعْمَ صَاحِبُ

المُسْلِمِ مَا أُعْطِيَ مِنْهُ الْمَسْكِينُ وَالْيَتِيمَ وَابْنَ السَّبِيلِ - أَوْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذُهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَيَكُونُ شَهِيدًا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

مثل آخر

قال أبو نعيم [في «حلية الأولياء» (3/342)]: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ كَيْسَانَ، ثنا مُوسَى بْنُ هَارُونَ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْجُمَحِيُّ، ثنا ثَابِتُ بْنُ زَيْدِ أَبِي زَيْدٍ، عَنْ هِلَالِ بْنِ خَبَّابٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «دَخَلَ عُمَرُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ اتَّخَذْتَ فِرَاشًا أَوْثَرَ مِنْ هَذَا، فَقَالَ: «لَا، مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؛ وَمَا لِلدُّنْيَا وَمَا لِي؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ سَارَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ فَاسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا».

قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ [في «فيض القدير» (7976)]: ««ما لي وللدنيا» أي ليس لي ألفة ومحبة معها ولا أنها معي حتى أرغب فيها أو ألفة وصحبة لي مع الدنيا؟ وهذا قاله لما قيل له ألا نبسط لك فراشا لنا ونعمل لك ثوبا حسنا؟

قال الطيبي: واللام في الدنيا مقحمة للتأكيد إن كانت الواو بمعنى مع وإن كانت للعطف فتقديره ما لي وللدنيا معي.

«ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها» أي ليس حالي معها إلا كحال راكب مستظل قال الطيبي: وهذا تشبيه تمثيلي ووجه الشبه سرعة الرحيل وقلة المكث ومن ثم خص الراكب.

ومقصوده أن الدنيا زينت للعيون والنفوس فأخذت بهما استحسانا ومحبة ولو

بأشرف القلب معرفة حقيقتها ومعتبرها لأبغضها ولما أثارها على الآجل الدائم قال عيسى O: يا معشر الحواريين أيكم يستطيع أن يبني على موج البحر داراً؟ قالوا: يا روح الله ومن يقدر؟

قال: إياكم والدنيا فلا تتخذوها قرازا. وقال الحكيم: جعل الله الدنيا ممرا والآخرة مقرا والروح عارية والرزق بلغة والمعاش حجة والسعي خيرا ودعا من دار الآفات إلى دار السلام ومن السجن إلى البستان وذلك حال كل إنسان لكن للنفس أخلاق دنية ردية تعمى عن كونها دار ممر وتلهى عن تذكر كون الآخرة دار مقر؛ ولا يبصر ذلك إلا من اطمأنت نفسه وماتت شهوته واستنار قلبه بنور اليقين فلذلك شهد المصطفى ﷺ هذه الحال في نفسه ولم يصفها لغيره، وإن كان سكان الدنيا جميعا كذلك لعماهم عما هنالك، وهذا لما مر بقوم يعالجون خصا قال: ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك».

مثل آخر

قال الإمام البخاري: (2963): حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ﷺ: لَقَدْ أَتَانِي الْيَوْمَ رَجُلٌ، فَسَأَلَنِي عَنْ أَمْرٍ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَدْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا مُؤَدِيًا نَشِيطًا، يَخْرُجُ مَعَ أَمْرَانَا فِي الْمَغَازِي، فَيَعِزُّمُ عَلَيْنَا فِي أَشْيَاءَ لَا نُحْصِيهَا؟ فَقُلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ، إِلَّا أَنَا «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَعَسَى أَنْ لَا يَعِزَّمَ عَلَيْنَا فِي أَمْرٍ إِلَّا مَرَّةً حَتَّى نَفْعَلَهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَنْ يَزَالَ بِخَيْرٍ مَا اتَّقَى اللَّهَ، وَإِذَا شَكَ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ سَأَلَ رَجُلًا، فَشَفَّاهُ مِنْهُ، وَأَوْشَكَ أَنْ لَا تَجِدُوهُ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا أَذْكَرُ مَا غَبَرَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا كَالثَّغْبِ

شَرِبَ، صَفُوهُ وَبَقِيَ كَدْرُهُ».

«والثغب»، كما قال النووي رحمته الله [في «شرح مسلم» (7/483)]: «بالثاء المثلثة والغين المعجمة والباء الموحدة. قال الخطابي: هو مستنقع الماء في الجبال والصخور، وهو الثغب أيضاً، وجمعه ثغبان. قال القاضي وصاحب المطالع: هذه الرواية غلط من الناقلين، وتصحيف وإحالة للمعنى، لأنه إنما جعلت هذه الطائفة الأولى مثلاً لما ينبت، والثغبة لا تنبت».

مثل آخر

قال الإمام البخاري (6416): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو الْمُنْذِرِ الطُّفَاوِيُّ، عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَعْمَشِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُجَاهِدٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَتَنَظَّرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَتَنَظَّرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله [في «فتح الباري» (18/224)]: «قوله «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل». قال الطيبي: ليست أو للشك بل للتخيير والإباحة، والأحسن أن تكون بمعنى بل، فشبه الناسك السالك بالغريب الذي ليس له مسكن يأويه ولا مسكن يسكنه، ثم ترقى وأضرب عنه إلى عابر السبيل لأن الغريب قد يسكن في بلد الغربة بخلاف عابر السبيل القاصد لبلد شاسع وبينها أودية مرديّة ومفاوز مهلكة وقطاع طريق فإن من شأنه أن لا يقيم لحظة

ولا يسكن لمحّة، ومن ثمّ عقبه بقوله: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصّباح» إلخ ،
وبقوله: «وعدّ نفسك في أهل القبور».

والمعنى استمرّ سائرًا ولا تفتّر، فإنّك إن قصّرت انقطعت وهلكت في تلك
الأودية، وهذا معنى المشبّه به، وأمّا المشبّه فهو قوله «وخذ من صحّتك لمرضك»
أي أنّ العمر لا يخلو عن صحّة ومرض، فإذا كنت صحيحًا فسر سير القصد وزد
عليه بقدر قوّتك ما دامت فيك قوّة بحيث تكون ما بك من تلك الزيادة قائمًا مقام
ما لعلّه يفوّت حالة المرض والضعف.

زاد عبدة في روايته عن ابن عمر «اعبد الله كأنك تراه وكن في الدّنيا» الحديث،
وزاد ليث في روايته «وعدّ نفسك في أهل القبور» وفي رواية سعيد بن منصور
«وكأنك عابر سبيل» وقال ابن بطّال: لما كان الغريب قليل الانبساط إلى التّاس بل
هو مستوحش منهم إذ لا يكاد يمرّ بمن يعرفه مستأنس به فهو ذليل في نفسه
خائف، وكذلك عابر السبيل لا ينفذ في سفره إلّا بقوّته عليه وتخفيفه من الأثقال
غير متشبّث بما يمنعه من قطع سفره معه زاده وراحلته يبلّغانه إلى بغيته من قصده
شبّه بهما، وفي ذلك إشارة إلى إثارة الزّهد في الدّنيا وأخذ البلغة منها والكفاف،
فكما لا يحتاج المسافر إلى أكثر ممّا يبلغه إلى غاية سفره فكذلك لا يحتاج المؤمن في
الدّنيا إلى أكثر ممّا يبلغه المحلّ.

وقال غيره: هذا الحديث أصل في الحثّ على الفراغ عن الدّنيا والزّهد فيها
والاحتقار لها والقناعة فيها بالبلغة.

وقال النّووي: معنى الحديث لا تركز إلى الدّنيا ولا تتخذها وطنًا ولا تحدّث

نفسك بالبقاء فيها ولا تتعلّق منها بما لا يتعلّق به الغريب في غير وطنه. وقال غيره: عابر السبيل هو المارّ على الطّريق طالباً وطنه، فالمرء في الدّنيا كعبدٍ أرسله سيّده في حاجة إلى غير بلده، فشأنه أن يبادر بفعل ما أرسل فيه ثمّ يعود إلى وطنه ولا يتعلّق بشيءٍ غير ما هو فيه، وقال غيره: المراد أن ينزل المؤمن نفسه في الدّنيا منزلة الغريب فلا يعلّق قلبه بشيءٍ من بلد الغربة، بل قلبه متعلّق بوطنه الذي يرجع إليه، ويجعل إقامته في الدّنيا ليقضي حاجته وجهازه للرجوع إلى وطنه، وهذا شأن الغريب، أو يكون كالمسافر لا يستقرّ في مكان بعينه بل هو دائم السير إلى بلد الإقامة.

واستشكل عطف عابر السبيل على الغريب وقد تقدّم جواب الطّبيّي، وأجاب الكرمانيّ بأنّه من عطف العامّ على الخاصّ، وفيه نوع من التّرقّي لأنّ تعلّقاته أقلّ من تعلّقات الغريب المقيم».

مثل آخر

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي

الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٦٦﴾ [الرعد].

قال الإمام مسلم رحمته الله (1467): حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ الْهُمْدَانِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا حَيْوَةُ، أَخْبَرَنِي شَرْحِبِيلُ بْنُ شَرِيكٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبَلِيَّ، يُحَدِّثُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمُرَأَةُ الصَّالِحَةُ».

أي: كمتاع المسافر.

مثل آخر

قال الإمام مسلم رحمته الله (2858): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ، ح وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ أَعْيَنَ، ح وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، كُلُّهُمْ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، ح وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ - وَاللَّفْظُ لَهُ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنَا قَيْسٌ، قَالَ: سَمِعْتُ مُسْتَوْرِدًا، أَخَا بَنِي فَهْرٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَابَةِ - فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرَجِعُ؟» وَفِي حَدِيثِهِمْ جَمِيعًا، غَيْرَ يَحْيَى: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ: عَنِ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَادٍ، أَخِي بَنِي فَهْرٍ، وَفِي حَدِيثِهِ أَيْضًا قَالَ: وَأَشَارَ إِسْمَاعِيلُ بِالْإِبْهَامِ.

قال النووي رحمته الله (241/9): «قوله ﷺ: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل

ما يجعل أحدكم إصبعه هذه - وأشار يحيى بالسبابة - فلينظر بم ترجع».

ومعنى الحديث: ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدتها، وفناء لذاتها، ودوام الآخرة، ودوام لذاتها ونعيمها، إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالأصبع إلى باقي البحر».

مثل آخر

قال الإمام مسلم رحمته الله (2967): حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا هَمِيدُ بْنُ هَالِلٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ عَمْرِوِّ الْعَدَوِيِّ، قَالَ: خَطَبَنَا عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، «فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنْتْ بِبَصَرِ

وَوَلَّتْ حَذَاءً، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصَبَابَةِ الْإِنَاءِ، يَتَصَابَهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُتَنَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرٍ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ، فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا، لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا، وَوَاللَّهِ لَتَمْلَأَنَّ، أَفَعَجِبْتُمْ؟ وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مِصَارِيحِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةٌ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَطَيْظٍ مِنَ الزَّحَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا، فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَاتَزَرْتُ بِنِصْفِهَا وَاتَزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا، فَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ، وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا، وَعِنْدَ اللَّهِ صَغِيرًا، وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةَ قَطُّ إِلَّا تَنَاسَخَتْ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَاقِبَتِهَا مُلْكًا، فَسَتَخْبُرُونَ وَتُجَرَّبُونَ الْأُمَرَاءَ بَعْدَنَا».

قال النووي رحمه الله (9/353): «قوله: «إن الدنيا قد آذنت بصرم، وولت حذاء، ولم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء يتصابها صاحبها»؛ أما «آذنت» فهمزة ممدودة وفتح الذال أي أعلمت.

و«الصرم» بالضم أي الانقطاع والذهاب.

وقوله: «حذاء» بحاءٍ مهملة مفتوحة ثم ذال معجمة مشددة وألف ممدودة أي مسرعة الانقطاع.

و«الصباية» بضم الصاد البقية اليسيرة من الشراب تبقى في أسفل الإناء.

وقوله: «يتصابها» أي يشربها. وقعر الشيء أسفله. والكظيظ الممتلئ».

مثل آخر عن وهب بن منبه

قال أبو نعيم [في «حلية الأولياء» (51/4)]: حَدَّثَنَا أَبِي بِرِجَالِ اللَّهِ، ثنا أحمد بن محمد بن سهل، ثنا أبو مسعود، ثنا عبد الرزاق، ح. وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، ثنا علي بن إسحاق، ثنا حسين المروزي، ثنا ابن المبارك، قال: ثنا رباح بن زيد، عن عبد العزيز بن حوران، قال: سَمِعْتُ وَهَبَ بْنَ مُنْبَهٍ، يَقُولُ: «مَثَلُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَثَلُ ضَرَّتَيْنِ، إِنْ أَرْضَيْتَ إِحْدَاهُمَا أَسَخَطْتَ الْأُخْرَى».

قلت: قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل: هشام بن يوسف وسئل عن عبد العزيز بن حوران شيخ من أهل صنعاء روى عن وهب بن منبه فقال: كان ضعيفا يشبه القصاص.

وقد سمع من وهب بن منبه.

مثل آخر عن سفيان

قال أبو نعيم [في «حلية الأولياء» (173/3)]: حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو أَحْمَدَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَيَّانَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْجَارُودِ، حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ يَمَانَ، قَالَ: قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: «إِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ رَغِيفٍ عَلَيْهِ عَسَلٌ مَرَّ بِهِ دُبَابٌ فَقَطَعَ جَنَاحَيْهِ، وَإِذَا مَرَّ بِرَغِيفٍ يَابِسٍ مَرَّ بِهِ سَلِيمًا».

سنده حسن.

مثل آخر ضعيف السند

قال أبو نعيم [في «حلية الأولياء» (413/3)]: حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا محمد بن جعفر، ثنا

إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَزِيدَ، ثنا إِبرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْعَثِ، ثنا فَضِيلٌ، عَنْ أَبَانَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَثَلِ ثَوْبٍ شُقَّ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ فَتَعَلَّقَ بِحَيْطٍ مِنْهَا فَمَا لَبِثَ ذَلِكَ الْخَيْطُ أَنْ يَنْقَطِعَ» غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ الْفُضَيْلِ لَمْ نَكْتُبْهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ إِبرَاهِيمَ.

وَأَبَانُ بْنُ أَبِي عِيَّاشٍ لَا يَصِحُّ حَدِيثُهُ لِأَنَّهُ كَانَ نَهَمًا بِالْعِبَادَةِ، وَالْحَدِيثُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ.

قلت: قال ابن رجب [في «شرح علل الترمذي» (1/26)]: «قال أبو عيسى - أي الترمذي - : وأبان بن أبي عياش - وإن كان قد وصف بالعبادة والاجتهاد - فهذه حاله في الحديث، والقوم كانوا أصحاب حفظ، فرب رجل - وإن كان صالحاً - لا يقيم الشهادة ولا يحفظها.

فكل من كان متهماً في الحديث بالكذب، أو كان مغفلاً يخطئ الكثير فالذي اختاره أهل الحديث من الأئمة أن لا يشتغل بالرواية عنه، ألا ترى أن عبد الله بن المبارك حدث عن قوم من أهل العلم، فلما تبين له أمرهم ترك الرواية عنهم. قال: ابن حجر: متروك، وقال الذهبي: قال أحمد: متروك».

مثل آخر

قال أبو نعيم [في «حلية الأولياء» (10/49)]: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ يَقُولُ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا عَثْمَانَ الْأَدَمِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ إِبرَاهِيمَ الْحَوَّاصَ يَقُولُ: «مَاتَ أَبُو تُرَابٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ نَهَشَتْهُ السَّبَاعُ».

سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: حُكِّيَ لِي عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَلَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا تُرَابٍ

قَالَ: قَالَ حَاتِمُ الْأَصَمِّ: «مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ ظِلِّكَ إِنْ طَلَبْتَهُ تَبَاعَدَ وَإِنْ تَرَكَتَهُ تَتَابَعَ قَالَ: وَقَالَ حَاتِمٌ: مَا مِنْ صَبَاحٍ إِلَّا وَيَقُولُ لِي الشَّيْطَانُ: مَا تَأْكُلُ؟ مَا تَلْبَسُ؟ أَيْنَ تَسْكُنُ؟ فَأَقُولُ لَهُ: أَكُلُ الْمَوْتَ وَأَلْبَسُ الْكَفْنَ وَأَسْكُنُ الْقَبْرَ. وَقَالَ حَاتِمٌ: قَالَ شَقِيقُ بَنِي إِبْرَاهِيمَ يَوْمًا لِرَجُلٍ: أَيُّهُمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ: أَنْ يَكُونَ لَكَ عَلَى الْمَلِيِّ أَوْ يَكُونَ لِلْمَلِيِّ عَلَيْكَ؟ فَقَالَ: بَلْ يَكُونُ لِي عَلَى الْمَلِيِّ، قَالَ: إِذَا كُنْتَ فِي الشَّرِّ فَأَجْرُكَ عَلَى اللَّهِ، وَإِذَا كُنْتَ فِي النِّعْمَةِ يَكُونُ الشُّكْرُ لِلَّهِ عَلَيْكَ، وَقَالَ أَبُو ثَرَابٍ: إِذَا رَأَيْتَ الْقَارِيءَ مُنْبَسِطًا إِلَى الْغُلَمَانِ وَالْأَغْنِيَاءِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مُحَادِّعٌ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: أَصْرَفَ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ إِلَى أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ وَخُذِ الْجَنَّةَ: النَّوْمَ إِلَى الْقَبْرِ، وَالرَّاحَةَ إِلَى الصَّرَاطِ، وَالْفَخْرَ إِلَى الْمِيزَانِ، وَالشَّهَوَاتِ إِلَى الْجَنَّةِ».

مثل آخر

قال البيهقي [في «السنن»]: (7828): أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ الْقَاضِي، ثنا حَاجِبُ بْنُ أَحْمَدَ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ حَمَّادٍ، ثنا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْتَارِيِّ، قَالَ: «ضَرَبَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَثَلِ الدُّنْيَا مَثَلِ أَرْبَعَةِ مَنَّا، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا وَآتَاهُ مَالًا فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مَالِهِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ آتَانِي اللَّهُ مَالًا مِثْلَ مَا أُوتِيَ فَلَانُ لَفَعَلْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا يَفْعَلُ، فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا، فَهُوَ يَمْنَعُهُ مِنْ حَقِّهِ وَيُنْفِقُهُ فِي الْبَاطِلِ، وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ اللَّهُ عِلْمًا وَلَا مَالًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ آتَانِي مِثْلَ مَا أُوتِيَ فَلَانُ لَفَعَلْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا يَفْعَلُ، فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ». كَذَا رَوَاهُ الْأَعْمَشُ.

وقد أعل بعضهم هذا الحديث، ولكنه في الباب بما له من شواهد والله أعلم.

مثل آخر

قال البيهقي [في «شعب الإيمان» (10142)]: وَثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْعَلَوِيِّ، ثَنَا أَبُو شُجَاعٍ، قَالَ: كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ: «وَأَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا يَقْتُلُ سُمَّهَا، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ مِنْهَا لِئَلَّا يَضْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعْ عَنكَ هُمُومَهَا لِمَا أَيَقْنَتَ مِنْ فِرَاقِهَا، وَلَكِنَّ أَشْرَّ مَا يَكُونُ لَهَا، فَإِنَّ صَاحِبَهَا قَلَّمَا أَطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ أَشْخَصَهُ عَنْهُ مَكْرُوهٌ وَالسَّلَامُ». (وَقَدْ ذَكَرْنَا سَائِرَ أَقْوَالِهِ فِي الدُّنْيَا وَفِي زُهْدِهِ فِيهَا فِي فُضَائِلِهِ)

مثل آخر

قال ابن تيمية رحمته الله [في «هداية الحيارى» (86/1)]: «قول المسيح في الإنجيل الذي بأيديهم، وقد ضرب مثل الدنيا فقال: كرجل اغترس كرمًا وسيج حوله وجعل فيه معصرة وشيّد فيه قصرًا ووكل به أعوانًا وتغرب عنه، فلما دنى أوان قطافه بعث عبده إلى أعوانه الموكلين بالكرم».

مثل آخر

قال ابن القيم رحمته الله [في «عدة الصابرين» (ص/194)]: «وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار قال: قال أبو هريرة رضي الله عنه: الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى إلى يوم يفنيها تنادى ربه: يا رب لم تبغضني؟ فيقول: اسكتي يا لا شيء، اسكتي يا لا شيء».

قال أبو اليهان: إسناده حسن إن كان مالك سمع من أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال: الفضيل تجيء الدنيا يوم القيامة فتبختر في زيتها ونصرتها، فتقول: يا رب اجعلني لأحسن عبادك داراً. فيقول: لا أرضاك له، أنت لا شيء فكوني هباءً منثوراً.

فصل في ذكر أمثلة تبين حقيقة الدنيا المثال الأول: للعبد ثلاثة أحوال:

- حالة لم يكن فيها شيئاً وهي ما قبل أن يوجد.
- وحالة أخرى وهي من ساعة موته إلى ما لا نهاية له في البقاء السرمدى، فلنفسه وجود بعد خروجها من البدن إما في الجنة وإما في النار، ثم تعاد إلى بدنه فيجازى بعمله ويسكن إحدى الدارين في خلود دائم.
- ثم بين هاتين الحالتين وهي ما بعد وجوده وما قبل موته حالة متوسطة وهي أيام حياته، فليُنظر إلى مقدار زمانها وأنسبه إلى الحالتين يعلم أنه أقل من طرفه عين في مقدار عمر الدنيا.

ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها ولم يبال كيف تقضت أيامه فيها في ضر وضيق أو في سعة ورفاهية، ولهذا لم يضع رسول الله ﷺ لبنه على لبنه ولا قصبه على قصبه، وقال: «مالي وللدنيا إنما مثل ومثل الدنيا إلا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها». وقال: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فليُنظر بم يرجع». وإلى هذا أشار المسيح ﷺ بقوله: «الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها».

وهذا مثل صحيح فإن الحياة معبر إلى الآخرة والمهد هو الركن الأول على أول القنطرة، واللحد هو الركن الثاني على آخرها، ومن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها؛ وكيفما كان فلا بد من العبور فمن وقف يبني على القنطرة ويزينها بأصناف الزينة وهو يستحث العبور فهو في غاية الجهل والحمق.

فصل

المثال الثاني: شهوات الدنيا في القلب كشهوات الأطعمة في المعدة وسوف يجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والتتن والقبح ما يجده للأطعمة اللذيذة إذا انتهت في المعدة غايتها.

وكما أن الأطعمة كلما كانت أذ طعاماً وأكثر دسماً وأكثر حلاوة كان رجيحها أقدر، فكذلك كل شهوة كانت في النفس أذ وأقوى فالتأذي بها عند الموت أشد، كما أن تفجع الإنسان بمحبوبه إذا فقدته يقوى بقدر محبة المحبوب.

وفي المسند أن النبي ﷺ قال: للضحاك بن سفيان ألسنت تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه الماء واللبن؟ قال: بلى. قال: فإلى ما يصير؟ قال: إلى ما قد علمت؟ قال: فإن الله Δ ضرب مثل الدنيا لما يصير إليه طعام ابن آدم. كان بعض السلف يقول لأصحابه انطلقوا حتى أريكم الدنيا، فيذهب بهم إلى مزبلة فيقول: انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم.

فصل

المثال الثالث: لها ولأهلها في اشتغالهم بنعيمها عن الآخرة وما يعقبهم من الحسرات. مثل أهلها في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهد بهم إلى جزيرة

فأمرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم الإبطاء وخوفهم مرور السفينة، فتفرقوا في نواحي الجزيرة:

- ففضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف المكان خاليا فأخذ أوسع الأماكن وألينها وأوقفها لمراده.

- ووقف بعضهم في الجزيرة ينظر إلى أزهارها وأنوارها العجيبة ويسمع نغمات طيورها ويعجبه حسن أحجارها، ثم حدثته نفسه بفوت السفينة وسرعة مرورها وخطر ذهابها، فلم يصادف إلا مكانا ضيقا فجلس فيه.

- وأكب بعضهم على تلك الحجارة المستحسنة والأزهار الفائقة فحمل منها حملة، فلما جاء لم يجد في السفينة إلا مكانا ضعيفا، وزاده حملة ضيقا فصار محموله ثقلا عليه ووبالا ولم يقدر على نبذه، بل لم يجد من حملة بدا، ولم يجد له في السفينة موضعا فحملة على عتقه، وندم على أخذه فلم تنفعه الندامة، ثم ذبلت الأزهار وتغيرت أراييجها وآذاه ننتها.

- وتولج بعضهم في تلك الغياض ونسى السفينة وأبعد في نزهته، حتى أن الملاح نادي بالناس عند دفع السفينة فلم يبلغه صوته لاشتغاله بملاهيته، فهو تارة يتناول من الثمر، وتارة يشم تلك الأنوار، وتارة يعجب من حسن الأشجار، وهو على ذلك خائف من سبع يخرج عليه، غير منفك من شوك يتشبث في ثيابه ويدخل في قدميه، أو غصن يجرح بدنه أو عوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته أو صوت هائل يفرعه.

- ثم من هؤلاء من لحق السفينة ولم يبق فيها موضع، فمات على الساحل.

- ومنهم من شغله لهوه فافترسته السباع ونهشته الحيات.

- ومنهم من تاه فهم على وجهه حتى هلك.

فهذا مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة، ونسيانهم موردتهم وعاقبة أمرهم، وما أقبح بالعاقل أن تغره أحجار ونبات يصير هشيما، قد شغل باله وعوقه عن نجاته ولم يصحبه.

فصل

المثال الرابع: لاغترار الناس بالدنيا وضعف إيمانهم بالآخرة.

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا اسحق بن إسماعيل حدثنا روح بن عبادة حدثنا هشام بن حسان عن الحسن قال بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «إنما مثلى ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى إذا لم يدروا ما سلكوا منها أكثر أم ما بقى أنفدوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراي المفازة لا زاد ولا حمولة فأيقنوا بالهلكة، فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم رجل في حلة يقطن رأسه، فقالوا: إن هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا الأمن قريب. فلما انتهى إليهم قال: يا هؤلاء علام أنتم؟ قالوا: على ما ترى. قال: أرأيتم إن هديتكم على ماء رواه ورياض خضر ما تجعلون لي؟ قالوا: لا نعصيك شيئا. قال: عهدكم ومواثيقكم بالله؟ قال: فأعطوه عهدهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئا. قال: فأوردتهم ماء ورياضا خضراء. قال: فمكث فيهم ما شاء الله. ثم قال: يا هؤلاء الرحيل. قالوا: إلى أين؟ قال: إلى ماء ليس كمائكم ورياض ليست كرياضكم؟ قال: فقال جل القوم - وهم أكثرهم - : والله ما وجدنا هذا حتى ظننا أن لن نجده وما نصنع بعيش هو خير من هذا؟ قال: وقالت طائفة - وهم أقلهم - : ألم

تعطوا هذا الرجل عهدكم ومواثيقكم بالله لا تعصونه شيئا؟ وقد صدقكم في أول حديثه فو الله ليصدقنكم في آخره. فراح بمن اتبعه وتحلف بقيتهم فبادرهم عدوهم فأصبحوا بين أسير وقتيل».

فصل

المثال الخامس: للدنيا وأهلها ما مثلها به النبي ﷺ كظل شجرة، والمرء مسافر فيها إلى الله، فاستظل في ظل تلك الشجرة في يوم صائف ثم راح وتركها.

فتأمل حسن هذا المثال ومطابقته للواقع سواء فإنها في خضرتها كشجرة، وفي سرعة انقضائها وقبضها شيئا فشيئا كالظل، والعبد مسافرا إلى ربه، والمسافر إذا رأى شجرة في يوم صائف لا يحسن به أن يبنى تحتها دارا ولا يتخذها قرارا بل يستظل بها بقدر الحاجة ومتى زاد على ذلك انقطع عن الرفاق.

فصل

المثال السادس: تمثيله لها بمدخل أصبعه في اليم، فالذي يرجع به أصبعه من البحر هو مثل الدنيا بالنسبة إلى الآخرة، وهذا أيضا من أحسن الأمثال فإن الدنيا منقطعة فانية ولو كانت مدتها أكثر مما هي، والآخرة أبدية لا انقطاع لها؛ ولا نسبة للمحصور إلى غير المحصور بل لو فرض أن السموات والأرض مملوءتان خردلا وبعد كل ألف سنة طائر ينقل خردلة لفني الخردل. والآخرة لا تفنى، فنسبة الدنيا إلى الآخرة في التمثيل كنسبة خردلة واحدة إلى ذلك الخردل، ولهذا لو أن البحر يمد من بعده سبعة أبحر وأشجار الأرض كلها أقلام يكتب بها كلام الله لنفذت الأبحر والأقلام ولم تنفذ كلمات الله لأنها لا بداية لها ولا نهاية لها والأبحر والأقلام متناهية.

قال الإمام أحمد وغيره: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء، وكماله المقدس مقتض لكاله، وكماله من لوازم ذاته، فلا يكون إلا كاملا والمتكلم أكمل ممن لا يتكلم، وهو سبحانه لم يلحقه كلل ولا تعب ولا سامة من الكلام، وهو يخلق ويدبر خلقه بكلماته فكلماته هي التي أوجد بها خلقه وأمره، وذلك حقيقة ملكه وربوبيته وإلهيته، وهو لا يكون إلا ربا ملكا إلهيا لا إله إلا هو والمقصود أن الدنيا نفس من أنفاس الآخرة وساعة من ساعاتها.

فصل

المثال السابع: ما مثلها به ﷺ في الحديث المتفق على صحته من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ فخطب الناس فقال: «لا والله ما أخشى عليكم إلا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا». فقال رجل: يا رسول الله ﷺ أو يأتي الخير بالشر؟ فصمت رسول الله ﷺ ثم قال: «كيف قلت؟». قال: يا رسول الله ﷺ أو يأتي الخير بالشر؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الخير لا يأتي إلا بالخير، وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم إلا آكلة الخضر أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتها استقبلت الشمس فنلطت وبالت، ثم اجترت فعادت فأكلت. فمن أخذ مالا بحقه بورك له فيه، ومن أخذ مالا بغير حقه فمثلته كمثل الذي يأكل ولا يشبع».

فأخبر أنه إنما يخاف عليهم الدنيا، وسماها زهرة فشبها بالزهر في طيب رائحته وحسن منظره وقله بقائه وأن وراءه ثمرا خيرا وأبقى منه.

وقوله: «إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم»، هذا من أحسن التمثيل المتضمن للتحذير من الدنيا والانهك عليها والمسرة فيها، وذلك أن الماشية يروقها

نبت الربيع فتأكل منها بأعينها، فربما هلكت حبطا، والحبط انتفاخ بطن الدابة من الامتلاء أو من المرض، يقال حبط الرجل والدابة تحبب حبطا إذا أصابه ذلك. ولما أصاب الحارث بن مازن بن عمرو بن تميم ذلك في سفره فمات حبطا فنسب الحبطي كما يقال السلمي، فكذلك الشره في المال يقتله شرهه وحرصه، فإن لم يقتله قارب أن يقتله، وهو قوله: «أو يلم»، وكثير من أرباب الأموال إنما قتلهم أموالهم، فإنهم شرهوا في جمعها واحتاج إليها غيرهم فلم يصلوا إليها إلا بقتلهم أو ما يقاربه من إذلالهم وقهرهم، وقوله: إلا آكلة الخضر، هذا تمثيل لمن أخذ من الدنيا حاجته، مثله بالشاة الآكلة من الخضر بقدر حاجتها، أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتها، وفي لفظ آخر: «امتدت خاصرتها»، وإنما تمتد من امتلائها من الطعام، وثنى الخاصرتين لأنهما جانبا البطن.

وفي قوله: «استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت» ثلاث فوائد:

- إحداهما: أنها لما أخذت حاجتها من المرعى تركته وبركت مستقبله الشمس لتستمرئ بذلك ما أكلته.

- الثانية: أنها أعرضت عما يضرها من الشره في المرعى، وأقبلت على ما ينفعها من استقبال الشمس التي يحصل لها بحرارتها إنضاج ما أكلته وإخراجه.

- الثالثة: أنها استفرغت بالبول والثلط ما جمعتها من المرعى في بطنها فاستراحت بإخراجه، ولو بقى فيها لقتلها، فكذلك جامع المال مصلحته أن يفعل به كما فعلت هذه الشاة.

وأول الحديث مثل الشره في جمع الدنيا الحريص على تحصيلها، فمثاله: مثال

الدابة التي حملها شره الأكل على أن يقتلها حبطا أو يلم إذا لم يقتلها، فإن الشره الحريص، إما هالك وإما قريب من الهلاك، فإن الربيع ينبت أنواع البقول والعشب فتستكثر منه الدابة حتى ينتفخ بطنها لما جاوزت حد الاحتمال، فتنشق أمعاؤها وتهلك؛ كذلك الذي يجمع الدنيا من غير حلها ويجبسها أو يصرفها في غير حقها.

وآخر الحديث مثل للمقتصد بأكلة الخضر الذي تنتفع الدابة بأكله، ولم يحملها شرها وحرصها على تناولها منه فوق ما تحتمله، بل أكلت بقدر حاجتها وهكذا هذا أخذ ما يحتاج إليه ثم أقبل على ما ينفعه. وضرب بول الدابة وثلطها مثلا لإخراجه المال في حقه حيث يكون حبسه، وإمساكه مضرا به، فنجا من وبال جمعه بأخذ قدر حاجته منه، ونجا من وبال إمساكه بإخراجه، كما نجت الدابة من الهلاك بالبول والثلط.

وفي هذا الحديث إشارة إلى الاعتدال والتوسط بين الشره في المرعى القاتل بكثرتة، وبين الإعراض عنه وتركه بالكلية، فتهلك جوعا.

وتضمن الخبر أيضا إرشاد المكثر من المال إلى ما يحفظ عليه قوته وصحته في بدنه وقلبه، وهو الإخراج منه وإنفاقه ولا يجبسه فيضره حبسه، وبالله التوفيق.

فصل

المثال الثامن: ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن سليمان بن يسار عن ميمونة قالت: قال رسول الله ﷺ لعمرو بن العاص: «الدنيا خضرة حلوة، فمن اتقى الله فيها وأصلح، وإلا فهو كالآكل ولا يشبع. وبين الناس في ذلك كبعد الكوكبين أحدهما يطلع في المشرق والآخر يغيب في المغرب». فنبه بخضرتها على

استحسان العيون لها، وبحلاوتها على استجلاء الصدور لها، وبتلك الخضرة والحلاوة زينت لأهلها وحببت إليهم لا سيما وهم مخلوقون منها وفيها، كما قيل:

ونحن بنو الدنيا ومنها نباتنا وما أنت منه فهو شيء محب.

وجعل الناس فيها قسمين:

- أحدهما: مصلح متقي، فهذا تقواه وإصلاحه لا يدعاه ينهمك عليها ويشره فيها ويأخذها من غير حلها ويضعها في غير حقها.

- فإن لم يتق ويصلح صرف نهمته وقواه وحرصه إلى تحصيلها، فكان كالذي يأكل ولا يشبع.

وهذا من أحسن الأمثلة، فإن المقصود من الأكل حفظ الصحة والقوة وذلك تابع لقدر الحاجة، وليس المقصود منه ذاته ونفسه، فمن جعل نهمته فوق مقصوده لم يشبع، ولهذا قال الإمام أحمد: الدنيا قليلها يجزئ وكثيرها لا يجزئ.

وأخبر عن تفاوت الناس في المنزلتين - أعنى منزلة التقوى والإصلاح، ومنزلة الأكل والشهه - وأن بين الرجلين في ذلك كما بين الكوكبين الغارب في الأفق والطلع منه، وبين ذلك منازل متفاوتة.

فصل

المثال التاسع: ما تقدم من حديث المستورد بن شداد قال: كنت مع الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السخلة الميتة. فقال رسول الله ﷺ: «أترون هذه هانت على أهلها حتى ألقوها». قالوا: ومن هوأنا ألقوها يا رسول الله ﷺ؟

قال: «فوالذي نفس محمد بيده للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها».

قال الترمذي: حديث حسن صحيح. فلم يقتصر على تمثيلها بالسخلة الميتة بل جعلها أهون على الله منها.

وفي مسند الإمام أحمد في هذا الحديث: «فو الذي نفسي بيده للدنيا عند الله أهون عليه من تلك السخلة على أهلها». فأكد ذلك بالقسم الصادق فإذا كان مثلها عند الله أهون وأحقر من سخلة ميتة على أهلها فمحبها وعاشقها أهون على الله من تلك السخلة، وكونها سخلة أهون عليهم من كونها شاة كبيرة لأن تلك ربما انتفعوا بصوفها أو دبغوا جلدها، وأما ولد شاة صغيرة ميت ففي غاية الهوان والله المستعان.

فصل

المثال العاشر: مثلها مثل البحر الذي لا بدل للخلق كلهم من ركوبه ليقطعوه إلى الساحل الذي فيه دورهم وأوطانهم ومستقرهم، ولا يمكن قطعه إلا في سفينة النجاة، فأرسل الله رسله لتعرف الأمم اتخاذ سفن النجاة وتأمروهم بعملها وركوبها، وهي طاعته وطاعة رسله وعبادته وحده وإخلاص العمل له، والتشمير للآخرة وإرادتها والسعي لها سعيها، فنهض الموفقون وركبوا السفينة ورغبوا عن خوض البحر لما علموا أنه لا يقطع خوضاً ولا سباحة.

وأما الحمقى فاستصعبوا عمل السفينة وآلاتها والركوب فيها، وقالوا نخوض البحر فإذا عجزنا قطعناه سباحة، وهم أكثر أهل الدنيا فخاضوه فلما عجزوا عن الخوض أخذوا في السباحة حتى أدركهم الغرق، ونجا أصحاب السفينة كما نجوا مع نوح Σ ، وغرق أهل الأرض.

فتأمل هذا المثل وحال أهل الدنيا فيها يتبين لك مطابقته للواقع، وقد ضرب هذا المثل للدنيا والآخرة والقدر والأمر، فإن القدر بحر والأمر فيه سفينة لا ينجو إلا من ركبها.

فصل

المثال الحادي عشر: مثلها مثال إناء مملوء عسلا رآه الذباب فأقبل نحوه:

- فبعضه قعد على حافة الإناء وجعل يتناول من العسل حتى أخذ حاجته ثم طار.

- وبعضه حملة الشره على أن رمى بنفسه في لجة الإناء ووسطه فلم يدعه انغماسه فيه أن يتهنأ به إلا قليلا حتى هلك في وسطه.

فصل

المثال الثاني عشر: مثال حب قد نثر على وجه الأرض وجعلت كل حبة في فخ، وجعل حول ذلك الحب حب ليس في فخاخ، فجاءت الطير:

- فمنها من قنع بالجوانب ولم يرم نفسه في وسط الحب، فأخذ حاجته ومضى.
- ومنها من حملة الشره على اقتحام معظم الحب، فما استتم اللقاط إلا وهو يصيح من أخذة الفخ له.

فصل

المثال الثالث عشر: كمثل رجل أوقد نارا عظيمة فجعلت الفراش والجنادب يرون ضوءها فيقصدونها ويتهافتون فيها، ومن له علم بحالها جعل يستضيء ويستدفع بها من بعيد.

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المثل بعينه في الحديث الذي رواه مالك بن إسماعيل عن حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إني ممسك بحجزكم عن النار وتتقاهون فيها تقاحم الفراش والجنادب، ويوشك أن أرسل بحجزكم». وفي لفظ آخر: «مثلي ومثلكم كمثله رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعلت الفراش والجنادب يتقاهن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تغلبوني وتتقاهون فيها».

وهذا المثل مطبق على أهل الدنيا المنهمكين فيها، فالرسل تدعوهم إلى الآخرة وهم يتقاهون في الدنيا تقاحم الفراش.

فصل

المثال الرابع عشر: مثل قوم خرجوا في سفر بأموالهم وأهلهم فمروا بواد مشعب كثير المياه والفواكه فنزلوا به وضربوا خيمهم وبنوا هنالك الدور والقصور، فمر بهم رجل يعرفون نصحه وصدقه وأمانته فقال: إني رأيت بعيني هاتين الجيش خلف هذا الوادي وهو قاصدكم فاتبعوني أسلك بكم على غير طريق العدو فتنجوا منه.

فأطاعته طائفة قليلة، فصاح فيهم: يا قوم النجاة النجاة، أتيتم أتيتم. وصاح السامعون له بأهلهم وأولادهم وعشائهم، فقالوا: كيف نرحل من هذا الوادي وفيه مواشينا وأموالنا ودورنا وقد استوطنناه؟ فقال لهم الناصح: لينج كل واحد منكم بنفسه مما خف عليه من متاعه، وإلا فهو مأخوذ وماله محتاج.

فثقل على أصحاب الجد والأموال ورؤساء القوم النقلة ومفارقة ما هم فيه من النعيم والرفاهية والدعة. وقال كل أحق: لى أسوة بالقاعدين فهم أكثر مني مالا

وأهلاً، فما أصحابهم أصابني معهم. ونهض الأقلون مع الناصح ففازوا بالنجاة. وصبح الجيش أهل الوادي فقتلهم واجتاح أموالهم.

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المثل بعينه في الحديث المتفق على صحته من حديث أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وأنا النذير العريان فالنجاة النجاة. فأطاعه طائفة من قومه فأدجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا. وكذّبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذّب بما جئت به من الحق».

فصل

المثال الخامس عشر: رجل هياً داراً وزينها ووضع فيها من جميع الآلات ودعى الناس إليها، فكلما دخل داخل أجلسه على فراش وثير، وقدم إليه طبقاً من ذهب عليه لحم، ووضع بين يديه أوان مفتخرة فيها من كل ما يحتاج إليه، وأخدمه عبده ومماليكه، فعرف العاقل أن ذلك كله متاع صاحب الدار وملكه وعبده، فاستمتع بتلك الآلات والضيافة مدة مقامه في الدار ولم يعلق قلبه بها ولا حدث نفسه بتملكها، بل اعتمد مع صاحب الدار ما يعتمد عليه الضيف، يجلس حيث أجلسه ويأكل ما قدمه له ولا يسأل عما وراء ذلك اكتفاء منه بعلم صاحب الدار وكرمه وما يفعله مع ضيوفه؛ فدخل الدار كريماً وتمتع فيها كريماً وفارقها كريماً ورب الدار غير ذام له.

وأما الأحمق فحدث نفسه بسكنى الدار وحوز تلك الآلات إلى ملكه وتصرفه فيها بحسب شهوته وإرادته فتخير المجلس لنفسه، وجعل ينقل تلك الآلات إلى

مكان في الدار يخبؤها فيه، وكلما قدم إليه ربه شيئاً أو آلة حدث نفسه بملكه واختصاصه به عن سائر الأضياف، ورب الدار يشاهد ما يصنع وكرمه يمنعه من إخراجها من داره، حتى إذا ظن أنه استبد بتلك الآلات وملك الدار وتصرف فيها وفي آلتها تصرف المالك الحقيقي واستوطنها واتخذها داراً له، أرسل إليه مالكيها عبيده فأخرجوه منها إخراجاً عنيفاً وسلبوه كل ما هو فيه، ولم يصحبه من تلك الآلات شيء، وحصل على مقت رب الدار وافتضاحه عنده وبين ممالكه وحشمه وخدمه.

فليتأمل اللبيب هذا المثل حق التأمل فإنه مطابق للحقيقة والله المستعان.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كل أحد في هذه الدنيا ضيف وما له عارية، فالضيف مرتحل والعارية مؤداة.

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مات ابن أبي طلحة من أم سليم فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة حتى أكون أنا أحدثه، فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب. وقال: ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك، فوقع بها. فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة أرايت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك. قال: فغضب. قال: تركتيني تلطخت ثم أخبرتيني بابني. فانطلق حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان منها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بارك الله لكما في ليلتكم»، وذكر الحديث.

فصل

المثال السادس عشر: قوم سلكوا مفازة فاجأهم العطش، فانتهوا إلى البحر

وماؤه أمر شيء وأملحه، فلشدة عطشهم لم يجدوا مرارته وملوحته فشربوا منه فلم يرووا، وجعلوا كلما ازدادوا شربا ازدادوا ظمأ حتى تقطعت أمعاؤهم وماتوا عطشا. وعلم عقلاؤهم أنه مر مالح، وأنه كلما ازداد الشارب منه ازداد ظمأه، فتباعدها عنه مسافة حتى وجدوا أرضا حلوة فحفروا فيها قلياً، فنبع لهم ماء عذب فرات فشربوا وعجنوا وطبخوا ونادوا إخوانهم الذين على حافة البحر هلموا إلى الماء الفرات، وكان منهم المستهزئ ومنهم المعرض الراضي بما هو فيه، وكان المجيب واحداً بعد واحد.

وهذا المثل بعينه قد ضربه المسيح ﷺ فقال: «مثل طالب الدنيا كمثل شارب ماء البحر، كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله».

فصل

المثال السابع عشر: مثل الإنسان ومثل ماله وعمله وعشيرته مثل رجل له ثلاثة إخوة، ففضى له سفر بعيد طويل لا بد له منه فدعا إخوته الثلاثة وقال: قد حضر ما ترون من هذا السفر الطويل وأحوج ما كنت إليكم الآن.

فقال أحدهم: أنا كنت أخاك إلى هذه الحال، ومن الآن فلست بأخ ولا صاحب، وما عندي غير هذا. فقال له: لم تغن عني شيئاً.

فقال للآخر: ما عندك؟ فقال: كنت أخاك وصاحبك إلى الآن، وأنا معك حتى أجهزك إلى سفرك وتركب راحلتك، ومن هنالك لست لك بصاحب. فقال له: أنا محتاج إلى مرافقتك في مسيري. فقال: لا سبيل لك إلى ذلك. فقال: لم تغن عني شيئاً.

فقال للثالث: ما عندك أنت؟ فقال: كنت صاحبك في صحتك ومرضك، وأنا صاحبك الآن، وصاحبك إذا ركبت راحلتك، وصاحبك في مسيرك، فإن سرت سرت معك وإن نزلت نزلت معك، وإذا وصلت إلى بلدك كنت صاحبك فيها لا أفارقك أبدا. فقال: إن كنت لأهون الأصحاب علي وكنت أوتر عليك صاحبك، فليتنى عرفت حقك وآثرتك عليهما.

فالأول ماله، والثاني أقاربه وعشيرته وأصحابه، والثالث عمله.

وقد روى في هذا المثل بعينه حديث مرفوع لكنه لا يثبت، رواه أبو جعفر العقيلي في «كتاب الضعفاء» من حديث ابن شهاب عن عروة عن عائشة وعن ابن المسيب، عن عائشة مرفوعا وهو مثل صحيح في نفسه مطابق للواقع.

فصل

المثال الثامن عشر: وهو من أحسن الأمثلة.

ملك بنى دارًا لم ير الرءاؤون ولم يسمع السامعون أحسن ولا أوسع ولا أجمع لكل ملاذ النفوس منها، ونصب لها طريقا، وبعث داعيا يدعو الناس إليها، وأقعد على الطريق امرأة جميلة قد زينت بأنواع الزينة وألبست أنواع الحللى والحلل وممر الناس كلهم عليها، وجعل لها أعوانا وخداما، وجعل تحت يدها ويد أعوانها زادا للمارين السائرين إلى الملك في تلك الطريق، وقال لها ولأعوانها: من غض طرفه عنك ولم يشتغل بك عني وابتغى منك زادا يوصله إلي فاخدميه وزوديه ولا تعوقه عن سفره إلي بل أعينيه بكل ما يبلغه في سفره.

ومن مد إليك عينيه ورضي بك وآثرك علي وطلب وصالك، فسوميه سوء العذاب، وأوليه غاية الهوان واستخدميه واجعليه يركض خلفك ركض الوحش.

ومن يأكل منك فاخذعيه به قليلا ثم استرديه منه واسلبه إياه كله، وسلطي عليه أتباعك وعبيدك، وكلما بالغ في محبتك وتعظيمك وإكرامك فقابليه بأمثاله قلى وإهانة وهجرا حتى تتقطع نفسه عليك حسرات.

فتأمل هذا المثال وحال خطاب الدنيا وخطاب الآخرة، والله المستعان.

وهذا المثل مأخوذ من الأثر المروي عن الله عز و جل: «يا دنيا أخدمني من خدمني واستخدمني من خدمك».

فصل

المثال التاسع عشر: ملك خط مدينة في أصح المواضع وأحسنها هواء وأكثرها مياها، وشق أنهارها وغرس أشجارها، وقال لرعيته: تسابقوا إلى أحسن الأماكن فيها، فمن سبق إلى مكان فهو له ومن تخلف سبقه الناس إلى المدينة فأخذوا منازلهم وتبوؤا مساكنهم فيها وبقي من أصحاب الحسرات.

ونصب لهم ميدان السباق وجعل على الميدان شجرة كبيرة لها ظل مديد، وتحتها مياه جارية، وفي الشجرة من كل أنواع الفواكه، وعليها طيور عجيبة الأصوات، وقال لهم: لا تغتروا بهذه الشجرة وظلها، فعن قليل تجتث من أصلها ويذهب ظلها وينقطع ثمرها وتموت أطيبارها.

وأما مدينة الملك فأكلها دائم وظلها مديد ونعيمها سرمدي، وفيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فسمع الناس بها فخرجوا في طلبها على وجوههم، فمروا بتلك الشجرة على إثر تعب ونصب وحر وظمأ، فنزلوا كلهم تحتها واستظلوا بظلها وذاقوا حلاوة ثمرها وسمعوا نغمات أطيبارها، فقيل

لهم: إنما نزلتم تحتها لتحموا أنفسكم وتضمروا مراكمكم للسباق فتهيئوا للركوب
وكونوا على أهبة، فإذا صاح النفير استدرتكم حلبة السباق.

فقال الأكثرون: كيف ندع هذا الظل الظليل والماء السلسيل والفاكهة النضجة
والدعة والراحة ونقتحم هذه الحلبة في الحر والغبار والتعب والنصب والسفر
البعيد والمفاوز المعطشة التي تنقطع فيها الأمعاء؟ وكيف نبيع النقد الحاضر
بالنسيئة الغائبة إلى أجل البعيد ونترك ما نراه إلى ما لا نراه وذرة منقودة في اليد
أولى من ذرة موعودة بعد غد، خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به! ونحن بنو اليوم
وهذا عيش حاضر كيف نتركه لعيش غائب في بلد بعيد لا ندري متى نصل إليه؟
ونفض من كل ألف واحد وقالوا: والله ما مقامنا هذا في ظل زائل تحت شجرة قد
دنى قلعها وانقطع ثمرها وموت أطيارها ونترك المسابقة إلى الظل الظليل الذي
لا يزول والعيش الهنيء الذي لا ينقطع إلا من أعجز العجز. وهل يليق بالمسافر
إذا استراح تحت ظل أن يضرب خبائه عليه ويتخذ وطنه خشية التأذي بالحر
وبالبرد؟ وهل هذا إلا أسفه السفه؟ فالسباق السباق والبدار البدار.

حكم المنية في البرية جارى	ما هذه الدنيا بدار قرار
اقضوا ما ربكم سراعاً إنما	أعماركم سفر من الأسفار
وتراكموا خيل السباق وبادروا	أن تستردوا فيهن عواري
ودعوا الإقامة تحت ظل زائل	أنتم على سفر بهذي الدار
من يرجو طيب العيش فيها إنما	يبنى الرجاء على شفير هار
والعيش كل العيش بعد فراقها	في دار أهل السبق أكرم دار

فاقتحموا حلقة السباق ولم يستوحشوا من قلة الرفاق، وساروا في ظهور العزائم ولم تأخذهم في سيرهم لومة لائم. والمتخلف في ظل الشجرة نائم، فوالله ما كان إلا قليل حتى ذوت أغصان تلك الشجرة، وتساقطت أوراقها، وانقطع ثمرها، ويبست فرووعها، وانقطع مشربها. فقلعها قيمها من أصلها، فأصبح أهلها في حر السموم يتقلبون، وعلى ما فاتهم من العيش في ظلها يتحسرون، أحرقتها قيمها فصارت هي وما حولها نارا تلظى، وأحاطت النار بمن تحتها فلم يستطع أحد منهم الخروج منها. فقالوا: أين الركب الذين استظلوا معنا تحت ظلها ثم راحوا وتركوه؟ فقيل لهم: ارفعوا أبصاركم تروا منازلهم. فأوهم من البعد في قصور مدينة الملك وغرفها يتمتعون بأنواع اللذات، فتضاعفت عليهم الحشرات ألا يكونوا معهم، وزاد تضاعفها بأن حيل بينهم وبين ما يشتهون، وقيل: هذا جزاء المتخلفين وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

فصل

المثال العشرون: ما مثلها به النبي ﷺ من الثوب الذي شق وبقي معلقا بخيط

في آخره، فما بقاء ذلك الخيط؟

قال ابن أبي الدنيا حدثني الفضل بن جعفر حدثنا وهب بن حماد حدثنا يحيى بن سعيد القطان حدثنا أبو سعيد خلف بن حبيب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل هذه الدنيا مثل ثوب، شق من أوله إلى آخره فبقي معلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع».

وإن أردت لهذا المثل زيادة إيضاح فانظر إلى ما رواه أحمد في مسنده من حديث أبي نظرة عن أبي سعيد قال: صلى بنا رسول الله ﷺ العصر نهارا، ثم قام فخطبنا

فلم يترك شيئاً قبل قيام الساعة إلا أخبر به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، وجعل الناس يلتفتون إلى الشمس هل بقي منها شيء. فقال: «ألا إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه».

وروى حفص بن غياث عن ليث عن المغيرة بن حكيم عن ابن عمر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ والشمس على أطراف السعف فقال: «ما بقي من الدنيا إلا مثل ما بقي من يومنا هذا فيما مضى منه».

وروى ابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن سعد حدثنا موسى بن خلف عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ خطب عند مغرب الشمس فقال: «ما بقي من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه».

فالدنيا كلها كيوم واحد، بعث رسول الله ﷺ في آخره قبل غروب شمسه بيسير. وقال جابر وأبو هريرة رضي الله عنهما عنه: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وقرن بين أصابعه السبابة والوسطى.

وكان بعض السلف يقول: تصبروا فإنما هي أيام قلائل، وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى أحدكم فيجيب ولا يلتفت، وإنه قد نعت إليكم أنفسكم، والموت حبس لا بد منه والله بالمرصاد، وإنما تخرج هذه النفوس على آخر سورة الواقعة.

فصل

المثال الحادي والعشرون: مثال الدنيا كحوض كبير مليء ماء، وجعل مورداً للأنام والأنعام، فجعل الحوض ينقص على كثرة الوارد حتى لم يبق منه إلا كدر في أسفله، قد بالت فيه الدواب وخاضته الناس والأنعام.

كما روى مسلم في صحيحه عن عتبة بن غزوان أنه خطبهم فقال في خطبته: «إن الدنيا قد آذنت بصرم، وولت حذاء، ولم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء يتصابها صاحبها، وإنكم منتقلون عنها إلى دار لا زوال لها فانتقلوا بخير ما بحضرتكم».

وقال عبد الله بن مسعود: إن الله تعالى جعل الدنيا كلها قليلا، فما بقى منها إلا قليل من قليل، ومثل ما بقى منها كالثعب شرب صفوه وبقي كدره. الثعب الغدير.

فصل

المثال الثاني والعشرون: قوم سكنوا مدينة مدة من الزمان فكثرت فيها الأحداث والآفات، وطرقها المحن، وأغارت عليها عساكر الجور والفساد، فبنى ملكهم مدينة في محل لا يطرقه آفة ولا عاهة، وعزم على تخريب المدينة الأولى فأرسل إلى سكانها فنودي فيهم بالرحيل بعد ثلاث ولا يتخلف منهم أحد، وأمرهم أن ينقلوا إلى مدينة الملك الثانية خير ما في تلك المدينة وأنفعه وأجله من الجواهر واللائي والذهب والفضة وما خف حمله من المتاع وعظم قدره وصلح للملوك، وأرسل إليهم الأدلاء وآلات النقل ونهج لهم الطريق ونصب لهم الأعلام وتابع الرسل يستحثونهم بعضهم في إثر بعض.

فانقسموا فرقا: فالأقلون علموا قصر مدة مقامهم في تلك المدينة وتيقنوا أنهم إن لم يبادروا بتحصيل خير ما فيها وحمله إلى مدينة الملك وإلا فاتهم ذلك فلم يقدروا عليه فرأوا غبنا أن يقطعوا تلك المدة في جمع المفضول والاشتغال به عن الفاضل، فسألوا عن خير ما في المدينة وأنفسه وأحبه إلى الملك وأنفعه في مدينته،

فلما عرفوه لم يلتفتوا إلى ما دونه ورأوا أن أحدهم إذا وافى بجوهرة عظيمة كانت أحب إلى الملك من أن يوافيه بأحمال كثيرة من الفلوس والحديد ونحوها، فكان همهم في تحصيل ما هو أحب إلى الملك وأنفس عنده ولو قل في رأي العين.

وأقبلت فرقة أخرى على تعبئة الأحمال المحملة وتنافسوا في كثرتها وهم على مراتب: فمنهم من أحماله أثمان، ومنهم من أحماله دون ذلك على قدر همهم وما يليق بهم، لكن همهم مصروفة إلى تعبئة الأحمال والانتقال من المدينة.

وأقبلت فرقة أخرى على عمارة القصور في تلك المدينة والاشتغال بطيبتها ولذاتها ونزهها وحاربوا العازمين على النقلة، وقالوا: لا ندعكم تأخذون من متاعنا شيئاً فإن شاركتموننا في عمارة المدينة واستيطانها وعيشنا فيها وإلا لم نمكنكم من النقلة ولا من شيء من المتاع. فوقع الحرب بينهم فقاتلوا السائرين فعمدوا إلى أكل أموالهم وأهليهم وما نغموا منهم إلا بسيرهم إلى دار الملك وإجابة داعيه والرغبة عن تلك الدار متى أمرهم بتركها.

وأقبلت فرقة أخرى على التنزه والبطالة والراحة والدعة وقالوا لا نتعب أنفسنا في عمارتها، ولا ننقل منها، ولا نعارض من أراد النقلة ولا نحاربهم ولا نعاونهم.

وكان للملك فيها قصر فيه حريم له وقد أحاط عليه سورا وأقام عليه حرساً ومنع أهل المدينة من قربانه، وطاف به القاعدون فلم يجدوا فيه باباً يدخلون منه فغدوا على جدرانه فنقبوها، ووصلوا إلى حريمه فأفسدوهم ونالوا منهم ما أسخط الملك وأغضبه وشق عليه، ولم يقتصروا على ذلك حتى دعوا غيرهم إلى إفساد حريمه والنيل منهم.

فبينما هم على تلك الحال وإذا بالنفير قد صاح فيهم كله فلم يمكن أحد منهم من التخلف، فحملوا على تلك الحال وأحضروا بين يدي الملك فاستعرضهم واحدا واحدا وعرضت بضائعهم وما قدموا به من تلك المدينة عليه فقبل منها ما يصلح له، وأعاض أربابه أضعاف أضعاف قيمته وأنزلهم منازلهم من قربه.

ورد منها ما لا يصلح له وضرب به وجوه أصحابه.

وقابل من نقب حماه وأفسد حريمه بما يقابل به المفسدون. فسألوا الرجعة إلى المدينة ليعمروا قصره ويحفظوا حريمه ويقدموا عليه من البضائع بمثل ما قدم به التجار.

فقال: هيهات قد خربت المدينة خرابا لا تعمر بعده أبدا، وليس بعدها إلا المدينة التي لا تخرب أبدا.

فصل

وقد مثلت الدنيا بمنام، والعيش فيها بالحلم، والموت باليقظة.

ومثلت بمزرعة، والعمل فيها بالبذر، والحصاد يوم المعاد.

ومثلت بدار لها بابان: باب يدخل منه الناس، وباب يخرجون منه.

ومثلت بحية ناعمة الملمس، حسنة اللون، وضربتها الموت.

ومثلت بطعام مسموم، لذيد الطعم طيب الرائحة، من تناول منه بقدر حاجته

كان فيه شفاؤه، ومن زاد على حاجته كان فيه حتفه.

ومثلت بالطعام في المعدة، إذا أخذت الأعضاء منه حاجتها فحبسه قاتل أو

مؤذ، ولا راحة لصاحبه إلا في خروجه؛ كما أشار إليه النبي في آكلة الخضر، وقد تقدم.

ومثلت بامرأة من أقبح النساء قد انتقبت على عينين فتنت بهما الناس، وهى تدعو الناس إلى منزلها، فإذا أجابوها كشفت لهم عن منظرها وذبحتهم بسكاكينها، وألقتهم في الحفر، وقد سلطت على عشاقها تفعل بهم ذلك قديما وحدثا».

انتهى كلام ابن القيم رحمه الله.

حديث آخر:

عن حبشي بن جنادة مرفوعاً: «الَّذِي يَسْأَلُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ كَمَثَلِ الَّذِي يُلْتَقِطُ الْجَمْرَ».

قال الشيخ الألباني رحمه الله: «صحيح»؛ انظر حديث رقم (5495) في «صحيح الجامع». (هب). قلت: يؤيده الحديث الذي رواه مسلم (1041): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْثُرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلَيْسَتْ قِلَّةٌ أَوْ لَيْسَتْ كَثْرَةٌ».

أحاديث ضعيفة من الأمثال

قال الإمام أحمد رحمه الله (8639): حَدَّثَنَا حَسَنٌ، وَعَفَّانُ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَوْسِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الَّذِي يَجْلِسُ فَيَسْمَعُ الْحِكْمَةَ، ثُمَّ لَا يُحَدِّثُ عَنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا بِشَرِّ مَا سَمِعَ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى رَاعِيًا، فَقَالَ: يَا رَاعِي، أَجْزَرَنِي شَاةٌ مِنْ غَنَمِكَ، قَالَ:

أَذْهَبَ فَخُذْ بِأُذُنِ خَيْرِهَا، فَذَهَبَ فَأَخَذَ بِأُذُنِ كَلْبِ الْغَنَمِ.

قال ابن حجر: علي بن زيد ضعيف.

وقال في أوس بن أبي أوس: مجهول.

وقال الشيخ الألباني في «الجامع الصغير وزيادته»: «ضعيف»؛ انظر حديث

رقم (5239) في «ضعيف الجامع».

الحديث في «السلسلة الضعيفة».

قال الألباني رحمته الله [في «السلسلة الضعيفة والموضوعة» (4/244)]: «ضعيف.

رواه ابن ماجه (4172) وأحمد (353/2 و405 و508) وابن الأعرابي في

«معجمه» (1/239) وأبو الشيخ في «الأمثال» (291) وعبد الغني المقدسي في

«العلم» (1/19) عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أوس بن خالد عن أبي

هريرة مرفوعا.

ثم رواه المقدسي عن يزيد بن هارون: حدثنا حماد بن سلمة به، إلا أنه قال: عن

علي بن زيد عن يوسف بن مهرا عن ابن عباس مرفوعا. ثم قال المقدسي: «هذا

إسناد حسن!» كذا قال، وعلي بن زيد ضعيف، وهو ابن جدعان. وقوله في رواية

يزيد: يوسف بن مهرا شاذ، فإنه عند أحمد من هذا الوجه مثلما وقع في الوجوه

الأخرى: «أوس بن خالد». وأوس هذا مجهول، كما في «التقريب»، فهذه علة

أخرى.

والحديث أورده السيوطي في «الجامع الصغير» من رواية أحمد وابن ماجه،

فقال المناوي: رمز لحسنه. قال الحافظ العراقي: سنده ضعيف، وبينه تلميذه الهيثمي، فقال: فيه علي بن زيد (الأصل: يزيد) مختلف في الاحتجاج به».

حديث آخر

قال الإمام أحمد رحمته الله (11129): حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ يَعْني سَيِّانَ، عَن لَيْثٍ، عَن عَمْرٍو بْنِ مُرَّةَ، عَن أَبِي الْبَخْرِيِّ، عَن أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ: قَلْبٌ أَجْرَدٌ فِيهِ مِثْلُ السَّرَاحِ يَزْهَرُ، وَقَلْبٌ أَغْلَفٌ مَرْبُوطٌ عَلَى غِلاْفِهِ، وَقَلْبٌ مَنْكُوسٌ، وَقَلْبٌ مُصْفَحٌ، فَأَمَّا الْقَلْبُ الْأَجْرَدُ: فَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ سِرَاجُهُ فِيهِ نُورُهُ، وَأَمَّا الْقَلْبُ الْأَغْلَفُ: فَقَلْبُ الْكَافِرِ، وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمَنْكُوسُ: فَقَلْبُ الْمُنَافِقِ عَرَفَ، ثُمَّ أَنْكَرَ، وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمُصْفَحُ: فَقَلْبٌ فِيهِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ، فَمِثْلُ الْإِيمَانِ فِيهِ كَمِثْلِ الْبَقْلَةِ يَمُدُّهَا الْمَاءُ الطَّيِّبُ، وَمِثْلُ النِّفَاقِ فِيهِ كَمِثْلِ الْقُرْحَةِ يَمُدُّهَا الْقَيْحُ وَالِدَّمُ، فَأَيُّ الْمَدَّتَيْنِ غَلَبَتْ عَلَى الْأُخْرَى غَلَبَتْ عَلَيْهِ».

قال العلامة الألباني رحمته الله [في «السلسلة الضعيفة» (ج 11 / ص 162) (5158)]:

«ضعيف».

حديث آخر

قال الإمام أحمد (11335): حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْوَلِيدِ، عَن أَبِي سُلَيْمَانَ اللَّيْثِيِّ، عَن أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «مِثْلُ الْمُؤْمِنِ وَمِثْلُ الْإِيمَانِ كَمِثْلِ الْفَرَسِ، عَلَى آخِيَّتِهِ يَجُولُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى آخِيَّتِهِ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْهُو، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْإِيمَانِ».

عبد الله بن الوليد بن قيس بن الأخرم التجيبي المصري. روى له أبو داود

والنسائي. قال ابن حجر: لين الحديث. وشيخه سليمان لم أقف له على ترجمة. ومدار الحديث عليها. وفي مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي قال: أبو سليمان الليثي، وعبد الله بن الوليد التميمي كلاهما ثقة. وهو وهم منه.

والآخية: أي يبعد عن ربه بالذنوب وأصل إيمانه ثابت.

قال الشيخ الألباني [في «الترغيب والترهيب» (ج 2 / 159)]: «ضعيف».

حديث آخر

قال الإمام أحمد رحمته الله (12600): حَدَّثَنَا هَيْثَمُ بْنُ حَارِجَةَ، حَدَّثَنَا رِشْدِينَ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْوَلِيدِ، عَنْ أَبِي حَفْصٍ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مَثَلَ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ، كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، فَإِذَا انْطَمَسَتِ النُّجُومُ، أَوْشَكَ أَنْ تَضِلَّ الْهُدَاةُ».

ورشدين بن سعد، قال ابن حجر: ضعيف.

قال الذهبي: سيء الحفظ، وكان صالحا عابدا محدثا، قال أبو زرعة: ضعيف.

قال الشيخ الألباني: «ضعيف»؛ انظر حديث رقم (1973) في «ضعيف

الجامع».

حديث آخر

قال الإمام أحمد رحمته الله (27533): حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي حَبِيبَةَ الطَّائِيَّ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي حَدِيثِهِ: فَلَقِيتُ: أَبَا الدَّرْدَاءِ - فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم

يَقُولُ: «مَثَلُ الَّذِي يُعْتَقُ عِنْدَ الْمَوْتِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي إِذَا شَبِعَ».

وأبو حبيبة الطائي، قال ابن حجر: مقبول، أي: مجهول.

قال الألباني [في «السلسلة الضعيفة و الموضوعة» (3/490)]: «ضعيف، أخرجه أبو داود (3968) والنسائي (125/2) والترمذي (17/2) والدارمي (413/2) وابن حبان (1219) وأحمد (5/197 و 6/448) وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (ق 1/28) وابن الأعرابي في «المعجم» (ق 2/190) عن أبي إسحاق عن أبي حبيبة الطائي قال: «أوصى إلي أخي بطائفة من ماله، فلقيت أبا الدرداء، فقلت: إن أخي أوصى إلي بطائفة من ماله، فإن ترى لي وضعه في الفقراء أو المساكين أو المجاهدين في سبيل الله، فقال: أما أنا فلو كنت لم أعدل بالمجاهدين، سمعت رسول الله ﷺ يقول:...»، فذكره و السياق للترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

كذا قال. و أبو حبيبة هذا في عداد المجهولين، فإنه لا يعرف له راو غير أبي إسحاق، و لذلك قال الحافظ فيه: «مقبول». يعني عند المتابعة، و إلا فلين الحديث، و لم يتابع فيما علمت.

و لذلك قال الذهبي في «الميزان»: «لا يدرى من هو؟ و قد صحح له الترمذي».

فتحسين الحافظ لإسناده في «الفتح» (5/374) غير حسن، و إن وافقه المناوي وقلده الغماري، و أقره المعلق على «شرح السنة» (6/172). والله المستعان».

حديث آخر

حديث: عن طاووس عن ابن عباس مرفوعا: «قال الله تبارك و تعالى: إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل على خلقي، ولم يبت مصرا على معصيتي، وقطع نهاره في ذكري، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة، ورحم المصاب، ذلك نوره كنور الشمس، أكلؤه بعزتي، وأستحفظه ملائكتي، وأجعل له في الظلمة نورا، وفي الجهالة حلما، ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة».

قال الألباني [في «السلسلة الضعيفة و الموضوعة» (2/365)]: «ضعيف. رواه البزار (ص 65 - زوائده) و ابن حبان في «المجروحين» (2/35) عن عبد الله بن واقد الحراني عن حنظلة بن أبي سفيان عن طاووس عن ابن عباس مرفوعا».

حديث آخر

حديث: «يَا عَلِيُّ مَثَلُ الَّذِي لَا يُتَمُّ صَلَاتَهُ كَمَثَلِ حُبْلَى حَمَلَتْ، فَلَمَّا دَنَا نَفَاسُهَا أَسْقَطَتْ فَلَا هِيَ ذَاتٌ وَلَدٍ وَلَا هِيَ ذَاتٌ حَمَلٍ وَمَثَلُ الْمُصَلِّيِّ كَمَثَلِ التَّاجِرِ لَا يَخْلُصُ لَهُ رِبْحُهُ حَتَّى يَخْلُصَ لَهُ رَأْسُ مَالِهِ كَذَلِكَ الْمُصَلِّيُّ لَا تُقْبَلُ نَافِلَتُهُ حَتَّى يُؤَدِّيَ الْفَرِيضَةَ».

قال الألباني [في «السلسلة الضعيفة و الموضوعة» (3/413)]: «ضعيف أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (2/387) و أبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب» (ق 1/196) و أبو يعلى في «مسنده» (1/90) الشطر الأول منه من طريق موسى بن عبيدة الربذي عن عبد الله بن حنين عن أبيه عن علي قال: قال رسول الله ﷺ فذكره. و قال البيهقي: موسى بن عبيدة لا يحتج به».

حديث آخر

عَنْ أَبِي حَبِيبَةَ الطَّائِيِّ قَالَ: أَوْصَى إِلَيَّ أَخِي بِطَائِفَةٍ مِنْ مَالِهِ، فَلَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَقُلْتُ: إِنَّ أَخِي أَوْصَى إِلَيَّ بِطَائِفَةٍ مِنْ مَالِهِ، فَأَيْنَ تَرَى لِي وَضَعَهُ، فِي الْفُقَرَاءِ، أَوْ الْمَسَاكِينِ، أَوْ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: أَمَّا أَنَا فَلَوْ كُنْتُ لَمْ أَعْدِلْ بِالْمُجَاهِدِينَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَثَلُ الَّذِي يَعْتِقُ عِنْدَ الْمَوْتِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي إِذَا شَبَعَ».

قال الألباني [في «السلسلة الضعيفة و الموضوعة» (3/ 490)]: «ضعيف أخرجه أبو داود (3968) والنسائي (2/ 125) والترمذي (2/ 17) والدارمي (2/ 413) وابن حبان (1219) وأحمد (5/ 197 و 6/ 448) و عبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (ق 1/ 28) و ابن الأعرابي في «المعجم» (ق 2/ 190) عن أبي إسحاق عن أبي حبيبة الطائي قال: «أوصى إلي أخي بطائفة من ماله، فلقيت أبا الدرداء، فقلت: إن أخي أوصى إلي بطائفة من ماله، فإن ترى لي وضعه في الفقراء أو المساكين أو المجاهدين في سبيل الله، فقال: أما أنا فلو كنت لم أعدل بالمجاهدين، سمعت رسول الله ﷺ يقول:...»، فذكره».

حديث آخر

حديث أبي هريرة مرفوعا: «مَثَلُ الَّذِي يَجْلِسُ يَسْمَعُ الْحِكْمَةَ، ثُمَّ لَا يُحَدِّثُ عَنْ صَاحِبِهِ إِلَّا بِشَرِّ مَا سَمِعَ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى رَاعِيًا، فَقَالَ: يَا رَاعِي أَجْزَرَنِي شَاةٌ مِنْ غَنَمِكَ، قَالَ: أَذْهَبُ فَخُذْ بِأُذُنِ خَيْرِهَا، فَذَهَبَ فَأَخَذَ بِأُذُنِ كَلْبِ الْغَنَمِ».

قال الألباني [في «السلسلة الضعيفة و الموضوعة» (4/ 244)]: «ضعيف. رواه ابن

ماجة (4172) وأحمد (2/353 و 405 و 508) وابن الأعرابي في «معجمه» (1/239) وأبو الشيخ في «الأمثال» (291) وعبد الغني المقدسي في «العلم» (1/19) عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أوس بن خالد عن أبي هريرة مرفوعا. ثم رواه المقدسي عن يزيد بن هارون: حدثنا حماد بن سلمة به، إلا أنه قال: عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس مرفوعا. و علي بن زيد ضعيف، و هو ابن جدعان».

حديث آخر

حديث أبي هريرة رفعه: «مَثَلُ بِلَالٍ كَمَثَلِ نَحْلَةٍ غَدَّتْ تَأْكُلُ مِنَ الحُلْوِ وَالْمُرِّ، ثُمَّ هُوَ حُلْوٌ كُلُّهُ».

قال الألباني [في «السلسلة الضعيفة و الموضوعة» (5/13)]: «ضعيف. رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (1/147/181 - مكتبة المعارف)، و من طريقه ابن عساكر (3/233/1 و 10/333 - طبع المجمع) عن عبد الله بن سليمان عن دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم عن ابن حجيرة عن أبي هريرة رفعه».

قلت: و هذا سند ضعيف من أجل أبي السمح، فإنه صاحب مناكير، و بخاصة في روايته عن أبي الهيثم.

حديث آخر

حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالْبَيْتِ الحَرْبِ فِي الظَّاهِرِ، فَإِذَا دَخَلَتْ وَجَدْتَهُ مُوتَقًا، وَمَثَلُ الفَاجِرِ كَالْقَبْرِ المَشْرِقِ المَجْصَصِ يُعْجَبُ مَنْ رَأَاهُ وَجَوْفُهُ مَمْتَلِئٌ نَتْنًا».

قال الألباني [في «السلسلة الضعيفة و الموضوعة» (5/255)]: «ضعيف جدا. أخرجه البيهقي في «الشعب» (2/332/1) عن إبراهيم بن أبي يحيى: حدثنا شريك ابن أبي نمر عن أبي عمرة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ... فذكره». قلت: و هذا إسناد ضعيف جدا، إبراهيم هذا هو ابن محمد بن أبي يحيى الأسلمي، وهو متروك.

حديث آخر

عن عثمان مرفوعاً: «إن القرآن مثله كمثل جراب فيه مسك قد ربطت فاه فإن فتحته فاح ريح المسك وإن تركته كان مسكا موضوعاً مثل القرآن إن قرأته و إلا فهو في صدرك».

قال الشيخ الألباني رحمته الله: «ضعيف»؛ انظر حديث رقم (1517) في «ضعيف الجامع». (الحكيم).

حديث آخر

عن أنس مرفوعاً: «إنَّ مَثَلَ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ، كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، فَإِذَا انْطَمَسَتِ النُّجُومُ، أَوْ شَكَ أَنْ تَضِلَّ الْهُدَاةُ».

قال الشيخ الألباني رحمته الله: «ضعيف»؛ انظر حديث رقم: (1973) في «ضعيف الجامع». (حم).

حديث آخر

عن أبي هريرة مرفوعاً: «تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ، وَاقْرَأُوهُ وَاذْقُدُوا، فَإِنَّ مَثَلَ الْقُرْآنِ

وَمَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَامَ بِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ مَحْشُوٍّ مِسْكَاً يَفُوحُ رِيحُهُ كُلَّ مَكَانٍ، وَمَثَلُ مَنْ تَعَلَّمَهُ فَزَادَ وَهُوَ فِي جَوْفِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ، أَوْ كَيَّ عَلَى مِسْكِ».

قال الشيخ الألباني رحمته الله: «ضعيف»؛ انظر حديث رقم (2452) في «ضعيف الجامع». (ت ن ه - حب).

حديث آخر

عن ابن عمر مرفوعاً: «ذاكر الله في الغافلين مثل الذي يقاتل عن الفارين وذاكر الله في الغافلين كالمصباح في البيت المظلم، وذاكر الله في الغافلين كمثل الشجرة الخضراء في وسط الشجر الذي قد تحات من الصريد وذاكر الله في الغافلين يعرفه الله مقعده من الجنة وذاكر الله في الغافلين يغفر الله له بعدد كل فصيح و أعجم».

قال الشيخ الألباني رحمته الله: «ضعيف»؛ انظر حديث رقم (3037) في «ضعيف الجامع». (حل).

حديث آخر

حديث أبي الدرداء مرفوعاً: «مثل الذي يتعلم العلم في صغره كالنقش على الحجر ومثل الذي يتعلم العلم في كبره كالذي يكتب على الماء».

قال الشيخ الألباني: «موضوع»؛ انظر حديث رقم (5237) في «ضعيف الجامع».

حديث آخر

عَنْ مَيْمُونَةَ بِنْتِ سَعْدٍ مَرْفُوعًا: «مَثَلُ الرَّافِلَةِ فِي الزَّيْنَةِ فِي غَيْرِ أَهْلِهَا كَمَثَلِ ظُلْمَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَنْوَرِهَا».

قال الشيخ الألباني رحمته الله: «ضعيف»؛ انظر حديث رقم (5236) في «ضعيف الجامع».

قال المناوي رحمته الله [في «فيض القدير» (5/647)]: «(مثل الرافلة في الزينة) أي المتبخثرة فيها. يقال: رفل إزاره إذا أرخاه. (في غير أهلها) أي فيمن يحرم نظره إليها. (كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها) أي المرأة».

قال ابن العربي: معناه صحيح ظاهر فإن اللذة في المعصية عذاب والراحة نصب والشبع جوع والبركة محق والنور ظلمة والطيب نتن، وعكسه الطاعات كخلاف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، ودم الشهيد اللون لون دم والريح ريح المسك.

قال في الفردوس: والرفل التمايل في المشي مع جر ذيل؛ يريد أنها تأتي يوم القيامة سوداء مظلمة كأنها متجسدة من ظلمة، والمتبرجة بالزينة لغير زوجها. يقال: رفل ذيله أزاله وأسبله أرخاه».

حديث آخر

عن أبي موسى مرفوعًا: «مثل المؤمن إذا لقي المؤمن فسلم عليه كمثل البنيان

يشد بعضه بعضاً».

قال الشيخ الألباني رحمته الله: «ضعيف»؛ انظر حديث رقم (5242) في «ضعيف الجامع». (خط).

حديث آخر

عن أبي أمامة مرفوعاً: «مَثَلُ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ فِي النَّسَاءِ كَمَثَلِ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ الَّذِي إِحْدَى رِجْلَيْهِ بَيْضَاءُ».

قال الشيخ الألباني رحمته الله: «ضعيف»؛ انظر حديث رقم (5246) في «ضعيف الجامع». (طب).

حديث آخر

عن سهل بن سعد مرفوعاً: مَثَلِي وَمَثَلُ السَّاعَةِ كَفَرَسِي رِهَانٍ. مَثَلِي وَمَثَلُ السَّاعَةِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَعَثَهُ قَوْمٌ طَلِيعَةً، فَلَمَّا حَشِيَ أَنْ يَسْبِقَ الْأَخُ بِثَوْبِهِ أُتِيَتْمْ أُتِيَتْمْ. أَنَا ذَاكَ، أَنَا ذَاكَ. (هب).

قال الشيخ الألباني رحمته الله: «ضعيف»؛ انظر حديث رقم (5252) في «ضعيف الجامع».

حديث آخر

حديث: «إن مثل الأشعرين في الناس كصرار المسك».

«ضعيف»؛ وانظر «السلسلة الضعيفة» (ج 4 / ص 414).



خاتمة:

انتهى ما أردت جمعه بحمد الله ربي ومنته وكرمه وإحسانه، مع اعترافي بالتقصير غير القصير، والخطأ غير اليسير، ولكن حسبي أني بشر حقير أستعين بمولاي القدير، هو المولى نعم النصير، من لي سواه ناصرًا ومعينًا وموفقًا وهاديًا ونصيرًا، فهو الذي هدى واجتبي ومن كل الشبهات والشهوات عافى، فهو الوهاب وإليه المرجع والمآب، وإياه نرجو وإليه متاب.

30 ربيع آخر 1429

بدار السنة بمركز شرقين

صنعاء - اليمن

والحمد لله وحده

*** **

الفهرس

- 3..... مقدمة شيخنا المحدث العلامة يحيى بن علي الجوري.....
- 4..... ٣٢.....
- 14..... كلمة شكر
- 15..... الفصل الأول: أمثال القرآن كتاب الله الكريم.....
- 15..... باب بيان قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الكهف].....
- 16..... باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الإسراء].....
- 16..... باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿لَوْ أَرْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر].....
- 18..... باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ [العنكبوت].....
- 19..... باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الفرقان].....
- 20..... باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا﴾ [الإسراء].....
- 21..... باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَيَمْتَدُّونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل].....
- 22..... باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَبَيَّتَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم].....
- 23..... باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهمْ فِي الْإِنجِيلِ كَرِجٍ أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ [الفتح].....
- 28..... باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّنَاءِ وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [٦٠].....
- 29..... باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَخْلُقُونَ ذُكَبًا وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْتَأْذِنُوا لَأَلَسْتُمُ الذُّكَبُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ﴾ [الحج].....
- 33..... باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج].....
- 36..... باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْيِ رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَتَحَدَّوْنَ﴾ [النحل].....
- 40..... باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [الروم: 28].....

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٤﴾ تُوِّقَتْ أَكْلُهَا كُلِّ حِينٍ يَأْذَنُ رَبُّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿١٦﴾﴾ [إبراهيم]..... 105

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾﴾ [الجمعة]..... 110

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَأَتَيْتَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهَا بِهَا وَلَنَجْعَهُنَّ أَخْدَانًا إِلَى الْأَرْضِ وَأَنْبِغَ هَوْنَهُ فَنَلُوهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأعراف]..... 114

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيبَةً كَانَتْ أَمِينَةً مَطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [النحل]..... 124

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان]..... 126

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنِينَ وَحِدَةً﴾ [لقمان: 28]..... 128

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتٌ نُوحٍ وَأَمْرَاتٌ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَمْرَاتٌ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِيهِ وَبِخِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتِ مِنَ الْفَائِزِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحریم]..... 130

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا آمْنًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ﴾ [يونس]..... 136

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ [الكهف]..... 139

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَكِبَارٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ ثُمَّ سَيْحٌ فَزَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ [الحديد]..... 140

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ ﴿٦١﴾﴾ [الرعد]..... 143

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ النُّعْتَةِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿٧٧﴾﴾ [الرعد]..... 145

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فُتِسِقُوا﴾ [الحديد]..... 153

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ضُمُّ بَعْضِكُمْ عَمَىٰ فَمَنْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَرِقٌّ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي ءَادَانِهِمْ مِنْ الضَّرْبِ عَنِ حَذَرِ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الزَّبْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَسْوَاهُ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة]..... 155

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ كُلٌّ صِحْحَةٌ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَادُو فَاحْذَرْهُمْ فَتَنَاهُمْ اللَّهُ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون]..... 166

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ زُلَمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكُونٌ ﴿١٤﴾﴾ [الطور]..... 167

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتٌ الْظُرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِسْ قِبَالَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا ءَالِيَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ آيَاتُ وَالْمَرْحَانِ ﴿٥٨﴾﴾..... 168

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد]..... 168

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَاكِرٍ فَأَتَاهَا بِيَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [التوبة]..... 171

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ وَيَادِنُ رَبِّهٖ وَالَّذِي حَبَّتْ لَا يَخْرِجُ إِلَّا تَكْدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأعراف]..... 172

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا طَالَا سُقَّتُهُ لِكَيْرٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ ءَالْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾..... 174

فصل: أمثال المنفقين 178

وقول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ ءَامُوٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حِمَّةٍ أَتَتْ سَمْعًا سَبَّاحًا فِي كُلِّ سُبُلَةٍ ءَاتَتْهُ حِمَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة]..... 178

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ [البقرة]..... 184

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ ءَامُوٰلَهُمْ أُتْبِعَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيٓتًا مِنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَانَّتْ أَكُلَهَا ضَعْفِيٓنٍ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٦٦﴾﴾..... 186

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿أَيُّدٌ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّجِيلٍ وَأَعْيَابٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضَعْفَاءٌ فَأَصَابَهَا ءِغْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ [البقرة]..... 188

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرَثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [آل عمران] 190

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْبَمُوا لِيَصْرَمُهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ [القلم] 192

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَطَعْنُوهُ فَعَقَرَ ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٢٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَجِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيرِ الْحُمْطِرِ ﴿٢١﴾﴾ [القمر] 194

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرَ فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ نَزِعَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَعْجَارًا تَحُلُّ مُنْفَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [القمر] 195

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُتْتَمِرٌ ﴿٧﴾﴾ [القمر] 196

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّنْ سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الفيل] 197

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿الْفَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْفَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدرُكُ مَا الْفَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾﴾ 198

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِّيلِ لِلْكُثْبِ ﴿١﴾﴾ 200

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴿١﴾﴾ [الكهف] 201

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ 202

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْتَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [المعارج] 203

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿١٠٠﴾﴾ 208

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [المعارج]، وقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴿١٢٤﴾﴾ [ق] 209

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿أَيُّجِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات] 212

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٣﴾﴾ 221

وقول الله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾﴾ 221

باب بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ مَبْنِينَ مَرْمُوضٍ ﴿١٠٠﴾﴾ 222

الفصل الثاني: أمثال الأحاديث 225

باب مثل العلم الذي بعث به رسول الله ﷺ 225

- 229..... باب مثل رسول الله ﷺ
- 230..... باب أمثال رسول الله ﷺ وأمته
- 232..... مثل آخر
- 234..... مثل آخر
- 237..... مثل آخر
- 241..... مثل آخر
- 242..... مثل حياء رسول الله ﷺ
- 243..... مثله ﷺ في الخطبة
- 245..... مثل مكانة رسول الله ﷺ بين الأنبياء
- 248..... باب مثل المؤمن
- 251..... مثل المؤمنين
- 253..... مثل المؤمن كمثل القطعة من الذهب وكمثل التحلة
- 255..... مثل المؤمن والبلاء
- 259..... مثل أجر القرآن
- 260..... باب مثل الناس والقرآن
- 263..... باب مثل البيت الذي يذكر الله فيه والذي لا يذكر الله فيه
- 264..... باب مثل صاحب القرآن
- 265..... مثل القرآن والنبى ﷺ
- 269..... مثل الصراط المستقيم
- 272..... باب مثل الناس
- 275..... مثل آخر للناس
- 277..... باب مثل الجليس الصالح والجليس السوء
- 278..... حديث آخر في الباب ومثل القلب
- 281..... باب مثل المنافق
- 283..... باب مثل المنفق
- 285..... باب مثل المسلمين واليهود والنصارى
- 287..... باب مثل الواقع في الشبهات
- 293..... مثل القائم على حدود الله تعالى والمدّهن فيها
- 296..... باب مثل المرأة
- 299..... مثل الإنسان وأجله
- 301..... مثل ابن آدم ومثل الموت
- 303..... مثل العالم الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه
- 304..... مثل الذي يتعلم ولا يحدث بعلمه

- 307.....باب التمثيل في الدعاء
- 307.....باب مثل الصدقة التي يمينها الله
- 309.....أمثال عظيمة في حديث الحارث الأشعري
- 311.....باب مثل الذي يستشرف للمال كالذي يأكل ولا يشبع
- 317.....باب مثل الذي يصبر على أذى من يحسن إليه
- 318.....باب مثل صوت الوحي على رسول الله ﷺ
- 321.....باب مثل فضل عائشة ؓ على النساء
- 321.....باب مثل الفتن
- 322.....باب مثل الحوض (طوله وعرضه وكيزانه ولونه)
- 333.....باب مثل أباريق الحوض
- 334.....باب مثل من يزداد من الحوض
- 337.....باب مثل البيت الذي يذكر الله فيه والذي لا يذكر الله فيه
- 338.....باب دوي ذكر الله حول العرش
- 339.....باب مثل رحمة الله سبحانه
- 341.....باب مثل أقوام ممن يدخل الجنة
- 341.....باب مثل فرح الله بتوبة عبده
- 350.....باب مثل الإيمان والهداية آخر الزمن
- 351.....مثل من يكيد المدينة
- 352.....مثل رسول الله ﷺ قرب الساعة بأصبعه
- 353.....تشبيه من حسان بين يدي رسول الله ﷺ
- 354.....مثل الذي تفوته صلاة العصر
- 358.....مثل من ينقر في سجوده
- 358.....مثل الذي يصلي ورأسه معقوض
- 359.....مثل محقرات الذنوب
- 360.....مثل تكفير الذنوب
- 364.....مثل علي ؓ من رسول الله ﷺ
- 365.....مثل جمال جرير
- 366.....مثل المجاهد
- 366.....مثل وجوه أول زمرة يدخلون الجنة وعيشهم
- 372.....باب مثل رؤية الله يوم القيامة
- 373.....عقيدة أهل السنة في هذا المثل
- 375.....مثل ما بين مصراعي الجنة
- 377.....مثل الأمراء مع الناس
- 378.....مثل الفتن كمواقع القطر

- 380..... مثل العبادة في الهرج
- 380..... مثل من يبقى بعد ذهاب الصالحين
- 383..... مثل الذي يأتي الجمعة
- 393..... مثل الذي يصوم ثلاثة أيام من الشهر
- 394..... مثل الصيام كالجنة
- 396..... مثل الإمام كالجنة
- 397..... مثل الصوم كالجنة ومثل إطفاء الصدقة الخطيئة
- 399..... مثل خلوف فم الصائم
- 400..... مثل المجاهد في سبيل الله
- 400..... مثل حرمة المسلم وعرضه
- 404..... مثل حرمة نساء المهاجرين
- 405..... مثل دخول العمرة في الحج
- 407..... مثل العمرة في رمضان
- 407..... مثل الذي يعين قومه على غير الحق
- 409..... مثل الذي يمشي على قبر مسلم
- 409..... مثل قلة المسلمين في الأمم
- 411..... مثل الذي يحج فلم يرفث ولم يفسق
- 414..... مثل المتشبع بما لم يعط
- 415..... تمثيل رسول الله ﷺ فعل أصحابه بالخيل
- 416..... مثل الذي يمدح ويطري في مدحه
- 419..... تمثيل رسول الله ﷺ القيراطين بالجليلين العظيمين
- 421..... مثل غدو الناس وسعيهم
- 422..... مثل الذي يصوم رمضان ويتبعه ستاً من شوال كمن صام الدهر
- 422..... مثل الخطبة التي ليس فيها تشهد
- 423..... مثل نقض الإسلام
- 424..... فتنة القبر كفتنة الدجال
- 425..... مثل مروق الخوارج من الدين
- 428..... مثل فتن آخر الزمان
- 428..... مثل فتن آخر الزمان كقطع الليل المظلم
- 429..... مثل عرض الفتن على القلوب
- 433..... أمثال في حديث الدجال
- 436..... مثل غربة الإسلام في آخره كغربته في أوله
- 438..... مثل ألم القتل في سبيل الله

- 438..... مثل الذين يقاتلهم المسلمون من الترك
- 439..... قول ﷺ: اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل حبشي كأن رأسه زبيبة
- 440..... مثل الهدى والسداد
- 440..... مثل من هلك الله
- 443..... مثل من يجلس بعد الفجر حتى تطلع الشمس
- 444..... أمثال خاتم رسول الله
- 450..... قول النبي ﷺ: لو سلخوا جحر ضب لسلكتموه ومثل اتباع سنن إلهود والنصارى
- 453..... مثل الذي يأكل من آنية الذهب والفضة
- 454..... مثل الذي يكثر من الشعر المكروه
- 456..... مثل الصلاة على رسول الله ﷺ في الصلاة
- 463..... مثل الأنصار
- 465..... مثل الحيرة
- 466..... مثل السنة واليوم والشهر عند قرب الساعة
- 466..... مثل دين الله كدين بني آدم والله أحق بالوفاء
- 468..... مثل من حلب ماشية غيره
- 469..... مثل الذي يغالي في المهور
- 470..... مثل دوران المخالف لقوله في النار كما يدور الحمار بالرحى
- 471..... مثل الساعي على الأرملة والمسكين
- 471..... مثل إنبات الأرض لأجسام الخلائق
- 472..... مثل إنبات من يخرج من النار
- 475..... مثل العائد في هبته
- 476..... مثل قبض الأمانة
- 478..... مثل أفئدة أقوام يدخلون الإسلام
- 479..... مثل من يلعب بالنردشير
- 480..... السترة مثل مؤخرة الرجل
- 482..... مثل نفي المدينة الخباء والمنافقين منها
- 486..... تشبيه عرق الإنسان بعرق الحيوان
- 489..... مثل ما ينقص من فضل الله
- 491..... تشبيه رسول الله ﷺ الشهوة كنيب التيس
- 492..... مثل الفطرة كنتاج البهيمة
- 493..... تمثيل رسول الله ﷺ الصلوات الخمس بالنهر الجاري
- 494..... مثل الذي تفوته صلاة العصر كالذي وتر أهله وماله
- 497..... النهي عن افتراش كافتراش السبع
- 498..... مثل المتوضئين كالغمر المحجلة

- 500..... مثل ورق سدرة المنتهى
- 503..... مثل عيسى والمسيح الدجال
- 506..... مثل عين المسيح الدجال
- 507..... مثل موسى Σ
- 509..... مثل مرور الناس على الصراط
- 510..... أمثال الدنيا
- 511..... أمثال آخر للدنيا
- 512..... مثل آخر
- 513..... مثل آخر
- 514..... مثل آخر
- 516..... مثل آخر
- 517..... مثل آخر
- 517..... مثل آخر
- 519..... مثل آخر عن وهب بن منبه
- 519..... مثل آخر عن سفیان
- 519..... مثل آخر ضعيف السند
- 520..... مثل آخر
- 521..... مثل آخر
- 522..... مثل آخر
- 522..... مثل آخر
- 522..... مثل آخر
- 546..... حديث آخر:
- 546..... أحاديث ضعيفة من الأمثال
- 548..... حديث آخر
- 548..... حديث آخر
- 549..... حديث آخر
- 549..... حديث آخر
- 551..... حديث آخر
- 551..... حديث آخر
- 552..... حديث آخر
- 552..... حديث آخر
- 553..... حديث آخر

553	حديث آخر
554	حديث آخر
554	حديث آخر
554	حديث آخر
555	حديث آخر
555	حديث آخر
556	حديث آخر
556	حديث آخر
557	حديث آخر
557	حديث آخر
557	حديث آخر
559	خاتمة:
560	الفهرس

